عرفت هؤلاء

لمحات من وعي الذاكرة



حسن عبدالله القرشي

بسم الله الرحمن الرحيم

المطابع التجارية

مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

لمحات من وعي الذاكرة
عرفت هؤلاء

للمؤلف ..
حسن عبدالله القرشي

تقـــديم..

لا أظن أن شاعراً عربياً معاصراً أُتيح له ما أُتيح لشاعر مكة الكبير حسن عبدالله القرشي من صداقات وعلاقات واسعة، حققت له سجلاً واسعاً بالمودات والمحبة والتقدير المتبادلين بينه وبين أدباء العالم العربي وشعرائه ومفكريه وفنانيه.

وعلى مدار عمره الحافل بالنشاط والحيوية والمشاركات الإبداعية والثقافية، كان حسن عبدالله القرشي فيضاً من النشاط والحيوية، وعاملاً مشتركاً في الكثير من الملتقيات الشعرية والأدبية والفكرية، وصوتاً بارزاً ومتميزاً في العديد من المحافل، ومن فوق كثير من المنابر، يُدوّي بالشعر الجزل الأصيل، ويشدو بأعذب القصائد وأرقها، ويجلجل ويصدح حيناً آخر بقومياته وإسلامياته المتوهجة بروحه الثائرة، وأنفاسه الحارة، ولفحات إيمانه العميق بوطنه وإنسانيته، وقيمه السمحة ومُثله العليا.

وفي هذا الكتاب، يقدم لنا الشاعر المفكر، الرسام بالكلام، صوراً بديعة لعدد كبير من الشخصيات التي عرفها وعاش معها عن قرب، وصادقها وأحبها وبادلته مودة بمودة وتقديراً بتقدير. وهو فن لا يعرفه كثيرون من فنون حسن عبدالله القرشي وآثاره القلمية.

فالناس تعرفه شاعراً بارزاً مقدماً، لكنهم لا يعرفونه على هذا القدر من البراعة في رسم الشخصيات والنفاذ إلى أعماقهم، وتقديم أهم معالمهم وسماتهم في سطور قليلة مكثفة، تشبه ضربات ريشة الرسام الماهر، الذي يكتفي بالخطوط القليلة عن زحام الألوان في اللوحة، فإذا بها تضيء بإبداع فنان متمكن وريشة صَنَّاع، ونفاذ بصيرة وحنكة، وخبرة بالحياة والإنسان.

إنه سجل حافل جامع، يتجاوب فيه نخبة من الأعلام والرواد والعمالقة والمشاهير، وتجتمع فيه أجيال شتى، جيلاً بعد جيل، وكأنه - بطريقة غير مباشرة - حوار بينهم جميعاً، وكشفاً عن تطور الحياة العربية المعاصرة من خلال أهم رموزها في الفكر والثقافة والأدب والشعر والفن والحياة، وشهادة على عصر حافل بالكواكب والنجوم في كل مجال.

وسيجد القارئ نفسه في خضم من الحكايات الطريفة، والمواقف الشائقة، والأحداث التي يُكشف عنها لأول مرة، والتفاصيل الدقيقة التي التقطتها عدسة القرشي اللاقطة، وسجلها بحسه الروائي وطبيعته القصصية، فكانت مصدراً رائعاً لمادة هذا الكتاب، في فصوله المتعاقبة التي بلغت أكثر من سبعين فصلاً، عن ستة وخمسين شخصية تلتمع من بينها أسماء طه حسين، محمود حسن إسماعيل، علي محمود طه، وزكي مبارك، ويوسف إدريس، وفكري أباظة، ومحمد عبدالوهاب، والمازني، وبلند الحيدري، وزكي نجيب محمود، وصلاح عبدالصبور، وأمين الخولي، وعزيز أباظة، وأمل دنقل، وعبدالحليم حافظ، ومحمود شاكر وغيرهم.

ويبدو أن فيض الذكريات واتساع المادة الإنسانية والفنية بالنسبة لعدد من هؤلاء قد جعل القرشي المصور بالكلمات يبدع أكثر من لوحة قلمية عن الشخصية الواحدة، وهذا يفسر لنا لماذا اختص البعض منهم بأربعة فصول أو ثلاثة، بينما لم يحظ آخرون بغير فصل واحد ولوحة واحدة.

شكراً للشاعرة والأديبة المرهفة الحس والقلم الدكتورة ليلى حسن القرشي، التي حرصت على تحقيق أمنية والدها - رحمه الله - في جمع هذه المقالات التي نشرها متفرقة في صحيفة «عكاظ» تحت عنوان «عرفت هؤلاء»، فجعلت من عنوان الباب الصحفي عنواناً للكتاب، وحققت بإصداره إضافة ثرية ورائعة إلى تراثه تراث القرشي الأدبي المتعدد الجوانب، الذي يضم إبداعه الشعري الذي يضم تسعة عشرة مجموعة شعرية جُمعت في ثلاث مجلدات كبرى، وإبداعه النثري، الذي يضم دراسات وخطرات وأقاصيص ومقالات، فضلاً عن عدد من الأبحاث والمحاضرات، فأصبح لوجهه ا لإبداعي تكامله وباذخ تألقه وشموخه، لحقيقته الإبداعية، ومكانته بين الشعراء والأدباء على مستوى الوطن العربي - إشعاعهما وإشراقهما - ولعطره الباقي - من بعده - فوحانه وانتشاره وتأثيره، بين قرائه وعارفي فضله، ومحبيه ومريديه، وأصدقائه الذين سعدوا بصحبته، وأصبحت أثاره زادهم وعزائهم في غيبته. يرحمه الله.

الشاعر : فــاروق شــوشــة

أمين عام مَجمع اللغة العربية

استهلال ..

ينعم الإنسان بوجود صداقات في مشوار حياته تساعده على تخطي عقبات الطريق .. تستمع إليه وتشد من أزره تنطلق به إلى آفاق رحبة في حالات الضيق والوحدة .. ترسم البسمة على شفاهه عند حزنه وتجهمه .. وما أن تتكون تلك العلاقة - علاقة الصداقة - حتى تسير الحياة بالفرد بطريقة ميّسرة مريحة ..

والقارئ العزيز لهذا الكتاب سيجد بين يديه بعض من عرف شاعرنا (حسن بن عبدالله القرشي) رحمه الله .. فقد نشر في صحيفة عكاظ الغراء تحت عنوان (عرفت هؤلاء) بعض من الشخصيات التي كان لها الأثر في حياته الفكرية والأدبية والثقافية .. وهو الذي عُرف بعمق صدق محبته لأصدقائه واستمرار التواصل معهم والسؤال عنهم وزيارتهم مهما كانت مشاغله ومهما بعدُت أسفارهم ..

وقد تمنى الوالد - رحمه الله - أن يجمع تلك المقالات في كتاب فأردت أن أحقق له ذلك وأقوم بإنجاز طباعة هذا الكتاب ليستفيد القراء من معرفة تلك الشخصيات التي أحبها القرشي وأحبته ..

ولكي نعلم أن حياة الأديب لابد أن تكون مفعمة بالعلاقات والأجواء الثقافية التي تصقل موهبته وتؤصل التجربة الأدبية لديه. وتضفي البهجة التي كم يحتاج إليها الأديب الشاعر في كل لحظاته فتخفف من عبء يحمله بين جنبيه في تضاعف شعوره ورهافة حسه بالأحداث حوله مما يؤثر عليه سلباً في بعض الأحيان .

وأريد أن أنوِّه هنا أن الوالد - رحمه الله - كان كاتباً لقوائم أسماء كثيرة ولها مكانتها الأدبية والعلمية ممن عرفهم لكي يكتب عنهم ورغم أن عطائه وتفكيره وإحساسه بمن حوله كان كبيراً ومؤثراً ولكن شاءت إرادة القادر القيوم أن يرحل قبل الانتهاء من الكتابة عن بقية من عرف أرجو أن يكون هذا الكتاب إضافة رائدة إلى نتاج (القرشي) الأدبي الذي طالما أتحفنا به - رحمه الله - وأسكنه فسيح جناته.

والله ولي التوفيق ...

أختكم

د/ ليلى حسن عبدالله القرشي

الشاعر محمود حسن إسماعيل



كان الشاعر محمود حسن إسماعيل من أبرز شعراء مصر ومن أكثرهم شهرة. وشاءت الظروف أن أتعرف عليه في أحد المقاهي الأدبية التي كانت تعقد فيها تجمعات ثقافية في «الجيزة»، بمصر في حقبة طالت عشت فيها بمصر، وكنت حريصاً على التعرف على الأدباء الذين قرأت لهم في حياتي الثقافية وأعجبت بأدبهم. وقد لفت نظري تواجد هذا الشاعر المشهور محمود حسن إسماعيل وحده غالباً في ركن المقهى. وقد سر بمعرفتي كما سررت بدوري بمعرفته أعظم سرور وقد سبق أن كتب الناقد الكبير محمد مندور أن محمود حسن إسماعيل يذكره بأبي الطيب المتنبي لجهارة شعره وكان يعتز بهذه المقولة اعتزازاً كبيراً.

وقد كانت دواوين الشاعر محمود إسماعيل قد غزت مكتبات الأدب وكانت من أكثر دواوين الشعر ذيوعاً ورواجاً. وكان هو أكثر الشعراء نشراً في مجلة الرسالة الخالدة لصاحبها ومنشئها الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات.

وقد فرح الشاعر بما رويته له من شعره الذي كنت أحفظه من صغري ومن ثنائي على عبقريته فتوثقت صلتي به.

ومن شعره قوله :

لـيـتـنـي كـنـت صـلاة ... في كـهـوف الـنـاسـكـيـنـا

أتلاشى في سبيل الله شوقاً وحنينا
ليتني كنت عصا في كف أعمى لا يراها
هي تهديه ولكن من إلى النور هداها؟

وقوله :

سأغضب لا أجفو ولا أتمرد ولكن ضباب سوف يبكي له الغد
فخفي إلى أيامي السود وأمسحي جبيناً على كفيك كم راح يسعد

وقوله :

حزين أجل والحزن أضحى منادمي فدنياي دنيا أدمع ومأتم
يقولون سوّدت الأغاني وبشرها وأصبحت تهذي باللحون القواتم

وكانت نشأة محمود حسن إسماعيل ريفية فكان عيشه في الغيط وفي الكوخ ولذلك فإنه سمى ديوانه الأولى أغاني الكوخ»، وقد هاجم النقاد ديوانه هذا هجوماً شديداً وكان أعانه على طبع هذا الديوان أستاذه الدكتور مهدي علام ومن قوله عن الكوخ :

تبعثره عليه الدمع ما صفقت في قلبك الألحان يا شاعر
وطف حوالي ركنه والتمس نور الهدى والرشد يا حائر
هنا خبايا النفس مطمورة يمشي عليها الزمن الحائر!

وحينما زار مصر جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود حياه الشاعر محمود حسن إسماعيل بقصيدة باذخة مطلعها :

حاد من البيد هزتني قوافله والنيل يصغي إليه أو يساجله!

وللشاعر نثر بليغ لا يقل روعة وطلاوة عن شعره الرائع. وقدق تلطف مرة أخي وصديقي الشاعر الكبير محمد الفيتوري فأقام لي حفلة أدبية في داره حضرها

جمهور من كبار الأدباء والشعراء وبعض الشاعرات وكان من الحضور الشاعر محمود حسن إسماعيل والكاتب القاص والروائي الصديق الدكتور يوسف إدريس وقد روى لنا الأخير طرفة عن الشاعر محمود إسماعيل والذي كان يشغل في ذلك الحين وظيفة مراقب عام الاذاعة ويعرض عليه الانتاج المقدم للاذاعة.

فذكر أنه أرسل إحدى قصصه للاذاعة وأبلغوه بموعد اذاعتها وحينما حضر لاستوديو الاذاعة شاهد في غرفة زجاجية تواجد الشاعر محمود حسن إسماعيل وحينما دفعت إليه المذيعة نص القصة ليقرأه وجده مليئاً بالشطب والتعديل بقلم السيد المراقب مما يتعذر من قراءته فحزن واكتأب وذكر للمذيعة أنه سوف لا يستطيع القراءة مع كل هذا الشطب والتغيير ورجاها أن تعتذر للمستمعين عن عدم حضوره ولكنها أخبرته أن بإمكانه قراءة النص كما كتبه فأخبرها أنه كيف يمكنه عمل ذلك والسيد المراقب بجوار استوديو البث يراقب ما يقول فطمأنته بأنه يمكنه القراءة وسوف لا ينتبه المراقف لموقفه لأنه غالباًيكون مشغولاً بالتفكير في عناصر قصيدة شعرية سوف يكتبها. وقد تحقق ذلك بالفعل فقد قرأ القصة من الأصل غير المعدل دون أن يلتفت الشاعر الكبير المراقب إلى عمله وقد ضحكنا لهذه الطرفة وضحك معنا الشاعر محمود حسن إسماعيل. وفي آخر عهده كان الشاعر يعمل في الكويت وتوفي هناك يرحمه الله. والشاعر محمود حسن إسماعيل هو خريج دار العلوم بمصر وهو غزير الانتاج وقد أصدر أربعة عشر ديواناً هي: أغاني الكوخ، هكذا أغني، الملك، أين المفر، نار وأصفاد، قاب قوسين، لابد، التائهون، صلاة ورفض، هدير البرزخ، صوت من الله، نهر الحقيقة، موسيقى من السر، رياح المغيب.

سيد قطب



حديثي اليوم عن أحد أقطاب البيان والذي تجرد للفكر فلم يشرك فيه زوجاً ولا ولداً ذلك هو الأديب المفكر المعطاء الأستاذ (سيد قطب)!.

وقد عرفت الأستاذ (سيد قطب) في زيارة لي مرة لوزارة المعارف بمصر وكان وقتها موظفاً هناك كما كان في عراك أدبي في مجلة (الرسالة) للأستاذ أحمد حسن الزيات مع صنوه الأستاذ محمد سعيد العريان حيث كان العريان يكتب منافحاً عن أستاذه الكبير (مصطفى صادق الرافعي) تحت عنوان (بين الرافعي والعقاد) أما قطب فكان يدافع عن أستاذه الكبير كذلك (عباس محمود العقاد) تحت عنوان (بين العقاد والرافعي) وكلاهما كان رائعاً في كتابته فلا يكاد المرء يرجح كفة لأحدهما حتى يلاحظ أن زميله راجح الكفة بدوره ولم أكن ميالاً لأحدهما ضد الآخر وحين بدأ الأستاذ العريان يكتب عن (حياة الرافعي) وشغل بذلك تصدي الأستاذ (محمود محمد شاكر) لحمل أمانة الكتابة عنه في المنافحة عن الأستاذ الرافعي الذي كان بدوره تلميذاً ومؤيداً له.

وقويت الرابطة الأدبية بيني وبين الأستاذ قطب الذي كان يسكن في (حلوان) فكان يحظر إي القاهرة ليلة الجمعة في نهاية الأسبوع وأتشرف بلقائه فنتعشى معاً ويحضر هذا اللقاء الأسبوعي المحبب بعض الاخوان الفضلاء من أصدقاء الأستاذ

قطب كالأستاذ الدكتور أحمد الشرباصي من علماء الأزهر والناقد الأستاذ عباس حسان خضر، وقد عرفت صديقي الأستاذ عبدالعزيز الربيع بالأستاذ قطب فكان أحد حضور هذا اللقاء الذي لا يخلو من ثراء أدبي.

ثم كان الأستاذ قطب بعدها حاملاً لواء الكتابة النقدية في الرسالة عن كثير من المؤلفين والأدباء ومن حصيلة كتاباته أصدر كتاباً مرموقاً هو (كتب وشخصيات) وكان من أفضل الكتب في بابه.

وقد اشترك الأستاذ قطب في عدة معارك مع الدكتور محمد مندور والدكتور عبدالرحمن بدوي وغيرهما. كان الأستاذ قطب يملك أسلوباً أدبياً رائعاص كما كان شاعراً موهوباً وله مشاركة في الرواية حيث نشر رواية عنوانها (المدينة المسحورة).

وعن طريق الأستاذ قطب تعرفت ببعض الأساتذة الكبار كالأستاذ توفيق الحكيم والشاعر المعروف محمود أبو الوفا الذي كان يكن للأستاذ سيد قطب مودة وتقديراً لا حدود لهما.

وبالاحتكاك بالأستاذ قطب شعرت بأنه يملك ذهنية صافية، وفكراً ممتازاً، وشخصية كريمة أبية كما أن أسلوبه كان يمتلك كل العناصر الأدبية المؤثرة، وكان يستطيع انجاز المؤلف في أيام ثمانية ليس غير واستمرت لقاءاتنا المباركة.

وفي أواخر أحد أسابيع هذه اللقاءات أخبرني الأستاذ سيد قطب أننا سنلتقي في الجامعة الشعبية التي كانت تقع في منتصف شارع القصر العيني حيث سيلقي الدكتور أحمد الشرباصي محاضرة عن كتاب الأستاذ قطب (العدالة الاجتماعية في الإسلام) ثم يعلق عليها المؤلف الأستاذ قطب وحضرنا ثم انتظرنا في فناء الجامعة حيث كان المنبر مشغولاً بمن يدعي الدكتور بلال وهو أحد أركان حزب الوفد المصري حينذاك.

والدكتور بلال كان هو مؤسس ما يسمى بالقمصان الزرق في الحزب .. وكان هذا قبل ثورة ٢٣ يوليو وهي كـ (ميليشيات) للحزب كما فهمت.

وكنا مجموعة مؤلفة من الدكتور الشرباصي وعباس حسان خضر وعبدالعزيز الربيع وكاتب هذه السطور مع الأستاذ قطب طبعاً.

وانتهي الوقت الذي كان محدداً للدكتور بلال ولكن كان مستمراً في خطابته ولذلك ارتأى الأستاذ قطب أن ننسحب ونترك الأستاذ الشرباصي يتصرف كما يشاء وإبان انسحابنا لحق أحد سكرتيري الجامعة بالأستاذ قطب ورجاه أن ينتظر قليلاً وقال له إنه ليس في الامكان التنبيه على المحاضر الدكتور بلال بقطع محاضرته حيث تعلم مكانته من حزب الوفد ولكن الأستاذ قطب أجابه بعصبية أنا من أجل هذا ونفوراً من حرصكم على مجاملة رجال السلطة على حساب غيرهم أُصر ورفاقي علي الانسحاب .. وغادرنا المكان وبعد قليل لحق بنا الأستاذ الشرباصي الذي اعتلى المنبر حينما فرغ الخطيب وذكر للجمهور أنني كنت سعيداً لو أتيح لي إلقاء محاضرتي شريطة أن يعلق عليها الأستاذ قطب ولكن كرامته أبت أن يبقى بعد أن جار الخطيب على الوقت وأنا لأجد نفسي أقل تقديراً لكرامتي من الأستاذ قطب ولذلك فإنني أعتذر عن إلقاء المحاضرة ثم انسحب بدوره .. وهكذا كان الأستاذ قطب وافر الإباء حريصاً محافظاً على الكرامة، شديد الاعتزاز بنفسه!.

وقد قلت إنه من عرفني بالأستاذ توفيق الحكيم وقد صدر مرة كتاب للحكيم عنوانه (الرباط المقدس) تحدث فيه عن شخصية دعاها راهب الفكر، وكان في الكتاب فصل طويل عنوانه (الكراسة الحمراء) وقد كتب عنه سيد قطب وأطنب في الثناء على الكتاب .. إلا أن أحد الكتاب لفت نظر سيد قطب إلى أن فصل (الكراسة الحمراء) وهو أهم فصول الكتاب هو فصل مترجم عن الفرنسية فما كان من سيد إلا أن عاد فكتب ثانية عن الكتاب ناقضاً ثناءه السابق بقوة غير مجامل للأستاذ الحكيم رغم صداقته له ومعرفته بمكانته الكبيرة فالأستاذ سيد قطب لم يكن يعرف المجاملة في الحق. وكان عنيفاً في نقده مما أسس له عداوات فاعلة كثيرة، ولا يخلق النقد غير الأعداء على حد قول الناقد اللبناني الكبير (مارون عبود).

وللأستاذ سيد قطب شعر رقيق كقوله متغزلاً :

عجباً أنت ما تزالين حلمي … ومثالي، وفكرتي ونشيدي

ما تزالين غاية لوجودي … ما تزالين حافزاً لجهودي

أتحاشاك كالجحيم وكالسم … ولكن إليك يفضي شرودي!

عجباً تركد الحياة فأنساك | قليلاً في غمرتي وركودي
فإذا دبت الحياة تراءيت | كطيف مستيقظ من هجود
وتراءت ترف حولك أطايف | لما كان بيننا من عهود
كلما لامت يداك وما مس | هو أنا من قيم وزهيد
اتملاه بالخيال وبالحس | كذكرى من عالم موعود
عجباً بعد كل ما كان منا | من صراع دام وجهد جهيد
أتمناك في المنام وفي الصحو | تمني العقيم وجه الوليد
وإذا سرت في الزحام فعيني | لخيال مستشرف من بعيد
لهفة تملأ الحنايا حنيناً | لرجاء مجسم مفقود
أنت حلم الحياة في صحوة الفجر | فأنى لحلمنا من معيد؟!

ومعظم شعر الأستاذ قطب يمن هذا النسق العالي كما أن بعض نثره يكاد يكون شعراً حراً كالمقال الرائع الذي كتبه في رثاء أمه، حيث لا يملك قارئه لفرط تأثره - من أن يغالب دمعه.

ونأتي على ذكر الفاجعة التي أودت بحياة هذا العملاق فقد استعان الاخوان المسلمون بالأستاذ قطب لتحرير جريدتهم ولم يكن داخلاً ضمن تنظيمهم. وقد زرته في مقر هذه الجريدة بالحلمية وكانت بعض إجتماعات الاخوان منعقدة ولكنه لم يحضر هذه الاجتماعات بحكم إقتصار عمله على الناحية الصحفية. إلا أنه جر فيما بعد إلى الدخول في التنظيم - كما بدا - وأدى ذلك إلى أن يُحاكم هذا الداعية الإسلامي الكبير ووأن يصدر عليه - مع بعض رفاقه - حكم بالاعدام .

والغريب أنه كان فرحاً بصدور هذا الحكم وكان يقول : «إننا لم نعمل شيئاً يستحق أن يسلكنا مسالك الشهداء ولكنه فضل من الله ورضاً منه تعالى».

وحينما قُدّم لكي يُنفذ فيه هذا الحكم كان ثابت الجنان راضياً بقضاء الله بل

كأنما كان يخشى أن يصدر في اللحظة الأخيرة ما يعفيه من ذلك فتفوته الشهادة التي كان راغباً أن يسعد بحصولها ..

وهكذا استشهد هذا المفكر الجهير المبدع فاعتز العالم الاسلامي لاستشهاده وقد أغضت السلطات جانباً عما وردها من شفاعات عليا ورجاءات عديدة لالغاء الحكم الصادر ضده وانفاذه من هذا المصير ولكن أمر الله نافذ ولكل أجل كتاب.

ولاشك أن هذه الفاجعة قد حرمت الفكر العربي والاسلامي من عطاء هذا المبدع الثر ومن شخصيته اللماحة، وجهوده الخصبة!

وكان الأستاذ سيد قطب قد رأس تحرير مجلة العالم العربي فملأها فكراً وأدباً وعروبة..

ولقد أصدر سيد قطب مجموعة من المؤلفات القيمة منها :

في ظلال القرآن وهو قمة تأليفه، التصوير الفني في القرآن، وقد أثنى على هذا المؤلف شيخ القضاة عبدالعزيز فهمي باشا، مشاهد القيامة في القرآن، العدالة الاجتماعية في الإسلام، معركة الإسلام والرأسمالية، المستقبل لهذا الدين، كتب وشخصيات، أشواك، المدينة المسحورة، الأطياف الأربعة (قد كتبت عنه مستعرضاً ومقرظاً)، طفل من القرية، أمريكا التي رأيت، ديوان شعر.

هذه لمحات خاطفة من الذاكرة، وإلا فإن مجال القول في الأستاذ الكبير سيد قطب ذو سعة، والخسارة في فقده لا تعوض رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة والأجر كما أنه مستحق أن نذكره بهذا البيت :

خالد الآثار لا تخش البلا   ليس يبلى من له ذكر خلدا

الدكتور طه حسين



الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين علم بارز من أعلام البيان، وشخصية ضخمة طبقت شهرتها الآفاق العربية والأجنبية، كما أنه ابن الجامعة المصرية البكر وأول خريجيها .. وكان ساحر الحديث كما كان أبعد الناس عن اللحن في خطبه مهما طالت وتلك ميزة تستحق الاشادة والذكر ..

ويرجع عهدي بلقائه حينما سعدت بزيارته مرة في داره العامرة «رامتان»، وحظيت بمشافهته الحديث ثم رجوته - إذا كان ذلك ممكنا - أن يتفضل بتقديم ديواني الثالث (الأمس الضائع) الذي تلطفت دار المعارف بمصر بالاستعداد لنشره، وقد كانت - وما تزال - الدار الأولى في نشر الأدب.

وقد تكرم الدكتور طه بالوعد بكتابة هذه المقدمة بكل ترحاب، وحدث بعد ذلك أن حل الدكتور طه ضيفاً على المملكة موفداً من الجامعة العربية باعتباره رئيساً للجنة الثقافية بها وكان ذلك فيما أذكر على عهد المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله، وكنت قد حييت الدكتور طه شعراً مع من حياه وسر بذلك كثيراً وعلق على هذه التحية ..

أجل فلقد حظى الدكتور بالترحيب البالغ والحفاوة الكبيرة من قبل رجالات الأدب في المملكة ومن خريجي الجامعات المصرية من أبناء المملكة العديدين .. وقد أقام الجامعيون السعوديون حفلاً كبيراً للدكتور طه حسين.

وكان من رفاقه في زيارة المملكة الأستاذ (أمين الخولي) الذي شارك في الخطابة في الحفل بحضور الدكتور وقد أشار في كلمته إلى الجامعيين السعوديين ذاكراً لهم أنه إذا كنتم تقدرون أستاذيه الدكتور طه فعليكم الآن أن تبايعوه على الحرص على خدمة بلادكم، وقد بادر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز الذي كان في ذلك الحين وزيراً للمعارف بالتعليق في لطف على كلمة الأستاذ الخولي بأنه في هذه الديار لا يجوز أن يبايع لغير صاحب الجلالة الملك المعظم - وهو حق - وعلى الفور هتف الدكتور طه أننا كلنا هنا نبايع جلالة أسد الجزيرة وراعيها وحامي العروبة الملك المعظم حفظه الله.

وقد أقام معالي الأستاذ الكبير الشيخ محمد سرور الصبان - صديق الدكتور - حفلاً كبيراً في داره حضره جمهرة المثقفين والأدباء وقد ألقى فيه الأستاذ الكبير أحمد عبدالغفور عطار كلمة ضافية . وفي كلمته أشار إلى أننا مدحنا الدكتور في وجهه دون أن نعمد إلى مناقشته في بعض آرائه، ولأمر ما فإن الدكتور - رغم صداقته للأستاذ العطار - لم يرتح إلى بعض ما جاء في كلمته فكان رده على الأستاذ العطار يحمل شيئاً من الامتعاض في صورة العتاب.

ولقد كنت أسلمت الدكتور طه أصول ديواني (الأمس الضائع) الذي وعد بكتابة مقدمته، وقد هاتفني فيما بعد الأستاذ الجليل الصديق الناقد الكبير (عبدالله عبدالجبار) أن الدكتور طه قد أنجز كتابة المقدمة وأعطاه إياها مع أصول الديوان وأن المقدمة والأصول جاهزتان لديه ..

وقد جاء في مقدمة الدكتور ما يلي :

«هناك عرفت بين ما عرفت أن شعر الحجاز قد نشط، وأن صوت الحجاز قد استأنف الغناء وأن غناء الحجاز في هذه الأيام ليس أقل روعة وسحراً من غنائه في أيام بعد بها العهد .. وعرفت أنه قد آن لي أن أغير ما قلته منذ عشرين عاماً من أ الحجاز لا شعر فيه وماأكثر ما تتغير حياة الأجيال في عشرين عاماً ..

ولقد سمعت بين من سمعت من الشعراء شعر الأستاذ الصديق حسن عبدالله القرشي ولم أكد أسمعه حتى كلفت به وتمنيت أن أراه منشوراً يقرؤه الناس في الحجاز، وفي غير الحجاز من أقطار الأرض.

والأماني تخدع أصحابها أحياناً ولكنها تسمح لهم أحياناً أخرى ويظهر أنها سمحت لي بشعر الأستاذ الصديق فها هو ذا يهيأ للنشر، وهأنذا أسعد بتقديمه للقراء، وسيقرؤونه وسيلعمون أن قد آن لشعر الحجاز أن يحتل مكانه الممتاز بين الشعر العربي الحديث ..

وفي لغة شاعرنا جدة ويسر يدنيانه إلى الفهم، ويؤذنانك بأنه منك وبأنك منه ..

وأقرأ ديوان الشاعر ينبئك في وضوح وجلاء بصدق ما أقول .. وانني لسعيد بأن يعرف العالم العربي هذا الشاعر المجود من شعراء الحجاز وعسى أن يكون شعره طليعة رائعة لشعر كثير من زملائه فيه كثير من روعة وكثير من تجويد، ولو لم يكن لهذا الديوان إلا أنه يبشر البيئات الأدبية العربية بأن مهد الشعر الحجازي الإسلامي قد استأنف مشاركته في إغناء النفوس وامتاع العقول والقلوب لكان هذا كثيراً فكيف وفيه فوق هذا كله ما في الشعر الجيد الممتع ما يشوق ويروق ويرضي طلاب الرصانة وعشاق «الجمال»!

وكانت مقدمة طويلة ومركزة تستحق شكر الدكتور عليها لا سيما وأن الدكتور طه بطبعه ليس سخياً بالثناء.

ولقد كنت حريصاً على حضور الأمسيات التي يحييها الدكتور طه ويلقى فيها أحاديثه وخطبه كقاعة (يورث) التذكارية والأحاديث الاذاعية حيث كنت حينها منتدباً في الاذاعة المصرية يمكنني أن أستمع فيها عن قرب للدكتور في استوديوهات الاذاعة.

كما حضرت مرة اجتماعاً في دار الأدباء حضره الدكتور طه وكان حاضراً فيه كوكبة من أدباء مصر كالأساتذة محمود تيمور ومحمد سعيد العريان واحسان عبدالقدوس ويوسف السباعي، وقد لاحظت أن الأخيرين منكمشان ومستشعران شيئاً من الوجل فقد كان الدكتور شديد الوطأة في التعليق على أدبهما وكان يتهمهما باللحن والتقصير في بعض ما يكتبان، وان كان شديد الرعاية والتشجيع، والعطف على شباب الأدباء والحرص على دعمهم.

وقد تفضل الدكتور فذكرني بالخير في حوار مع الصديق الجليل الأستاذ عبدالله بن خـميس عضـو مجمـع اللغة العربية وقد أشار إلى ذلك في كتابه القيم (شهر في دمشق).

وقبل وفاة الدكتور طه حسين وإبان اقتراب موعد الترشيح لجائزة (نوبل) العالمية، فقد أذيع وأشيع أن الدكتور طه مرشح لهذه الجائزة في الأدب وقد كتبت كلمة ضافية في مجلة الأسبوع العربي اللبنانية - والتي كانت الأولى حينذاك ذكرت فيها أن الدكتور طه هو أحق الناس بالحصول على هذه الجائزة بل هو أكبر منها كثيراً ولم أشعر وأنا في القاهرة إلا باتصال هاتفي من سكرتير الدكتور طه الأستاذ (فريد شحاتة)، يخبرني فيه بأن الدكتور قد قرأ هذه الكلمة وهو يشكرني على مشاعري، فرجوته إبلاغ الدكتور شكري العميق لتلطفه هذا .. وحقاً فقد كان الدكتور طه أحق الناس بالحصول على هذه الجائزة منذ زمن ويشاركه في هذه الأحقية، أساتذة كبار كتوفيق الحكيم وأحمد حسن الزيات والدكتور يوسف إدريس والدكتور أحمد أمين والدكتور أحمد زكي، وعمر أبو ريشة ومحمد مهدي الجواهري، وعبدالوهاب البياتي، وعلي أحمد باكثير، ومحمود تيمور، وسيد قطب، والدكتور محمد مندور، وعلي محمود طه، ومحمود حسن إسماعيل والدكتور إبراهيم مدكور وغيرهم.

وقد فاز بالجائزة بعد وفاة بعض هؤلاء الأستاذ الكبير (نجيب محفوظ) وللدكتور طه رأي في الأستاذ نجيب حيث يقول: (نجيب لا يعجبني في الفترة الأخيرة أو ربما لا أتابعه أنا بدرجة كافية .. على أي حال أنا أعجبتني جداً قصصه المبكرة).

كما أن الأستاذ توفيق الحكيم مدين بالكثير للدكتور طه فهو الذي نوه بأول مسرحياته (أهل الكهف).

وقال (إنها فن مبتكر) ولفت الأنظار إلى الحكيم مما هيأ له فيما بعد الشهرة العريضة التي وصل إليها، ومع هذا فقد لحقت صلتهما بعض الخلافات.

وفي رحلة للأستاذ الكبير محمد سرور الصبان إلى القاهرة وكان وزير المالية والاقتصاد الوطني حينذاك، وحضر القاهرة ممثلاً للمملكة في المجلس الاقتصادي برعاية جامعة الدول العربية .. أقام له الدكتور طه حسين مأدبة كبرى فيما يسمى الآن «النادي الديبلوماسي» كانت حديث القاهرة.

وقد ارتجلت كلمة نيابة عن معاليه في شكر الدكتور طه على تقديره وحفاوته ارتاح لها الدكتور ..

وقد كان الدكتور طه حسين مخاصماً في حياته للأديب الكبير مصطفى صادق

الرافعي وكانت الخصومة متبادلة بينهما والعراك محتدماً ومن قول الرافعي في التنديد بالدكتور طه في أرجوزته :

والشيخ طه في انتقاد الشعر　　　ثلاثة مضحكة لعمري!

ورغم ذلك فقد احتضن الدكتور تلميذ الرافعي وصديقه الأستاذ محمد سعيد العريان بعد الرافعي وكتب عن مجموعة العريان القصصية الرائعة (من حولنا) كلمة تقدير حافلة غمز فيها الرافعي إذ قال لقد كتب العريان صديق الرافعي فأجاد في حين لم يجد الرافعي ما يكتبه وبدون شك فإن هذا رأي ظالم مليء بالتجني أملته الخصومة الأدبية التي لم يسلم منها إنسان مهما علا مركزه!

ومما رواه الأستاذ محمد عبدالوهاب عن الدكتور طه قوله (.. منذ ٣٥ سنة سافرت إلى لبنان مع أمير الشعراء أحمد شوقي مرتبطاً بالغناء في عدة حفلات، وفجأة وصلني خبر عن وفاة أبي وأصابني انهيار نفسي وقررت الاعتذار عن الغناء ولكن أحمد شوقي أخذني إلى الدكتور طه حسين الذي قال لي لماذا لا تغني ولماذا تعتذر عن حفلتك؟ هل الغناء فرح فقط؟ .. ان الغناء تعبير، والفن يستطيع أن يعبر عن الفرح، ويعبر عن الحزن أيضاً.. في الفن سعادة، وفيه ألم وبدلاً من أن تعبر عن الألم بالدموع عبر عنه بفنك).

وقد استمع المطرب الكبير إلى نصيحة الدكتور طه وعمل بها وحينما كان الدكتور طه عميداً لكلية الآداب ذكر له وزير المعارف أنه يريد أن تمنح كلية الآداب الدكتوراه الفخرية لعدد من السياسيين ولكن الدكتور طه رد عليه بكل جرأة قائلاً :

(يا باشا عميد كلية الآداب ليس عمدة يتلقى التعليمات من مأمور المركز فينفذها هذه جامعة وليست عزبة!) ورفض أن يستجيب لرجاء الوزير!

وكان الدكتور طه عضواً ثم رئيساً لمجمع الخالدين - المجمع اللغوي - في القاهرة.

وفي احدى المرات التي نحيي فيها الدكتور طه حسين عن عمله في الجامعة وبالرغم من أن الشاعر الكبير حافظ إبراهيم لم يسلم من نقد الدكتور اللاذع فإنه أرسل بيتين للدكتور طه يحييه فيهما وهما :

قد أقفرت دار الحجا والنهى ... بعدك من آرائك النافعة

وأخصبت أرجاء مصر بمن ... صير مصراً كلها جامعة!

وللدكتور طه حسين مؤلفات عديدة هي كالآتي فيما عدا المترجمات:

على هامش السيرة، الشيخان أبو بكر وعمر بن الخطاب، الجزء الأول من الفتنة الكبرى عثمان. الجزء الثاني من الفتنة الكبرى علي وبنوه، الوعد الحق، مرآة الإسلام، مرآة الضمير الحديث، جنة الحيوان، الحب الضائع، بين بين، ألوان، ذكرى أبي العلاء، رجعة أبي العلاء، مع أبي العلاء في سجنه، شرح لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري، من بعيد، أديب، الحياة الأدبية في جزيرة العرب، مع المتنبي، من حديث الشعر والنثر، القصر المسحور، فلسفة ابن خلدون، قادة الفكر، في الصيف، حافظ وشوقي، صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان، قصص تمثيلية لجماعة من أشهر الكتاب الفرنسيين، لحظات، صوت باريس، أحلام شهر زاد، شجرة البؤس، جنة الشوك، فصول في الأدب والنقد، صوت أبي العلاء، رحلة الربيع، من هناك، خصام ونقد، نقد واصلاح، من أدبنا المعاصر، من لغو الصيف، من لغو الصيف إلى جد الشتاء، خواطر، كلمات، ما وراء النهر، تقليد وتجديد، كتب ومؤلفون، من الشاطئ الآخر، الأيام ثلاثة أجزاء، في الشعر الجاهلي، مستقبل الثقافة في مصر، حديث الأربعاء ثلاثة أجزاء، دعاء الكروان، المعذبون في الأرض.

وقد حرصت على ايراد أسماء مجموعة مؤلفات الدكتور طه حتي يمكن لمن يقدم دراسة موسعة عنه أن يهتدي إليها، ويلاحظ من هذا الثبت الطويل لمؤلفاته أنه خص أبا العلاء المعري بمجموعة وافرة من المؤلفات استوعبت كل نواحيه الأدبية فمعذرة عن الاطالة وأنا أريد أن لا يكون القارئ عجلان حتى يستفيد مما يكتب!

الشاعر محمد مهدي الجواهري



هنا يحسن الهدوء، والسكون، والانصات!

فالحديث هو عن عبقري يندر له مثيل أو ضريب ..

الحديث عن الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري الذي يكاد يكون آخر العمالقة الكلاسيكيين الذين يمثلون الشعر العربي الأصيل منذ العصر العباسي الأول حتي العصر الحديث.

جل الحديث عن من يستحق أن يدعى متنبي العصر.

ومنذ عهد شبابه كان يشعر بمكانته، ولذلك فحينما توفي أمير الشعراء «أحمد شوقي» سنة ١٩٣٢م، فإنه قد بعث بمجموعة من قصائده إلى عميد الأدب العربي الدكتور «طه حسين»، ليطلعه عليها وكأنه يقول أيها العميد - وأنت جدير بالترشيح لإمارة الشعر - فها أنذا أقدم إليك نفسي أميراً جديداً بعد شوقي!

لقد تعرفت بهذا الشاعر العملاق في عدة مواطن سواء في «بغداد»، أو «تونس»، أو «الرياض»، أو «بيروت»، وفي كل هذه المواطن كانت تطل من طلعته البهية روح الشاعرية العبقرية متقمصة روح طفل كبير بريء ولأنني أحفظ كمية وافرة من شعره فكنت أنشده بعضها وكان السرور يملأ صدره وهو يحس بسيرورة شعره على مدى متسع ..

وكشاعر رقيق فإن إحساسه بالمرأة يكاد يكون مضاعفاً ومبالغاً فيه، وفي «بغداد»، كانت تحف به الزهرات من كل جانب وهذا ما يزيد في غبطته وحبوره .. فيشعر وهو الشيخ وكأنما عادت إليه روح الشباب ..

وللجواهري شعر غزلي صارخ ومن أهمه قصيدته الأرطونية التي يقول مطلعها :

أنت تدرين انني ذو لبانة   الهوى يستميل في المجانة !

وفي مرة وأنا في «بيروت» هاتفني صديقي الرسام والناقد والأديب اللبناني الأستاذ «فاروق البقيلي» راجياً مني أن أجمعه بالجواهري الذي كان متواجداً في «بيروت»، لكي يصفي موقفاً معه ..

فقد كان البقيلي مرة مستضيفاً أديباً في حديث أدبي نقدي في مجلة الأسبوع العربي، التي يعمل بها، وفي حواره معه نال هذا الأديب من مكانة الجواهري نيلاً كبيراً مما أحفظه عليه وعلى «البقيلي» الذي لم يكن وقتها يعرفه شخصياً .. وقد اتصل «البقيلي»، بالجواهري ليعمل معه حديثاً ولكن الجواهري رفض لقاءه بعنف وأغلق مسماع الهاتف بينهما وطلب منه ألا يتصل به أبداً.

ولمعرفة «فاروق» بصلتي بهذا الشاعر الجهير فقد رجاني أن أصفي الموقف بينهما ففاروق مهما يكن أمره هو صحفي أديب يسعى إلى «الخبطات»، الصحفية ولذلك فإنه لم يكن يهدف إلى أن يساهم في النيل من عملاق معروف كالجواهري ولكنه أراد أن يثير معركة أدبية ترتفع بتوزيع المجلة التي ينتسب إليها.

وألح «فاروق» عليَّ في ترتيب لقائه مع الجواهر ..

وقد اتصلت بالجواهري الذي كان ينزل في فندق «كورال بيتش» في منطقة «الروشة» ودعوته للعشاء ففي «الهورس شو» في محلة «الحمرا».

واستجاب الشاعر الكبير لهذه الدعوة وما أن استقر بنا المقام في «الهورس شو» حتى أقبل علينا «البقيلي» فعرفت الجواهري به الذي أظهر امتعاضه للقائه، ولكنني سارعت بتلطيف الجو بينهما وأخبرته أن البقيلي مستعد أن ينشر له سلسلة مقالات في الأسبوع العربي يرد بها على كل من تناوله بالنقد، فقبل الجواهري على مضض هذه الترضية!

وما هي إلا هنيهات حتى صفا الجو وراق وهكذا قلوب الشعراء فما أسرع ما تزول منها الضغينة والشحناء لتستبدل بشعور الصفاء والمحبة.

وحينما راق المجلس، وكانت موائد «الهورس شو» مليئة بالرواد وكل مائدة لا تخلو من تواجد بعض الحسناوات بها فإن الجواهري سرعان ما كان يشير باصبعه إلى بعض الموائد ليقول لي «انظر يا أبا فلاح» إلى هذه الحوراء .. ما أجملها ثم ينتقل بالاشارة ذاتها إلى مائدة أخرى مما خشيت معه تطور الموقف مع رواد المكان ولذلك بادرته القول : (مهلاً أبا فرات اننا في بيروت ولسنا في بغداد) .. وهذه الاشارات قد تؤدي بنا إلى شجار مع أقرباء هذه الزهرات، ولو كنا في بغداد لهرعن إليك فرحات ولكنهن وأقرباءهن لا يعرفنك هنا ولذلك فإنني أفضل أن نكمل السهرة في داري، وقد كان .. وانقضت السهرة على خير ما يمكن من الود والصفاء بين الجواهري والبقيلي وجرى فيما بعد تنفيد ما اتفق عليه بينهما.

وفي تونس، طاب لنا مرة مجلس لقاء مع هذا الشاعر الكبير حضره الأستاذان الجليلان عبدالله بن خميس ومحمد حسين زيدان جرى فيه حوار أدبي متبادل وكان الجواهري يسر دائماً بلقائه بأبناء الجزيرة العربية، وتبادل الحديث معهم.

كان الجواهري يتمتع دائماً بلقانة حاضرة وبلسان يصدق فيه قول الشاعر :

ولساناً صيرفياً صارماً ... كحسام السيف ما مس قطع!

ومن مواقف الجواهري انه كان مرة ممنوعاً سياسياً من زيارة لبنان الذي يعشقه وتصادف أن توفي الزعيم اللبناني الطرابلسي الكبير عبدالحميد كرامي - والد الزعيمين رشيد وعمر كرامي اللذين توليا فيما بعد رئاسة الحكومة اللبنانية - وطلبت أسرة الزعيم كرامي مشاركة الجواهري في حفل تأبينه واستجابت الحكومة اللبنانية لطلبهم فسمحت بحضور الجواهري وقد طلب منظوم الحفل الاطلاع على قصيدة الجواهري التي سيلقيها ولكنه رفض أن يطلع عليها أحداً قبل القائها!

وقد ألقى الجواهري قصيدته وكانت لهباً مستعراً فقد نشرت في صباح ثاني يوم التأبين وبيعت الصحف التي نشرتها كالمعتاد بربع ليرة في الصباح أما في المساء فقد بيعت هذه الصحف بمائة ليرة وقوتها الشرائية حالياً تزيد على مئات الأضعاف ..

وبعد يومين صدر أمر باقصاء الجواهري عن لبنان غضباً من السلطة التي لم تحتمل قسوة شعر الجواهري الذي استهدفها فماذا قال الجواهري :

لقد قال :

باق وأعمار الطغاة قصار ... من سفر مجدك عاطر موار

متجاوب الأصداء نفح عبيره ... لطف ونفح شذاته إعصار

رف الضمير عليه فهو منور ... طهراً كما يتفتح النوار

وذكا به وهج الاباء فشبه ... ضرما يشب كما تشب النار

العمر عمر الخالدين يمده ... فلك بطيب ثناهمو دوار

يتمخض التاريخ في أعقابهم ... حموا وتعصف ليلة ونهار

أما النفوس الزافرات عروقها ... بالفريات فنشوة وخمار

ثم يقول الجواهري :

عبدالحميد وكل مجد كاذب ... ان لم يصن للشعب فيه ذمار

والمجد أن تهدي حياتك كلها ... للناس لا برم ولا اقتار

والمجد ان يحميك مجدك وحده ... في الناس لا شرط وانصار

إلى أن يقول وهو يشير باصبعه إلى بعض الزعماء الحاضرين :

تنهي وتأمر ما تشاء عصابة ... ينهي ويأمر فوقها استعمار

خويت خزائنها لما قد مسها ... الانساب والازلام والانصار

وتلفتت ودم الشعوب ضمانها ... ورفاهها فأمدها الدولار

يلوي به عصب الرجال وتشتري ... ذمم الرجال، وتحجز الأفكار!

والقصيدة كلها ألغام متفجرة في وجوه بعض الحاضرين من الزعماء الذين يتبادلون خصومات مع الشاعر الجواهري والذي انتهزها فرصة للتنديد والتشهير بهم وأبياتها حوالي المائة والخمسين بيتاً.

وآخر عهدي بالجواهري بالقاهرة حيث دعي لاحياء أمسية شعرية وقد تصدى لقراءة أشعار الجواهري الشاعر الموهوب الأستاذ سميح القاسم. وبعد فترة رغب الجواهري أن يقوم هو بقراءة أشعاره وقد كان وأخبرني سميح أن تطوعه لذلك كان لراحة الجواهري من الاجهاد وأنه يحس بقرب رحيل هذا الشاعر العملاق!

كان الجواهري صناجة العرب وقد شارك بشعره الخالد في مفارح العرب، ومآسيهم، وكان بهذا يستحق أن يزامل «شوقي» في ما وصف به نفسه ففي قصيدة بيعته بامارة الشعر حينما قال :

كان شعري الغناء في فرح الشرق ... وكان العزاء في أحزانه!

وفي نكبة ٦٧ كان رأيه أنه لم يحن حينذاك موعد يحقق انتصاراً على العدو الاسرائيلي حيث يقول :

لو كان يضمن نصر قبل موعده ... لكان أحقر ما في الأمة الهمم!

ولذلك كانت الكارثة التي أدت إلى احتلال مساحة خرافية لأراضي ثلاث دول عربية مع سقوط مدينة «القدس»!

وقد تمتع الجواهري في حياته بصداقات حميمة لزعماء وأدباء عرب مكانتهم في القمة وناهيك بصداقة عبقري شهير مثلا هو الدكتور «طه حسين»، واقترابه وحين ارتحل الجواهري عن دنيانا الفانية كانت سنه تعلوا على التسعين عاما.

ومن شعر الجواهري بعنوان : (تنويمة الجياع):

نامي جياع الشعب نامي ... حرستك آلهة الطعام

نامي فإن لم تشبعي ... من يقظة فمن المنام

نامي على زبد الوعود ... يراض في عسل الكلام

نامي تزرك عرائس ... الأحلام في جنح الظلام!

وبعنوان : (جراح الضحايا):

أتعلم أم أنت لا تعلم ... بأن جراح الضحايا فم
فم ليس كالمدعى قولة ... وليس كآخر يسترحم
أتعلم أن جراح الشهيد ... تظل عن الثأر تستفهم
أتعلم أن جراح الشهيد ... من الجوع تهضم ما تلهم!

والجواهري ولد في مدينة النجف عام ١٩٠٢م.

وقد استقال فترة من عمل له في البلاط الملكي وعمل بالصحافة وعاش في غربة طويلة وله دواوين هي : حلية الأدب، بين الشعور والعاطفة، بريد الغربة، خلجات.

ومن مؤلفاته : مختارات الجمهرة، من كل ديوان أجمل ما فيه، عمر بن أبي ربيعة، الأخطل، ذكريات في جزأين!

وفور سماعي لنبأ وفاة الصديق الجواهري ارتجلت الأبيات التالية :

يجف عزاء المرء في فقد شاعر ... هو الفرد ملء الروح، نور النواظر
يذكرنا عهد العباقر فنه ... أمير نهى عليا، مليك منابر
فان يك فينا عاش تسعين حجة ... دراكا، فقد مرت كحسوة طائر
سلام على فذ القريض مغادرا ... سلام على رب البيان «الجواهري»!

أحمد فتحي شاعر الكرنك



كان الشاعر الكبير أحمد فتحي أديباً مرهف الحس وشاعراً مشرق الديباجة وقد عرفته قبل أن ألقاه بما كان ينشر له من أشعار في مجلة «الرسالة» للأستاذ أحمد حسن الزيات وفي مجلة المستمع العربي اللندنية!

وقد تعرف عليه الأمير الشاعر عبدالله الفيصل وكان سموه يمر على استوديو الاذاعة بجدة في بعض الليالي ليصحب الشاعر ويصحبني معه حين نمضي بعض الوقت في رفقته بعد انتهاء الاذاعة من ارسالها حيث كانت الاذاعة السعودية قد انشأت وألقتحت بها رئيساً للمذيعين وقد أهداها سموه هذا الشاعر الرقيق الذي كان أحد العناصر البارزة في إذاعة الـ B. B. C وفي القسم العربي من هذه الاذاعة البريطانية عُين فتحي بالاذاعة السعودية مراقباً للبرامج وكان يرأس الاذاعة في ذلك الوقت العالم الأستاذ الكبير إبراهيم الشورى، وبدون شك فقد كان أحمد فتحي عنصراً جديداً مفيداً من عناصر دعم عمل الاذاعة بحكم ثقافته، وخبرته وقوة شخصيته! وقد انعقدت بيني وبينه صلات صداقة وكان هو جديراً بالتقدير وقضى في هيئة الاذاعة فترة من أخصب الفترات.

كان حديثاً بارعاً، أنيس المجلس، طريف النكتة! وكما كان راوية للشعر العربي يحفظ منه الكثير.

وقد أصدر الأستاذ أحمد فتحي ديواناً شعرياً أطلق عليه مسمى جميلاً هو : «قال الشاعر»، وبدون شك فقد وفق في هذا المسمى وبالرغم من أن هذا الشاعر حاضر البديهة وخصب الملكة فإن ما نشر من شعره حتى رحيله لم يزد على ديوان واحد فيما أعتقد، ولذلك فإنه يعتبر شاعراً مقلاً وكما كان شاعراً موهوباً فإنه كان كذلك ناثراً رائعاً عذب الأسلوب مؤثره.

وقد سار أحمد فتحي في صناعة الشعر على عرق فقد كان أبوه الشيخ إبراهيم سليمان ينظم الشعر كما كان أحد علماء الأزهر وقد شارك بشعره في تأجيج الثورة المصرية عام ١٩١٩م.

وكانت نشأة الشاعر في مدينة الأسكندرية التي التي وصفها «أحمد شوقي» بقوله :

اسكندرية يا عروس الماء ... وخميلة الحكماء والشعراء!

والتي يقول في بحجرها الأبيض المتوسط أيضاً مصوراً البلاج :

أمن البحر صائغ عبقري ... بالحسان النواعي البيض مغرى

جئنه في معاصم ونحور ... فكسا معصماً، وآخر عرى

وكأن السماء والماء شقا ... صدف حُملا رفيفاً ودراً

وان كان مسقط رأسه قرية كفر الحمام وينتمي الشاعر إلى أسرة من بطون الجزيرة العربية تسمى أسرة فايد هاجرت إلى مصر واستوطنتها :

أما قصيدته «الكرنك» التي غناها له محمد عبدالوهاب فقد أكدت شهرته وأذاعت صيته ولاشك أنها قمينة بذلك!

كما غنى له مطربون ومطربات آخرون وأخريات بعض انتاجه الشعري.

ومن شعر أحمد فتحي منددا بالحلفاء وغدرهم :

جن بعض الشعوب واختلط الأمر ... عليهم في فتنة واغترار

نقضوا الموثق الذي أبرموه ... أمس بين الخصوم والأصهار

ومشوا في البقاع تيهاً وعجباً ... واستباحوا في الأرض كل دمار

في اعتداد بقوة زعموها ... لحديد قد اعتدوه، ونار

كفروا بالسلام والحق والخير   فويل للمعشر الكفار!

وقد كان مورد كسب هذا الشاعر من شق قلمه ولذلك فقد عاش متقلباً بين شيء من اليسر وكثير من العسر والشاعر القديم يقول :

واها للرزق نابع   من شق هذي القصبه

واها له، واها له   ما أتعبه، ما أتعبه!

وبعد حين قصر عطاءه للاذاعة السعودية تقصيراً شديداً إذ أدى ذلك إلى استقالته غير مدخر إلا القليل من المال، والكثير من الآلام وارتحل إلى بلده مصر.

ولقد عاش على نزر من مال يأتيه من كتابته في بعض الصحف وعلى مدد من فضل صديقه الأمير عبدالله الفيصل وعلى ما قد يمده به بعض أصدقائه وأحبائه!

وقد كان سكنه في فندق كارلتون بشارع ٢٦ يوليو في غرفة خفيضة الأجر، ضئيلة القدر!

ويُعد أحمد فتحي واحداً من المدرسة الشعرية «أبوللو»، التي أسسها الدكتور أحمد زكي أبو شادي ومن شعره في شكوى حاله :

ماذا أفدت بأشعار وروعتها   سوى علالة تخليد لآثاري

وما الخلود بمأثور لعارية   غير الخسيسين من ترب وأحجار!

ومهما يكن من أمر فإن الشاعر أحمد فتحي سيصنفه التاريخ مع شعراء البؤس .. ومع الشعراء البوهيميين ومن يسمون تاريخياً بالشعراء الصعاليك؟!

على أنني ما حضرت مرة إى القاهرة إلا زرته في فندقه وأطلت زيارتي له وكان لا يستشعر حرجاً من الاقتراض من أصدقائه الذين لا يضنون بإقراضه رغم علمهم جميعاً بأنه لا يستطيع تسديد ما يقترض ولكنهم جميعاً يحبون أن يواسوه في محنته ويهونوا عليه متاعب العيش.

ومن أصدقاء الشاعر الدكتور طه حسين ومحمد سعيد لطفي القيم على الاذاعة والشاعر صالح جودت وغيرهم.

وقد مرض الشاعر وأنهكته العلة ثم استأثرت رحمة الله به فغادر - على كرب وقلة - دنيانا الفانية مأسوفاً على موهبته المتوهجة التي لم تخب يوماً.

وفي قصيدة لي عنوانها «شاعر الكرنك»، رثيت الشاعر قائلاً :

قد قضى في غرفة أعرفها غرفة شاعر!
غرفة مخنوقة الضوء بها أنفاس ثائر
هده البؤس وحظ قاتم الصفحة عاثر
فمضى أحنى عليه رقدة بين المقابر!
كان رغم الأين والعتمة طوداً يتحدى!
كان عملاقاً ولكن هدّه الاعياء هدا
فمضى في صدره أشواق طفل تتندى
وحنين لحياة هوى ايان يهدا؟!
خرس الروض فلا بلبل يشدو في رباه
شاعر «الكرنك» قد ولى وجافته الحياه
هو طير عبقري كم شدتها شفتاه
كان انشودة حب تتصباها الرعاه!
هكذا في «الشرق» يا قومي يحيا الأدباء
زادهم يأس، وحرمان، وحب، وإباء
ومتى يلهو بها الصبح وينويها المساء
فهمو في الوطن الغالي عفاة غرباء
ايه «فتحي» سوف تحيا في فم الدنيا خلودا
سوف يبقى شعرك المورق زهرا وورودا
نغماً يسري بأسماع الدنا عذباً جديداً
أنت قد حررته العمر فلم يعرف قيوداً!
فاسترح من تعب الفكر ومن سهد الليالي
من حديث العين للعين وأوهام الخيال
من ضنى القلب لوصل وأساه لملال
قد كفى ما غرد الطائر في روض الجمال!

وهكذا رحل هذا الشاعر الموهوب الصديق أحمد فتحي رحمه الله وعوَّض العربية عن فقده وفقد أمثاله خير عوض.

الشاعر أحمد رامي



الشاعر الكبير (أحمد رامي) أحد المثقفين الممتازين في تاريخ النهضة الشعرية المصرية وأحد الذين خلد ذكرهم فيها، وأحد من تجاوزت شهرتهم جميع الآفاق.

وكان مولده سنة ١٨٨٢م، وتخرج في مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩١٤م، وعين مدرساً ثم سافر إلى بارس في بعثة لدراسة اللغات الشرقية وفن المكتبات سنة ١٩٢٣م، وقضى في الجامعة العتيدة جامعة (السوربون) عامين عاد بعدهما ليعين في دار الكتب المصرية ويتدرج في وظائفها حتى يصبح وكيلاً لها.

وفي دار الكتب تعرفت إلى هذه الشخصية الفذة، وترددت كثيراً عليه، ثم كان لنا لقاء شبه يومي مع الشاعر الجهير صالح جودت صديق رامي الأثير في مقهى (لاباس) بمنتصف الشارع الأنيق (قصر النيل) وكنت أفيد من هذه الجلسات أروع فائدة؟

وفي تحية ديوان رامي يقول شاعر العربية (أحمد شوقي) - كما أذكر - :

ديوان رامي تحت حاشية الصبا ... نهر عليه من الرواة زحام

في كل حرف أنة وصبابة ... وبكل بيت وقفة وغرام!

ولا يخلو أي مجلس لرامي من ذكر أم كلثوم.

وفي الأمسيات التي تشدو فيها (أم كلثوم) سواء في دار الأوبرا أو (حديقة الأزبكية) أو (النادي الأهلي) أو غيرها، كان للأستاذ أحمد رامي مقعد خاص يتصدر الصف الأول من مقاعد الحضور كما كان يجالس كوكب الشرق في فترات الاستراحة بين الأغنيات، هذه الجلسات التي تحفل بالنكات الظريفة، والقفشات، والتعليقات، وقد حضرت معه بعض هذه اللقاءات.

وإلى أن قبض الله إليه شاعرنا أحمد رامي فإنه كان يطلق عليه شاعر الشباب وهذا اللقب نسبة إلى مجلة كان يكتب فيها اسمها (الشباب) وظل اللقب ملتصقاً به.

ومن شعر رامي بعنوان (الجندي المجهول) :

كم يزور اليتيم قبرك ظناً أن تكون الأبرَّ في الآباء
وتطوف الثكلى بمثواك زعماً أن تكون الأعزَّ في الأبناء
كلهم فاقد وأنت فقيد جمعتهم إليك أيدي الشقاء!

و أثناء التلاقي بشاعرنا الكبير كنت أعكف على تصحيح تجارب ديواني الثاني (مواكب الذكريات) فتلطف الشاعر الكبير بتحية هذا الديوان بقصيدة رائعة من شعره المبدع يقول فيها :

يا خيالي طاب النشيد فهات حيِّ عني (مواكب الذكريات)
هي شعر كأنه قطع الروض حتى تحلى بأبدع الزهرات
وهي سحر كأنه لغة الطير تناغي بأنضر السرحات
صور صاغها لنا (قرشي) جمع الشعر من قديم وآت
رقَّ أسلوبها ورقت معانيها وشفت عن أروع الخطرات
كيف لا وهي عن حفيد المجلي (عمر) من سما بأرفع ذات؟
من تدانت لقوله دولة الشعر وحيّته بالقريض المؤاتي
فابق للفن يا رقيق المعاني مدركاً فيه أبعد الغايات!
واسقه عذب فكرك الفذ يسمو كرياض الربيع حلو السمات!

ومجالسة رامي وصنوه صالح جودت تحفل دائماً بالمتعة الأدبية كما تعمر بذكر غريدة الشرق (أم كلثوم) التي لا يخلو أي مجلس لرامي من ترديد ذكرها وهو يصفها بقوله :

أنّة العود شدوها وصداها ... خُلقت آهة فكانت عزاء

حنّة الناي أو أنين الكمان ... من هموم الحياة، والأحزان!

والتي اختصها رامي بأروع قصائده الفصحى، وأشجى أغانيه الشعبية، كما أنها تغنت ببعض شعر صالح جودت المتميز..

وقد ترجم رامي رباعيات الشاعر الفيلسوف (عمر الخيام) ترجمة ساحرة، واختار منها مقاطع جميلة غاية في الرقة شدت بها كوكب الشرق وأشجت الملايين..

وقد حرص رامي في ترجمته على موسيقى الشعر العربي حرصاً بالغاً حاد به عن دقة الأصل، علماً بأن رباعيات الخيام قد ترجمها أدباء وشعراء عديدون مثل أحمد الصافي النجفي والبستاني وعبد الحق فاضل وعشرات غيرهم.

وكانوا أحرص من شاعرنا رامي على دقة المعاني التي أبدعها الخيام وبالمناسبة فإن صفة الشعر في الشاعر الفارسي الكبير عمر الخيام هي أقل ما ينبغي أن يوصف به فقد كان عالماً وفيلسوفاً ومنتسباً إلى الطب، وغيره من ألوان المعرفة!.

ومع هذا فإن ترجمة رباعيات الخيام لأحمد رامي أصبحت أكثر سيرورةمن التراجم الأخرى لرقة صياغتها ولما أبدعته (أم كلثوم) في روعة تغنيها وايصالها إلى شتى القلوب والأسماع.

وقد ألهم رامي في شعره أخصب الأفكار، وأجمل المعاني، وكان يؤثر في أوزانه بحر الخفيف على سواه من بحور الشعر، وهو بحر يُعد من أروع بحور الخليل بن أحمد الفراهيدي مخترع أوزان الشعر العربي..

ورغم الشعور بالتفاؤل الذي يبدو على شعر أحمد رامي فقد كان لا يخلو كثير من شعره من طابع الحزن ولذا فهو يقول من قصيدة عنوانها : (شعر الدموع) والشاعر بطبعه مخلوق من البسمات الحزينة :

يقولون ما هذا الشحوب الذي نرى
بوجهك بل ما هذه النظرات؟
فقلت لهم إني دفنت نضارتي
وقد ضربت في قلبي الظلمات
تشرد لحظي ثم غشته ترحة
كما غشيت شمس الضحى المزنات
لقد كان براقاً وقد كان ضاحكاً
فراح بريق اللحظ والضحكات
وما العين إلا باب قلبي ترونه
أفيه بكاء أم به بسمات!

وحينما فاز رامي بجائزة الدولة التقديرية حيّاه صديقه صالح جودت بقصيدة طويلة يقول منها :

ما الذي أملك أن أهدي إلى أكرم شاعر؟
غير أن أهمس في خاطره بضع خواطر
نابعات من مدى القلب، ومن فيض المشاعر
يا منجي العمر، يا ذخرى إذا رمت الذخائر
يا عزائي في الملمات، وانسي في البشائر
ربع قرن جمعتنا في عميقات الأواصر
ونمتنا ذكريات، وعظاتٌ، ونوادر
لم تزل في خاطري نوراً على نور النواظر
وهدى في رحلة العمر، وزاداً للمسافر!

وكنت وصديقي الأثير الأستاذ (فهد العبيكان) حريصين على استضافة الشاعرين الكبيرين رامي وصالح جودت في دارينا في عديد من الأمسيات في مصر التي يحضرها صفوة من أصدقائنا يشاركاننا المتعة الثقافية الخالصة الممتازة

بوجود هذين العلمين من أعلام الفكر والشعر واللذين كان لهما حضورهما الرائع الماتع.

وكانا يتفضلان بتلبية دعواتنا ويأنسان بلقاء من يحضرها من الأصدقاء والإخوان.

وفي إحدى الجلسات الروائع تجلى صديقنا رامي فأنشدنا مجموعة من أشعاره تكاد تأخذ بالألباب فارتجلت معجباً في تحيته، مأخوذاً بسحر فنه الأبيات التالية:

طربنا لما قد قال رامي ولم نزل ... نردد شعراً منه يستطرب القلبا

جلا غاشيات الحب سحر بيانه ... فيا للهوى من سحره فاتحاً دربا!

أفديك أما قلت شعراً، ومرحباً ... بشعرك يُهدى كالنسيم إذا هبّا

وعشت لنا تؤتي الشهاد حلاوة ... وتدني من الشعر الرفيع لنا الشُّهبا

وقد سر رامي بهذه الأبيات واشرق محياه فرحاً.

وعلى ما أثرى به دولة الشعر الحديث هاذ الشاعر العملاق (أحمد رامي)فإنه لم يلق من عناية النقاد والدارسين بعض ما يستحق فيما عدا مقالات محدودة مثبوتة في بعض الصحف والمجلات كمجلة (الرسالة) للأستاذ أحمد حسن الزيات .. مع أن شعره خلال عمره المديد يستحق العديد من المؤلفات والدراسات الأكاديمية الجيدة، وهذا ليس حظه وحده ولكنه حظ الكثيرين من أضرابه ممن رفعوا راية الشعر العربي ووصلوا بروعته إلى أسمى الذرى، ومع هذا فإنهم لم يلقوا من الجزاء أي جزء مما يستحقون!

علي أحمد باكثير



حديثي اليوم عن كاتب وشاعر ومثقف كبير هو (علي أحمد باكثير) .. أديب عربي حضر إلى قاهرة المعز من (حضرموت) احدى مناطق العرب القارية حيث تسمى مناطق اليمن في أعماق التاريخ ..

جاء باكثير إلى مصر لينهل من علمها، ويتعرف على أدبائها وكان له من توقد ذهنه، وأصالة معدنه وشموخ رجولته ما يعينه - أكمل العون - على كل ذلك .. فكان متأثراً مؤثراً ..

وكان مجيئه إلى القاهرة عام ١٩٣٤م، حيث امتحن في الثانوية ثم التحق بالجامعة وتخرج فيها حاصلاً على ليسانس آداب قسم اللغة الانجليزية سنة ١٩٣٩م، ثم درّس الانجليزية في المدارس الثانوية أما مولده فكان في اندونيسيا سنة ١٩١٠م.

ولقد ساعده ذكاؤه على الكتابة المسرحية والتأليف والمشاركة في المسرح الشعري حيث أصاب من الشهرة والمركز الأدبي ما جعله أحد مؤلفي الصف الأول في المسرحيات من كتاب العربية وأعلامها..

وأسباب تعرّفي بهذا الأديب العربي العملاق يرجع إلى إعجابي بأدبه وإلى لقاءاتي به في مكتبات القاهرة ودور نشرها وإلى الأمسيات الشعرية في بعض البلاد العربية كأمسيات المربد في بغداد وغيرها.

وكانت للأستاذ باكثير صلة بالأدب السعودي فهو صديق حميم للشاعر الكبير

عبدالله بلخير وقد حيًّا الشاعر السعودي بتحيته للكتاب الأدبي المرموق (وحي الصحراء) .. الذي ألفه وجمع مواده الأستاذان الكبيران محمد سعيد عبدالمقصود خوجة وعبدالله بلخير، والذي ترجم لكوكبة رائدة من أدباء وشعراء المملكة العربية السعودية وهو أحد المصادر الهامة والبارزة للحركة الأدبية السعودية.

وقد حيًّا زيارة صقر الجزيرة ومؤسسها المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود لمصر مدعواً - آنذاك - من ملكها فاروق بقصيدة رائعة منها قوله :

هو ذا الوادي حنان أبوي   يتلقاه وداد بنوي

مشيأ بين دار الخالدين   السعودي به والعلوي

إلى آخر ما قال.

وكان باكثير شاعراً ممتازاً، وكنت أحفظ جانباً من شعره وكان يسر كثيراً بانشاده بعض هذه الأشعار في لقاءاتنا.

وقد ائتلف قلبانا فأصبحت كثير الحنين إلى لقائه وإلى محضره.

وفي رأيي أن باكثير أحد المؤسسين لشعر التفعيلة ومن أوائل من جعل للمسرح الشعري مكانة مرموقة سواء في الشعر العمودي أو التفعيلي.

وقد نشر انتاج باكثير في المجلة الراقية (الرسالة) للأستاذ أحمد حسن الزيات الذي كان معجباً بانتاج باكثير وحفياً به، كما تولت نشر مسرحياته دور النشر الكبرى.

وكانت لباكثير أذن موسيقية سمّاعة فكان يطرب للغناء العربي الأصيل وكان مفتوناً بصوت المطربة (أسمهان) وغنائها ..

ويشاء القدر أن تموت (أسمهان) وتنتهي حياتها الحافلة نهاية مأساوية مؤلمة بغرقها في إحدى ترع مصر، فإذا بباكثير ينزعج انزعاجاً كبيراً لارتحالها ويرثيها بقصيدة رائعة تشف عن مدى إحساسه بالفجيعة لوفاتها ولحرمانها الغناء العربي من هذه الشادية الغلابة السحر الفني.

ولا بأس من أن أورد مقاطع من هذه القصيدة تدل على مدى إحساس الشاعر بالألم لفقد هذه المطربة العبقرية.

يقول باكثير :

غرقت كيف يغرق النور والحسن ... وفن الخلود في شبر ماء؟؟
ما تقولون؟ هل تجدّون أم لا ... هون أم له يجد صرف القضاء
لو حواها البحر العريض لضاق البحر ... ذرعاً عن روحها الشماء
أو حوتها الصحراء لانتفضت ظلا ... وماء في جنة خضراء
صوتها العبقري قد كان يغني ... عن ضياء ينير في الظلماء

ويقول :

ما عزائي من بعدها بنشيد ... وغناء ولات حين عزاء
ضلة قيل إنها بلبل أو ... كروان أو عندليب غناء
أين من صوتها حناجر طير ... أو أرانين آلة خرساء؟
صوتها الصوت للخلود ولا ... الهام لا للدينا ولا للفناء
اسمع الله منه للناس حينا ... ليحنوا شوقا لدار الجزاء
ليروا أن ما على الأرض فان ... والنعيم النعيم في الفيحاء

ومن قوله فيها :

من شدا بعد اسمهان بلحن ... فالأذن عن لحنه صمّاء!

وآخر هذه القصيدة قوله :

فاذهبي كالربيع كالكوكب الهاوي ... كساري النسيم كالانداء
واخلدي في القلوب ما خلد الفن ... وجاشت بلابل الشعراء

وقد كنت مرة مع الصديق الشاعر (صالح جودت) في زيارة الفنان (فريد الأطرش) فأنشدته هذه القصيدة فطرب لها كثيراً ولم يستطع أن يغالب دمعه حين سمعها ورجاني بالحاح أن أسجلها له ففعلت وذكر لي أنه لم يسمع بهذه القصيدة الشجية قبل أن أنشده اياها.

ويُعد باكثير ثاني كاتب مسرحي بعد الأستاذ الكبير (توفيق الحكيم)!

ورغم قضائه عشرات السنين في مصر فقد كان محتفظاً بلهجته العربية الحضرمية كما كان على جديته مرحاً، أنيس المحضر ذا دعابة!

وفي آخر عهده اضطهده بعض الحاقدين مما عرّضه لاكتئاب شديد!

وقد توفي باكثير في نوفمبر ١٩٦٩م، مأسوفاً على شخصيته المؤثرة وأدبه الرفيع وسمو أخلاقه العالية.

وفي أربعين (علي أحمد باكثير) أقام له وزير الثقافة الصديق القاص والروائي المعروف (يوسف السباعي) حفل تأبين في القاهرة كان من حظي أن شاركت فيه بقصيدة طويلة عبرت عن مشاعري نحو هذا الصديق الفذ الذي يصدق فيه قول الشاعر :

وتراث الأديب في الشرق حزن ... لبنيه وثروة للرواة

وقد قلت في تأبينه :

قف على الدرب زهوا وابتساما ... إنه عرس شهيد يتسامى
يحطم القيد إذا القيد عتا ... ويرد الموت مهزوما مضاما!
راهب للفن علوي الرؤى ... لم يكن يخفر للفن ذماما
شاعر للخلد قد سار إلى ... موكب الخلد محبا مستهاما
من حداة الركب حاد غرد ... عانقته ربة الشعر فهاما
ملك قد عبر الأرض فلم ... يلق فيها لجناحيه مراما
كيف يحيا بين جدران الأسى ... زارع الحلم ومصباح اليتامى

ومنها :

يا علي والأماني خدعة ... والسعيد الجد من عاف الزحاما
قد تساوينا علي هذا الثرى ... في مدى الغربة شيخاً وغلاما
من يعش الفا وان طال السرى ... لعبة الموت كمن قد عاش عاما
غير أن الخلد للذكر وهل ... مثل طيب الذكر يستهوي العظاما!

وآخر القصيدة :

أيـهـا الحـب الـذي عـاش على ... شرفة الشمس وبالامجاد هاما
أيـهـا الـروح الـذي كـان سـنـاً ... عـبـقـريـا وصـفـاء وسـلامـا
عش بـدار الحـب فـالـدار هنا ... لم تـعـد إلا جـحـيما وخصاما
واصحب الأمـلاك فالناس كما ... أبصرت عيناك مازالوا سواما
لم يـعـد يـسـعـد في دنـيـاهـمـو ... نابغ فاقرأ على الأرض السلاما!

ومن شعر باكثير في ذم مصالحة (اسرائيل) :

الصلح للعرب لحد يقبرون به ... وللعدا هو مهد يكفل الولدا
إياكمو أن تزلوا زلة عمما ... فتفتحوا لهم الأبواب والسددا
إذن تبيدوا على أقدامهم ضعة ... إذن يعيشوا على أشلائنا رغدا!

ومؤلفات علي أحمد باكثير هي :

سر الحاكم بأمر الله - مسرحية، قصر الهودج - مسرحية شعرية، روميووجولييت - مسرحية مترجمة شعراً، وا إسلاماه - مسرحية، ملحمة عمر - مسرحية، مسمار جحا - مسرحية، جبل الفتيل - مسرحية، شيلوك الجديد - مسرحية، شعب الله المختار - مسرحية، جلفدان هانم - مسرحية، امبراطورية في المزاد - مسرحية، أبو دلامة، هاروت وماروت، اخناتون ونفرتيتي، ملحمة تاريخ الخليفة عمر بن الخطاب - تسعة عشرة جزءاً، شادية الاسلام - مسرحية، صفي وليليان - قصة، همام أو في بلاد الاحقاف، الثورة الضائعة - مسرحية، مأساة وأديب، دار ا بن لقمان، الثائر الأحمر، سر شهرزاد.

وكانت حرفتا باكثير الانسانية الصدق لا يقول سواه والكرم دون مباهاة!

وفي الحقيقة فإنني أشعر أنني لم أوف هذا الشاعر الصديق حقه من الثناء إلا أن محدودية المجال تفرض على قلمى شيئاً من الاختصار، والاجتزاء.

الشاعر عمر أبو ريشة



وقبل أن أتعرف شخصياً على الشاعر الكبير عمر أبو ريشة وأسعد بصداقته كنت قد كتبت عنه وتعرضت لديوانه (من عمر أبو ريشة - شعر) كما يلي :

قبل سنوات كنت أقرأ للشاعر الملهم الأستاذ عمر أبو ريشة نثاراً من شعره العذب يرصع حقول الشعر في بعض صحف سوريا ومصر ولبنان. فكنت أحس بفيض نشوة حلوة، وأستشعر انشراحاً وتهويماً مع هذه الروح الوثابة الهفهافة، التي تتعشق الحرية وتتنسم أطيابها وتتوق دائماً إلى السبح في جداولها وأنهرها محتقرة السدود والحدود! وربما عدت بالملام اللطيف على الشاعر القدير الذي ضن بأن يعطينا صورة كاملة مكبرة - تتساوق فيها الظلال، وتتمازج الألوان - عن شاعريته الثرة، وفنه الخالب الرفيع!

وفوجئت أخيراً مفاجأة حميدة بديوان الشاعر أبو ريشة المرسوم بـ (عمر أبو ريشة - شعر) يملأ يدي وقلت حقاً إن من الأحلام ما يصدق. وإن طال به الزمن، ولعمري انها لأنغام شائقة وألحان بارعة وقعتها أنامل عازف ماهر مغن على قيثارة الخلود، وإنهم لقليلون جد قليلين هؤلاء الشعراء الذين في استطاعتهم أن يمنحونا خلجات نفوسهم، ونبضات قلوبهم وأن يرمزوا في همساتهم الشعرية الفاتنة إلى الحياة - على ما تزخر به - بكل هذه التقانة والقدرة، والابتكار، وأن يبرزوا صورهم المشعة بكل هذا الابداع والافتنان! إنها الموهبة لا الصنعة والتكلف، وإنه الطبع لا الحذلقة والتزلف!!

أبو ريشة فنان مكتمل الأداة، مشرق الديباجة، موسيقي التعبير يسيطر على شعره روح الفن الذي يتفاعل مع الحياة، ويناغم نجوى النفس الإنسانية في شتى مراحلها وفي أدق خطراتها وملابساتها! وما الشعر إن لم يكن قبسات من الحياة والنفس الإنسانية، إيحاءات، وإيماءات منها؟

إن في كل قصيدة، وفي كل مقطوعة من هذا الديوان الحر لمسة أو لمحة فنية هامة تعطي نكهة خاصة ولوناً جديداً يكشف عما يتمتع بها الشاعر من إحساس ناضج فياض بالعاطفة الصادقة!

اقرأ له مقطوعة (شباب) ص ١٩٢ :

أشباب يا زهو الحياة ويا نشيد العنفوان
دنياك أحلام العرائس في لياليها الحسان
يكسو الربيع الطلق عطفيها ويرقصها افتنان
فاجن المنى منها اغتصابا واجر محلول العنان
واترك صدى ألحانها ترويه حنجرة الزمان
أشباب يا زهو الحياة ويا نشيد العنفوان
لا كنت أن أرخيت معطفك النضير على جبان!

واقرأ له من قصيدة (الروضة الجائعة) ص ٤٥ :

أفي هذه الليلة المقمرة أهيم بأرجاءك المقفرة؟
عرفت الذهول الذي قادني إليك فأحببت أن أنكره
لك الخير يا روضتي لم أجد سواك مواسية خيّره!
أتيت لأنسى.. فمالي أرى الهواجس كالسحب الممطره
الا أين عرس الجمال السني على ذيل يقظتك المبكره؟
وللغصن ترنيمة العندليب وللجو تسبيحة القبره
واين بساط الندامى على مطارفك الغضة المزهره

واقرأ من قصيدة (شرود) ص ٦٠ :

لا يا ضلال الروح لن أكتسي ... منك جناحي حلم مفجع

كم امنيات عفت أعراسها ... مأتماً تعول في مخدعي

وكم نشيد مسكر في فمي ... فاطعته فانهل في ادمعي

حسبي إذا ألقيت طرفي على ... أمسي صدمت القلب بالأضلع!

اقرأ هذا وغيره وترو معنى البيت الأخير في القطعة الأخيرة فلن يخطئك هذا الوتر الحساس وهذه النبضات الجياشة وهذا التنغيم الحركي البديع!

كما أن الشاعر مع انفعاله للقيم الشعورية المتوهج وتصويره لها في يقظة وحرارة يحاول دائما أن ينسرب إلى نفس القارئ في يسر وسهولة لا في ضجة وعنف أو في جلبة وضوضاء!

ويشتمل ديوان أبو ريشة على أغلب موضوعات الشعر العربي الحديث وأغراضه وبنفس الحرارة التي نجده فيها متغزلاً واصفاً أفانين الجمال ومواكب الاغراء والفتنة ومطارف الربيع ومباهج الحياة بنفس هذه الحرارة المطبوعة نجده يتدفق راثياً صديقه حلمي الأتاسي في قصيدة (كان لي) والشهيد الفلسطيني سعيد العاص في قصيدة (شهيد) ونجده فازعاً متألماً لفلسطين العربية في محنتها ص ١٤٠ :

والقدس ما للقدس يخترق الدما ... وشراعه الآثام والأوزار!

أي العصور هوى عليه وليس في ... جنبيه من أنيابه آثار؟

عهد الصليبيين لم يبرح له ... في مسمع الدنيا صدى دوار؟

وثمة نخبة من قصائده الحافلة تكاد تقتعد الذروة في معرض الجمال الشعري ولولا ضيق المجال لأوردت نماذج منها كقصيدة (طلل ص ١٣) و(سر السراب ص١٥) و(خالد ص ٢٣١) و(لنا الحب ص ٢٥٧) وغيرها وغيرها .. وقصيدته في حفل تكريمه التي يقول فيها (ص ٢٤٩) :

أيهزني طرب وأشباح الشقا ... في موطني مسنونة الأنياب؟

والجرح يأكل أصغري وجبهتي ... مخضوبة بعد السنا بتراب

ويد العقوق مجدة ونتاجها — أهب الرجال على طباع ذئاب
من خانع متكبر، ومخاتل — متقلب، ومحالف كذاب!
صور صور ينهنهني الذهور حيالها — ويرد الهامي على الاعقاب

وعلى الجملة فإن ديوان أبو ريشة يجمع إلى جمال الأسلوب وعمق التخيل وتوهج العاطفة صدق التجربة ووضوح التأثير وهما العنصران اللذان كثيراً ما يفقدهما الناقد الحديث عند سبر أغوار الشعراء المعاصرين ووزن نتاجهم ورصيدهم الفني!.

ثم ربطت بيني وبينه أواصر شخصية وثيقة من زياراته المتعددة للمملكة - التي استوطنها فيما بعد - وابانٍ زياراتي لبيروت فما كانت تمر زورة لي إلا وتفضل بدعوتي إلي منزله فيها متستحضراً مجموعة من الشعراء والأدباء وأصحاب دور النشر اللبنانية المعروفة.

ثم جمعنا المهرجان الشعري الكبير الذي أقيم لتكريم ذكرى الشاعر الجهير (الأخطل الصغير) بشارة الخوري والذي كان يمثل فيه سوريا وأمثل فيه المملكة، والذي ضم ممثلين معروفين عن سائر البلاد العربية، وألقى فيه قصيدة ماتعة تضم إلى الفن السياسة والتي يقول في مستهلها :

نديُك السمح لم يخنق له وتر — ولم يغب عن حواشي ليله سمر
بنات وحيك في أرجائه زمر — يزفها المترفان الزهو، والخفر
رواقص تملأ الدنيا وفرحتها — وليس تعرف ما الشكوى وما الاخبر؟
فلا تلمها إذا لم تخب بسمتها — ولم يرنق صفا الهامها كدر
لم يبلغ النبأ الناعي مسامعها — عن مثل هذي اليتامى يكتم الخبر!

وفي الرياض بالمملكة أقامت له (جامعة الملك سعود) أمسية شعرية ندبتني لتقديمه فيها، وقد شرفت بذلك وقدمته .. إلا أنني أحسست أن أبو ريشة وبعد مضي وقت ليس بالكثير ينظر في ساعته بين كل آونة وأخرى، وكأنه متعجل مضي الوقت خشية الاحراج فصعدت إلي المنبر، وهتفت به راوياً هذين البيتين :

تنظر الساعة من حين لحين — ليت شعري ما الذي يستعجلك؟
إن هذا الوصل أحلام سنين — فاتق الله ودع ما يشغلك!

فخلع الساعة من يده ووضعها في جيبه واستمر ينشدنا طويلاً من شعره الرائع حتى ملأ الجمهور بهجة ومسرة.

وقد كان الشاعر أبو ريشة موضع اعجاب وتقدير الناقد اللبناني الكبير (مارون عبود) وقد كتب عنه مقرظاً - لا ناقداً - في كتابه (على المحك)!

وأبو ريشة هو صاحب القصيدة العملاقة المعروفة والتي يقول فيها:

أمتي هل لك بين الأمم ... منبر للسيف أو للقلم

أتلقاك وطرفي مطرق ... خجلا من أمسك المنصرم

ويكاد الدمع يهمي عاتباً ... ببقايا كبرياً الألم!

أمتي كم صنم مجدته ... لم يكن يحمل طهر الصنم

(وهذا البيت مأخوذ من المتنبي)

لا يلام الذئب في عدوانه ... أن يك الراعي عدو الغنم

كيف أغضيت على الذل ولم ... تنفضي عنك غبار التهم؟!

أو ما كنت إذا البغي اعتدى ... موجة من لهب أو من دم؟

ومن شعره بعنوان امرأة وتمثال

حسناء هذي دمية منحوتة من مرمر

طلعت علي الدنيا طلوع الساحر المستهتر

وسرت إلى حرم الخلود على رقاب الأعصر!

عريانة سكر الخيال بعريها المتكبر

أبداً ممتعة بينبوع الصبا المتفجر

ترنو إليها في وجوم الحالم المستفسر

والطرف بين منقل في سحرها ومسمر

وشى بها، ابداع ناحتها، الجمال العبقري

ومضى، وبنت رؤاه لم تكبر، ولم تتغير

حسناء ما أقسى فجاءات الزمان الأزور

أخشى تموت رؤاي أن تتغيري .. فتحجري!

ومن شعره بعنوان (في طائرة) يقول في تقدمته :

«كان في رحلة إلى الشيلي، وكانت إلى جانبه حسناء اسبانيولية تحدثه عن أمجاد أجدادها القدامى. العرب، دون أن تعرف جنسية من تحدث» :

وثبت تستقرب النجم مجالا … وتهادت تسحب الذيل اختيالا (١)
وحيالي غادة تلعب في … شعرها المائج غنجاً ودلالا
طلعة ريا، وشيء باهر … أجمال؟ جل أن يسمى جمالا
فتبسمت لها، فابتسمت … وأجالت في الحاظا كسالى
وتجاذبنا الاحاديث فما انخفضت … حسا ولا سفت خيالا
كل حرف زل عن مرشفها … نشر الطيب يمينا وشمالا
قلت يا حسناء، من أنت ومن … أي دوح أفرع الغصن وطالا
فرنت شامخة احسبها … فوق انساب البرايا تتعالى
واجابت أنا من أندلس … جنة الدنيا سهولا وجبالا
وجدودي، المح الدهر على … ذكرهم يطوي جناحيه جلالا
بوركت صحراؤهم كم زخرت … بالمروءات رياحا ورمالا
حملوا الشرق سناء وسنى … وتخطوا ملعب الغرب نضالا
فنما المجد على آثارهم … وتحدى، بعدما زالوا، الزوالا
هؤلاء الصيد، قومي فانتسب … ان تجد أكرم من قومي رجالا!
أطرق القلب وغامت أعيني … برؤاها وتجاهلت السؤالا!

وقد حظي الشاعر أبو ريشة برعاية الملك المثقف الشهير فيصل بن عبدالعزيز وصدق في مدحه معجباً بشخصيته المتعددة المزايا وكانت له صلات صداقة عميقة ببعض رجالات المملكة أمثال الشيخين كمال أدهم وأحمد عبدالوهاب والشاعر كنعان الخطيب وغيرهم، وقد توفاه الله في الوطن الذي أحبه واختاره السعودية.

(١) المقصود بالوصف : الطائرة

الشـــاعــر أمــين نخـلـة



لبنان نهر الشعر ..

وقد أنجبت لبنان شعراء أفذاذاً يعدون في الصف الأول من شعراء العربية، وناهيك بالشعراء بشارة الخوري (الأخطل الصغير) وأمين نخلة وإلياس أبو شبكة، ونجيب ليان، وبولس سلامة وغيرهم.

عدا شعراء المهجر الذين كانوا مدرسة متماسكة قوية : جبران خليل جبران والشاعر القروي رشيد سليم الخوري، والياس فرحات، وجورج صيدح، وايليا أبو ماضي، وفوزي المعلوف، وشفيق المعلوف، وميخائيل نعيمة، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب. وأمين نخلة من أبرز شعراء لبنان الفحول الذين كان لهم أثرهم وخطرهم، والذي كان من أروع هؤلاء الشعراء إشعاعاً للكلمة واشراقاً لها وسحراً للمعنى وارتفاعاً به، وأناقة للعبارة وسمواً بها، وهو أحد شعراء الموسيقى والرنين الذين تترك قصائدهم وأشعارهم بعد قراءتها أصداء في نفس القارئ.

وترجع معرفتي بالشاعر الكبير أمين نخلة في ربوع المملكة العربية السعودية ابان زياراته لها حيث له عشاقه العديدون من المسؤولين والأدباء.

وأول لقاء لي به كان في مدينة الطائف وفي فندق «العزيزية» الذي كان نازلاً به، حيث قدمني له صديق لي فسارع إلي القول لو لم تقدم القرشي كشاعر لقلت لك إنه شاعر بما تشي به ملامح وجهه، وأسلوب لقائه فكيف وأنا قد قرأت له ..

وقد أوصى الشاعر «أحمد شوقي»، بولاية عهده - من بعده - لأمين نخلة حينما قال :

هــذا ولِيّ لعهدي | وقيّم الشعر بعدي

وقد نال أمين نخلة من أمجاد الأدب الكثير ..

وحدثني مرة أمين نخلة فقال لقد دعي لبنان إلى حضور المهرجان الكبير المقام في سوريا لتكريم الشاعر «أبو تمام» وقد رأيت نفسي فجأة في طائرة لبنانية متوجهة من لبنان إلى الشام مع وفد من مثقفي لبنان، وقد هجم عليّ الزملاء أعضاء الوفد طالبين أن أقرأ لهم قصيدتي التي سألقيها في المهرجان ، فأخبرتهم أن لي ثمانية عشر عاماً لم أكتب فيها شعراً وأخبرتهم أن فيهم الخير والبركة فدهشوا وأخبروني أنهم ليسوا فرسان شعر وأن الاعتماد - كل الاعتماد - على وجودي كأبرز رأس في الوفد اللبناني، فقلت لهم إذا لم يكن الأمر بد فاجمعوا لي زهرات المضيفات اللاتي معنا يجلسن قربي ويؤانسنني .. فإن ساعدني جوهن على كتابة مطلع شعري يستحق كتبت وإلا فالعذر كل العذر لكم، وقد تلطفوا ففعلوا ما أخبرتهم به بين الجد والمزاح .. ولم أشعر إلا وقد سطع لي بريق مطلع القصيدة فرجوت الزهرات أن يتنحين عني وكان المطلع هو :

افسحوا في محفل الشعر لنا | نحن من لبنان من عليا الدنى!

وبعده :

ان يكن غنى أبو تمامكم | فاسألوا عن شدوه لبناننا!

فقد غذى لبنان أيضاً شاعرية «أبو تمام».

وكل أبيات قصيدة «أمين نخلة»، كانت عيوناً وبيوت قصيد وجواهر تهز وجدان صاحبها وتنتزع اعجابه ويقول منها :

زعم الشعر لكم ألهية | زاعم لم يدر ما طعم العنا
ان هذا الشعر في رونقه | هو ما جاء به هذا الضنى
رحمة في الوحي للخالي به | انه بين المنايا والمنى

ايقولون قديم ويحهم ... من يظن الشمس هانت معدنا؟

واكثر شعر أمين نخلة، هو مقطوعات قصار وقصائده ان طالت فلا تزيد على العشرين بيتاً و هو أمير التكثيف والتركيز في شعره الذي يخلب بمعانيه كما يخلب بألفاظه.

وكما كان أمين نخلة مبرزاً في قريضه فقد كان مبرزاً في نثره، الذي تتلألأ معانيه كما تتلألأ ألفاظه، ومن ذلك مؤلفه الرائع المسمى «دفتر الحب» كما أن له كتاباً آخر اسمه «المفكرة».

ومن مطالعه الغر في المهرجانات :

لا تقولوا غبرت شمس البيان
جاء لبنان وماج المهرجان!
كل من يعش عن الشعر هنا
ما له خيف لدى الدهر وبان!

كذلك فمن شعره :

أنا لا أصدق أن هذا ... الاحمر المشقوق فم
بل وردة مبتلة ... حمراء من لحم ودم
هذي الشفاه أحبها ... كم مرة قالت : نعم!

وكان لبنان حريصاً على تكريم شاعره «أمين نخلة»، فقد دعا إلى مهرجان له في ابريل ١٩٦٢م، وحضرت مع الشعراء الذين دعوا للمشاركة في هذا المهرجان وأعددت لذلك قصيدة مطولة في تكريمه كما حضر للهدف ذاته صديقي الشاعر الكبير «محمد الفيتوري» معداً بدوره إحدى قصائده الماتعات.

أما قصيدتي :

من ربى البان ومأوى أحمد ... لك يا لبنان زهر في يدي
ومن الخيف وظل المنحنى ... وصبا نجد حنين سرمدي
جئت أهديها الجنى أرض الجنى ... نفحة الخلد ومجلى الرغد

مشرع الالهام والكون فتى
منجم الفكر الرفيع العمد

يا انفتاح الورد يا رف الضحى
وهتاف الناعسات الخرد

ومسار العبقريات ومهد
الندامى وانطلاقات الغد

انبثق نهر رؤى علوية
واصطفق بحراً هتون الزبد

بارك الله صبا مؤتلقا
لم يشخ وهو شقيق الابدا!

ومنها :

في ذراك النضر يشدو ساجع
غلب الطير على الروض الندي

ساحر تسطع من الحانه
الدراري الزهر في الليل الصدي

عاشق عتقه العشق ففي
قلبه شجو الحياري السهد

سيد الحرف المعنى أين من
حرفه المترف ذوب العسجد

لم يصدق أن تفر الخود من
غير جرح الورد يا للمورد!

وقلت في ختام القصيدة :

إيه لبنان وفي لبنان لي
من مجاني الروح نبراس غد

عشت «لبنان» حمى للمجتدي
وملاذا للغريب المجهد

دمت للأحرار حصنا للحجى
موئلاً للمعجزات الجدد!

ورغم تكامل حضور الشعراء المشتركين في التكريم إلا أن هذا المهرجان قد تأجل بسبب ظروف الحرب الأهلية التي كانت تهدأ ثم تقب!.

وتكرر بعد ذلك إعداد مهرجان آخر، ولكنه تأجل أيضاً للسبب ذاته إلى أن أقيم مؤخراً مهرجان ثالث له منذ أمد قريب!.

والانسان يعجب لحظ هذا الشاعر العملاق أن تتأجل مهرجاناته بسبب هذه الظروف المأساوية لما يزيد على عقدين من السنين.

وأخيراً فلولا أن المجال يضيق لأوردنا نماذج أخرى من شعر هذا الشاعر المحلق الذي أثرى العربية بقريضه الفحل.

الشاعر علي محمود طه
(الملاح التائه)



تدسس الشاعر الكبير علي محمود طه في أعماق قلوب القراء العرب مشرقاً ومغرباً بعطائه الثر، وديباجته المشرقة، ودواوينه المترفة التي شملت أرقى الشعر وأعذبه واحتوت على لوحات شعرية رائعة، شبيهة بلوحات الشاعر الفرنسي الشهير الرومانتيكي «لامرتين»، الذي حذق لغته بتحفيز من صديق الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات.

وبالاضافة إلى ملكته الشعرية الساحرة الواعية فقد كان علي طه يملك أسلوباً نثرياً، فاتن العبارة، مؤثراً أبلغ التأثير ..

ومنذ أن قرأت شعر هذا الشاعر الجهير فقد شعرت باعجابي به وحفلت به كثيراً وعلقت بذهني عشرات القصائد الروائع منه ..

وفي صالون مجلة (الرسالة) للأستاذ أحمد حسن الزيات تعرفت بهذا الشاعر العبقري ثم زاد معرفتي به صديقي الناقد الفذ أنور المعداوي وأخي الأستاذ الكبير أحمد عبدالغفور عطار في عدة لقاءات - فيما بعد - وقد كانا صديقين حميمين له.

وتتسم المواضيع التي تناولها في شعره بالانتقاء والابتكار!

ومن روائع قصائده قصيدة (غرفة الشاعر) الرومانتيكية وقد أنشده أياها بصوته حيث يقول فيها :

أيها الشاعر الكئيب مضى الليل وما زلت غارقاً في شجونك
مسلماً رأسك الحزين إلى الفكر وللسهد ذابلات جفونك
ويد تمسك اليراع وأخرى في ارتعاش تمر فوق جبينك
وفم ناضب به حر أنفاسك يطغى على ضعيف أنينك
لست تصغي لقاصف الرعد في الليل ولا يزدهيك في الابراق
قد تمشي خلال غرفتك الصمت ودب السكون في الأعماق
غير هذا السراج في ضوئه الشاحب يهفو عليك من اشفاق
وبقايا النيران في الموقد الذابل تبكي الحياة في الارهاق
أنت أذبلت بالأسى قلبك الغض وحطمت من رقيق كيانك
آه يا شاعري لقد نصل الليل وما زلت ساهراً في مكانك
ليس يحنو الدجى عليك ولا يأسى لتلك الدموع في أجفانك
ما وراء السهاد في ليلك الداجي وهلا فرغت من أحزانك؟

وكان ينافسه في الشهرة الشاعر الفحل محمود حسن إسماعيل ولكل منهما معجبوه المقدرون لشعره، العارفون بمنزلته!

وعلي محمود طه ينتسب في قريضه إلى مدرسة أمير الشعراء أحمد شوقي مع الجدة الحديثة والطرافة ولو نسيء له في الأجل لكن شأنه عظيماً، ومكانته عظمى، وأنه لكذلك بما خلّفه من انتاج جيد ممتاز.

وقد تناول النقاد والشعراء شعر علي محمود طه بالنقد والتقريظ وحفلوا به أيما حفول. قد ألفت عنه الدكتورة نازك الملائكة كتاباً نقدياً ضخماً، هو (علي محمود طه) كما ألف عنه الناقد الموهوب أنور المعداوي كتاباً باذخاً كان مسماه (علي محمود طه شاعر الأداء النفسي).

كما جمعت مختارات من شعره الشاعر الموهوب صلاح عبدالصبور، في كتاب أسماه (علي محمود طه - قصائد) بايعاز من مجلة (الآداب) البيروتية. كذلك تناول شعره العميد الدكتور طه حسين، وفي جلسات متعددة مع هذا لاعملاق أنشدته جانباً كبيراً مما أحفظه من شعره فكان سروره بالغاً بروايتي للكثير من شعره الذي هو في الحقيقة جدير بالحفظ والرواية.

كما أنني أنشدته بعض شعري فأظهر - متلطفاً - اعجابه به. وكان صديقاً حميماً للشاعر العبقري الدكتور ابراهيم ناجي وفي عطائهما مشابهة كثيرة لبعضهما البعض وقد حيا ناجي في حفل تكريمه بشعر رائع.

ومن شعره القومي قصيدة (يوم فلسطين) حيث يقول مصوراً مأساة فلسطين الحبيبة! :

ويبدو جلياً توهج فن الشاعر ومرارته في هذه القصيدة الرائعة و شعوره بالمرارة

فلسطين لا راعتك صيحة مغتال … سلمت لأجيال وعشت لأبطال

ولا عزك الجيل المفدى ولا خبت … لقومك نار في ذوائب اجبال

صحت باديات الشرق تحت غبارهم … على خلجات الروح من تربك الغالي

فوارس يستهدي أعنه خيلهم … دم العرب الفادين والسؤدد العالي

بكل طريق منه صخر منضر … وكل سماء جمرة ذات اشعال

هو الشرق لم يهدأ بصبح ولم يطب … رافاداً على ليل رماك بزلزال

غداة أذاعوا انك اليوم قسمة … لكل غريب دائم التيه جوال

قضى عمره، جم المواطن - واسمه … مواطنها - ما بين حل وترحال

وما حل داراً فيك يوماً، ولا هفت … على قلبه ذكراك من عهد أسرال

محا الله وعداً خطه الظلم لم يكن … سوى حلم من عالم الوهم ختال

حمته القنا كيما يكون حقيقة … فكان نذيراً من خطوب وأهوال

وفتح بين القوم أبواب فتنة … تطل بأحداث وتومي بأوجال

أراد ليمحو آية الله مثلما … أراد ليمحو الليل نور الضحى العالي

لما أصاب العرب من انتكاس، وخذلان، وتآلب على حقوقهم، وتسلط على أراضيهم وقراهم ومدنهم!

وقد تغنى المطرب العبقري محمد عبدالوهاب بقصائد رائعة للشاعر الكبير كقصيدة (الجندول) وقصيدة (كليوباترا) و(عاشقة) كما تغني غيره بأشعار هذا الشاعر المجيد.

ومن قصائد شاعرنا المشهورة (ميلاد شاعر) و(مصرع الربان) و(فاروس الثاني) و(شهيد ميسلون) و(المدينة الباسلة) و(حلم ليلة الهجرة) و(عام جديد) و(إمرأة وشيطان) و(عودة المحارب) و(على النيل) وغيرها.

وقد كان شعر علي محمود طه زينة المجلات الثقافية الراقية وعلى رأسها رسالة الزيات.

وعلي محمود طه من أسرة ميسورة وهو من مواليد (المنصورة) موطن العذوبة والسحر والجمال وكان مولده عام ١٩٠٢م، كما كانت وفاته بمرض القلب عام ١٩٤٩م، وبذلك فقد كانت حياته قصيرة الأمد مشبهة حياة صنوه الشاعر المفلق أبي فراس الحمداني زين الشباب الذي لم يمتع بالشباب على حد قوله :

زين الشباب أبو فراس ... لم يمتع بالشباب

ورغم غزارة انتاجه وروعته فلاشك أنه لو امتد به العمر لأتى بالعجب العجاب، ولكان أغرودة عصره!

وأنه يصدق فيه ما قاله مرتجلاً في الشاعر المحتضر (فؤاد بليبل) :

يا روض ناداك الصباح فلم تجب ... البلبل الغريد ويحك ما به؟

أين الأغاريد العذاب يثيرها ... في موكب من كأسه وربابه؟

ما كن غير صدى ربيع واحد ... واحسرتاه على ربيع شبابه!

وقد تناول الشاعر جميع ألوان الشعر في دواوينه من شعر غزلي أو وصفي أو قومي أو مسرحي وتلك قدرة عجيبة لا يملكها إلا الجهابذة المهوبون. وقد كان هو أحد هؤلاء الجهابذة المرموقين!.

وقد قلنا إنه شاعر لوحات تصويرية ومن اللوحات الرائعة للشاعر قصيدة (القمر العاشق) ومنها :

إذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المضنى
ورف عليك مثل الحلم أو اشراقة المعنى
وأنت على فراش الطهر كالزنبقة الوسنى
فضمي جسمك العاري وصوني ذاك الحسنا

أغـار عليك مـن سـاب كـأن لضوئه لحنا
تـدق لـه قلوب الحـور أشـواقـاً إذا غنى
رقيق اللمس، عربيد، بكل مليحة يعنى
جـريء، إن دعاه الشوق، أن يقتحم الحصنا
تحدر مـن وراء الغيم حين رآك واستأنى
ومس الأرض في رفق يشق، رياضها الغنا
عجبت له وما أعجب كيف استسلم الركنا؟
وكيف تسور الشوك؟ وكيف تسلق الغصنا؟
وكم مـن ليلة لما دعـاه الشوق واستدنى
جثا الجبار بين يديك طفلاً يشتكي الغبنا
أراد .. فلم ينل ثغراً، ورام .. فلم يصب حصنا
حـوتك ذراعـه وسـماً وأنـت حويته فناً!

كما أن قصيدته (الموسيقية العمياء) لا تقل روعة عن السابقة بدورها وقد أوضح قصتها كما يلي :

الموسيقية العمياء

«كان الشاعر يتردد على «الفيتا» أحد مطاعم القاهرة الشهيرة بموسيقاها شتاء عام ١٩٣٥م، وكانت تترأس الفرقة الموسيقية به حسناء ألمانية، تعزف على القيثار، وكانت على جانب من الرقة والجمال، فلا يخيل لمن يراها أن القدر قد أصابها في عينيها، فحرمها نعمة الابصار، فلما وقف الشاعر على حقيقة حالها، أوحى إليه جمالها الجريح بالقصيدة الآتية ومنها :

إذا مـا طـاف بـالأرض ... شـعـاع الـكـوكـب الـفـضـي
إذا مـا أنـت الـريـح ... وجـاش الـبرق بـالـومـض
إذا مـا فـتـح الـفـجـر بكيت ... عـيـون الـنـرجـس الـغـض
لـزهـرة تـبـكـي ... بـدمـع غـيـر مـرفـض
زواهـا الـدهـر لم تـعـد ... مـن الاشـراق بـالـلـمـح
عـلـى جـفـنـين ضـمـآنـين ... لـلأنـداء والـصـبـح
أمـهـد الـنـور مـا لـل ... يـلـقـد لـفـك في جـنـح

أضيئي خاطر الدنيا ووار سناك في جرحي
أرى الأقدار يا حسناء مثوى جرحك الدامي
أريها موضع السهم الذي سدده الرامي
أنيلي مشرق الاصباح هذا الكوكب الظامي
دعيه يرشف الأنوار من ينبوعها السامي
وخلي ادمع الفجر تقبل مغرب الشمس
ولا تبكي على يومك أو تأسي على الأمس
اليك الكون فاشتفي جمال الكون باللمس
خذي الأزهار في كفيك فالأشواك في نفسي
إذا ما أقبل الليل وشاع الصمت في الوادي
خذي القيثار واستوحي شجون سحابه الغادي
وهزي النجم اشفاقاً لنجم غير وقاد
لعل اللحن يستدني شعاع الرحمة الهادي
إذا ما سقسق العصفور في أعشاشه الفن
وشق الروض بالألحان من غصن إلى غصن
أتتك خواطري الصداحة الرفافة اللحن
تغنيك بأشعاري وترعى عالم الحسن

ورغم اعجابي الشديد بهذا الشاعر الفحل وتقديري لفنه فإنني لم أكتم عنه ملاحظة لي على إحدى روائعه وهي قصيدته التي مطلعها :

أخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد، وحق الفدا

ففي الليلة التي أزمعت فيها الأمة العربية بأسرها الدخول في معارك حربية مع اليهود في فلسطين عام ١٩٤٨م، ألقى الشاعر علي محمود طه رائعته ذات المطلع آنف الذكر في الاذاعة المصرية ثم غنى هذه القصيدة المطرب الكبير محمد عبدالوهاب .. محافظاً على نص الشاعر وان اختصر القصيدة اختصاراً واعياً.

وقد سجلت ما ألقاه الشاعر وماغناه المطرب وظهر لي بعض الخطأ في القصيدة لغة وفكراً.

أما في اللغة فقد قال الشاعر :

أنتركهم يغصبون العروبة   مجد الأبوة والسؤددا؟

بفتح الدالين معاً مع أن الصحة اللغوية هي أن تكون الدال الأولى مضمومة لا مفتوحة وأن ترد كلمة (السؤدد) بصيغة (السودد) بدون همزة على حرف الواو.

كما أورد الشاعر البيت الآتي :

وقبل شهيداً، على أرضها   دعى باسمها الله واستشهدا!

بفتح حرف التاء في استشهد وحرف الهاء والصحة ضم حرف التاء وكسر حرف الهاء حيث تجيء الكلمة (استُشهدا) لأن كلمة (استَشهد) بفتح التاء والهاء معناها طلب شهادة أحد ما أما كلمة (استُشهد) فمعناها أنه مات شهيداً في سبيل الله!.

أما الخطأ في الفكر فهو في قول الشاعر :

(يسوع) الشهيد على أرضها   يعانق في جيشه (أحمدا)

فإن يسوع في النص القرآني لم يصبه مستهدفوه بأذى حيث جاء في الآية الكريمة : «وما قتلوه، وما صلبوه ولكن شُبه لهم!

وكان من الممكن أن يجيء النص كالآتي :

(يسوع) النبي على أرضها   يعانق في جيشه أحمدا

بإبدال كلمة الشهيد بالنبي ولا يختل الوزن.

إلا إذا كان الشاعر يقصيد بالشهيد المراقب استتباعاً لورود الآية الكريمة : «وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نسك إنك أنت علام الغيوب، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ان

اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد».

فهنا تأتي كلمة الشهيد بمعنى المراقب ..

وإن كان هذا التخريج - إن جنح اليه - لا ينطبق تماماً على ما جاء في بيت الشاعر لأن قول الشاعر بعده هو :

وقبل شهيداً على أرضها دعى باسمها الله واستشهدا

لابد أن يفسر بأن مقصد الشاعر هو قتل المسيح لا ما نصت عليه الآية الشريفة التي ورد بها (بل رفعه الله إليه!)

ورغم تقديري للشاعر فلم أجد أي حرج في أن أورد له هذه الملاحظة لأهميتها لغة وفكراً .. وقد فوجئ الشاعر بذلك وقال إنه سيراجع الموضوع.

ولنعرف القارئ ببعض أبيات من هذه القصيدة :

أخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدى

أنتركهم يغصبون العروبة مجد الأبوة والسؤددا؟

وليسوا بغير صليل السيوف يجيبون صوتاً لنا أو صدى

فجرد حسامك من غمده فليس له بعد أن يغمدا

أخي أيها العربي الأبي أرى اليوم موعدنا لا الغدا

أخي أقبل الشرق في أمة ترد الضلال وتهدي الهدى

صبرنا على غدرهم قادرين وكنا لهم قدراً مرصدا

طلعنا عليهم طلوع المنون فطاروا هباء وصاروا سدى

ومن قوله في تحية أسد الجزيرة الملك عبدالعزيز آل سعود إبان زيارته لمصر في العاشر من شهر يناير ١٩٤٦م :

سلاماً ،طويل العمر، مصر تبثه باعذب ما رفت به شفتان

وللنيل أمواج يثبن صبابة بأفراح دور فوقه ومغاني

تجلى طرازاً في لقائك مفرداً رفارف خضراً في ظلال جنان

يحيى بك الشعب الحجازي شعبه ... وفيك يحيي «القبلة» الهرمان

تساءل فيها الصاحبان وقد بدت ... مخاضرها من لؤلؤ وجمان

وآفاقها «مكية» النور والشذى ... يضئن باقمار بهن حسان

جلاها المساء القاهري صباحة ... تغاير في لالائها القمران

أفي مصر؟ أم بطحاء مكة يومنا؟ ... هنا وطن أم ههنا وطنان

وتلك قطوف النيل دانية الجنى ... أم أن قطوفاً «للرياض» دواني

هوى لك يا «عبدالعزيز» اصارها ... وما اختلفت في صورة ومكان

فإن تذكر الأوطان والأهل عندها ... فما مصر إلا موطن لك ثاني

وما هي إلا أمة عربية ... موحدة في فكرة ولسان

أما مؤلفات الشاعر علي محمود طه وحسب تسلسلها التاريخي :

الملاح التائه، ليالي الملاح التائه، أرواح شاردة، أرواح وأشباح، زهر وخمر، أغنية الرياح الأربع، الشوق العائد، شرق وغرب.

وكان الشاعر حريصاً على أن يخرج انتاجه في أجمل رونق، وأبهج حلة.

الشاعر علي الجارم



الشاعر الجهير على الجارم هو أحد أفذاذ العربية الكبار والذين حفروا أسماءهم في قلاعها بأحرف من نور ..

ومنذ أن قرأت الشاعر علي الجارم أحببته تابعت مؤلفاته ورجوت أن يتيسر لي لقاؤه شخصياً ..

وقد تتحقق الأماني دون موعد فإذا بي مرة وأنا أركب (ترام جزيرة الروضة) آنذاك أواجه أمامي هذا الشاعر العملاق في الدرجة الأولى من الترام المشار إليه حيث تعرفت عليه وعلمت أنه يسكن الروضة وأخذت معه بأطراف الحديث وإبداء إعجابي بمؤلفاته وقريضه الفحل وأسلوبه الفذ، وأخبرني انه قادم من مجمع اللغة العربية حيث أنه أحد أعضائه الأوائل ..

وقد أخذت منه موعداً تشرفت فيه بلقائه ومطارحته الحديث في داره وكان له حضور جذاب، وطلعة بهية محببة، ثم ترددت عليه في داره العامرة كثيراً ..

وعلى سجيتي فقد أخبرته بأنني أحفظ الكثير من أشعاره المميزة، وأنشدته بعضها، وقد كتبت عن هذا اللقاء في جريدة (البلاد السعودية) التي كان يرأس تحريرها لاصحفي الكبير عبدالله عريف.

ثم ذكرت له طرفة قرأتها في مجلة (الرسالة) للزيات ورواها الأستاذ الأديب محمد حسنين مخلوف تلميذ الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي حيث ذكر

الأستاذ مخلوف أن الرافعي كان ينعي على الشعراء المصريين ضعف خيالهم ورخاوة تصوراتهم ولذلك فقد أتاه الأستاذ مخلوف وأنشده الأبيات التالية من احدِ قصائد الجارم دون أن يخبره باسم الشاعر وقال له إنها لشاعر مصري والأبيات من قصيدة يقول فيها الجارم :

لعبت بك الحسناء تدنو ساعة … فتثير ما بك ثم تهجر عاما
والحب مما لم تكتنفه شمائل … غر يعود معرة واثاما
والحب أحلام الشباب إذا زهت … ما أطيب الآمال والأحلاما!
والحب شعر النفس ان هتفت به … سكن الوجود واطرق استعظاما!

إلى آخر ما قال :

فطرب الرافعي وسأله من القائل ؟ فذكر له انه الشاعر علي الجارم فكان رد الرافعي - معانداً - إنني حين أتصور أن الجارم من رشيد ورشيد على ساحل البحر فلذا أعتقد أن دمه ليس خالصاً لمصر. ومن شعر الجارم في مطلع احدى قصائده :

ملَ من وجده ومن فرط ما به … وأراق الشراب من أكوابه!
وإذا القلب أظمأته الأماني … فماذا يريده من شرابه؟
وإذا النفس لم تكن موطن الأنسي … تناءى القريب من أسبابه
وأشد الآلام أن تلزم الثغر … ابتساما، والقلب رهن اكتئابه!
أنا قلبي من الشباب وجسمي … أمحن الشيب رأسه بحرابه
أمل هذه الحياة فهل يعثر … بي الموت دون وشك طلابه؟!

وروى الدكتور زكي مبارك في - مجلة الرسالة - أن الأستاذ علي الجارم أوفد إلى (بغداد) مرة لحضور مؤتمر طبي وبرفقة بعثة، وكتبت صحف بغداد أن بالوفد شاعر مصر الكبير على الجارم الذي سينشد قصيدة تحية لبغداد وذكر مبارك أنه غضب لهذه التسمية غيرة من الجارم وأوعز إلى الجالية المصرية التي ستحضر الحفل الذي سيلقي فيه الجارم قصيدته في بغداد أن يخذلوا الجارم فلا يحيونه وألا يصفقوا له مطلقاً حين انشاده.

وحينما حضر الجارم بقامته المديدة ثم القائه الفذ حين بدأ انشاده ذكر مبارك أنه كان أول من جن طرباً لالقائه وكان أول المصفقين والهاتفين!

وهذه القصيدة الجارمية هي التي يقول فيها :

بغداد يا بلد الرشيد ... ومنارة المجد التليد
يا بسمة لما تزل ... زهراء في ثغر الخلود
يا موطن الح بالمقيم ... ومضرب المثل الشرود
يا سطر مجد للعروبة ... خُط في لوح الوجود
يا راية الاسلامة والإسلام ... خفاق البنود
يا مغرب الأمل القديم ... ومشرق الأمل الجديد
يا بنت دجلة قد ظمئت ... لرشف بسمك البرود
يا جنة الأحلام طال ... بقومنا عهد الرقود!
رأيتها في سربها ... كالبدر بين أنجم
جاءت فقبلت يدي ... بثغرها المنظم
فليت كفي خدها ... وليت ثغرها فمي!

والشاعر الجارم هو أحد أمراء الكلاسيكية المعدودين والذين لا يتجارون في فخامة أسلوبهم تلك الكلاسيكية الحديثة العصرية إن صح التعبير!

ومن قوله في قصيدة (خلود) التي كتبها في ذكرى الشاعرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم عام ١٩٤٧م :

ضل شعري وندّ عني بياني ... ما على الشاعرين لو أرشداني
ضاع في ظلمة المشيب أنينا ... وبكى في الصبا بياض الأمني
مزهرّان في قفار فلاة ... وابن غصن شدا بلا أغصان
أنا في أمة بها جدول الضرب ... طفا سيله لعى الأذهان
في كساد القريض أخفيت دري ... وخزنت الغريب من مرجاني!

وإذا كان شعر الجارم رائعاً وقريضه فحلاً فإن نثره لا يقل روعة عن شعره، وكتبه النثرية العشرة والتي هي قصص تاريخية التي سنذكرها في آخر هذا الحديث تشف عن المدى الرفيع الذي وصل إليه هذا الأديب الكبير وسحر به ألباب البلغاء ..

ومن نماذج نثره قوله في موضوع (ولادة بنت المستكفي) ..

«.. وقامت معه ولادة وهي تنظر إلى ابن زيدون نظرة بهمة فيها اعتذار، وفيها ألم واشفاق ..

سارت ولادة، وابن عبدوس فانطلقا مع الضيوف هنا وهناك في افناء الحديقة يتجاذبون أطراف الحديث، ويتناقلون الأفاكيه والنوادر في مرح وابتهاج، وجلس ابن زيدون وحده مطرقاً، وقد لعبت به هواجس نفسه، وعصفت به لواعج حبه أين أنا؟ وأين كنت؟ ومن هذه التي كانت بجانبي حتى أخذها هذا المنحوس الطلعة، والأغم القفا، والوغد المأفون، أهذه ولادة؟ ولادة بنت المستكفي الذي صورت للجمال مثالاً، وللظرف عنواناً ..».

وولادة هي التي أثر عنها هذان البيتان الماجنان :

أنا والله أصلح للمعالي	وأمشي مشيتي وأتيه تيها
أمكن عاشقي من لثم خدي	وأعطي قبلتي من يشتهيها!

وقد كتب العقاد مقدمة رائعة لديوان الجارم كما رثى الشاعر بقصيدة من روائعه الماتعات ..

وممن رثى الشاعر الجارم الأساتذة الكبار أحمد العوامي بك، ومحمود غنيم، ومحمود حسن إسماعيل، ومحمد عبدالغني حسن وإبنه الأستاذ بدر الدين علي الجارم :

ومن شعر الأستاذ محمد عبدالغني حسن في رثائه :

سكت الصوت الذي دوى زمانا	وطوى الموت من الفصحى بيانا
الفصيح القول قد أخرسه	قدر يخرس في الموت اللسانا
ما عهدناه على المنبر إلا	ماضيا كالسيف نصلا وسنانا
يرسل الأشعار حمراء اللظى	والاغاريد صفاء وليانا
كان صوتا عربيا خالصا	يسلك البيض ويستنّ الرعانا
يقطع الأرض وهادا وربا	ويشق الجو متنا، وعنانا!

ومن شعر الأستاذ عباس محمود العقاد في رثائه :

فجعت مصر يوم نعي (علي) ... بالأديب الفهامة الألمعي
شاعر لازم القريض إلى أن ... كان يوم الفراق حرف رويّ
وقضى واجبين يوم قضى نحبا ... واعظم بالواجب المقضي
واجب الشعر والوفاء مدى العمر ... فطوبى لشاعر ووفي
ان جهد الرثاء لوعة راث ... في مضامين شعره مرثي!
لست أوفيه وصفه ان وصفا ... لعلي يغني غناء السمي
علم في الديار، صناجة في الحفل ... ركن في المجمع اللغوي!

بعض ملامح تاريخية :

- ولد الجارم بمدينة رشيد عام ١٨٨٢م.
- التحق بالأزهر في (١٨٩٦ - ١٩٠٤) ثم التحق بمدرسة دار لاعلوم.
- بعث إلى انجلترا في بعثة دراسية عام ١٩٠٨م، إلى جامعات انجلترا لأربع سنوات.
- عمل مفتشاً للغة العربية بدار المعارف ثم كبيراً لمفتشي اللغة العربية وعضواً بمجمع اللغة العربية منذ انشائه ثم عميداً لدار العلوم حتى بلغ الستين عام ١٩٤٢م.
- توفي في ٨ فبراير ١٩٤٩م.
- وللأستاذ الجارم مشاركات تأليفية تعليمية مدرسية في اللغية العربية تستحق الذكر بالشكر، وقد أفاد منها مئات ومئات من ألوف بل وملايين الطلبة، وقد شاركه في تأليفها جمهرة من علماء العربية الأفذاذ ولازالت من المناهل الصيبة التي يمتح منها طلاب العربية في سائر الأقطار العذب الصاف من قواعد لغة العرب! وناهيك بالنحو الواضح الابتدائي والثانوي، والبلاغة الواضحة!

وهكذا كان هذا العملاق واحداً من ركائز العربية ومفاخرها، وأفذاذها الذين لا يجود الدهر بأمثالهم إلا نادراً .. والذين أثروا العربية الخالدة أيما إثراء دون مَنّ في العطاء!.

الشاعر كامل الشناوي



ما كان ممكناً لطارق للقاهرة أو وافد إليها محب للأدب متعلق قلبه بالأدباء والشعراء مثلي ويوجد فيها صحفي كبير وشاعر عريق ومضياف سمح يسمى (كامل الشناوي) أن تفوته معرفته ويند عليه لقاؤه .. ذلكم كان حالي فعلاً مع الشاعر الموهوب اللطيف الأديب الجهير الأستاذ الكبير (كامل الشناوي).

ويوم عرفته كان له صالون يومي معروف كل ليلة في جريدة (الأهرام)، وكان هو رئيساً لقسم الأخبار في هذه الجريدة المعلمة وهو صالون يرتاده الأدباء والشعراء والكبراء والسياسيون فينعمون بلطف اللقاء، ولا يحرمون أيضاً من عشاء لذيذ بعد أن تكون رؤوسهم قد عمرت بالكلمة الشفافة والنكتة البارعة والقصيدة الماتعة والمثل الطريف، والحوار الثمين، والتعليق المبتكر.

وبصحبة الأديبة المعروفة والكاتبة الموهوبة بدار الهلال الأستاذة أماني فريد الشاعرة الرقيقة كان لقائي بهذه الشخصية الظريفة المحببة (كامل الشناوي) الذي يرحب بكل زائر ويهش لكل ضيف.

كان مجلس هذا الشاعر الرقيق لا يمل ومهما طال بالمرء الجلوس فإنه سيلقى من الأنسة والمتعة ما ينسيه مرور الوقت وما يجعله منجذباً إلى إطالة الجلوس، ومتابعة الاستمتاع به.

والشاعر (كامل الشناوي) أحد الأفذاذ المعدودين الذين فاتهم التعليم المدرسي حيث لم تزد حصيلتهم منه على المرحلة الابتدائية ولكنهم عبوا من مناهل الثقافة الأصيلة ما جعلهم يزيدون على من حظوا بدرجات الماجستير والدكتوراه دون أن تكون عندهم ربع حصيلتهم من صنوف الثقافة والمعرفة .. أمثال عباس محمود العقاد، ومصطفى صادق الرافعي .. وغيرهما ..

وكان لكامل الشناوي القدح المعلي في صنوف الفكر المبدع فقد كان يملك خلقاً رضياً، وشعراً سمياً، وقلباً ذكياً وأنفاً حمياً:

ولساناً صيرفياً صارماً ... كحسام السيف ما مس قطع!

وفي مجلسه كان كثير من الشعراء شداة وأصلاء ينشدونه أشعارهم مستلهمين رأيه وفكره فيما يقولون فيكون له النقد اللماح الذي يتمن أحياناً السخرية التي لا تجرح مما ينطبق عليه قول الشاعر حافظ إبراهيم في صنوه وزميله الشاعر الكبير (إسماعيل صبري):

لقد كنت آتيه في داره ... وناديه فيها زها وازدهر

واعرض شعري على مسمع ... دقيق يحس نبو الوتر!

ولقد تكررت زياراتي لندوة هذا العملاق، وكان ينشدني من شعره الرقيق الجميل الكثير الحافل كما كنت أبادله إنشاد شعري وأفيد من حصيف آرائه وعميقها الكثير والكثير ..

كما كان يحب من سامعه أن يغربل معه شعره وأن ينقده وتلك سمة تواضع لا تستغرب من رجل الفكر المتاز.

ورغم رقته وانسانيته فقد كان كاتباً جريئاً صعب الشكيمة!

وحين قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، حياها بكلمة مرهفة في جريدة الأهرام، وذكر أن الباخرة المحروسة قد ارتحلت تحمل ذل مصر وعبودية مصر تحمل (فاروقا) الأول والأخير .. هذا بالرغم من أن ان فاروق الطفل أحمد كان معيناً خليفة لأبيه وأن هناك أوصياء على العرش عينوا ليحرسوا له ملكه الذي نحي عنه بدوره فيما بعد .. حيث أعلنت الجمهورية في البلاد!.

ولندع صحفية هذا العملاق لنستمتع بالطرائف من شعره الرقيق، وحضوره الأنيق، حيث كان له أسلوب شعري مبتكر ..

وبعنوان (حبيبها) يقول كامل الشناوي :

حبيبها لست وحدك ... حبيبها أنا قبلك
وربما جئتُ بعدك ... وربما كنت مثلك
فلم أزل ألقها ... وتستبيح خداعي
بلهفة في اللقاء ... برجفة في الوداع!
بدمعة ليس فيها ... كالدمع إلا البريق
برعشةٍ هي نبض ... نبض بغير عروق
حبيبها وروت لي ... ما كان منك ومنهم
فهم كثير .. ولكن ... لا شيء نعرف عنهم

ويقول بعنوان (لست أشكو) :

لست أشكو منك ... فالشكوى عذاب الأبرياء
وهي قيد ترسف ... العزة فيه والاباء!
أنا لا أشكو ففي الشكوى انحناء ... وأنا نبض عروقي كبرياء!

ويغلب الفكر الصحفي على شعره حيث يخاطب قلبه وكأنه طفله فيقول (في قلبي) :

أنت قلبي فلا تخف ... وأجب هل تُحبها؟
وإلى الآن لم يزل ... نابضاً فيك حبها!
لست قلبي أنا إذن ... إنما أنت قلبها!

ويصف ألمه بنفس الفكر الصحفي حينما يصف نفسه وكأنه طفل «تشد أذنه» الوساوس والآلام فيقول من قصيدة (لا تكذبي) :

لا تكذبي

إني رأيتكما معا

ودعي البكاء

فقد كرهت الأدمعا

ما أهون الدمع الجسور إذا جرى

من عين كاذبة فأنكر وادعى

ثم يقول منها :

ويشب في قلبي حريق

ويضيع من قدمي الطريق

وتطل من رأسي الظنون

تلومني (وتشد أذني) !

فلطالما باركت كذبك كله

ولعنت ظني !

وقد وصف (كامل الشناوي) بأنه شديد الضعف أمام المرأة وأن الحب طالما طرق قلبه وآلمه وعذبه فهو كما قال الشاعر في مثيله :

أنـت في مصـر دائـم التمهيد — بـين حـب عفـا، وحـب جديـد!

وكان لمركزه الصحفي المرموق أثره في تجمع الكثيرين حوله وإلى حرص المرموقين من المطربين على التغني بأشعاره أمثال الأستاذ محمد عبدالوهاب والأستاذ عبدالحليم حافظ والمطربة (نجاة الصغيرة). وغيرهم ولذلك فإنه يُعد أيضاً شاعراً غنائياً من الطراز الأول. والأسلوب الغنائي في الشعر الفصيح لا يستلين لكل شاعر وهذه ميزة تذكر للشاعر الشناوي!

أما عن ضعف الشعراء أمام النساء فلم ينج منه غير أبي الطيب المتنبي !

ولقد كان (كامل الشناوي) ضخم الجثة منظره لا يخلب المرأة رغم كرمه ورقته، وقد أوقعه سوء الطالع مرة في حب مطربة معروفة ولكنها صغيرة السن بالنسبة له، وإعجابه بها وحبه لها دفعاه إلى مراقبتها. وهنا كنت الكارثة فقد اكتشف أنها

مدلهة بحب سواه وانه في حبه لها إنما يقبض على سراب فشكا وبكى ورغم عميق حبه لها إلا أنه لم يجد عزاء في مداراة هذا الحب وتحمل آلامه إلا باللجوء إلى الشعر حيث كتب فيها قصيدته المشهورة (لا تكذبي) والتي غناها صديقه الفنان (عبدالحليم حافظ) واخترنا جزءاً منها وهكذا أكبر الشعراء عرضة لافتراس الحب، وتعثر الحظ ..

ومن شعره قصيدة عنوانها (الحسن الثرثار) يقول منها :

داري غرامك ما بدالك داري	أنا بالصبابة هاتك استاري
هيهات لا أقوى على كتمان ما	باحت به عيناك من أسرار
عيناك حدثتا بما سكرت به	روحي، وعربد خرمه بوقاري
واذا سكت عن الهوى وحديثه	كيف السكوت لحسنك الثرثار؟
يا فتنة هدت الفؤاد إلى هوى	حلو العذاب مطهر الاوزار!
أفديك راضية فقلبي فرحة	نشوى وأحلام الصبا سماري
افديك غاضبة ولو لم تغفري	انكرت ليلي واتهمت نهاري!
أفديك صامتة يضج بحبها	قلبي وتهمس حولها أفكاري!
أفديك شادية فصوتك فتنة	قهارة كجمالك القهار!

واستشعار (كامل الشناوي) للبؤس جعله يقول في (عيد ميلاده) :

عدت يا يوم مولدي	عدت يا أيها الشقي
الصبا ضاع من يدي	وغزا الشيب مفرقي
ليت يا يوم مولدي	كنت يوماً بلا غد
أنا عُمر بلا شباب	وحياة بلا ربيع
اشتري الحب بالعذاب	اشتريه .. فمن يبيع؟

وقد كان (كامل الشناوي) صديقاً لشاعر البؤس (عبدالحميد الديب) وكان يعطف عليه ما استطاع، وإذا كان البؤس يُعدي فكثيراً ما كان يشعر (كامل الشناوي) بعدوى الديب له في ذلك!

والديب على علو كعبه في الشعر كان بالكاد يعثر على اللقمة ويبحث عنها أياً كان مصدرها ويقول عن نفسه :

كأني بين الناس لعنة جيلهم   فمن شمت منه العيش أوسعني رفضاً!

وقد ولد كامل الشناوي في شهر ديسمبر سنة ١٩١٠م، في قرية (نوسا البحر) من أعمال مدينة المنصورة وتوفي يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٦٥م، وكما قلنا فقد كان حليفاً للحب وقد سأله صديقنا الشاعر (صالح جودت) عن سبب شقائه في الحب فردد البيت القديم الذي يقول :

فأما الملاح فيأبينني   وأما القباح فأبى أنا!

هذا ما هو من شأن عاطفيات صديقنا الشناوي ..

على أن من أجمل ما كان يدور في ندوة الشناوي المناقشات والحوارات بين شيوخ الأدباء والمفكرين وبين شبابهم والتي يستبين منها الكثير من بريق الحقائق باحتكاك الآراء .. في شتى ما يطرق من موضوعات ..

كما كانت هذه الندوة واحة حرية وكان صاحبها كالمايسترو الذي يستطيع أن يدير جوقة الموسيقى بخبرة ودراية وحنكة ..

توفـــيق الحكـــيم



عاش العملاق (توفيق الحكيم) منارة شامخة تضيء دنيا الأدب والفكر، ومثلاً عالياً من المثل العليا التي حفرت اسمها في قلاع الثقافة واستقطبت اعجاب الملايين وملأت الدنيا أدباً مسرحياً لفت الأنظار منذ تصدى هذا الأديب الكبير للكتابة للمسرح، وقد تصدى لذلك مبكراً، ولكنه مع المسرحية كتب الرواية والمقال الاجتماعي أو السياسي. حصل هذا الأديب الفنان على ليسانس الحقوق، وبناء على رغبة و الده سافر إلي فرنسا للحصول على درجة الدكتوراه، ولكنه أنفق كل المدة المخصصة له للتحصيل في دراسة حياة الفكر في بلد الفكر وزيارة المعارض والمتاحف وحضور الندوات. والتوفر على اتقان اللغة الفرنسية ومعايشة الحياة الفرنسية الغربية معايشة النهم المشوق حتى أصاب من كل أولئك الكثير. كما لم يفته أن يتعرف على الحب في بلد الغربة الذي زوده ببعض التجارب العاطفية الحياتية، وعلمه لوناً من الصراع مع المرأة فهو (عصفور من الشرق وهي حية تسعى)، وأمضى في الغربة مدة تزيد على عشر سنوات أكثرها بجوار الفتاة (ساشات)، والفتاة (إيما) وغيرهما.

وحديثه عن هذه السنوات العشر ظل زاداً يتزود منه وبه فيما استقبل من حياته، وهو حديث شائق يلذ سامعه بادئاً به ومعقباً.

أجل عاد توفيق الحكيم من اغترابه ليعمل بداية وكيلاً للنائب العام في الأرياف

وحظيت منه حياة الأدب بكتابه الرائع (يوميات نائب في الأرياف) الذي حوى من حياة النيابة في بدايتها ألواناً من الطرائف، وحظي باحتفاء الكتاب والقراء أيما احتفاء.

وفي هذا الكتاب استبان الأسلوب الأدبي البليغ الذي يملكه الأديب الكبير والذي خلب به ألباب القراء واستقطب اعجابهم.

كما أنه في هذه الأثناء كتب الأستاذ الحكيم مسرحيته (أهل الكهف) وهي أولى مسرحياته وتهيَّب نشرها إلا في ثلاثمائة نسخة. خشية ألا تلقى الرواج المطلوب.

وما أن تلقفها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين حتى كتب عنها محتفلاً بها أعظم احتفال، وذكر أنها بداية لفن مسرحي هام هو فن الحوار وأن مبتكر هذا الفن حديثاً هو توفيق الحكيم.

ورغم أن الحكيم قد كتب مذكراً العميد بأنه لا يستحق أن يعد مبتكراً وأن الحوار قد سبقه إليه (الجاحظ) وآخرون إلا أن الدكتور العميد أصر على رأيه، وكان رأيه هذا هو بداية ومفتاح الشهرة العريضة التي تمتع بها الأستاذ الحكيم.

ثم كتب الحكيم رواية (عودة الروح) ثم رواية (شهرزاد) اللتين كان لهما أصداؤهما العظيمة واستمر تدفق سيل رواياته ومسرحياته ومؤلفاته حتى ملأت رفوف المكتبات أدباً وفكراً، وكانت سبباً في أن ينال ما يستحق من رفعة في سلسلة الوظائف الرسمية. ومن مكانة عظيمة في أوساط المجتمع الثقافي والعام.

ومن المناصب التي تولاها إدارة التحقيقات بوزارة المعارف وفي أول عهد الثورة عُين مديراً عاماً لدار الكتب المصرية.

ولقد تعرفت بالكاتب الكبير أول ما تعرفت عليه كما سبق أن قلت مع الصديق الجهير الأستاذ (سيد قطب) ثم سعدت بزيارته في مكتبه بالأهرام تأكيداً لهذا التعارف مع صديقي الشاعر الكبير محمد الفيتوري، وكررت زيارته وكان الحكيم حديثاً بارعاً في كل ظروف لقائه، وإذا أمسك بطرف حديثه الشائق فإنه لا يكاد يفلته، كما أن السامع إليه يود منه أن يطيل حديثه ا لرائع الذي هو مشبع دائماً بالفائدة والآراء الحديثة.

وأكثر كتب الحكيم مُثلت في السينما والمسرح وحظيت بإعجاب الجماهير كما أن

جانباً من كتبه ترجم إلى عدة لغات أجنبية في طبعات متعددة ولاشك أنه كان من أحق الناس للحصول على جائزة (نوبل).

وكان الأستاذ الحكيم أحد كتاب مجلة (الرسالة) الأفذاذ وفارس معلم من فرسانها، فازت منه بالمئات من المقالات في شتى ألوان المعرفة. كما تبادل مع فرسانها الآخرين مناقشات الفكر، وصراعات النقد لاسيما مع الدكتور زكي مبارك الذي كان صاحب الرسالة (الزيات) يسميه الملاكم الأدبي في ثقافتنا الحديثة والذي لم يسلم من قلمه ونقده أديب وأحد معلم أمثال الدكتور طه حسين والدكتور أحمد أمين والدكتور محمد أحمد الغمراوي والأستاذ السباعي بيومي والأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني.

وسيكون هذا الموضوع مجالاً للحديث عن الدكتور زكي مبارك حينما أكتب عنه في موضوع (عرفت هؤلاء) إن شاء الله.

أما عن سبب اطلاق لقب (عدو المرأة) على كاتبنا المبدع وعن سبب اضرابه عن الزواج طيلة الزمن المديد الذي مر به فهما في طرفة يرويها الحكيم مضمونها أن أحد أصدقائه قد ألح عليه بضرورة الزواج ولم يكن متاحاً له بداي زن يتعرف على العروس المرحشة شخصياً ولذلك فقد أحضر له صورة فوتوغرافية لعروس رشحها له، ثم طلب إليه أن يحضر له صورة فوتوغرافية لكي تراها العروس.

ولما لم تكن لديه صورة جاهزة فقد ذهب الحكيم مع صديقه إلى استوديو تصوير ليعمل صورة له ثم عاد إليه ليشاهد البروفة، وهنالك لاحظ انحرافاً في الشارب فرغب المصور أن يصلحه له، وحينما حضر إليه صديقه أخبره بذلك فذكر له هذا الصديق أنه مر بدوره على المصور واستحسن لديه أن يلغي الشارب حيث أن صورة الحكيم بدون شارب ستكون أجمل وأوقع. وحينما احتج الحكيم على تصرف صديقه رد عليه وماذا في هذا التصرف وهل تظن أن أهل العروس لم يعملوا رتوشاً جمالية صورة العروس؟ وهنا تراجع الحكيم نهائياً عن فكرة الزواج مادام أن صورة المرشحة لم تخل من الزيف، واستمر على موقفه طويلاً إلي أن قدر له فيما بعد أن يتزوج وأن يرزقه الله إبناً فناناً موسيقياً هو إسماعيل ثم يتدخل القدر ليفقده زوجه وهذا الابن وهو في ريعان شبابه، وازدهار عطائه، وفرحة أبيه بنبوغه في فنه، وأمله

أن يحيي ذكره بعد وفاته، ولكن أمرو الله نافذ ولا راد لقضائه ولا عاصم من بلائه! وفي كتب الحكيم كان موقفه دائماً رفض الظلم والحيف وبالرغم من أن الرئيس عبدالناصر كان معجباً بالحكيم فإن الحكيم اعتذر عن لقائه حتى لا يظهر وكأنه محاب للسلطة مع انه كان يقول إن كتاب الحكيم (عودة الروح) كان مما حفزه على الثورة وذلك فيما عدا مرة التقاه عابراً لما لا يزيد عن ثلاث دقائق. وفي أيام حكم الرئيس عبدالناصر عذب أستاذ جامعي هو الدكتور عبدالمنعم الشرقاوي عذاباً بلغ من شناعته وقسوته أن أنكر شكله أهله ومعارفه فكتب الحكيم إلى عبدالناصر يقول بجرأة (هذه لطخة سوداء في جبين الثورة لا يمكن الدفاع عنها أمام التاريخ!).

وبعد وفاة الرئيس عبدالناصر نشر كتاباً هاماً يتضمن نقداً لاذعاً لعهده عنوانه (عودة الوعي). وبالنسبة للرئيس (أنور السادات) فقد كتب الحكيم بياناً وقعه معه مجموعة من كبار المفكرين ينتقد فيه عدم حسم أمر الحرب مع اسرائيل مع بقاء الشباب الذين أعدوا للمعركة دون أن يكلفوا بممارستها، وقد غضب (السادات) لهذا التصرف وعاقب من وقعوا البيان مستثنياً الحكيم، ونجيب محفوظ .. وكل ذلك كان تدخلاً منه في سياسة الحكم دون أن يتهيب سلطة الحاكم في سبيل ما اعتقد أنه عمل في مصلحة الشعب.

وقد زرت كاتبنا العظيم مرة في مكتبه الضخم في الدور السادس من مبنى الأهرام وكان معي الشاعر الفلسطيني الكبير معين بسيسو الذي كان يعمل في الأهرام، ومن الحضور كان الأساتذة نجيب محفوظ، وحسين فوزي، ويوسف السباعي، وثروت أباظة، ويوسف ادريس ، وزكي نجيب محمود.

وسأل الحكيم الشاعر معين عن عطائه الجديد فأنشد قصيدة قومية طرب لها الحضور. ورغب إليّ أن أنشد إحدى قصائدي فأنشدت قصيدة عنوانها (عيناك) :

عـيـنـاك أغـنـيـتـا حـنـان ... سـحـر يـهـدهـده افـتـتـان
رنـتـا فـاشـعـلـتـا دمـي ... وافــتـر في الخـافـقـان
عـيـنـاك أم مـوج المحبـة ... ضـل فـيـه الـعـاشـقـان؟
اتـراهـمـا وتـران إذ ... يـتـنـاغـيـان، فـيـذهـلان

حلم الطفولة فيهما ... غض كزهر الاقحوان
خفر يرف عليهما ... أبداً فيزهو الحاجبان
ويهل فجر للسعادة ... يغرد طائران
عيناك أم هي تمتمات ... النرجس الوسنان أم ألق الجمان؟
تعدان بالوصل الشهي ... ويمطل الوعد الزمان
كسبا رهان القلب لكني ... خسرت أنا الرهان!
يا غادتي والحر يأنف ... أن يذل، وأن يدان
متمرد أنا فيم قلبي ... للهوى العلوي لان؟
حُر حببت الأسر عندك ... ما شكوت به هوان
الحب فوق صدى العناد ... وفوق جور العنفوان
وترفق الخل الوفي ... يفوق عز الصولجان
أهواك هل لهواي في ... نبضات قلبك من مكان؟

ثم سأل الحكيم إذا كان هناك من يروي قصيدة الشاعر (علي محمود طه) (حديث قبلة) فلم يكن في المجلس من يحفظها فتطوعت بروايتها وهي :

تسائلني حلوة المبسم ... متى أنت قبلتني في فمي؟
تحدثت عني وعن قبلة ... فيالك من كاذب ملهم
فقلت أعاتبها بل نسيت ... وفي الثغر كانت وفي المعصم
فإن تنكريها فيما حيلتي ... وها هي ذي شعلة في دمي؟
سلي شفتيك بما حسّتاه ... من شفتي شاعر مغرم
ألم تغمضي عندها ناظريك ... وبالراحتين لم تحتمي؟
فإن شئت أرجعتها ثانيا ... مضاعفة للفم المنعم
فقالت وغضت بأهدابها ... إذا كان حقا فلا تحجم

سأغمض عيني كي لا أراك ... وما في صنيعك من مأثم

كأنك في الحلم قبلتني ... فقلت وافديك أن تحلمي!!

ويبدو أن الحكيم كان معجباً بها ..

وهكذا كان مجلس (توفيق الحكيم) مجلس أنسة وامتاع لاسيما وأن الحكيم مع علو مركزه كان يتمتع بفضيلة التواضع ومجاملة زملائه!

وملخص رأي الحكيم في الحب هو قوله :

(إن الحب قصة لا يجب أن تنتهي، وجوهر الحب مثل جوهر الوجود لابد أن يكون فيه ذلك الذي يسمونه (المجهول) أو (المطلق) وبموت الحب في الأرض ينتهي العالم)!.

وقد ولد الحكيم ٩ اكتوبر ١٨٩٨م، بحي محرم بك بالاسكندرية وتوفي ٢٦ يوليو ١٩٨٧م.

وبذلك يكون قد نسيء له في الأجل وعاش عمراً مديداً حافلاً كسبت من خلاله العربية أعظم المكاسب وأجلها، وفازت بالعشرات من مؤلفاته الثمينة الباقية التي هي ركائز تعتز به الأجيال.

ووالده الشيخ إسماعيل من رجال القضاء ولذلك كان يحب لولده أن يحصل على الدكتوراه من فرنسا ليكون أحد كبار رجال القضاء!

وفي مرض الحكيم الذي أعقبته وفاته لازمه الصديق الصحفي الجهير (صلاح منتصر) ملازمة تامة وأدار معه حواراً تضمن آراء هامة للحكيم وقد رأيت أن أجتزئ جزءاً بالنص من هذا الحوار فيما يلي لأطلع القارئ على بعض آراء وخطرات كاتبنا الكبير مع التقدير للصديق منتصر :

- قلت له : لو كتب لك أن تعيش حياتك من جديد ما الذي كنت تعمله غير ما حققته؟

قال : كنت أهتم بأشياء لم أهتم بها مثل هواية ألعاب رياضية، أو بعض الألعاب المسلية، مثل : الطاولة، أو الشطرنج، فأنا عشت حياتي بدون هواية، وبدون ألعاب رياضية، أو متعة .. طبعاً أنا لا أتكلم عن متعة الطعام والشراب والدخان.

ولكن من الضروري أن يكون لدى الإنسان هواية غير المتع الفكرية تسليه. ولأنني

مفلس تماماً في هذه الناحية تجد أنني أعيش الآن حياة كئيبة.

- ما هو أجمل شيء في حياتك؟

قال : لا شيء .. لأن الحاجات الحلوة تأتي وتذهب بسرعة مثل السعادة.

- ما هي السعادة؟

السعادة إحساس بالرضا التام، وهذا الرضا التام لم يكن موجوداً في حياتي.

- قصدك أنك لم تشعر في حياتك أبداً بالسعادة؟

مشكلة السعادة أنها عندما تأتي لا تشعر بها إلا بعد أن تذهب، يعني لو السعادة كانت تقول لك أنا أهو .. أبداً .. السعادة تحضر من غير أن تشعر بها على عكس الغم ..!

- قلت : لماذا يبدو التشاؤم عندك أكثر من التفاؤل؟

تقدر تقول نوع من الطبع .. وهذا جعلني حريصاً، لأن المتشائم يتمسك بحكمة القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود، أما المتفائل فتجده يقول : اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب.

- أيهما أحسن؟

أعتقد أن التفاؤل أحسن.

- هل الإنسان يحدد فلسفته. أم الفلسفة هي التي تحدد الإنسان؟

الانسان يحدد فلسفته .. لكن الفلسفة لا تأتي بسهولة، وإنما الفلسفة تأتي نتيجة فيلسوف يفكر في كل خطوة يواجهها، ويسأل لماذا...، لأن الفلسفة هي: لماذا؟ والعلم هو : كيف؟ العلم يسأل كيف تمشي الكواكب، وكيف جاء هذا المرض، ولكن الفلسفة تسأل : لماذا الحياة. ولماذا أموت؟.

- من هو أعظم المخترعين العلميين في رأيك؟

كل اختراع مفيد، إنما يمكن أحسنهم ذلك الذي أنقد الإنسانية من آلام كثيرة، يمكن الذي اخترع، أو اكتشف الاسبرين، أحسنهم لأنه بقرش صاغ استطاع أن يخفف، أو يداوي أمراضاً وآلاماً عنيفة.

- ما هي فلسفتك ككاتب؟

أنا مهمتي، أو فلسفتي ككاتب، ليست أبداً أن أجعل من يقرأ لي يتبع رأيي، ولكن أن أوقظ فيه رأيه، وكيف يكون رأيه هو، فإذا قال رأيه بعد ذلك حتى وإن كان مختلفاً

عن رأيي فإنني أعتبر ذلك نجاحاً كبيراً، أما إذا وافق على رأيي بعد ذلك فسيكون ذلك بمحض تفكيره، وباختياره.

- ما هو الحب الحقيقي في نظرك؟

الحب عندي مسألة غير واضحة.

- تقصد لم تعرف الحب؟

حب طياري .. دائماً من طرف واحد .. إما أن أحب طرفاً آخر لا يحبني، أو يحبني طرف آخر لا أحبه .. كما لو أننا قطاران يسيران في اتجاهين مختلفين .. يعني الحب عندي لم يحدث أن التقى فيه القطاران!

- ألم يكن زواجك عن حب؟

أنا تزوجت في سن متأخرة في الخامسة والأربعين، وشاهدتها لأول مرة مع صديق عرفت منه أنها أخته، وتبين لي أنها كانت تحب الشعر وقراءة الأدب، وأعجبت بشخصية محسن التي كتبتها في (عودة الروح) لدرجة أن دبلة الخطوبة التي اشتريتها - لأنني لم ألبس في حياتي دبلة - كتبت عليها اسم محسن ولم تكتب عليها اسمي، وكان يمكن أن أتبرأ من هذا الزواج.

- كيف أو لماذا - كما يقول الفلاسفة - اخترت اسم محسن؟

ما اعرفش .. لكن الذي أذكره أنني اخترت الاسم الأول دون أي سبب واضح أذكره، أما لقب عطيفي الذي اخترته له في (عودة الروح) فقد أمسكت بدفتر التليفون، وأخذت أقلب فيه، حتى عثرت على هذا اللقب، ثم ظهر لي فيما بعد صديق اسمه العطيفي هو المرحوم جمال العطيفي.

- هل أنت محسن فعلاً؟

اسماً يعني؟

- لا .. وصفاً ..؟

لا .. الكرم ده لا أظن أنه من صفاتي .. لكن أنا لا أعتبر نفسي بخيلاً، أو كريماً .. أنا رجل محايد من أتباع عدم الانحياز إلى دولتي البخل أو الكرم.

- ولكن المشهور عنك أنك بخيل؟

إذا كان كده يبقى من قلة.

- والمشهور انك ابتكرت حكاية البخل. وعداوتك للمرأة، وصداقتك للعصا،

والحمار والبيريه، للترويج لنفسك، والدعاية لشخصك؟

برنارد شو كان يقال عنه إنه يلبس أحياناً ملابس ملونة لافتة للنظر ويذهب بها في المجتمعات الممتلئة بالجماهير - مثل سباق الخيل، ولكن الذي أستطيع أن أعترف به، وأنا قرب ساعة رحيلي من الدنيا، وهذه حقيقة لم أهتم بقولها هي أني أفقر خيالاً وذكاء وابتكاراً من برنارد شو، وأن كل هذه الوسائل التي اعتبرت دعايات من ابتكاري كانت لها ظروفها الحقيقية في الواقع، ولم يكن لي يد فيها، أو التفكير في استخدامها، إلا بعد أن شاعت، فاستمر فيها، ولا أحاول تكذيبها لأني أعتقد أن التكذيب يثبت ولا ينفي، وأن من يقال عنه إنه مجنون ويقول إنه عاقل فإنه يثبت جنونه.

ولذلك كل إشاعة عني استمر فيها وأؤكدها، ولا أحاول نفيها إلا ما كان فيه ضرر للغير.

- تقصد انك رجل طيب؟

أنا أعترف أنني لست طيباً ولا خيراً ولكنني أقسم أني لم أضر أحداً، ولم أتسبب عمداً في الاضرار بمخلوق، حتى الصرصار الذي يسير أمامي لا أحاول أن أدوسه بقدمي، بل أتركه يعيش حياته. وفي رأيي أن الدعاية ذاتها لعمل أو انتاج لا يشين صاحبه، ما دام لا يضر بالغير، وكنت أحب فعلاً أن أكون أنا المبتكر والمبدع للدعايات عن أعمالي ولكني قليل الحيلة، والقدرة، والتفكير العملي في ذلك.

- ما هو أجمل ما كتبت؟

لا أستطيع أن أحدد .. فأنا أشبه نفسي بنحلة تنتج افرازات من زهور مختلفة، وهي نفسها لا تعرف لماذا .. أنا أعرف أنها تكون كتباً، ولكن النحلة تجمع افرازاتها من أزهار مختلفة. ولو سألتها أي نوع من العسل أحسن؟ - لا تستطيع المعرفة، لأن لذتها الحقيقية في الإفراز.

- ما هو الكتاب الذي تأثرت به؟

أنا تأثرت بكتب كثيرة في مختلف الاتجاهات: في المسرح وفي الأدب القديم، أهمها عندي في المسرح: أبسن وبيراندللو وبرناردشو، وفي الأدب العربي الجاحظ، اعتبره أهم واحد، ولدي له كتاب اسمه (المحاسن والأضداد) مكتوب عليه سنة أولى ثانوي، أول كتاب اشتريته بفلوسي، وموجود في ظرف عايش معايا إلى اليوم، رغم أن كتباً أخرى كثيرة غيره ضاعت.

أمـا مؤلفـات الحكيم فتبلغ خمسة وستين كتاباً باللغة العربية وهي كالآتي لمن أراد احصاءها :

محمد صلى الله عليه وسلم (سيرة حوارية)، عودة الروح (رواية)، أهل الكهف (مسرحية) شهرزاد (مسرحية)، يوميات نائب في الأرياف «رواية)، عصفور من الشرق (رواية)، تحت شمس الفكر (مقالات)، اشعب (رواية)، عهد الشيطان (قصص فلسفية)، حماري قال لي (مقالات)، براكسا لو مشكلة الحكم (مسرحية)، راقصة المعبد (روايات قصيرة)، نشيد الانشاد (ما في التوراة)، حمار الحكيم (رواية)، سلطان الظلام (قصص سياسية)، من البرج العاجي (مقالات قصيرة)، تحت المصباح الأخضر (مقالات)، بجماليون (مسرحية)، سليمان الحكيم (مسرحية) زهرة العمر (سيرة ذاتية - رسائل)، الرباط المقدس (رواية)، شجرة الحكم (صور سياسية)، الملك أوديب (مسرحية)، مسرح المجتمع (٢١ مسرحية)، فن الأدب (مقالات)، عدالة وفن (قصص)، أرني الله (قصص فلسفية)، عصا الحكيم (خطرات حوارية)، تأملات في السياسة (فكر)، الأيدي الناعمة (مسرحية)، التعادلية (فكر)، ايزيس (مسرحية)، الصفقة (مسرحية)، المسرح المنوع (٢١ مسرحية)، لعبة الموت (مسرحية)، أشواك السلام (مسرحية)، رحلة إلى الغد (مسرحية تنبؤية)، السلطان الحائر (مسرحية)، يا طالع الشجرة (مسرحية)، الطعام لكل فم (مسرحية)، رحلة الربيع والخريف (شعر)، سجن العمر (سيرة ذاتية)، شمس النهار (مسرحية)، مصير صرصار (مسرحية)، الورطة (مسرحية)، ليلة الزفاف (قصص قصيرة)، قالبنا المسرحي (دراسة)، بنك القلق (رواية مسرحية)، مجلس العدل (مسرحيات قصيرة)، رحلة بين عصرين (ذكريات)، حديث مع الكوكب (حواري فلسفي)، الدنيا رواية هزلية (مسرحية)، عودة الوعي (ذكريات سياسية)، في طريقة عودة الوعي (ذكريات سياسية)، الحمير (مسرحية)، ثورة الشباب (مقالات)، بين الفكر والفن (مقالات)، أدب الحياة (مقالات)، مختار تفسير القرطبي (مختار التفسير)، تحديات سنة ٢٠٠٠ (مقالات)، ملامح داخلية (حوار مع المؤلف)، التعادلية مع الإسلام والتعادلية (فكر فلسفي)، الأحاديث الأربعة (فكر ديني)، مصر بين عهدين (ذكريات)، شجرة الحكم السياسي ١٩١٩ - ١٩٧٩).

الشــاعــر إبـراهيـم نــاجــي



حديثي اليوم عن شاعر رائع لديه كل ما لدى الشخصية الممتازة من مزايا ومؤهلات ومقومات كما يملك نبضات قلب كبير لا يتمتع بمثيله إلا الأفذاذ مع روح إنسانية عالية.

وقد أطلق عليه الشاعر الكبير (صالح جودت) وهو الذي عرفني به لقب (شاعر الرقة العاطفية ..) كما تكرر ذهابي إليه مع الشاعرة (أماني فريد) التي تعد نفسها تلميذة عتيدة له.

وكان الناقد صلاح عبدالصبور يطلق على ناجي لقب الشاعر العظيم رغم اختلاف منهجهما على نحو ما إعجاباً به وإكباراً له!

ثم تعددت لقاءاتي بناجي في المقاهي التي كان يرتادها وفي الأمسيات التي كان يحييها!

وناجي شاعر ولد كبيراً .. وحينما صدر ديوانه (وراء الغمام) فإن ما ناله من التقدير كان ضئيلاً بالنسبة لسهام النقد الكثيرة التي وجهت إليه، ولكن ما حواه الديوان من الروائع ظل وهاجاً لم ينطفئ ضوؤه بالرغم من قسوة الناقدين .. وتألبهم عليه بغير وجه حق!

وربما كان أقسى ما وجه إليه كان نقداً من الدكتور طه حسين وكان الشاعر وقتها في (لندن) في مهمة علمية وكان صوت الدكتور طه لا يعلو عليه صوت من الأصوات.

وحين بلغ ناجي ما نُقد به ولاسيما نقد الدكتور طه أصابه الكثير من الفزع والخذلان والاكتئاب حيث جاء في بعض النقد عن ديوان (وراء الغمام) (انها أشعار حسنة ولكنها أشعار صالونات لا تتحمل أن تخرج إلى الخلاء فيأخذها البرد من جوانبها).

وبينما هو سارح في بعض شوارع (لندن) شارد الفكر دهمته سيارة أدخلت عظمة الساق في الحوض من فتحتيه فكسرته ونقل إلى مستشفى سان جورج حيث أجريت له عملية جراحية وقد رقد فيه أشهر ثم خرج بعدها - رغم نجاح العملية - يجر ساقية على عكازين.

ثم أعلن الدكتور ناجي انه سيترك قول الشعر فلم تعد له صبوة إليه، وهو يشهد كل هذا العقوق الأدبي!

وقد عزّت على أصدقاء ناجي مأساته فأبلغوا الدكتور طه حسين ما أصيب به من أذى، وكان أن تلطف الدكتور فعاد فكتب في صحيفة الوادي يقول:

«إنني لم أحزن حين رأيت الدكتور ناجي يعلن زهده في قول الشعر لأنني قدرت أن الدكتور ناجي إن كان شاعراً حقاً فسيعود إلى الشعر راضياً أم كارهاً سواء ألحت عليه في النقد أو رفقت به، وإن لم يكن شاعراً فليس على الشعر بأس في أن ينصرف عنه ويزهد فيه ..».

وقد سر ناجي بهذا التراجع من زعيم النقد العربي واعتبر هذه الترضية كافية لأن يعلن إلغاء ما سبق منه من قول بأنه سيهجر كتابة الشعر.

وعاد ناجي إلى التغريد بعد أن صحت ملكته الفياضة التي حاول إنامتها ..

ومن أحلى قصائده في هذه الفترة قصيدة (السراب في السجن).

احدى قصائد ملحمة (السراب) والتي يقول فيها:

يا سجين الحياة أين الفرار	أوصد الليل بابه والنهار؟
فلمن لفتة، وفيم ارتقاب	ليس بعد الذي انتظرت انتظار
والتعلات من هوى وشباب	قصة مسدل عليها الستار
ما الذي يبتغي العليل المسجي	قد تولى العواد، والسمار؟
طال ليل الغريب وامتنع الغمض	وفي المضجع الغضا والنار

وهب السجن بابه صار حراً ... لك لا حائل، ولا أسوار
وعفا القيد عنك كفا وساقا ... فإذا الأرض كلها لك دار
أين أين الرحيل والسيار ... بعدت شقة، وشط مزار؟
والخطى المثقلات باليأس اغلال ... لساقيك، والمشيب عثار
ما انتفاع الفتى إذا عفت الجنة ... واجتاح دوحها الاعصار؟
عشت حتى أرى خمائل حبي ... تتهاوى، كشامخ ينهار
تحت عيني ويذبل الحسن فيها ... ويموت الربيع، والأنوار
ما انتفاع الفتى بموحش عيش ... بعدت كأسه وطاح العقار!

ولقد كان ناجي في الحقيقة مدرسة كبرى من مدارس الشعر مدرسة مميزة برومانسيتها العالية..

كما كان أحد أركان جمعية (أبولو) الشعرية التي كان يرأسها أمير الشعراء أحمد شوقي ويقوم بسكرتاريتها الدكتور أحمد زكي أبو شادي والتي كان منسوباً إليها جمهرة الطليعة من شباب الشعراء البارزين وتعين ناجي وكيلاً لها.

وفي إحدى خطرات الدكتور زكي مبارك كشاعر أعلن في مجلة (الرسالة) انه سينشر قصيدة يتحدى بها كل شعراء مصر أن يباروه فيها أو يستطيعوا أن يحلوا في الأجواء التي حلق فيها .. ثم نشر هذه القصيدة في عدد تال من المجلة وقد كان بحق قصيدة رائعة، وجاء في مطلعها قوله :

تناسيتكم عمداً كأني سلوتكم ... وبعض التناسي العمد من صور الود
إذا اشتد اظلام العقوق تبلجت ... مآثر تذكي نار معروفكم عندي
أمثلي ينسى اه مما اجترحتموا ... على الهائم الولهان في حومة الورد؟

إلى أبيات جميلة أخرى ..

إلا أن الشاعر العظيم إبراهيم ناجي وفي العدد الذي تلا العدد الذي نشر فيه الدكتور زكي مبارك قصيدته في الرسالة طلع على القراء بقصيدة خالدة اتسمت

بالعلو والشفافية والكثير من الروعة وقد جاء في مطلعها وعنوانها (في الظلام) :

اليلاي ما ابقى الهوى بي من رشد   فردى على المشتاق مهجته ردي
اينسى تلاقينا وانت حزينة   ورأسك كاب من عياء ومن شهد؟
أقول وقد وسدته راحتي كما   توسد طفل متعب راحة ألمها
تعالي إلى صدر رحيب وساعد   حبيب وركن في الهوى غير منهد
بنفسي هذا الشعر والخصل التي   تهادت على نحر من العاج منقد
ترامت كما شاءت وشاء لها الهوى   تميل على خد، وتصدف عن خد
وتلك الكروم الدانيات لقاطف   بياض الأماني من عناقيدها الربد
ألا كل حُسن في البرية خادم   لسلطانة العينين والجيد والقد
وكل جمال في الوجود حياله   به ذلة الشاكي ومرحمة العبد
لقد أقفر المحراب من صلواته   فليس به من شاعر ساهر بعدي
وقفنا وقد حان النوى أي موقف   نحاول فيه الصبر والصبر لا يجدي
بعينيك استهدي فكيف تركتني   بهذا الظلام المطبق الجهم استهدي
بحبك استشفي فكيف تركتني   ولم يبق غير العظم والروح والجلد؟!

وبالطبع فقد فرعت قصيدة ابراهيم ناجي قصيدة الدكتور زكي مبارك بما حفلت به من صور رائعة، ومن شحنات عاطفية بالغة الرقة والشفافية والتحليق، ومن صياغة بارعة ماهرة!

ولم يعلق الدكتور زكي مبارك علي القصيدة بشيء ولعله قد أحس بسموها وتحليقها وشعر أنه لو ناقش فسوف لا يصل إلى أهدافه فروعة قصيدة ناجي لا يختلف في تقويمها اثنان وترجح كفته على غيره.

ومن صوره للقاء المحبين يلخص ذلك في بيتين لعاشقين يتمشيان معاً على كورنيش الجزيرة :

يا لحظة ما كان أسعدها … وهنيهة ما كان أعظمها
مر الغريب فباعدت يدها … وخلا الطريق فقربت فمها!

ويقول في مقطوعة عنوانها (سر بي) :

أحبك فوق ما عشقت قلوب … ولا أدري الذي من بعد حبي
واعلم أن كلي فيك فانٍ … وعيني فيك ذائبة وقلبي
واعلم أن عندك من تنادي … خفيا هاتفا وأنا الملبي
واعلم أن حبي ليس يشفى … وبعدي ليس يجديني، وقربي
ولما لم أجد للحب حلا … هتفت به كما يرضيك سر بي
وخذني حيث هند لا تسلني … لأية غاية، ولأي درب!

وناجي يملك خاصية عجيبة وهي أنه يرتجل - كتابة - القصيدة الجيدة التي قد تزيد على العشرين بيتاً في جلسة واحدة .. وانها لموهبة كبرى.

وقد شهدته شخصياً وهو يكتب قصيدة للأستاذ الكبير سامي الكيالي لينشرها في مجلته المسماة (الحديث) التي تصدر في بلدته (حلب).

وإذا كانت قصيدته الأطلال التي سيأتي ذكرها قصيدة ناجحة فإن له قصيدة أخرى ماتعة عنوانها (ظلام) يكفي أن بها هذا المقطع الرائع :

برئت نفسي من الحقد ولم … أخف ضغنا لك بين العبرات
إن يوماً واحداً أسعدني … جمع الأفراح طرا من شتات
وهو عمر كامل عشت به … كل أعمار الهوى مجتمعات
لست أنساك وقد علمتني … كيف يحيا رجل فوق الحياة!

وقد ذكر أن إبراهيم ناجي كان يود - وهو الشاعر العاطفي الرقيق - لو أن كوكب الشرق السيدة أم كلثوم قد غنت له إحدى قصائدة ولكن لم يتحقق له ذلك في حياته إلاأنها غنت له قصيدة (الأطلال) ولكن بعد وفاته فلم تتحقق فرحته بذلك.

وقد نجحت هذه القصيدة أيما نجاح ولازالت ترددها الألسن وتحفل بها أوساط الغناء العربي.

وقد ولد ناجي في ٣١ ديسمبر ١٨٩٨ وتوفي يوم ٢٥ مارس عام ١٩٥٣ وورث حب العلم عن أبيه مجيداً الفرنسية والانجليزية والألمانية!

وكان ناجي طبيباً ماهراً وكان علاجه للفقراء مجاناً في أكثر أيام الأسبوع كما كان رئيساً للقسم الطبي في وزارة الأوقاف وقد نُحي عن عمله متهماً - ظلماً - بالتقصير وأُخرج من وظيفته في حركة تطهير، وقد سبب له ذلك اكتئاباً وحزناً لا حدود لهما.

كان ناجي كريم اليد وكان يصر على دفع الحساب لأصدقائه سواء كان في المطاعم أو المقاهي.

كما كان من عشاق الليل ومن محبي السهر الطويل ويسعده كثيراً أن يدعو أصدقاءه إلى قضاء أطيب السهرات معه ويتصدى دائماً لدفع الحساب باصرار.

وقد طرق ناجي كل أبواب الشعر، من غزل، ورثاء، واجتماع، وهجاء وحماسة، وشكر، واعتذار.

وفي كل أولئك كان الجهير المحلق المبدع ..

ولناجي مجموعة من المؤلفات النثرية، والمترجمة ..

أما دواوينه التي نشرت فهي على التوالي كما نشرتها دار الشروق بالقاهرة :

ليالي القاهرة، الطائر الجريح، وراء الغمام، في معبد الليل.

وإذا صدق قول الشاعر الزهاوي في بيته المشهور :

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعرا!

وهو بدون شك قول صادق فإنه منطبق كل الانطباق على شعر الشاعر العبقري (إبراهيم ناجي).

أحمد حسن الزيات



إذا كان هناك كاتب معاصر يمكن أن يُشبّه بعمالقة كتاب العربية الكبار أمثال : عبدالحميد الكاتب، وعبدالله بن المقفع، والجاحظ، وابن العميد، وأبو حيان التوحيدي فهو الكاتب الكبير (أحمد حسن الزيات) الذي من أمجاده الكبيرة أسلوبه المعجز ومسماه، (صاحب الرسالة)!.

و(الرسالة) هي المجلة العريقة الكبيرة التي تستحق أن تسمى المجلة الجامعة فقد كانت فعلاً جامعة أكاديمية التف حولها كل كتاب العرب الكبار الأفذاذ من سائر الأقطار العربية وعلى رأسها (مصر).

وقد أنشأها (الزيات) فور رجوعه من تدريس الأدب العربي ببغداد في عام ١٩٣٢م، وكان قد ادخر لاخراجها بعض المال وضمت العمالقة الكبار والجهابذة المرموقين من أدباء وشعراء وعلماء أمثال طه حسين، وأحمد أمين، وعبدالوهاب عزام، ومصطفى صادق الرافعي، وعباس محمود العقاد، وابراهيم مدكور، ومحمود شاكر، ومحمد سعيد العريان، وسيد قطب، وعلي الجارم، ومحمد أحمد الغزاوي، وجميل صدقي الزهاوي، وإبراهيم ناجي، ومحمود حسن إسماعيل، وعلي

محمود طه، وعلي أحمد باكثير، وإبراهيم العريض، ومحمود الحفيف، ومحمود غنيم، وأحمد فتحي، ومحمود تيمور، وبشر فارس، وصالح جودت، وفدوؤى طوقان، وبدوي الجبل أحمد سليمان الأحمد، واسعاف النشاشيبي، وأنور المعداوي، وعباس حسان خضر، وتوفيق الحكيم، وأحمد رامي، وعلي الطنطاوي، وأنور العطار، وأمجد الطرابلسي، ومحمد فريد أبو حديد، وفريد عين شوكه، وأمين الخولي، وإبراهيم عبدالقادر المازني، ومصطفى عبدالرازق، وأحمد زكي، ومحمد عبدالله عنان، وزكي نجيب محفوظ، وكامل محمود حبيب، ومحمد عوض محمد، وعلي الجندي، وزكي طليمات، ودريني خشبة، وعزيز أباظة، وكامل الشناوي، وفتحي رضوان، وزكي مبارك، وفخري أبو السعود، وإسماعيل أحمد أدهم، وأحمد عبدالغفور عطار، وعبدالحميد يونس وسهير القلماوي، وبنت الشاطئ، وأحمد الشرباصي، وعبدالقادر القط، ومحمد مندور، وزكريا إبراهيم، وكمال نشأت، وحسن كامل الصيرفي، ورشاد رشدي، وعبدالرحمن الخميسي، ونجيب محفوظ، وعبدالفتاح البارودي، وشكري عياد، ومصطفى حمود، ومحمد الفيتوري، وعبدالرحمن الشرقاوي، ورجاء النقاش، وساطع المصري، وقدري حافظ طوقان، وزكي المحاسني، وعمر أبو ريشة، ونزار قباني، وميشيل عفلق، ومحمد علي الحوماني، وميخائيل نعيمة، وأمين نخلة، وحسين مردة، وناصر النشاشيبي، وإبراهيم الفلالي، وحسن سرحان، ومحيي الدين صابر، ومحيي الدين فارس، وايليا أبو ماضي، وشفيق المعلوف، وسهيل ادريس وأحمد الزين، وعبدالحميد العبادي، وداد سكاكيني، ونعمات فؤاد.

إلى العشرات والعشرات من الأسماء اللامعة الأخري والأسماء التي أدرجناها في هذا الثبت الطويل التي تكاد الرسالة أن تكون قد انفردت باحتوائها والتي كان معظمها مثلاً عليا في تاريخ الأدب والثقافة والفكر يمدونها بثمرات أفكارهم، وزبدة قرائحهم وروائع عطاياهم ورفيع انتاجهم.

ومن هذه الأسماء يتضح أن (الرسالة) قد استقطبت معظم أدباء وشعراء ونقاد ومفكري مصر والعرب في أجيال متعاقبة مختلفة وفي ثنايا عمرها الخصب الحافل طيلة عشرين عاماً كاملة.

وكانت الرسالة في أول عهدها تصدر عن لجنة التأليف والترجمة والنشر ثم استقلت عنها في دار بمجلة (عابدين).

أما عن صلتي بالأستاذ الكبير (أحمد حسن الزيات)، فقد بدأت إعجاباً لا حدود له حتي أنني كنت أحفظ غيباً بعض كلماته، وفقرات كثيرة من طوال مقالات، وقد رويت بعض ذلك له فسر سروراً كبيراً حينما تلاقينا!

ثم التقيت به في (صالون الرسالة)، ووجدت منه ترحيباً كريماً وكان قد تفضل فنشر لي بعض تعليقاتي الأدبية التي أسماها (تعليقات قرشية مكية)!.

كما نشرت في رسالته بعض قصائدي ونقداتي!

ثم تفضل عليّ بتحية غالية في كلمة بليغة من أدبه الرفيع توجت بها ديواني الثاني (مواكب الذكريات) ونصها كالآتي:

«.. في مواكب الذكريات، نفحات من الحجاز، ولمحات من قريش، ونغمات من ابن أبي ربيعة، وان في أولئك كلها الدليل على أن مشارق النور لاتزال تهدي، ومنازل الوحي لا تزال تلهم!».

وثابرت بعد ذلك على حضور صالون (الرسالة) الذي كان للكاتب الشاعر الكبير محمود الحفيف القدح المعلى في إدارة حواراته، ومناقشاته، وقد كان بينه وبين زميله الشاعر محمود غنيم مداعبات هجائية كما كان كاتباً مؤرخاً واسع الثقافة وله مؤلفات عديدة مقروءة.

وفي صالون الرسالة كنت أصحب صديقي الناقد الجهير (أنور المعداوي) وصديقي الكاتب المعلم (عباس حسان خضر) وكلاهما كان من كتاب الرسالة البارزين ومن القريبين جداً إلى الأستاذ الزيات وإن كانا قد تركا الرسالة قبل توقفها!

وقد تفضل الأستاذ الكبير الزيات فأهداني بعض كتبه مطرزة باهداءاته الرائعة الشائقة من قلمه الرشيق.

وكانت شعارات الرسالة أنها (تعبر عن الأصالة العربية، وتغترف من الثقافة العالمية وتربط الشرق بالغرب على هدى وبصيرة).

وقد ظلت (الرسالة) رائدة الفكر العربي مع زميلتها (الثقافة) عشرين عاماً وإن كانت في الأخير قد انهزلت وضعفت حتى صعقها أخيراً القدر بالتوقف في مطلع عهد الثورة نظراً لأنها طولبت بمبالغ للضرائب متجمدة تبلغ اثني عشر ألف جنيه وكان هذا فوق طاقتها حينئذ!

ولقد كان يوم توقفها عن الصدور يوماً مؤلماً فكأنها جامعة عظيمة أصيبت بالاغلاق مشيعة بحسرات الأدباء والقراء من جميع الأقطار العربية والدولية ورغم صدور مجلات كثيرة ثقافية بعد الرسالة إلا أنها لم تكن تستطيع أن تعوض عنها، أو تتقارب مع مستواها الرفيع.

وقد رثاها الزيات وهو يختم حياتها بمقالة رائعة استدرت حزن الجميع عنوانها (الرسالة تحتجب)! وكان ذلك عام ١٩٥٣م.

وفي هذا المقال ذكر الزيات أخلاقيات هذه المجلة أنه (لو أرادت الرسالة زهرة الحياة الدنيا لعرضت ضميرها للبيع، وقلمها للايجار، ويومئذ تتحول أكداث الورق من أوراق طبع إلى أوراق نقد، ولكن الله الذي حبب في سبيله إلى المجاهد الأول الاستشهاد، وليس في مزودته إلا حفنة من دقيق أو قبضة من تمر حبب إلى الرسالة الجهاد في الميدان المجدب الموحش ولا عدة لها إلا الصدق، والصبر، والزهد لتظفر بنصر المجاهد إذا فاز، أو بأجر الشهيد إذا قتل).

ونعي الرسالة المشار إليه نشره الزيات في جريدة (الأهرام) قبل أن ينشره في (الرسالة) ذاتها، رجية أن يجد له صدى رسمياً من المسؤولين، ولكن للأسف فلم يكن هناك أي صدى يحول دون احتجابها، واسدل الستار على هذه المؤسسة الثقافية ودفنت هذه المجلة التي كانت أصداؤها تملأ جميع آفاق الفكر والثقافة في سائر البلاد العربية والإسلامية والعالمية.

أجل فإن (الرسالة) فعلاً كانت المجلة القمة، وقد تفوقت على سائر المجلات العربية وقد ذكر أن الرسالة بلغ توزيعها في بعض الأحيان ثلاثين ألف نسخة، وهو رقم - في حينه - يتفوق على أي مجلة غير أدبية فما بالك بمجلة أدبية.

وكان الأديب الذي تنشر له (الرسالة) شيئاً من انتاجه سرعان ما يسطع نجمه ويتألق ويُعد من الأدباء الذين يستحقون عالي الشهرة ورفيع المنزلة.

والزيات كان يشعر بمكانة مجلته فهو يصفها أيضاً قائلاً (إنها أصبحت فصلاً من فصول الأدب العربي الحديث بل هي ديوان العرب المشترك).

وقال أيضاً عن الرسالة إنها (استطاعت في مدى عشرين سنة أن تنشئ جيلاً من الكاب والشعراء لهم أثرهم القوي، وأن تنشئ مدرسة في الأدب لها طابعها لاخاص، وأن تعرف أدباء العرب بعضهم ببعض على انقطاع الأسباب وتباعد الديار، وأن

تجمع القلوب والشعوب على فكرة واحدة وغاية معلومة وأن تكون سفيراً روحياً لمصر في جميع البلاد العربية والإسلامية).

وكان من خصائص الرسالة ألا تنشر إلا الأدب الرفيع والانتاج الرائع فلا يمكن أن يتدسس إلى صفحاتها انتاج ضعيف أو هزيل أو ماجن مهما كان اسم منتجه!

وفيما يلي نماذج من كتابة الزيات تمثل فكره وأسلوبه :

بين عام وعام

(.. تعالوا يا رفاق الروح واخوان الفكرة نتناقل شجون الحديث في هذه البرهة التي ينسدل فيها ستار ويرتفع ستار، وينتهي من رواية الحياة فصل، ويبتدئ فصل ماذا سجل العام المنصرم في صفحته المطوية عن حياتنا العقلية؟ هل استقر لنا أدب خاص؟ هل صدر عنا انتاج مستقل هل ظهر فينا زعيم موهوب؟ هل غلبت علينا ثقافة واحدة؟ هل تسايرت أفكارنا إلى غاية معينة ..).

وظيفة النقد

(.. ليست وظيفة النقد أن يهدم، أو يميت، أو يشترع، تلك وظيفة الطبيعة التي تطور كل شيء، وتغير كل نظام، وتسد كل عوز، وفق قانون ثابت، إنما وظيفة النقاد أن ينظم الوجود، وينبه الأذهان إلى الفاقد، أما أن يحاول تغيير الطباع بقانون، وقلب الأوضاع بمقالة، ومحو الثابت بنكتة فذلك عبث لا يخلق بكرامة الإنسان، وتهريج لا يذكر بضمير فنان ..).

العام الهجري

(.. حسبنا مطلع العام الهجري موقظاً للشعور، وحافزاً للهمم، وهادياً إلى شرف الغاية، يستقبله المسلم الذاكر فتعاوده ذكريان تجددان دينه وتثبتان يقينه، وتقومان خلقه، ذكري هجرة الرسول في سبيل الدين، وذكرى مقتل الحسين في سبيل الحق، فأما هجرة الرسول فقصيدة من قصائد البطولة القدسية لا يفتر عن انشادها الدهر، استمدت وحيها من روح الله، ونسجها من خلق الرسول وسيرها من صدق العرب ..

وأما مقتل الحسين فلا يزال صكاً دامياً في سجل التاريخ يثبت أن العربي الحر لا تلهيه عن أداء الواجب زهرة الحياة، ولا ترده عن طلب الحق كشرة الموت ..).

[redacted]

وإذا كان الزيات إنساناً عظيم الخلق وكاتباً يؤثر جانب المهادنة والرفق فإنه كان أحياناً ناقداً صلب العود يستطيع أن يزلزل خصمه ويرهبه ويرجعه إلى صوابه.

وقد أصدر الزيات كتاباً عنوانه (دفاع عن البلاغة) جمع فيه طائفة من مقالاته في اللغة . وكان كتاباً قيماً حقاً!.

وقد نال الكتاب حظوة كبرى من كبار الكتاب والأدباء حيث كتب عنه العقاد، والمازني، وعبدالعزيز فهمي (باشا) وكثيرون آخرون.

وكان الأستاذ (أمين الخولي) قد أسس في كلية آداب القاهرة جماعة أدبية أطلقت على نفسها اسم (الأمناء) نسبة إلى الأستاذ الخولي والمنتسبون إلى هذه الجماعة من شباب الأدباء ومنهم زوج الأستاذ أمين الخولي الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) يوقعون ما ينشرون من مقالاتهم تحت عبارة (من الأمناء).

وكانت (دار المعارف للطباعة والنشر) قد أصدرت مجلة ثقافية اسمها (الكتاب) وقد أخذت هذه المجلة تنال حظوة من القراءة وأسندت رئاسة تحريرها إلى الأستاذ الكبير (عادل الغضبان) أحد أركان الدار!

وفي أحد أعداد هذه الملة نشرت الدكتورة (بنت الشاطئ) مقالاً مطولاً تضمن نقداً متحاملاً على كتاب الأستاذ الزيات حاولت أن تنقص فيه من قيمة الكتاب وتهبط بقدر صاحبه ارضاء للشيخ أمين الخولي الذي من العجيب أنه كان صديقاً قديماً للأستاذ الزيات وأحد كتاب (الرسالة) من مهدها الأول، وكان رد الزيات كالآتي فيما تعيه الذاكرة :

.. زميلي صاحب الكتاب

قرأت ذلك الكلام الطويل العريض الذي ينتهي بتوقيع من أسمت نفسها (بنت الشاطئ) من الأمناء متعرضة فيه لكتاب (دفاع عن البلاغة)!

وقد أخذت هذه السيدة تجاحش وتماجش .. وعلمها بكل ما كتبت لا يزيد عن علمي بالهيروغليفية أو بالنسبية!

لقد عمدت هذه السيدة إلى عبارات الكتاب وجمله فسلت بعض الجمل من بعضها سلاً وجعلت لكل جملة معنى مستقلاً، ومثل هذا لو فعل بالقرآن الكريم (لاساء إليه) ولاشك أن للنساء عند الرجال حق الرفق والاغضاء إلا أنني رأيتني إزاء سيدة لفت

علي رأسها الصغير عمامة الشيخ وضمت أناملها الخرعة على قلم غليظ خشن يقطر بالدعوى العريضة والنية المريضة والجدل العقيم!

وقد نوه بالدفاع العقاد والمازني وشيخ القضاة عبدالعزيز فهمي باشا الذي لم يكن يدري أن في كلية الآداب شيخاً يدعي زعامة البلاغة والأدب وحتى في الزي ومن ثم فقد تصايح (الأمناء) المنتسبون إليه حيث وغرت الصدور وورمت الأنوف وقال هؤلاء وأن نحن إذن من هذا الواغل المتعدي علي اختصاصنا فعمدوا إلى الدفاع فتعاووا على الصفحات الأولى منه ثم اعطوا ما كتبوه للسيدة التي هي زوج شيخهم فحملته وتولت كبره!

ولو كنت أعرف السيدة (بنت الشاطئ) لقلت لها إن الكلام في الشواطئ والحقول غيره في ثمار القرائح والعقول فلترجعي القلم الخشن الذي اعطيتيه إلى صاحبه وتسترجعي قلمك الرقيق من سالبه!

وإنه لمن السهل يا زميلي صاحب الكتاب على أي طفل أن يمزق أي كتاب بأي سكين ولكن التمزيق الصارم كالتشريح بالمبضع المرهف لا يطيقه إلا الجهابذة الموهوبون.

كما انني آسف - يا صديقي - أن أكتب في مجلتك هذا الكلام ولكن الذين استطاعوا أن يستسيغوا سخافة ذلك النقد، يستطيعون أن يستسيغوا تفاهة هذا الرد والسلام:

أحمد حسن الزيات

وما نقلته أعلاه لا يخلو من خلل وبعض التحريف فأنا أكتب مستوحياً الذاكرة وليس أمامي نص ما كتبه الأستاذ الزيات بالدقة المطلوبة لأنقله وقد عمدت مجلة الكتاب - بعد مقال الزيات - إلى اقفال باب النقاش في هذا الموضوع.

ولابد من الاشارة إلى أن الأستاذ (الزيات) قد أصدر عن دار الرسالة مجلة هامة هي (الرواية) وكانت تحتوي علي الكثير من القصص القصيرة إلا أنها لم تعمر طويلاً فقد احتضرت سريعاً وإن كان ما صدر منها من أعداد كان مفخرة للدار!

وقد ولد الزيات في ٢ ابريل ١٨٨٥م، في كفر دميرة القديم بمحافظة الدقهلية وتوفي عام ١٩٦٨م، وتعلم في مصر ثم ارتحل إلى باريس وقضى عاماً دراسياً هناك.

وفيما بعد اشتغل بالتدريس في العراق لمدة ثلاثة سنوات وألف عن العراق كتاباً عنوانه (العراق كما رأيته) ولكنه فقد هذا الكتاب حيث ان حاجب المكتب ضمه خطأ إلى أوراق مهملة أطعمها النار، وتألم الزيات لذلك كثيراً وقال (لقد فقدت في عام ابنين ابني (رجاء) وكتابي الذي جهدت في تأليفه عن العراق) علماً بأنه سبق أن أعلن عنه!

وكان الزيات عضواً بمجمع الخالدين بل من أبرز أعضاء هذا المجمع المنتجين وأثره واضح ومشكور في معجمه المسمى (المجمع الوسيط)!

وظل عضواً بالمجمع حوالي عشرين عاماً، وقد رثاه كثيرون منهم زميله البارز في المجمع الدكتور (محمد مهدي علام).

ومن كتب الزيات:

تاريخ الأدب العربي، ووحي الرسالة، أربعة أجزاء، ودفاع عن البلاغة، وآلام فرتر - مترجم، ورواية رفائيل - مترجمة، وفي أصول الأدب، مختارات من الأدب الفرنسي.

الشاعر صالح جودت ١ - ٢



الشاعر الكبير صالح جودت شخصية إجتماعية غالية ونادرة عامرة بالذوق الإنساني الرفيع يملؤها الإحساس الرقيق، والثقافة الركيزة والعلم الغزير والنبوغ المبكر، والأدب الجهير ..

وقد ملأ عليه الشعر أقطار نفسه وهو مازال شاباً في عقده الثاني وفتنته جمعية (أبولو) الفنية فأصبح أحد أبنائها البررة بل روادها، وأشد المخلصين لمدرستها، وأحد الذين يملكون من الطاقة الشعرية ما ينوء بحمله الكبار من الشعراء الراسخين في القدم والذين يسيرون في الصناعة الشعرية على عرق، وواحداً من الحاملين لواء التجديد بجدارة.

وصالح جودت شاعر غنائي، مغرق في غنائيته، خصب العطاء، حاضر البديهة، متوقد الذهن، أنيق العبارة متواضع النفس، ولذلك فقد كانت بواكيره من خير البواكير وبرزت شاعريته رفافة، ناضجة، وجاءت شهرته أيضاً متفتحة مبكرة! واحتفت بانتاجه مجلات الأدب فبرزت عبقريته في (أبولو) وفي الرسالة للزيات وفي معظم المجلات والصحف المعروفة في طليعة رائعة من طلائع الأدب الرفيع.

وقد ولد صالح جودت (١٩١٢/١٢/٧م) وبدأ حياته العملية في بنك مصر. ثم كان محرراً فنياً وديبلوماسياً لجريدة الأهرام، ثم رئيساً لتحرير مجلتي (الاذاعة المصرية) ومجلة (كايرو كولنج) التي كانت تصدرها الاذاعة باللغتين الفرنسية والانجليزية، ثم عمل مراقباً للبرامج الثقافية بالاذاعة المصرية.

وهو حاصل على بكالوريوس في العلوم السياسية بجامعة القاهرة كلية التجارة ثم حصل منها على ماجستير بدرجة جيد جداً عام ١٩٤٩م، ثم حصل على درجة الزمالة في دراسات الأمم المتحدة (في الأمم المتحدة في نيويورك).

وأخيراً استقر في الدار الصحافية الكبرى دار الهلال مديراً لتحرير المصور، ثم رئيساً لتحرير الاثنين ثم نائباً لرئيس مجلس إدارة الهلال.

وهو رحالة زار جميع الدول العربية ودول أمريكا وأوروبا وآسيا وبعض الدول الافريقية وحضر العديد من المؤتمرات الشعرية.

وكان وكيلاً لجمعية المؤلفين والملحنين، وعضو جمعية الأدباء، وعضواً للجنة العليا للفنون والاتحاد ا لقومي، وعضواً للجنة الدائمة لمؤتمر الثقافة والفنون بوزارة الثقافة، وعضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، وعضو نادي القصة، وعضو نادي نقابة الصحفيين. وقد فاز بجائزة الدولة التشجيعية ورشح فيما بعد لجائزة الدولة التقديرية كما قد منحه مجلس الفنون والآداب جائزة أمير الشعراء عن الكتاب الذي ألفه عن حياة الشاعر الهمشري، ولو امتد به الأجل قليلاً لحصل فعلاً على الجائزة التقديرية.

وقد ملأ سائر مجلات الهلال أدباً خالصاً ممتازاً، ونعم بصداقات الذروة من رجالات الفكر في مصر وفي عالمنا العربي ورغم أنه لم يكن خريج الأزهر أو دار العلوم إلا أن حصيلته من علوم العربية كانت غزيرة وموفورة، وذخيرته وعتاده منها لا يقلان عن نصيب الدرعميين والأزهريين.

ومن شعره بعنوان (كبرياء) !!

أجـــل أنـــت فـاتـنـة إنـمـا	أرى عـزة الـنـفـس لي افـتـنـا
وان كـان عـنـدك سـحـر الجمال	فـسـحـر الـرجـولـة عـنـدي أنـا
وان كـثـرت في هـواك الـقـلـوب	فـذلـك مـن بـعـض مـا عـنـدنـا
وان غـرورك بـحـلـو الـشـبـاب	فـان الـشـبـاب قـريـب الـفـنـا
وعـيـنـيـك والخـصـل الحـالـكـات	كـأني بـهـا خـلـقـت تـوهـنـا
يـحـبـك قـلـبـي ولـكـنـه	يـخـاف الـعـواقـب إن أعـلـنـا

وانـــت المنـى غـيـر أني امــرؤ ... يـــذلـــل لـــلـــكـــبـريـــاء المنـــى
ويـكـره في الحـب بـذل الـدمـوع ... وفـرط الخضـوع وطـول الضـنـا
إذا المـــرء هـــان عـلـى نفـسـه ... لــكــان عـلــى غــيـرهــا اهــونــا
وذُل الــرجــال لـوجـه الجـمـال ... كــذُل الـضـمـيـر لـوجـه الغـنـى
فـلا تجعـلي مـن غـرور الأنـوثـة ... بـــابـــا يـــســـد الـــهـــوى بـيـنـنـا
فـيـكـتـم عـنـك شـــؤون الـهـوى ... ويـظـهـر غــيـر الـــذي أبـطـنـا!

وقد جاءت معرفتي الشخصية به بالاذاعة المصرية حيث كنت في زيارة اعلامية لها طالت للدراسة ثم عبر لقاءاتنا المتعددة في اشتراكنا معاً في الأمسيات الشعرية في القاهرة وبغداد وتونس وبيروت والكويت ودمشق وغيرها وفي ندوات الأدب ولانبساطية شخصيته الثقافية فكان ينتدب لتمثيل بلاده في سائر البلاد كوجه عريق متحضر ممسك بزمام الأدب الرفيع مشرق الديباجة في كل عطائه الفكري، والشعري ..

ثم كنت ألتقي به دائماً في (دار الهلال) ثم في بعض مقاهي الأدب القاهرية كمقهى (لاباس) في شارع قصر النيل حيث نكون جميعاً في صحبة ورفقة الصديق الشاعر الكبير (أحمد رامي) ننهل من حضوره الخصب وأدبه الرفيع وذكرياته الموحية ثم أنني كنت أدعوه ورامي إلي العشاء أحياناً في داري.

وكان (صالح جودت) صاحب قلم سيّال وفكر متحرر ولذلك كان ركناً ركينا من أركان (دار الهلال) يشبه زميله الكاتب الصديق طاهر الطناحي وكان حريصاً على الاحتفاء بما ينتجه الأدباء والشعراء من مؤلفات ودواوين يرفدها بالفكر الواعي، والنقد الرشيد، والتشجيع المخلص، وما أذكر أنه صدر لي مؤلف أو ديوان من الدواوين إلا وتناوله الأستاذ صالح جودت بقلمه المفعم باللطف والحفاوة والنظرة الصائبة والتحية الصادقة.

وقد ربط وطنه الغالي بأروع الصداقات الفكرية بسائر الأوطان العربية نتيجة لتمثيله بلاده في حضور المؤتمرات الشعرية العديدة حيث يبهج الأسماع بمشاركاته الشعرية الرفيعة الذرى التي تهز النفوس والقلوب هزاً.

الشاعر صالح جودت ٢-٢



يتمتع صالح جودت بروح قومية فياضة واعية حقيقية فلست هناك قضية قومية أو إسلامية أو إنسانية إلا لمستها قريحته، وتجرد لها بيانه، وأعطاها من روحه الشيء الكثير، وهو ملهم في انتقاء بحور الشعر الملائمة للموضوع الذي يكتب فيه ويزامله في ذلك الأساتذة علي محمود طه، وإبراهيم ناجي، وأحمد فتحي فكلهم ينتسبون إلى مدرسة عريقة واحدة.

ويصور غضبة الشاعر للخيانة بقوله :

سوف أنساك ولكن كيف أنسى
وأنا في صبوتي أكبر نفسا؟
وأنا أضعف من عذرك بأسا
ليتني أنسى ولكن كيف أنسى
سوف أنسى غيرتي عند الوداع
فاغفري جهلي وطيشي واندفاعي
كنت كالجندي من بعد الصراع
واهن الأعصاب مغلول الذراع

أنا إن لمتك في هذا الخداع

فأنا غير خبير بالطباع

أنت أنثى فيك اثام الأفاعي

فيك غدر، واقتدار، وتداعي

فيك زحف من متاع لمتاع

واشتهاء كالثعابين الجياع

والتواء خلته شوقاً وانسا

وفحيح خلته نجوى وهمسا

وسموم حفرت للحب رمسا

قال لي قلبي لعلي أتأسى

وأنا في صبوتي أكرم نفسا

وأنا أضعف من غدرك بأسا

ليتني أنسى، ولكن كيف أنسى؟!

وقد مرض في مطلع شبابه .. وفي مستشفى الصدر نفث الشاعر قصيدة رائعة منها وأنا أورد هذا من الذاكرة :

ليرحم الله آمالي وأهوائي

بقية العمر آلام تطل عليّ

إني رضيت بهذا المخدع النائي

ووصف حال المصدرين بقوله :

للآه منهم تراتيل محشرجة

تنساب من قصبات نصف خرساء

لهم من نهار فيه مرحمة

وما لهم ليلة ليست بليلاء

إلى أن أسعده المولى الكريم بالشفاء التام، ومغادرة المستشفى حامداً شاكراً مولاه الذي لا يحمد على مكروه سواه والذي يجيب المضطر إذا دعاه.

والأستاذ صالح جودت كالأستاذ الكبير عباس محمود العقاد كا من أكبر أنصار (الشعر العمودي) وممن بادلوا (الشعر الحر) اللدد والخصومة وكي لا يظن أنصار الشعر الحر أن ذلك قصور منه وعدم استطاعة لقول الحر فإنه نظم قصيدة منه قوية اللمحات وأهداها لأنصاره رداً وتحدياً وما أدري ماذا كان يعمل أخونا (صالح) إذا شهد اليوم هذه البعثرات والقشور تقتحم الساحة الشعرية العربية وتفرض نفسها عليها، دون مؤهلات، ولا حتى (طلب التحاق)؟!

ومن شعره بعنوان (سيان) :

سيان إن أخلصت أو خنت

إني أحبك مثلما أنت

وأرى بك الأنثى إذا انفجرت

واشتم فيك براءة البنت

فيك الخطيئة والخلاص معاً

يتلونان، وكم تلونت

بطهارة العذراء ذبت تقى

وبلهفة الأنثى تزينت

ما بالوفاء كبرت في نظري

أو بالرياء صغرت أو هنت

أنت الحياة وكنت أجهلها

إن الحياة كما تبينت

ألقاك لي فأقول يا ترى

ولآخـــــر فـــأقـــول أحـــســنــت
ويـــظـــل قـــلـــبـــي في تـعـلـقـه
أمـــــا قـــســـوت عـــلـيـــه أو لـنـت
فـــإذا اخـتـلـفـت صـــرخـت مـــن جـزعـي
مـــتـــوســـلاً عـــــودي كـــمـــا كـنـت!

وبدون تحيز أو مبالغة فإن صالح جودت كان أحد مفاخر مصر في النواحي الثقافية والأدبية وكان واسطة عقد في علاقات مصر بالحيوات العربية الفكرية المختلفة وأحد جسور الثقافة بينها على علم ووعي وبصيرة.

ولقد كان الأديب السعودي الكبير الأستاذ الجليل محمد سرور الصبان معجباً بشعر الأستاذ صالح جودت وفي زورة له إلى مصر العزيزة حرصت على لقائه به وكان ذلك في فندق «سيسيل» بمدينة الاسكندرية وقد تبادلا حديث التقدير والمحبة والاعجاب معاً وأهدى الأستاذ صالح جودت مجموعة من كتبه للأستاذ الكبير محمد سرور الصبان فسر بها أعظم سرور وشكره أبلغ الشكر على ذلك.

تجديد في الموضوعات

وللأستاذ (صالح جودت) تجديد واضح في الموضوعات التي يتناولها فهو يقول في سن الحسناء المكسور:

عـــصـــفـــورتـــي بـــالله يـــا عـــصـــفـــورة
مـــا ســـر هـــذه الـــســـن المـــكـــســـورة؟
وأيـــــن راحـــــت نـــدفـــة الـــبـــلـــورة؟
هـــل كـــســـرتـــهـــا فـــكـــرة مـــوتـــورة؟
أو أكـــلـــتـــهـــا شـــفـــة مـــســـعـــورة؟
أو شـــربـــتـــهـــا شـــفـــة مـــخـــمـــورة؟

وإلى عيسى بن مريم عليه السلام يقول ويعني (بني صهيون) :

يا ابن روح الله يا عيسى انتبه
إن في دينك رهطاً أشقياء
دينك الرحمة والحب معاً
كيف في الغرب ادعاه الأدعياء؟
كيف لاذوا بك من لم يؤمنوا
بسماء أو سلام أو إخاء؟
نصروا أعداءك الخبث على
قومك المستضعفين البؤساء
جرعوا أهلك في القدس الردي
صلبوهم شردوهم في العراء
أهلك استنجدوا فهل صنتهموا
من شرى الجوع، وانزلت العشاء؟؟

وقوله عن (قصة الحب) :

إن محا النسيان شعري وانوى بعد مماتي
فستبقى قصة الحب حديثاً للرواة
وسيبقى ما همسناه ألذ الهمسات
وسيبقى الجو نشواناً بعطر القبلات
وستبقين على الأيام أحلى أغنياتي

وقد نُشرت دواوينه وكتبه في أشهر دور النشر المعروفة وكان لها رواجها المنافس لأحسن ما ينشر.

ومن مؤلفات صالح جودت ديوان صالح جودت إصدار جمعية (أبولو) ثم الكتب والدواوين التالية :

ديوان أغنيات على النيل، ديوان ألحان حصرية، ديوان ليالي الهرم، ديوان رسالة حب، ديوان أنغام من القاهرة، وداعاً أيها الليل، قلم طائر، بلابل من الشرق، قصائد مترجمة عن الفرنسية، عودي إلى البيت، روميو وجولييت، ملوك وصعاليك، شيرين، ثلاث مجمموعات قصصية قصيرة، كلنا خطايا، كلام الناس، وناجي حياته وشعره، بنت أفندينا

وهو يجيد اللغات الفرنسية والانجليزية والايطالية.

وقد توفي الأستاذ صالح جودت في ١٩٧٦/٧/٢٦م. كما عانى في حياته من بعض الأدواء، ولكنه كان صبوراً صليباً على القسر مؤمنا بقضاء الله وقدره.

الفنان صلاح طاهر



رقة الدنيا كلها وشفافيتها وكرم الطبع وتواضع النفس وسماحتها تمثلت جميعها في الفنان الرائد التشكيلي (صلاح طاهر)!.

وصلاح طاهر هو اليوم رأس الفنانين التشكيليين في مصر لا تعلو ريشته الساحرة ريشة ما مهما بلغت من السمو والعلو والافتتان!

وقد ملأت معارضه المهمة أرض مصر وتجاوزتها إلى عشرات المدن الأوروبية والافريقية وكانت موضوع اعجاب الألوف من عشاق فن الرسم الأصيل.

تعرفت بهذا الفنان الجهير أول ما تعرفت به في دار (الأهرام) وفي مكتب أخي وصديقي (كمال الملاخ) الذي خلق بدوره روحاً نبيلة كريمة.

ومنذ ذلك الحين وحتي اليوم تجدني لا أنفك ألتقي بفناننا المبدع (صلاح طاهر) في داره العامرة التي هي صالون (شبه يومي) مفتوح لأصدقائه وزواره في شتى الأمسيات ينعمون فيها بلقائه، ويسعدون بضيافته وإكرامه، ويصغون إلى حديث ذكرياته الممتعة، وإلى ما يرويه من رائق الأشعار ورائعها والفنان (صلاح طاهر) كان صديقاً حميماً للكاتب والشاعر العملاق (عباس محمود العقاد) وذكريات هذه الصداقة الرفيعة تجد دائماً الحديث عنها بلسان فناننا حباً ووفاءً يصل إلى مرتبة العشق والهيام.

وحينما غضب العقاد من إحدى النساء وأحب أن يديم تذكرها بما يسوء رغب إلى صديقه الفنان (صلاح طاهر) أن يرسم له تورتة كبيرة ولكنها محاطة بالذباب حتى إذا نظر العقاد إلى هذه التورتة شعر بالاشمئزاز من ذكرى هذه المرأة التي أساءت إلى مشاعره.

وقد لبى الفنان طلب صديقه كما رغب! ولكل أصدقاء فناننا المبدع مكانتهم الغالية ومنازلهم المقدرة لديه والتي هي محفوفة دائماً بالمودة والاحترام.

ومن أجمل الأوقات لدى أصدقاء فناننا حينما يحدثهم عن ذكرياته الجميلة في الداخل والخارج وعن ذكرياته في رحلاته الكثيرة والتي أصاب فيها الكثير من النجاحات وكسب صداقات العديد من الأدباء والرسامين المشهورين في شتى بقاع الأرض.

ومنزل الفنان (صلاح طاهر) عبارة عن معرض لبير معروض فيه الكثير من الأعمال الرائعة التي أبدعتها ريشته المبدعة.

وسعيد الحظ جداً من أصدقائه الكثير الإنسان الذي حظي من ريشته برسم (بورتريه) وهو ضنين بهذا العمل إلا لصديق أو صديقة لهما منزلة عنيدة وكبيرة لديه، ولا يغريه المال مهما كثر على أن يسخر هذه الريشة لشخص لا يستحق - سواء لعدم وجود علاقة بينهما أو أن هذا الشخص ليس له من المكانة الاجتماعية ما يؤهله لأن يرسم له الفنان صورة تستحق أن يمهرها بامضائه.

وفناننا يحترم فنه كثيراً ويغار عليه ومهما عظمت مكانة الشخص الذي يرغب أن يحصل على رسم له بريشته الماهرة كان عليه أن يحضر شخصياً إلى رسم الفنان مهما علت منزلته الاجتماعية أو الرسمية ويكرر مرات حضوره لديه، التي يقررها الفنان ذاته، ومستحيل أن يطمع أي شخص مهما كان وضعه أن يحمل الفنان إليه أدواته وأن يذهب إليه في داره ولو بذل أقصى جهده.

وقد شرفني فناننا المبدع بعمل (بورتريه) ولكنه أخذ من الوقت مالا يستطيع الصبر عليه إلا ذو العزيمة والهمة ولو رجوته الاستعجال - لا سمح الله - لنفض يده من العمل وكنت أنا الخاسر ففناننا الكبير لا يهضم المراجعة في أية أمور تتعلق بفنه.

ومن الأشعار التي يرددها الفنان (صلاح طاهر) من شعر العقاد قوله من قصيدة وعنوانها (عم صباحاً .. عم مساءً) :

عم صباحاً، عم مساءً ... ذهب العمر .. هباءً
أقبل الصبح وولى ... ومضى الليل، وجاء
وأخذنا ورددنا ... فحكى الأخذ العطاء
ولقينا، أصدقاء ... وفقدنا أصدقاء
فشقينا بولاء ... وتملينا عداء
وعشقنا وتركنا ... حب من سر وساء
من عشقناه ومن لم ... نره قط سواء
وعرفنا الحق أحياناً ... فلم نعرف هناء
وجهلنا الحق أحياناً ... فلم نجهل شقاء
وقتلنا الجسم والروح ... سقاماً وشفاء
ثم نمضي حينما نمضي ... سراعاً أو بطاء
عم صباحاً يا زماني ... يا زماني عم مساء!

وقد ذكر لي الفنان (صلاح طاهر) أن أصله (العرقي) يرجع إلى الهند حيث أن جدّ والده هندي، كما أنه مكتسب أصول تركية وذكر أن نشأته في بيت عريق وأن والده كاان من محبي الأدب والشعر، وكان يحثه على حفظ الشعر الرصين وبعض القصائد الطوال منه وهو طفل - كما كان يحكي له القصص العربية كألف ليلة وليلة، وعنترة، وذات الهمنة، وفيروز شاه، وحزة البهلوان وكان له أخ يكبره يحكي له عن حياة كبار الفنانين مثل مايكل أنجلو، وروفائيل، ودافنشي، ويطلعه على رسوماتهم حيث كان هذا الأخ مولعاً بالفن.

وأشار الفنان (صلاح طاهر) أن رسومه تكاد تدل على نفسها دون أن يوقعها،

ويستبين ذلك لكل شخص له معرفة بأساليب الفنانين، وتلك بلاشك ميزة لكبار المشتغلين بالفن.

ومن الملاحظة أنه ما أقيم قط معرض لرسوم الفنان (صلاح طاهر) إلا وحصل تزاحم على اقتناء أعمال هذا العبقري لا من أثرياء الناس وحدهم ولكن حتي من أواسطهم، وكلهم يفخرون بالحصول على هذه القنية وتعليقها على جدران صالوناتهم أو مكاتبهم.

وقد ولد الفنان (صلاح طاهر) في مدينة القاهرة عام ١٩١١م، والتحق بمدرسة الفنون الجميلة متخرجاً منها عام ١٩٣٤م، ثم أوفدته وزارة المعارف عام ١٩٤٣م، للاشراف على رسمها في مدينة الأقصر.

وقد بدأ الفن ميالاً إلى الواقعية الكلاسيكية ثم تحول إلى الفن التجريدي التشكيلي.

وقد حصل فناننا على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٥٩م، ثم حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٤م، وهي أعلى الجوائز الثقافية، وحصل عام ١٩٦٤م، على منحة من اليونسكو أفادته تعارفاً بزملاء عالميين لمدة ستة أشهر في باريس وثلاثة أشهر في لندن وقد تقلب في عديد من المناصب إلى أن تولى منصب مدير الأوبرا المصرية عام ١٩٦٠م، وحصل على أكبر جائزة في الفن التشكيلي جائزة (جوجن هايم) العالمية من مؤسسة (جوجن هايم) في أمريكا. وهو مغرم بالموسيقى يُعدها غذاء روحه وكان يعزف على الكمان كما أنه عاشق للكتاب تضم مكتبته ثمانية وأربعين ألف كتاب في شتى الثقافات والفنون بما في ذلك الموسوعات ودوائر المعارف!

وهو معجب بجمهرة أعمال الفنانين العالميين أمثال (إمبرانت) و(موديلياني) و(بيكاسو) و(ماتيس) وغيرهم.

وقد رسم الفنان (صلاح طاهر) مجموعة من الشخصيات كالعقاد، وعبدالناصر، وأم كلثوم، وزوجة تيتو حاكم يوغوسلافيا، والشحبانو فرح ديبا، وأنور السادات، ويجهان السادات، والسفير أسامة الباز، والشاعر عيسى درويش، وكاتب هذه السطور - كما تقدم ذكره.

والفنان (صلاح طاهر) متعلق باليوجا، ويرى أنها تساعده على صفاء النفس،وذكاء الفكر، وانتعاش الروح، وتجدد الحيوية!.

ورسمه التجريدي هو أساس رسالته وهو تجريدي تعبيري يعبرٌ عن السيمفونيات وألحان تنطبق عليها قوانين الموسيقى ولديه دعوة من إدارة الثقافة الأميركية لزيارة كبار الفنانين في عدة ولايات أمريكية.

والفنان (صلاح طاهر) هو المستشار الفني لمؤسسة الأهرام منذ عام ١٩٦٦م، إلى الآن.

وهـو عـضو في لجنة جوائز الدولة التشجيعية والتقديرية، ورئيس شعبة الفنون في المجالس المتخصصة ورئيس شعبة الفنون في المجلس الأعلى للثقافة التابع لوزارة الثقافة.

وكما قلت فإن الفنان (صلاح طاهر) معجب أيما إعجاب بالشاعر (عباس محمود العقاد) ويردد بعض أشعاره التي منها قوله في مقطوعة (جنون العقلاء) :

وقول العقاد بعنوان (الرجاء) :

يـدنـو فـأسـمـعـه فيبـتـعـد ... مـا لـلـرجـاء كـأنـه نـغـم
هـلا وفـيـت لـهـم بمـا تـعـد ... يـا ضـاحـكاً للـنـاس يـخـدعـهـم
فـوق المـرام لأمـكـن المـدد ... لـو نـال مـنـك الـنـاس أجـمـعـهـم
شـوق إلى شـوق وإن جـهـدوا ... لـكـن بـخـلـت فـمـا يـزال لـهـم

كما يردد فناننا الكبير أشعاراً كثيرة لشعراء آخرين ولعل ذلك راجع لمحفوظاته القديمة :

قـال لي لمـا عـراني فـرحـيـمـا ... بـجـنـون أكـذاك الـشـعـراء؟!
عـهـدنـاك لجـوجـا نـزقـا ... سـرك الـدهـر بـشـيء أم أسـاء
قلت فـانـظـر يـا حـبـيـبي لـتـرى ... كـيـف بـالحـب يـجـنّ الـعـقـلاء
إنمـا الحـب شـراب سـائـغ ... يـثـمـل الـراوون مـنـه والـظـمـاء!

وهناك طرفة في حياة فناننا العبقري (صلاح طاهر) ذلك أنه في شبابه وهو يتمتع بالصحة الجسدية والقوة البدنية اتجه إلى ممارسة إحدى الرياضات العنيفة وهي رياضة الملاكمة، وذكر لي انه يخجل من ذكر هذا الموضوع موضوع الملاكمة ويود لو كان الستار مسدلاً عليه.

إلا أن هذه الرياضة على عنفها كانت متسمة بالشهرة وإبراز اللياقة البدنية لذلك اندمج فيها واشترك في النادي الأهلي، وحصل فيما بعد على بعض البطولات. ذكر أنه مهما يكن الأمر فإن هذه الممارسة الرياضية جعلته يتغلب على بعض العوارض الصحية التي ساعدته هذه الرياضة ومزاولتها على شيء من القوة والصلابة ازرت تماسكه فيما تلا ذلك من سني العمر وإن كانت المفارقة أن يتجه هذا الفنان الذي يملك موهبة الرسم الرقيقة إلى التصالح مع هذه الرياضة العنيفة.

ونكتفي بما أوردنا عن فناننا الغالي وإن كان مجال القول ذا سعة ..

الدكـتور زكـي مبارك ١ - ٣



نحن هنا إزاء أديب لم تزايله العبقرية أدركته حرفة الأدب فجعلته أسيراً لها .. أديب عملاق عشق نفسه فحاول أن يفخر بها على الجميع، وأن يضعها فوق السماكين ليكون ربيب سنتريس فوق الزملاء والقرناء وفوق كل خريجي المعاهد والجامعات العليا داخلاً وخارجاً!

وقد وهبه الله ذكاء لماحاً وشاعرية خصبة وروحاً جبارة وصبراً ومثابرة على الدرس والتحصيل وأسلوباً هو السهل الممتنع دون منازع حتي استطاع أن يوفي على الغاية ويستولي على الأمد وأن يكون في الصف الأول من كتاب العربية وفي الطليعة من شعرائها، وأن يخرج للعربية طائفة من المؤلفات القيمة والدراسات العليا، وأن يكون أحد الفرسان اللامعين في المجلة الكبرى (الرسالة).

وفـوق هـذا كـله حصل في حياته العلمية والثقافية على ثلاث دكتوراهات في الأدب هي :

أولاً - دكتوراه من الجامعة المصرية القديمة رسالتها كتابة (الأخلاق عند الغزالي) وقد نوقشت في ١٥ مايو ١٩٢٤م.

ثانياً - دكتوراه من الجامعة الفرنسية الشهيرة (السوربون) رسالتها كتابة (النثر الفني في القرن الرابع الهجري) وحصل عليها بتاريخ ٢٥ ابريل ١٩٣١م، وقد انتقد

الدكتور طه حسين الكتاب حين عرض له فقال عنه غير منصف إنه كتاب من الكتب أخرجه كاتب من الكتاب، وظلت هذه التصوف تؤلم الدكتور زكي طيلة عمره.

ثالثاً - دكتوراه من الجامعة المصرية الجديدة رسالتها كتابة عن (التفوق الإسلامي) وقد حصل عليها في ١٤ ابريل ١٩٣٧م، وقد اعتذر زميله الدكتور (طه حسين) عن رئاسة لجنة مناقشتها بحجة أن زكي قد يخرج على قواعد المناقشة فيسيء بذلك إلى المناقش وإلى نفسه .. ومعروف عنه الجرأة مع الحمق.

ولا ننسى أن الدكتور طه قد أسقط الدكتور زكي مرتين في امتحان الليسانس!

وبالنسبة لرسائل الدكتوراهات فقد حشد لكل رسالة من هذه الرسائل تظاهرة إعلامية كبرى بقلمه ولسانه وأقلام أصدقائه ومحبيه وتلامذته ومريديه!

وأسمى نفسه اعتزازاً وكبرياء (الدكاترة زكي مبارك) وهو لقب كان يورده خطومه وحساده في مجال التندر والسخرية ولكن الحقيقة أن هذا الجهد الخرافي الممتاز جدير بأن يضعه في الصف الأول من رجالات الفكر والعلم في بلده ومن المثل العليا التي خدمتها حيث لم يرق إلي هذه المنزلة إلى القليل من معاصريه الكبار!

وقد أعقبه ذلك شعوراً متناهياً بالذات، واحساساً من زملائه ومواطنيه بالاضطهاد، لاسيما وهو لم تتح له الفرصة الكافية لينال من الأمجاد ما ناله من هم أقل منه جهداً وتحصيلاً وكفاحاً وشهرة.

وقد سخر قلمه في انتقاد اضرابه ومعاصريه من الأفذاذ ومعاداة الذين كان لأكثرهم من السلطة ما أضر به أبلغ الضرر في مجال الوظائف العلمية والثقافية دون أن يبالي والشاعر يقول :

خبرت الناس جيلاً بعد جيل
فلم أر غير ختال وقالي
ولم أر في الخطوب أشد وقعا
وأصعب من معاداة الرجال!

وكما ذكرت فقد وهب الله (زكي مبارك) أسلوباً رائعاً ممتعاً يتسم بالوضوح والتفرد

ورغم ما يبدو من سهولته وبساطته فإنه صعب على التقليد ممتنع على المحاكاة التي حاولها كثيرون فلم يفلحوا ومن شعر زكي مبارك بعنوان (ليالي النيل) :

ليالي النيل واللذات ذاهبة

وجدي عليكن اشجاني فأضناني

لو يرجع الدهر لي منكن واحدة

في سنتريس ويدنى بعض خلاني

إذن تبين دهري كيف يرحمني

من ظلم همي ومن عدوان أحزاني

وقد عاش الدكتور زكي مبارك مفتوناً بنفسه وزاده شعوره ايغالاً في هذه الفتنة واصراراً عليها.

ومما أحصاه عليه معاصروه وؤأنكروه قوله :

(أنا عنوان وطني في زماني) وما رآني أحد واستطاع أن ينساني، وقد ذكر اسمي بالخير في لغات تزيد على الثلاثين.

وكان يقول : إن كثيراً يعيبونني لتحدثي عن نفسي، ولست أدري لماذا لا يعيبون على الأساتذة سلامة موسى، وعباس محمود العقاد، وتوفيق الحكيم، وطه حسين، وإبراهيم عبدالقادر المازني، تحدثهم عن أنفسهم والكتابة ععنها ونشر سيرهم الذاتية؟!

ومن مقطوعات الدكتور زكي بعنوان (إلى) :

أكاد من فرحي عند الهيام بكم

أجن من طربي وجدا وأحترق

إن لم تزوروا فتى بضنيه بينكمو

فعن قريب إلى الدارات يستبق

(جاردن سيتي) هي مأواكم ومنزلكم

وعن خمائلها الأنوار تنبثق

أنتم بها الزهر في لألاء نضرته

وأنتم البدر ان يلملم بها غسق

لا تحمدوا باليم الصد نار هوى

يكاد من هجركم يذوي ويختنق

الدكتور زكي مبارك ٢ - ٣



وقد حرصت على التعرف على الدكتور زكي مبارك في صالون رسالة الزيات، وفي وزارة المعارف وعقب بعض المناظرات التي أقيمت في الجامعة المصرية.

ثم تابعت لقاءاته في مقهى صغير في ميدان التوفيقية كان ملازماً له يحرص على التواجد فيه، في أواخر حياته بعد تقاعده.

وكنت أصحب في هذه اللقاءات صديقي الشاعر والأديب السعودي المعروف علي حسن غسان وصحبنا مرة الناقد الجهير أننور المعداوي الصديق المشترك والذي كان يعتبر أحد النقدة اللامعين من الشباب وأحد كُتاب الرسالة ودهاقنتها في عهدها الأخير.

والدكتور زكي مبارك ساهم في معظم مجلات وجرائد عصر وكتب في الأدب والاجتماع والسياسة.

وكان في كل أولئك ثورة متحركة لا تهمد وناراً متأججة لا يخبو وميضها كما هاجم جمهرة السياسيين الكبار في مصر في الجرائد ومن أهمها جريدة البلاغ.

ومن شعره بعنوان : القلب الذاهب

رويدك أيها القلب ... فقد أودى بك الحب
وقد أصبحت لا تسلو ... فلو أمسيت لا تصبو
وبين القلب والعين ... سجالا كانت الحرب

فتذكيه ويبكيها … لعمرك انه خطب
لقد أسرفت في حبي … كذلك يفعل الصب
واصفيت الهوى حبا … له من دله حجب
فمنه الصد والبعد … ومني العفو والقرب
فلو عاتبته يوما … لزاد عناده العتب
وقد راسلته جهدي … فضاعت عنده الكتب
فصبرا أيها القلب … على ما يفعل الحب
فكل مدله خل … وكل معشق خب
فكن يا سيدي برا … بصب ما له ذنب
لئن ضيعتني قلبي … فأنت الروح والقلب
وإن آثرت إبعادي … ولم يشفع لي الحب
فإن عقابكم عدل … وإن عذابكم عذب

ومما زاد شعور هذا الأديب بالمرارة أنه رغم علمه وجهده وجهاده فإنه لم يعط حقه في سلك وظائف الدولة المرموقة حيث أمضى زهرة عمره مفتشاً للغة العربية في وزارة المعارف، ومثله كان يستحق أن يكون ركناً من أركان احدى الجامعات البارزة.

وأن يكون عضواً في مجمع اللغة العربية ولأنه كما قيل كان يتساءل لماذا يكون الأستاذ أحمد حسن الزيات والأستاذ محمد فريد أبو حديد عضوين بالمجمع ويستبعد عن هذه العضوية؟!

وقد أثار زكي مبارك كثيراً من المعارك مع عدد من كبار الأدباء أمثال العقاد، والمازني، وطه حسين، وتوفيق الحكيم وهاجم في الرسالة الدكتور أحمد أمين صاحب فجر الإسلام، وضحى الإسلام وظهر الإسلام، وعديد من المؤلفات المفيدة ببظعة وعشرين مقالاً عنوانها جناية أحمد أمين على الأدب العربي، وأهمل المنقود الرد

عليه تماماً ثم اشتبك مع الأستاذ الدرعمي السباعي بيومي، ولكن السباعي كال له الصاع صاعين ومعركة الدكتور مع السباعي كانت من أصعب المعارك عليه.

كما ناظر بجامعة القاهرة الأستاذ محمد لطفي جمعة وادعى انتصاره عليه والواقع انهما كانا فرسي رهان.

ومن طرائف مارواه الدكتور زكي مبارك عن نفسه :

أولاً : ذكر انه كلف مرة بالتفتيش على إحدى المدارس الحكومية وقد ترجحت في نفسه رغبة أن يكتب تقريراً سيئاً عن مدير المدرسة التي ستخضع لتفتيشه ذلك اليوم، وقد استقبله المدير استقبالاً حسناً ثم أدخله أحد فصول المدرسة في درس المحفوظات وأشار إلى أحد الطلاب أن يسمع سعادة المفتش قصيدة من محفوظاته وعلى الفور تصاعد صوت الطالب منشداً قال سعادة الدكتور زكي مبارك راوياً إحدى قصائده :

وبعد الانتهاء طلب المدير من الطالب أن ينشد قصيدة أخرى من محفوظاته.

وبادر الطالب هاتفاً :

وقال سعادة الدكتور زكي أيضاً :

وتصاعد صوته من جديد يروي احدى قصائد الدكتور وذكر الدكتور انه استشعر الحرج وبعد أن انتهي الطالب بادر فكتب عن المدرسة ومديرها أحسن تقرير يكتب خلافاً لما كان يضمر أن يكتبه ثم قال : (وأنا لا أخلو من لوم)!

ثانياً : وذكر انه كان منتدباً للتدريس في العراق وقد حضر إلى بغداد وفد طبي ومن ضمن هذا الوفد حضر الشاعر الكبير علي الجارم وأشارت الصحف إلى حضوره ذاكرة أنه شاعر معروف أغضب ذلك الدكتور زكي ورغب إلى أعضاء الجالية المصرية الذين سيحضرون حفل لقاء هذا الوفد والذي سيلقي فيه الأستاذ الجارم قصيدة أن يحرصوا على عدم التصفيق للجارم وأن يحسسوه ببرودة موقفهم.

ثم ذكر أنه ما ان بدأ الجارم في إلقاء قصيدته وكان واحداً من أمراء المنابر حتي أخذ بها الدكتور نفسه وكان أول المصفقين والمرحبين بالجارم والقصيدة هي التي مطلعها :

بغداد يا بلد الرشيد ومنارة المجد التليد

وكانت من أروع قصائد الجارم.

وقد أشرت إلى هذه الواقعة فيما كتبت عن الأستاذ الجارم.

وكان الأستاذ الزيات يطلق على الدكتور (زكي مبارك) لقب الملاكم الأدبي في ثقافتنا الحديثة تلميحاً إلى حبه للصراع والعراك والصيال وسروره البالغ حينما يجد نفسه وسط معمعة فكرية وآن لحقه في خوضها تعب ونصب.

ومن شعره : بين الحب والمجد

لم تنسني فتنة الدنيا وزينتها ... ما في شمائلك الغراء من فتن

اطوف بالحسن تصيبني بدائعه ... كما يطوف معنى القلب بالدمن

فلا تثير مغانيه ونضرته ... في ظل ذكراك غير الهم والحزن

آمنت بالحب لولا أنت ما جمحت ... مني الضلوع إلى أهل ولا وطن

يا من تحيرت لا أدري أيسعدني ... غرامه أم هواه محنة المحن؟

ما ضر لو نعمت عيناي أو شقيت ... قبل الفراق بمرأى وجهك الحسن

لولا مثالك في باريس ألمحه ... في طلعة البدر أو في نضرة الفتن

ما صافح النوم أجفاني ولا احتملت ... جوانحي ما أثار البين من شجن

جنت عليّ الليالي ظالمة ... إني لأهل لما ألقاه من زمني

فما رأيت من الأخطار عادية ... إلا بنيت على أجوازها سكني

ولا لمحت من الآمال بارقة ... إلا تقحمت ما تجتاز من قنن

احلت دنياي معنى لا قرار له ... في ذمة المجد ما شردت من وسن

الدكتور زكي مبارك ٣ - ٣



وعن شعر الدكتور زكي مبارك فإنه يمكن القول عن الدكتور إنه شاعر مكثر وقد ذكر أنه من خصائصه أن شعره يكاد أن يكون مقتصراً على الغزل، وأنه يكره أن يمدح إلا ما ندر من بعض الاخوانيات، وأنه مولع بتوليد المعاني وأن له نزعة صوفية في التشبيب وأن ملهماته كثيرات ومتعددات وأنهن يذبن فيه عشقاً وهياماً ويلهمنه أروع القصيد وأرقّه وأشجاه.

وقد قلت أن الدكتور شاعر مكثر تصدق فيه المقولة لا يسلم المكيار من العثار ولذلك فشعره يفقد التوازن فحين تعثر له على قصيدة محلقة إذا بك تصطدم بعدها بعشرات المقطوعات والقصائد متوسطات الجودة أو حتى المسفه.

وقد أوردت فيما سبق من بحث بعض النماذج من شعره.

على أن خير نماذج شعر شاعرنا هما قصيدتاه (من حجم الظلم في القاهرة إلى سعير الوجد في بغداد) و(مصر الجديدة) .. وفيما يلي نموذج من القصيدة الأولى :

وفدت على بغداد والقلب موجع ... فهل فرجت كربي وهل أبرأت دائي

تركت الخطوب السود في مصر فانبرت ... سهام العيون السود تصدع أحشائي

تركت دخاناً لو أردت دفعته ... بعزمه مفتول الذراعين مضّاء

وجئت إلى نار تشوي جوانحي ... وتصهر أضلاعي وتسحق أحشائي
فيا ويح قلبي عضه الدهر فاكتوى ... بلفحة قتالين جور واصباء
سمعت حمامات تنحن فعزني ... حنيني إلى صحب بمصر أشحاء
هم اسلموني لا عفا الحب عنهم ... إلى ليلة من غمرة الحزن ليلاء
أنادمهم بالوهم والقلب عارف ... بأنى لديّ كأس من الدمع حمراء
شربت الأسى صرفاً فثارت مدامعي ... تذيع حديثي في الغرام وأنبائي
أنا الطائر المجروح يرميه بؤسه ... لشقوته ما بين نار ورمضاء
فإن عشت آدتني جروحي وإن أمت ... شوتني في الأرواح نيران يأسائي
أحبَاي في مصر تعالوا فإنني ... أودع في بغداد أنسي وسرائي
تعالوا أعينوني على السهد والضنى ... فلم يبق مني غير أطياف أشلاء
تعالوا أحدثكم ففي القلب لوعة ... هي الجاحم المشبوب في جوف قصباء
تعالوا تروا بغداد أغرت بمهجتي ... نيوب المنايا في صباحي وإمسائي
أحبّاي في مصر، وهل لي أحبة؟ ... أحباي في مصر تعالوا أحبائي
تعالوا إلى بغداد تلقوا أخاكم ... ضريع خطوب ينتحبن وارزاء
تعالوا تروني في صروف من الجوى ... تهدم بنياني وتنقض حوبائي

ومن القصيدة الثانية (مصر الجديدة) نجتزئ النموذج التالي :

تأسيتكم عمداً كأني سلوتكم ... وبعض التناسي العمد من صور الود
إذا اشتد اظلام العقوق تبلجت ... مآثر تذكى نار معروفكم عندي
أمثلي يُنسى؟ آه مما اجترحتم ... على الهائم الحيران في حومة الورد
ان خفت عذالي فأخفيت لوعتي ... تظنونني صبا آفاق من الوجد؟
غرامي بكم لم يبق قلبا بلا جوى ... وحبي لكم لم يبق عيناً بلا سهد
خلعت عليكم من هيامي وصبوتي ... غلائل لم تخلع على ساكني الخلد

مضى ما مضى هل يرجع الدهر ما مضى؟ ... وهل تتقون الحب أو سالف العهد
معاهد في (مصر الجديدة) أصبحت ... رسوماً من الأشجان أحرسها وجدي
أنسري معاً فيها كما كان عهدنا ... وعهد الهوى أشهى مذاقاً من الشهد؟
أنقرأها حرفاً فحرفاً كأنها ... رسائل من ليلى المريضة أو هند؟
تعالوا نعد ليلاتها الغر حبيسة ... لحب قبضتم روحه وهو في المهد
تعالوا تعالوا قبل أن يمسي الهوى ... تواريخ لا تغني المحب ولا تجدي
تعالوا .. فلن ألقى سنا مثل نوركم ... ولن تستطيبوا جنة الحب من بعدي

وقد ولد الدكتور زكي مبارك في عام ١٨٩٢م، وتوفي في ٢٣ يناير ١٩٥٢م، فيكون قد غادر دنيانا وعمره ستون سنة ومات لا يملك غير عيش الكفاف ومن مؤلفات الدكتور زكي مبارك :

مدامع العشاق، الأخلاق عن الغزالي (رسالة دكتوراه أولى)، النثر الفني في القرن الرابع الهجري (رسالة دكتوراه ثانية) التصوف الاسلامي (رسالة دكتوراه ثالثة) قصائد لها تاريخ ديوان حب ابن أبي ربيعة وشعره، أطياف الخيال ديوان، ليلى المريضة في العراق (ثلاثة أجزاء)، ديوان زكي مبارك، ديوان ألحان الخلوف.

ومن طرائف الدكتور زكي انني قرأت له مرة مقالاً عن لقائه بكوكب الشرق السيدة أم كلثوم عنوانه (أربعة آلاف وخمسمائة ثانية في صحبة أم كلثوم).

وقد ألفت عنه بعد وفاته عدة كتب منها كتاب (زكي مبارك شاعراً)، للأستاذ العربي درويش و(زكي مبارك) للأستاذ أنور الجندي و(زكي مبارك في العراق) للأستاذ عبدالرزاق الهلالي و(صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك) للأستاذ محمد محمود رضوان و (زكي مبارك بين رياض الأدب والفن) للأستاذ (فاضل خلف) وكتبت عنه مقالات عدة لكثير من الكتاب والنقاد المعاصرين.

ومنذ أقل من عامين حضرت مهرجاناً شاركت فيه بمحافظة المنوفية لاحياء

ذكرى الدكتور زكي مبارك وشاركني هذا الحضور الصديق الشاعر الدكتور (عيسى درويش) سفير سوريا في جمهورية مصر العربية وقد رأسه محافظ المنوفية المستشار عدلي حسين مع جمهرة من الكتاب والمسؤولين.

وعلى الجملة فإن أي منصف يستطيع الحكم للرجل بأنه لم يمثل حقه في الحياة الثقافية والعملية ولذلك حاول أن ينتصف لنفسه من جميع معاصريه بالدعاوى العريضة وبشراسة النقد وقسوة الحوار وبالغ في ذلك كثيراً.

ومن قسوته في القول معرّضاً بالدكتور طه حسين الذي ألغى انتداباً له في التدريس بالجامعة (لو جاع أطفالي لأطعمتهم لحم طه حسين).

محمـود تـيمـور



(محمود تيمور) .. أحد مؤسسي فن القصة الحديثة في أدبنا العربي، وأحد رواده وهو صنو أخيه الكاتب القصصي البارع (محمد تيمور) ووالدهما هو الأديب الكبير وصاحب المكتبة الشهيرة أحمد تيمور باشا .. المليئة بالمخطوطات القيمة النافعة.

لقد كلفت بقصص محمود تيمور كلفاء شديداً فما فاتني شيء من انتاجه الغزير فيها ..

ولاشك أن أسلوبه القصصي الممتع يخلب بجدارة لب القارئ ويستولي علي تقديره واعجابه وتعلقه به.

وكان تعرفي بهذا الكاتب الفذ في نادي القصة في مصر وقد زرته مراراً في داره بمجلة (جناكليس) بالاسكندرية وبدارة في عمارة (ليبون) بحي الزمالك في القاهرة وأخذت من أدبه الكثير وقبست من خلقه العظيم ..

وقد كان تيمور أديباً كريماً متواضعاً مفتوح المنزل لجميع رواده ومريديه وقد أفضل عليّ أفضالاً كبيراً حينماً تلطف فقدم لي مجموعتي القصصية الأولى (أنات الساقية) والتي أصدرتها دار المعارف بمصر العدد (١٦٧) والتي لقيت رواجاً حسناً.

وقد جاء في المقدمة التيمورية قوله :

وبين يدي أضمامة من الأقاصيص القصار كتبها الأستاذ والصديق (حسن عبدالله القرشي) قرأتها في جلسة طيبة فرأيتني أتمثل في مجموع ما قرأت شخصية

كاتب يتألق بميزات ليست تطفلاً على الفن القصصي ولا إقحاماً له. وإنما هي أدوات تمكن لصاحبها أن يكون له في عالم القصة صولة وجولة!.

وشخصية الأستاذ القرشي صلة روحية بين (مصر) و(الحجاز) ولذلك استبانت في أقاصيصه معالم تلك الصلة، وتجلت ذكرياتها المتبادلة.

ومن ثم كانت صورة تنطوي على كثير من الصدق بيما تعرض من التواصل الاجتماعي بين (الحجاز) موطن العرب و(مصر) عاصمة العروبة!.

وفي أقاصيص الأستاذ القرشي أصداء المجتمع العربي في خصائصه الهادئة، وطبيعته المطمئنة.

لا يعوز هذه الأقاصيص ذكاء الكاتب في تصوير أبطالها ولا خفة روحه في إفاضة الفكهة عليها بل السخرية منها أحياناً وثمة لفتات شائقة، وملاحظات لبقة وأسلوب فيه صفاء ويسر يجانس ما في جو الأقاصيص من يسر وصفاء..!!.

وقد حضرت العديد من محاضرات الأستاذ تيمور القيّمة في دور الأدب المعروفة الكبرى وكان لتيمور أسلوب أدبي مميز رفيع، كما كان أحد كتاب المجلة الراقية الرسالة.

وكما كان قاصاً مبدعاً فقد كان كذلك مصوراص بارعاً للشخصيات وقد نشر في الرسالة العديد من المقالات التي صور فيها الكثير من الشخصيات الأدبية تصوير الفنان المبدع، وهذه المقالات كان يتخاطفها الأدباء معجبين مقدرين روعة قلمه وأدائه المتين الشائق.

وقد ولد الأستاذ محمود تيمور في القاهرة سنة ١٨٩٤م، وكانت أسرته التيمورية العريقة مشهورة بالعلم والأدب وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية، ثم الثانوية التحق بمدرسة الزراعة العليا ولكنه انقطع عن اكمال دراسته بها بسبب مرضه إلا أنه سافر إلى البلاد الأوروبية بعدها وأهمها (سويسرا) حيث درس هناك دراسة أدبية عالية وحذق جانباً كبيراً من الاداب الأوروبية، فدرس الأدبين الفرنسي والروسي وكان لذلك أثره في صقل انتاجه الأدبي وتوسع آفاقه الفكرية وقد مثّل بلده في مؤتمر الأدباء في بيروت عام ١٩٥٤م، وفي مؤتمر القلم في بيروت في نفس العام كما مثّل بلده مستدعى من حكومة باكستان بمؤتمر الدراسات الإسلامية في جامعة بيشاور كما مثّل بلاده في مؤتمر الأدباء الذي عقد في (دمشق).

ونشاط تيمور الأدبي الكبير أهله بجدارة للانضمام إلى مجمع الخالدين (مجمع اللغة العربية) ١٩٤٩م، فكان من أبرز أعضائه.

وقد نال تيمور جائزة الدولة للآداب عام ١٩٥٠م، ومنح جائزة (واصف غالي) بباريس ١٩٥١م، عن أحد كتبه المترجمة إلى الفرنسية المسمى عزرائيل القرية.

كما نال جائزة الدولة التقديرية في الآداب ١٩٦٣م من المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب والعلوم الاجتماعية واحتفلت روسيا بأدبه بمناسبة عيد ميلاده ١٩٦٢م، وكذلك احتفت به جامعة (بودابست) بالمجر تكريماً لأدبه وانتاجه.

والأستاذ تيمور عضو في هيئات أدبية كثيرة من أهمها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر.

وقد احتفى مجمع اللغة العربية بلقائه احتفاء كبيراً وفي استقباله عضواً بالمجمع. وصف انتاجه العميد الدكتور طه حسين بقوله :

(وسبقت أنت إلى شيء لا أعرف أن أحداً شاركك فيه في الشرق العربي كله إلى الآن .. وهو القصص على مذهبه الحديث في العالم العربي .. وانك لتوفى حقك إذا قيل إنك أديب عالمي بأدق ما في هذه الكلمة، وأوسعها، وأعمقها، ولا أكاد أصدق أن كاتباً مصرياً مهماً يكن شأنه قد وصل إلى الجماهير المثقفة وغير المثقفة كما وصلت أنت إليها فلا تكاد تكتب ولا يكاد الناس يسمعون بعض ما تكتب حتى يصل إلى قلوبهم كما يصل الفاتح إلى المدينة التي يقهرها فيستأثر بها الاستئثار كله ..).

ولقد قضى سنين عضويته بالمجمع عضواً عاملاً أعطى من فكره وعلمه وأدبه الكثير مما سيلي الحديث عن ذلك ..

ولتيمور آثار أدبية في القصة وغيرها منها :

كل عام وأنتم بخير، مكتوب على الجبين، إحسان لله، قال الراوي، دنيا جديدة، سلوى في مهب الريح، نداء المجهول، أبو الهول يطير، صقر قريش، أبو شوشة والمركب، حواء الخالدة، اليوم قمر، أشطر من ابليس، ا لنبي الانسان، شفاء الروح، مشكلات اللغة العربية، دراسات في القصة والمسرح، فن القصص، إلى اللقاء أيها الحب، المصابيح الزرق.

أما انتاجه الخصب في مجال دراسات وبحوث مجمع اللغة العربية كما سبقت

الاشارة فقد تضمن العشرات من الأبحاث القيمة المفيدة ومنها ضبط الكتابة العربية، لغة المجتمع الأدب الشعبي، سلطان اللغة العربية، مواليد جديدة في لغة الحياة العامة .. الفصحى، مذاهب الأدب الهادف ومكانه من الأدب الواقعي، ألفاظ الحضارة، وحدة الفكر العربي ومقومات العروبة، الجديد من ألفاظ الحضارة.

وفي رثائه قدم الكاتب الكبير المرحوم محمد خلف الله بحثاً مستفيضاً في نحو العشرين صفحة جاء فيه :

(كان زميلنا المجمعي الراحل محمود تيمور كاتباً قصصياً من الطراز الأول عرف في دنيا العروبة وفي بعض الأوساط الأدبية والفكرية الأجنبية بأنه شيخ كتاب القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر وكانت له وبخاصة في المرحلة الأخيرة من حياته إلى جانب انتاجه القصصي الوافر المتعدد الألوان مشاركة في التوجيه والتقويم للأعمال القصصية وكوابها وهي مشاركة تستحق التسجيل والدرس لأنها تمثل خطوات على طريق التطوير السليم للذوق الأدبي وللقيم النقدية في ميدان القصص العربي الحديث..).

واستشعر زملاؤه الأعضاء الفراغ الكبير الذي أحدثه غيابه الأليم.

الدكتور عبد الوهاب عزام



الأستاذ الكبير الدكتور عبدالوهاب عزام أحد الأعلام من رجال العلم، والفكر، والريادة، وأحد الأفذاذ الذين كانوا مثلاً علياً في ندرة التعلم وقوة العزيمة والوصول إلى أرفع مراتب التحصيل الجامعي.

وقد نشأ نشأة دينية واجتماعية كريمة وفي بيت علم عريق وقد ولد بالشوبك الغربي بمحافظة الجيزة ١٨٨٣م وحفظ القرآن الكريم في فجر عمره ثم التحق بالأزهر، وانتقل منه إلى مدرسة القضاء الشرعي، وتخرج أول زملائه سنة ١٩٢٠م ودرس في هذه المدرسة العليا وفي أثناء دراسته بمدرسة القضاء الشرعي كان يدرس في الجامعة المصرية القديمة وحصل على ليسانسها ١٩٢٣م.

وعمل إماماً في السفارة المصرية بلندن والتحق بمدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن لكي يدرس اللغة الفارسية، ثم نال درجة الماجستير برسالة عن التصوف عن فريد الدين العطار في ١٩٢٨م وعاد إلى القاهرة مدرساً لكلية الآداب بالجامعة المصرية ثم حصل منها على الدكتوراه في الأدب الفارسي وعُين أستاذاً ورئيساً لقسم اللغة العربية واللغات الشرقية فعميداً لكلية الآداب عام ١٩٤٥م.

وقد تسنم الدكتور عبدالوهاب عزام عدة مراكز سياسية مرموقة فقد كان سفيراً في الباكستان وفي المملكة العربية السعودية وحضر العديد من المؤتمرات الهامة كما ألف الكثير من الجوث والمؤلفات في اللغات الشرقية وآدابها، كالفارسية و التركية. وكان أبرز مؤسسي جامعة الملك سعود بالرياض، حيث كان له فيها الأثر البارز، كما اختار لها كوكبة من كبار الأساتذة الجامعيين الذين يوثق بعلمهم وخبرتهم وعظمة اخلاصهم.

وكان واحداً من العشرة الأفذاذ الذين دخلوا إلى مجمع اللغة العربية مجمع الخالدين في يوم واحد هو ٢٨ نوفمبر ١٩٤٦ وهم الدكتور إبراهيم مدكور والدكتور أحمد زكي وزكي المهندس، والدكتور عبدالرزاق السنهوري، والشيخ عبدالوهاب خلاف، والدكتور محمد شرف، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد مصطفى المراغي، ومصطفى نظيف، ومحمد فريد أو حديد، ويكفي بهذا فخراً.

كما اختير عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق وهو أول المجامع والمجمع العلمي العراقي : والدكتور عزام رحالة جاب العديد من البلاد والأقطار.

وقد شرفت بمعرفة الأستاذ الكبير الدكتور عبدالوهاب عزام إبان اشتغاله بتأسيس الجامعة السعودية وعمله سفيراً لجمهورية مصر العربية في المملكة العربية السعودية، ولازمته ملازمة كبيرة مغترفاً من بحر علمه الغزير، ومن نبل خلقه النبيل.

وقد كان الدكتور عبدالوهاب عزام شاعراً رقيقاً وكان معجباً بشعر عنترة العبسي ومن شعره :

ولقد كان الدكتور عزام ضليعاً في العربية متمكناً منها أيما تمكن.

أيها المطرب الحماسي مرحى … اشعلن اللحون تفديك نفسي

واجمع السيف والنسيب فقدما … رام لثم السيوف شاعر عبس

اشفني باللحون تنفث ناراً … ان في النغمة الذليلة دائي

واجعل اللحن عزمة ومضاء … كصليل السيوف في الهيجاء

وكانت هديته الباذخة هي تفضله بتقديم كتابي (فارس بني عبس) وأورد مما جاء فيها ما يلي:

.. عني السيد الأديب الأستاذ حسن عبدالله القرشي بالفارس العربي عنترة

بن شداد، وتوافر على توضيح سيرته ودرس شعره والتعريف بقبيلته وبيئته، فكتب فصولاً من عناوينها :

العرب والجزيرة العربية

بنو عبس

سيرة عنترة

عنترة في سجل التاريخ

نشأته وبيتئه وعشيرته

اسم عنترة وحليته

نسب عنترة

مدارج صباه ومطالع شبابه

حياته

ملامح وسمات شخصية

صور من بطولته في حروبه وبعض أخباره

حرب داحس والغبراء

دفاعه عن اللون الأسود

المرأة في سيرته

نهاية عنترة :

قصة عنترة كما ألفها القصاص

شعر عنترة :

أغراضه وأساليبه

معلقته وتحليلها

لا أقول إنه بلغ الغاية في هذه الفصول، ولكنه قرب الغاية إلى السائر، ويسر له الطريق. وقد مضى يعالج موضوعه في اعجاب وحماس، فكان لأسلوبه من حماسة عنترة نصيب، وكان بحماسته حافزاً القارئ إلى المشاركة في الحماس والاعجاب.

وقد أحسن المؤلف في تمييزه بين شعر عنترة الذي رواه الثقات من المتقدمين، وبين الشعر الذي نسب إليه دون سند في كتب المتأخرين.

والحق أن درس سيرة عنتره وشعره كدرس سير كل الشعراء وأشعارهم، هو الخطوة الأولى في التعريف بالشاعر : سيرته وفنه.

ينبغي لمن يؤرخ للشاعر أن يبدأ بالتحقيق والنقد لمعرفة شعر الشاعر وتميزه من شعر غيره وجمعه وترتيبه.

والنقد والتحقيق في شعر عنترة أوجب منه في شعر جمهرة الشعراء، فقد نسب إلى هذا الشاعر شعر كثير لا تلائم ألفاظه وأساليبه الشعر الجاهلي الصحيح ولا تجانس شعر عنترة الذي أثره عنه ثقات الرواة وأثبته ثقات المؤلفين.

والذي يقيس ما جمعه مؤلف هذا الكتاب بعنوان ما تواترت روايته عن الاصمعي وغيره، إلى ما أثبته بعنوان ما ورد في بعض الكتب والدواوين يجد الفرق الذي يجده بين شعر جاهلي مطبوع وشعر إسلامي متأخر مصنوع.

وقد حفظنا صغاراً هذا الشعر السهل المنسوب إلى عنترة وطربنا له، ثم رفضناه كباراً وعجبنا منه إذ رأيناه لا يشبه شعر الجاهلية في ألفاظه ومعانيه وأساليبه، ولا يقارب المأثور من شعر عنترة.

وقد بدأت المؤلف النقد والتمييز في هذا الموضوع وعليه أن يكمل ما بدأه، عليه أن يستقصي ما ينسب إلى عنترة من شعر في مظانه، ويميز جيده من زائفه وصادقه من كاذبه، وليس هذا أمراً مهماً، ولكنه لا يعجز الكاتب الناقد والباحث الدائب.

ورجاؤنا أن يطرد بحث الأديب الفاضل السيد الأستاذ حسن عبدالله القرشي في هذا الشأن حتى يزيل كل لبس ويوضح كل خفي، ويميز الصحيح من السقيم.

وبعد فالمؤلف مشكور كل الشكر على اختيار موضوعه، وعلى معالجته على هذه الطريقة، مرجو للمضي في طريقه والاستزادة من بحثه.

وقال في مقدمته : (.. فإن وفقت إلى أن أقدم هذا النموذج البشري الفذ بين طيات هذا الكتاب الوجيز، إلى الجيل العربي الحاضر المكافح في سبيل استعادة مجد قومه، المناضل لتشييد عظمة أمته، فذلك حسبي جزاء وقصار أي فخراً..

وأنا أبشره بأنه قد وفق بدءاً والله نسأل أن يديم له التوفيق حتي يوفي على الغاية ويستولي على الأمد ..).

وقد توفي الدكتور عبدالوهاب عزام في يناير عام ١٩٥٩م في المملكة العربية السعودية، وفي الديار المقدسة التي عمر قلبه بحبها.

وقال عنه الدكتور طه حسين في حفل تأبينه : بفضل عبدالوهاب عزام استقر تدريس اللغة الفارسية في جامعة القاهرة، وانتقل منها إلى جامعات أخرى، ومعاهد أخرى للتعليم، وبفضل عبدالوهاب عزام أخذنا نعرف أدب الفرس، ونعرف من اثارهم وأمورهم شيئاً غير قليل.

والدكتور عبدالوهام عزام كان أحد كبار كتاب (مجلة الرسالة) للزيات (٣٣ - ١٩٥٣) وقد زامل في اشتراكه الكتابة فيها الأساتذة الكبار طه حسين، ومحمد حسين هيكل، ومحمد عوض محمد، وعباس محمود العقاد، ومصطفى صادق الرافعي، وأحمد أمين، وعبدالعزيز البشري، وأمين الخولي، ومحمود تيمور، وإبراهيم عبدالقادر المازني، وتوفيق الحكيم، وخليل مطران، وعبدالرحمن شكري، وأحمد زكي أبو شادي، ومحمد عبدالله عنان، وأحمد رامي، وأحمد زكي، وإسماعيل مظهر.

ومن مؤلفات الدكتور عبدالوهاب عزام :

مدخل الشاهنامة العربية للبنداري، مهد العرب وعن سلسلة (اقرأ)، التوارد أو خطرات عام، محمد إقبال، ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، موقع عكاظ، رحلات عبدالوهاب عزام.

ومما حققه :

الشاهنامة التي نقلها إلى العربية البنداري، ديوان المتنبي، مجالس السلطان الفوري، مجالس الصاحب بن عباد (بالاشتراك) الورقة لمحمد بن الجراح (بالاشتراك).

كما اشترك في معجم لجان مجمع اللغة العربية وقدم العديد من البحوث في الموضوعات المختلفة.

وألقى كلمتين احداهما في تأبين الأستاذ الجليل عبدالحميد العبادي والأخرى في استقبال الأستاذ الكبير حمد الجاسر.

وقد كانت لوفاته رنة حزن عميقة لدى أصحابه وزملائه وعار في فضله فمثل هذا العملاق قليل المثال نادر العوض.

الشيخ أحمد حسن الباقوري



هذا رجل أحببته، وحرصت على لقائه، وكانت معرفتي به في مجمع اللغة العربية الذي هو عضو بارز فيه، والذي شرفت بعضويته، وقد رشح للمجمع خلفاص للدكتور أحمد أمين. وهو رجل ما رآه أحد واستطاع نسيانه.

ميزات هذا الرجل لا تُعد فهو رجل فقيه عالم حسن السمت بادي المهابة المطعمة بالتواضع كما أنه أحد علماء الأزهر الكبار الذين لهم مواقف مشهورة.

أما أكبر ميزاته فهو انه خطيب تاريخي وأحد الخطباء الأعلام المصاقع في عالمنا العربي الذين لا يشق لهم غبار، والذين أوتوا من معين الفصاحة ما لم يؤت غيرهم.

وهو إذا خطب الجماهير أثر فيها، وإذا تحدث سحر محدثيه بروعة حديثه، وبلاغة أدائه، ورصانة فكره.

وليلة حادث المنشية في الاسكندرية وهو محاولة اغتيال نائب رئيس الجمهورية حينذاك ألقى خطبة كان لها روعة السحر وقد استهلها بهذا البيت الرائع :

أريد حياته ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مرادي

وهو بيت رائع كان يتمثل به أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في وجه القاتل عبدالرحمن بن ملجم المارد والبيت الذي يسبقه هو :

تمناني ليلقاني أبي

وددت وأينما مني ودادي؟

ولقد كنت أهتبل الفرص للقائه، وأستمع إلى حديثه المشبع بالحكمة والفائدة، وأطيل الجلوس مه ما أمكنت الاطالة.

وكان يروي الشعر ويحب سماعه وكان يستروينى بعض ما أحفظ من شعر قديم، ويطرب لما يروى.

ثم كان يلح عليّ في أن أنشده بعض شعري الذي كنت أتردد في انشاده إياه خجلاً وحياء، ولكنه كان يحل في ذلك ليتلطف بالثناء السمح قائلاً في رقته المعروفة : ما هذه الجزالة يا صديقي نحن لسنا على قدرها .. وما أكبر قدر هذا العملاق.

ولقد كان حبه مزروعاً في قلوب زملائه من أعضاء المجتمع وكان يسر أعظم السرور بزيارتهم له في داره، أو في المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين.

ومنذ نشأته كان طالباً قومياً يشترك في المظاهرات الوطنية ويتقبل ما تفرضه من عقوبات ومتاعب.

ولقد شغل مناصب عديدة، وكان عضواً في جماعة الاخوان المسلمين.

وفي مطلع عهد الثورة المصرية عُين وزيراً للأوقاف وبعد فترة طويلة نُحي عنها - بفعل وشاية الواشين والمزلفين - وبقي في الظل سنوات ثم عُين مديراً لجامعة الأزهر عام ١٩٦٤م، حتى سنة ١٩٦٨م كما عُين رئيساً للمركز العام لجمعيات الشبان وثقافة المسلمين، وعضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

وقد شارك في عدة مؤتمرات علمية وثقافية وعاش محفوفاً بالتقدير والاحترام بقية حياته الحافلة، صابراً على الكثيرمن المواجع والآلام التي ابتلى بها، وإنما يبتلى العبد الصالح وقد ولد في ٢٦ مايو ١٩٠٧م.

وكان مولده في قرية (باقور) مركز أبو تيج والتحق بكتاب القرية ثم بمعهد أسيوط الديني واستمر في دراسته إلى أن حصل على شهادة العالمية النظامية ثم على شهادة التخصص في البلاغة والأدب ١٩٣٢م.

ومن الأبيات التي كان يرددها الشيخ :

سهرت أعين ونامت عيون ... لأمور تكون، أو لا تكون
ان ربا كفاك ما كان بالأمس ... سيكفيك في غد ما يكون
فادرأ الهم ما استطعت عن النفس ... فحملانك الهموم جنون

كما كان يعجب من شعر إسماعيل صبري بالأبيات التالية :

إن سئمت الحياة فارجع إلى الأرض ... تعض آمناً من الأوصاب
تلك أم أحنى عليك من الأمم ... التي خلفتك للأتعاب
لا تخف فالممات ليس بماح ... عنك إلا ما تشتكي من عذاب
وحياة المرء اغتراب فإن مات ... فقد عاد آمناً للتراب

وفي مجمع اللغة العربية أوكل إليه تقديم زميله المهندس أحمد عبده الشرباصي في مجمع اللغة العربية، فقدمه بكلمة جاء فيها قوله في استقباله :

(على أن انتفاع السيد الشرباصي بالقرآن لم يقف عن ألفاظه وأساليبه، ولكنه جاوز ذلك إلى التأدب بأدبه، والتخلق بأخلاقه، وما أسعد امتنا بهذا اللون من الرجال، وما أحوجها إلى هذا النوع من الرجال ..).

وقد توفي في يوم ٢٧ أغسطس ١٩٨٥م حينما كان يعالج في لندن! وبكاه الكثيرون.

وكان لوفاته رنة حزن شديد لدى أصدقائه ولدى جمهور محبيه وكتب عنه صديقه الأستاذ الكبير خالد محمد خالد، تحت عنوان عزيز علينا أن نقول وداعاً لقد رحل الشيخ الباقوري يا كل أحبابه وأصحابه وتلاميذه ويا كل الذين أفادوا من علمه ويا كل المكرمات والمروءات.

رأيته أول مرة مع عشرات الألوف من طلبة الأزهر عام ١٩٣٥م كان الأزهر قد أشعل احدى ثوراته الكبرى فارضاً على الملك الفرعون (فؤاد) وعلى حكومته عودة الإمام محمد مصطفى المراغي شيخاً للأزهر وقاد الثورة أحمد حسن الباقوري .. حين أطل على الألوف الحاشدة في الجامع الأزهر من فوق منبره العظيم لأول

مرة .. كان مصير الثورة قد تقرر ووفر في الروح للجموع المنصتة أن هذا الساحر مدرك غايته لا محالة.

ويبدأ الساحر العظيم خطبته بصوت خفيض يفرض على المكان والزمان والمناسبة مزيداً من الصمت المصفى ومن الخشوع الجليل.

ويعود الباقوري إلى منبره، وإلى جهاده حتى تنتصر به ثورة الأزهر ويوقع الملك كرهاً مرسومه الملكي بعودة المراغي العظيم.

كما كانت جنازته حافلة، حضرها المئات من الأصدقاء والمحبين والمريدين، وعارفي فضله، ومقدري مكانته.

وكان أربعينه مليئاً بالعديدين من الفضلاء وقد أقامه له في أسيوط محافظها اللواء زكي بدراً ومن هؤلاء الدكتور عبدالجليل شلبي والقمص بولس باسيلي والأديب الغزالي حرب والشيخ محمد عبدالواحد وكيل وزارة الأوقاف والدكتور محمود فهمي عن الأزهر وعبدالرحمن السيد أمين عام جمعية الشباب المسلمين والشيخ حسين رشدي شيخ المعهد الديني ومحمود عبدالعال عضو مجلس الشعب وغيرهم.

أهم مؤلفات الأستاذ الباقوري هي :

أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، عروبة ودين، خواطر وأحاديث، في عالم الصيد، مع القرآن، مع الشريعة، مع القرآن حول جزء تبارك، الشريعة والبيزرة، تحت راية القرآن، صفوة السيرة المحمدية، من دلائل النبوة، قطوف من أدب النبوة.

والباقوري حاصل على وشاح النيل من الطبقة الأولى ١٩٥٥م، وكسوة التشريف من الملك عبدالعزيز آل سعود عام ١٩٤٥م، وكسوة التشريف والسيف الذهبي من الملك عبدالعزيز آل سعود عام ١٩٥٣م، ووسام من خليفة تطوان عام ١٩٥٥م، ووشاح الجلالة التشريفية من الملك محمد الخامس ملك المغرب عام ١٩٥٥م، ووسام أمية من الجمهورية السورية عام ١٩٥٧م.

وله نشاطات كثيرة في الصحف، والمجلات، والكتب، والاذاعة، والتليفزيون.

الدكتور أحمد محمد الحوفي



الدكتور الحوفي أحد الأعلام في علوم العربية، وفي فهم مناهج الأدب وقد تعرفت عليه حين كان منتدباً للتدريس بجامعتنا الأولى جامعة الملك سعود فقد كا نموذجاً رائعاً بين الأساتذة وقد أفاد منه طلابها أحسن الفوائد، وأحبوه لما يتمتع به من علم غزير وخلق عظيم وحدب على طلابه ورغبة مخلصة في إفادتهم والتعاطف معهم ولذلك فإن لهذا الأديب العملاق فضلاً يذكر على جامعتنا العتيدة وعلى ما أسداه لطلبتها من شامخ فكره وأدبه، كما أفاد الجامعة في بدايات تأسيسها.

ولقد ولد الدكتور أحمد محمد الحوفي باحدى قرى محافظة البحيرة بقرب دمنهور ١٩١٠م وتلقى تعليمه في أحد الكتاتيب بهذه القرية ثم درس في المدارس الابتدائية بدمنهور والتحق بعدها بتجهيزية دار العلوم ثم دخل دار العلوم ثم دخل دار العلوم العليا وتخرج منها عام ١٩٣٦م ثم حصل - فيما بعد - من جامعة القاهرة على الماجستير في عام ١٩٥٠م وعلى الدكتوراه في عام ١٩٥٢م وفيما بعد عُين رئيساً لقسم الدراسات الأدبية.

ومن حسن حظي أن سعدت بزمالته في مجمع اللغة العربية الذي انتخب عضواً فيه عام ١٩٧٣م في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف.

ولقد كان الأستاذ الدكتور الحوفي من أنشط أعضاء مجمع الخالدين وأغزرهم

انتاجاً، وقد شارك في عدة مؤتمرات أدبية وفكرية وإسلامية، كما كان عضواً باللجنة التأسيسية لجامعة الشعوب العربية والإسلامية وعضواً في المجلس الأعلى للثقافة والإعلام.

ولقد استمرت رحلتي وصداقتي بهذا الأستاذ الكبير فكنت أزوره في داره أسبوعياً وكانت صلتي به أشبه بصلة الأبوة منه والبنوة مني وتعرفت على أفراد أسرته الكريمة.

وقد تلطف فكتب عني وحيا بعض كتبي وقد نشر ذلك في مجلة (الأديب) اللبنانية.

وللدكتور الحوفي ثبت طويل من المؤلفات الأدبية والثقافية نوردها فيما يلي :

الحياة العربية من الشعر الجاهلي، الغزل في العصر الجاهلي، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، أدب السياسة في العصر الأموي، المرأة في الشعر الجاهلي، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، بلاغة الإمام علي، الخطابة السياسية في العصر الأموي، النسيب في شعر شوقي، القومية العربية في الشعر الحديث.

وله تراجم عن :

الجاحظ، الطبري، أبو حيان التوحيدي، الزمخشري.

ومن إسلامياته :

من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، الجهاد، سماحة الإسلام، تحت راية الإسلام، مع القرآن الكريم (جزآن).

ومن متنوع كتبه :

البطولة والأبطال، الفكاهة في الأدب العربي، مع ابن خلدون، حصاد القلم، ديوان شوقي جزء تحقيق وشرح.

ومن بحوثه وكلماته التي ألقاها في المجمع :

كلمته في حفل استقباله

بحث (لا نافية أصلية محذوف ما بعدها)

كلمة في تأبين الشاعر (عزيز أباظة)

كلمة في استقبال الأستاذ الشاعر محمد عبدالغني حسن

كلمة في تأبين المرحوم الشيخ علي الخفيف.

وفي كلمة استقباله في المجمع قال عنه الدكتور إبراهيم أنيس :

(.. وكذلك صديقنا الدكتور أحمد الحوفي يمضي في حياته في هدوء وسلوك وسلام، وهو في نفس الوقت واضح جلي، لا التواء عنده، ولا مواربة يجيد الصمت، كما يجيد الكلام فيحسن الاستماع إلى الناس ويستمتع الناس بحلو حديثه، ثم لا يغريه ذلك أبداً بالصمت عن كلمة الحق ولا إلى أن يبتلى بشهوة الكلام ..).

وقال عنه الدكتور محمد مهدي علام وكان أحد أساتذته :

(.. لقد أدركت في أحمد الحوفي أخلص معاني الوفاء، وشجاعة الرأي تلميذاً وزميلاً كما شاركني في تأليف كتاب المطالعة الوافية للمدارس الثانوية بجزءيه مع زملاء آخرين لقد كان رفيقاً على الطريق).

وقد توفي الدكتور أحمد الحوفي ١٩٨٣م وقد حضرت حفل تأبينه وألقيت فيه شعراً ومما قلت فيه :

قد تولى كالسرحة الشماء ... ومضى في سماحة وإباء

نابه الذكر سامق الفكر فذا ... ملء آفاقه ندى الكبراء

عاش ما عاش عبقري السجايا ... جاحظي العطاء جم السناء

في رحاب الخلود يا (أحمد) الفضل ... ستلقى الجزاء خير جزاء

فأياديك باقيات مدى الدهر ... زهت كالمحجة الخضراء

وكانت الحسرة على وفاته تملأ بالدمع آماق عيون أصدقائه وتلامذته وأقربائه رحمه الله أوسع الرحمات وأفاض عليه شآبيب رضوانه.

الدكتور محمد مهدي علام



أستاذ جيل، ومربي رعيل، وبحر علوم، ومحيط فنون ومسجل تراجم أعضاء مجمع اللغة وقد ولد في اكتوبر ١٩٠٠م تلقى دراسته الابتدائية بمدرسة جوهر اللاله، والثانوية بمدرسة عثمان باشا ثم تقدم لامتحان المسابقة للقبول بدار العلوم ١٩١٦م وكان أول الناجحين وتخرج في دار العلوم ١٩٢٤م فابتعث إلى انجلترا واستكمل دراساته العليا في جامعات اكستر ولندن ومانشستر وقد شملت دراساته العليا الأدب الانجليزي واللغة العبرية وعلم النفس واللغة الفارسية والألمانية، وحصل في دراساته على دبلومات عالية ثم على درجة الدكتوراه.

ثم درس في في دار العلوم وقسم التخصص في الأزهر وفي جامعة مانشستر وفي قسم الدراسات العليا الانسانية بجامعة الأزهر وكان أستاذاً للنقد الأدبي بالمعهد العالي للتمثيل.

وقد أسهم في انشاء كلية الآداب بجامعة عين شمس وشغل فيها كرسي الأستاذية للغة العربية وآدابها وكرسي الأستاذية للغة الانجليزية وآدابها وقد أشرف على العديد من وسائل الدراسات العالي في الأدبين العربي والانجليزي للماجستير والدكتوراه.

وتولى عمادة مفتشي اللغة العربية بوزارة المعارف، كما كان رئيساً منتدباً لقسم اللغة الانجليزية بمدرسة الألسن منذ افتتاحها ١٩٥١ - ١٩٦٣ إلى مجموعة من الوظائف الثقافية العليا كما كان عضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب لأكثر من عشرين عاماً.

وكان رئيساً لتحرير مجلة (حوليات كلية الآداب لجامعة عين شمس وتولى الكثيرمن المراكز العلمية العليا).

وقد عُين عضواً بمجمع اللغة العربية ضمن العشرة الذين عينوا في سنة ١٩٦١م بمناسبة زيادة عدد الأعضاء وتعديل قانون المجمع.

وفي مجمع اللغة العربية عرفت هذه الشخصية الفذة مبهور بسمو علمه وعظمة خلقه ونبل تواضعه على ارتفاع مكانته.

كما ثابرت على صلتي به والاستفادة من غزير معارفه وعظمة أفكاره وسعدت أيضاً بمعرفة أسرته الكريمة النبيلة.

وقد شاهدت عياناً أن كل من تتلمذ على الأستاذ الكبير الدكتور محمد مهدي علام يحمل له أعمق التقدير والاكبار وأطيب الذكريات وأغلاها.

والحقيقة أن ما تركه الدكتور مهدي من تراث ثقافي وفكري وأدبي ليملأ مكتبة كبيرة فهو بدون شك جاحظي العطاء.

ومن أهم مؤلفات الدكتور مهدي علام :

فلسفة العقوبة، فلسفة الكذب، فلسفة المتنبي، المتنبي بين نفسيته وشاعريته، العفو في القرآن، نظرية جديدة (العربية والانجليزية) مقصورة حازم القرطاجني (تحقيق) نظرية في نشأة من (المقصورة) في الأدب العربي، تربية الشباب في الإسلام بالعربية والانجليزية) الصدقة في الإسلام نظرية جديدة - في غير الزكاة (بالعربية والانجليزية) نظرية الوسط بين فلاسفة اليونان وفلاسفة المسلمين، رفاعة الطهطاوي، عائشة أم المؤمنين، نثر حفني ناصف (بالاشتراك) النقد والبلاغة جزآن (بالاشتراك) قواعد اللغة العربية، النحو، الصرف، المعاني، البيان البديع سبعة أجزاء (بالاشتراك) بين اليراع والقرطاس، الروح الثورية لبرناردشو بالانجليزية، مجموع اللغة العربية في ثلاثين عاماً (المجمعيون المائة .. الكرام) إلى عشرات أخرى من المؤلفات المهمة والتي من أهمها مراجعة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية والتعليق على آراء المستشرقين.

كما استفدت كثيراً من مؤلفه القيم الرائع (المجمعيون في خمسين عاماً) مع مؤلف اخر يجمع تراجم المجمعيين المراسلين.

وقد مثّل مصر في عدة مؤتمرات رئيساً لوفودها في جميع المؤتمرات التي عقدت لحركة التضامن الافريقي والآسيوي ولمؤتمر الأدباء العرب في الكويت والعراق وفي الندوة الاسلامية العالمية التي عقدت في لاهور باكستان عام ١٩٥٨ وغير هذه المؤتمرات.

وفي سنة ١٩٤٥م مثّل الحكومة السعودية (منتدباً من الحكومة المصرية) في أول اجتماع للأمم المتحدة في لندن لتأليف هيئة اليونسكو.

ومن آثاره :

كلمة نيابة عن الأعضاء العشرة الذين ألحقوا بالمجمع بمناسبة زيادة الأعضاء.

دراسة عن الانتاج الأدبي الفائز بجائزة المجمع.

كلمة في استقبال الدكتور أحمد البطراوي عضو المجمع.

كلمة في تأبين المرحوم الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت.

كلمة في تأبين المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات

كلمة في تأبين المرحوم الأستاذ حامد عبدالقادر

كلمة في استقبال المرحوم الأستاذ بدر الدين أبو غازي

كلمة في استقبال الأستاذ الدكتور مجدي وهبة

كلمة في استقبال الدكتور ناصر الدين الأسد.

كلمة في تأبين الأستاذ زكي المهندس نائب رئيس المجمع إلى غير ذلك.

وقد تولى منصب نائب رئيس المجمع.

وهو حاصل على الجائزة التقديرية في الآداب سنة ١٩٧٦م وعلى وسامي الجمهوري من الطبقة الثالثة ثم الثانية ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى وكانت وفاة هذا العلم الشامخ بتاريخ ١٩٩٢م، والفجيعة في فقدانه كارثة ثقيلة :

وحينما بلغني نعيه ارتجلت الأبيات التالية :

سلام على العلم الأمجد ... سلام على الفكر والسؤدد
سلام على نابه أروع ... سلام على الخلق السيد
ومن عاش للعلم لا يبتغي ... سواه مراما ولا يجتدي
سيجزيه رب الورى جنة ... وطوبى لمن فعله يقتدي!

٢١/١٠/١٤١٩هـ

فكري أباظة



كاتب صحفي كبير عشقته منذ قرأت كتابه (الضاحك الباكي) الذي ترجم إلى عدة لغات وهو عبارة عن قصة واقعية لعلها تمثل جزءاً من حياة الكاتب ذاته وفي مراهقتي الأدبية حفظت صفحات وصفيحات من هذاالكتاب معجباً - كل الاعجاب، بأسلوب الكاتب - والكاتب شخصية محبوبة ومحام شهير، يكتب في معظم المجلات الشهيرة وتجد في أسلوبه روح الأديب، وتجارب السياسي، وعنفوان الناقد ولم يكن يتقاضى أجراً على ما يكتب للصحف على كثرة ما كتب!

وقد قرأت له مرة مقالاً في مجلة المصور عنوانه يومها (سبعة عشر عاماً هنا ما أسرع العمر) ذكر فيه أنه بينما كان في أحد بلاجات الأسكندرية إذ أقبل عليه شاب أسمر تبدو عليه العراقة فحياه وعرَّفه بنفسه أنه (اميل جرجي زيدان) ذاكراً له أن دارهم دار الهلال تعتزم اصدار مجلة سيدعونها (المصور) وانه يسعدهم أن يتعاون معهم في اصدارها وينتظرون بالسرعة الممكنة وصول أول مقال له للمجلة.

وذكر أنه سارع فأمدهم بالمقال المطلوب، ورغم أنه لا يتقاضى مكافأة أو أجراً على ما يكتب فقد وصله خطاب مرفق به (شيك) خدَّره الرقم المرصود به فلم يرفضه - ولأول مرة في حياته الصحفية.

واستمر يكتب على هذا المنوال للمجلة ويمدها بروائعه!

وقد حرصت على التعرف على هذا الكاتب العملاق ومتحسن الظروف كثيراً إذ التقيه في أمسية من أماسي صنوه الصحفي الكبير (كامل اشناوي) بدار الأهرام فبدأت معرفتي به منذ ذلك الحين وأدمنت زيارته حيث كان رئيساً لمجلس إدارة مؤسسة الهلا ورئيساً لتحرير المصور.

كان فكري أباظة محاضراً فحلاً وخطيباً مصقعاً لا تمل الاستماع إليه وقد نال لمنــزلته العالية رتبة (الباشوية) وكانت حينها أرقى درجات التكريم للشخصية الفذة المعروفة.

وفكري أباظة أحد الشخصيات المرموقة في الأسرة الأباظية العريقة التي من أكابرها الوزير إبراهيم دسوقي أباظة، الأديب والشاعر الفحل (عزيز أباظة) وكثير من أعلامها كانوا يتمتعون في مجتمعهم بمكانة محفوفة بالتقدير والمحبة والاحترام لما لهم من فضل وعلم وكرم على الجميع من أحبائهم وأصدقائهم وذويهم، ومن يلوذ بهم ..

وقد ولد فكري أباظة عام ١٨٩٣م ورحل في ١٤ فبراير من عام ١٩٧٩م وفي شبابه كان معروفاً برياضيته كما كان أحد أبطال كرة القدم، ومن أعاظم المشجعين لهذه اللعبة.

وحين أنعم عليه برتبة الباشوية هنأه قريبه الشاعر الكبير عزيز أباظة بقصيدة يقول فيها :

قبلوا الباشا وضموه أشد الضم عني

واسكبوا في أذنيه هذه الهمسة مني

ليست الرتبة شيئاً وهي حلم المتمني

انه المعنى الذي تحمل يجزيك فيغني

لم تنلها في حمي مال، ولا جاه، وسن

لا ولا بالحسب الممتد من بطن لبطن

تبدع الفن الذي يقصر عنه كل فن

قلم من سرحه الخلد مغذ متأني

قاطعاً في غير طعن منصفاً في غير من
قاسياً في غير قدح ليناً في غير وهن
مرسى الفكرة والرأي على وثق ركن
وخطيب أيقظ الأمة بالصوت المرن
أوحدي اللحن تزجيه فيشبو كل لحن
تنشر الحق وتسمو فيه عن حق وضغن
أنت اشراقة روحي أنت اغفاءة جفني
أن أهني فبمن أبدأ؟ بالله أعني
أنت نفسي يا أخا العمر .. فنفسي من أهني!

الخ ....

وفكري أباظة بطبيعته كان فناناً وكان حريصاً على حضور حفلات السيدة (أم كلثوم) ومن أشهر روادها والمعجبين بها!

وكان للزعيم سعد زغلول فضل عليه في دعم حياته الدراسية ولذلك كان فكري أباظة يقول إن سعد باشا كان يقول له حين كان يشتد في معارضته : (الحق عليَّ دخلتك المدرسة)!

ولقد أوتي بسطة في العلم والجسم وحضوراً ومقتبلاً باهراً مما يطلق عليه (كاريزما)!

وأينماحل فكري أباظة كانت تحيط به جماهير المريدين والمعجبين إكباراً وإعزازاً

وكانت له في الكتابة تعليقات مع كبار السياسيين مثل (من فكري أباظة إلى علي ماهر باشا).

كما كانت له بعض أبواب مثل (الجاسوسة الحسناء)!

وكتب فكري أباظة عن نفسه يقول والحق يبرأ من التواضع المخذول :

(.. أنا متدين، ومؤمن، ومسلم، وديني وإيماني وإسلامي من النوع العميق لا من النوع السطحي .. تدين سر لأجهر علمني والدي عدم التعصب).

أما عن دراسته فكانت بدءاً من الكتاب ثم بمدرسة عابدين الابتدائية ثم بمدرسة

الجيزة الابتدائية ثم بالمدرسة السعيدية الثانوية وفي اكتوبر ١٩١٣م التحق بمدرسة الحقوق وتخرج فيها عام ١٩١٧م.

وبطبيعته فقد كان طالباً ثورياً ثم كان رجلاً مليئاً بالأفكار الوطنية وكان خصب اليراع سلس العبارة، وقد كتب عنه الكاتب (محمد سعيد) في المصور أن مجموعة مقالاته في المصور بلغت خمسة آلاف وخمسمائة مقال في السياسة والفن والنقد الاجتماعي والاقتصادي والأدب وغير ذلك.

وقد كان دائماً شخصاً مقدراً حتى أصابته الجائحة التي نورد ذكرها فيما يلي :

فقد كتب مرة مقالاً في المصور بعنوان (الحالة ج) في عهد الثورة المصرية تعرض فيه للسلوكيات الدولية والعربية وأبدى اقتراحات سياسية وذلك في ١٨ أغسطس ١٩٦١م ويبدو أن ذلك أثار السلطة عليه فصدر بعده قرار مضمونه : (أن رئيس الدولة أمر باعفاء السيد محمد فكري أباظة من رئاسة مجلس إدارة مؤسسة دار الهلال ورئاسة تحرير المصور) وقد نشر في صدر صحيفة الأهرام.

وكان هذا القرار صدمة عاتية لهذا الكاتب العبقري ولماضيه وهو في السن التي تستدعي التوقير والتكريم وبذلك اختفى يراعه الفياض فترة ثم سمح له بالكتابة في المصور - دون أي منصب من ١٦ ابريل ١٩٦٢م وقد قال في ذلك : (حدث أنني قرأت فجأة في الأهرام أنني أُعفيت من جميع مناصبي وقضي علي أن ألجأ إلى الشارع وأستريح في قهوة الأنجلو ..).

ثم سمح له بالاعتذار فنشر مقالاً بعنوان (معركة بين ضميري وقلمي) في جريدة الأهرام في ٢٥ سبتمبر ١٩٦١م وفيه يقول :

(كان واجباً عليّ أن أنشر لقرائي ايضاحاً عن مقالي ولقد كان أوجب أن أقدم هذا الايضاح لصاحب الشأن أولاً وهو سيادة الرئيس.

ولقد فعلت والرجل العظيم الذي أعفى المحكوم عليه بالاعدام من الاعدام، والذي أعفى الذين تآمروا على حياته من الاشغال الشاقة المؤبدة هذا الرجل لا يعز عليه أن يعفي فكري أباظة لا من الاعفاء وإنما من حيثيات الاعفاء إذا شاء فشاء .. لا يمكن يختفي قلم فكري أباظة في عهده)! وبعد ذلك صدر الأمر بعودته إلى الكتابة في المصور في ١٦ ابريل ١٩٦٢م - كما سبق القول -.

وبدون شك فإن الواجب كان يقضي بتجنيب الرجل هذا الموقف الاعتذاري المذل مراعاة لماضية الحافل الجميل، ولكن للسلطة موقفها وعنفها!

إلا أن هذه الحادثة كانت ثقيلة على نفس هذا الكاتب الفذ وشعوره بالنكران والجحود كان بالنسبة له كارثة حزن لا يعلم مداها إلا الله لاسيما وأنه في فترة احتجابه قد أحس الكثير من غدر تصرف من أحسن إليهم في حياته ومن جحودهم ولؤم خبثهم.

وكان الرجل مليئاً بالمشاعر الإنسانية كما كان كريماً سمح السجايا يتسم بشهامة عالية، وحب للعطاء، ورغبة في مؤازرة الغير وبذل الكثير لهم من ذات نفسه المفعمة بعواطف الخير.

ومن الصحف التي كتب فيها جريدة (المؤيد) لصاحبها الشيخ علي يوسف والأهرام وصحف دار الهلال وغيرها ..

وقد ذكر الأستاذ لمعي الطيفي صاحب موسوعة الكتاب القيم (هذا الرجل من مصر) أن مقاله يوم رحيله في ١٤ فبراير ١٩٧٩م كان عن التضامن العربي ونبذ الفرقة ..

وقد كان الرجل خطيباً مصقعاً، وشاعراً وزجالاً وله في كتابه ظلال سخرية ةكما كان نقيباً للصحفيين وكان من زعماء الحزب الوطني المرموق!

وكان يوم تشييعه يوماً مشهوداً يرتسم فيه الحزن على ووجوه كل مشيعيه وهكذا شيعت مصر – وهي حزينة - هذا الابن البار من أبنائها الأمجاد.

وقد رثاه كثيرون كما ألف عنه الكاتب الكبير صبري أبو المجد كتاباً عنوانه (فكري أباظة).

شاعر الشام - خير الدين الزركلي ١ - ٢



الزركلي شاعر كبير ومجاهد عريق، وموسوعي جليل، ودبلوماسي محنك، ومؤرخ حجة، وأديب نابه. وقد كان معاصراً لأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، واضرابهما.

وقد تعرفت عليه حينما كان يعمل سفيراً في وزارة الخارجية السعودية ولازمته فترة طويلة فقد كنت قبل أن أعرفه معجباً بشعره وكانت شخصيته تستحق الاعجاب وقد وقع الجزء الأول من ديوانه مبكراً في يدي فحفظت منه الكثير. ثم اقتنيت موسوعته الكبيرة المجلدات العشرة الموسومة بـ (الاعلام) ولاشك أن الجهد الذي بذله في تأليفها جهد تنوء به المجامع العريقة وهو بها قد خدم العربية أجل الخدمات وقد صدرت في عام ١٩٢٧م، وقد ولد الزركلي في بيروت. عام ١٨٩٣م، وكانت نشأته في دمشق، وشارك في الصحافة، ثم نزح إلى مصر. وفي دمشق أنشأ جريدة (المفيد) كما أنشأ في (حيفا) جريدة (الحياة) وأسس في مصر (المطبعة العربية) التي نشرت ديوانه ..

وفي دمشق كان له نضاله المعروف حيث شارك في الحركة القومية وناهض الاستعمار، وقد حكم عليه بالاعدام غيابياً من قبل الفرنسيين وكان له موقف ثائر ضد الاستعمار، الغاصبين واذكاء أوار الثورة السورية في مواجهتهم.

ويبقى أن نقول : إن الزركلي عُين مستشاراً للوكالة العربية السعودية بمصر،

سنة ١٩٣٤م واشترك نيابة عن الحكومة السعودية في التوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية، كما مثل الحكومة السعودية في عدة مؤتمرات دولية، وعُين وزيراً مفوضاً لدى الجامعة العربية ١٩٥١م ثم سفيراً في المملكة المغربية ١٩٥٧م وعُين عضواً بمجمع اللغة العربية بمصر ١٩٤٦م.

ولاشك أن الحياة العريضة الحافلة التي حييها الزركلي تستحق ما حظيت به من إعجاب، وحفاوة، وتقدير!

وقد تصادف أن الملك (حسين بن علي الأول) استاء من مجموعة من معارضيه فحملهم إليه ابنه الملك عبدالله إلى الحجاز على باخرة حجازية اسمها (الرقمتين) وقد كتب في ذلك قصيدة يحذر فيها الملك حسين من من التعرض لهذه المجموعة بالأذى ويقول فيها :

يا حاملاً بالرقمتين جماعة   حملوا لواء المكرمات فرادى
هم أم تسعى إليك وواهم   من ظن أو سماهموا أحادا

وفيما يلي صدر هذه القصيدة ومطلعها :

يا قلب لوجعك الحديث معادا   فاخفق كما شاء الأسى وأرادا
(عمان) كانت أمس يا لهفي على   آمال أمس الموئل المرتادا
لاذت بعبدالله فانقادت وما   حسبته لاذ بغيرها فانقادا
من كان أقصى همه (شطرنجه)   كانت بيادقه له اجنادا
ما كان الاستقلال ما اتاهموا   من (لندن) بل كان الاستعبادا

ولاشك أن شعر الزركلي السياسي قد ساهم في تسجيل ورصد نبض الأمة في حقبة من أهم حقب التاريخ العربي .. كما كانت له سيرورة كبيرة فما كانت قصائده تنشر حتى يتهافت عليها القراء في شتى بقاع الأرض العربية التي تصل إليها.

وله قصيدة عنوانها (نفثة مصدور) قيلت في المؤتمر العائلي الذي عقد في جدة بين الملك حسين وأولاده فيصل وعبدالله وعلي وزيد والذي وافق فيه على تنصيب فيصل ملكاً على العراق وفيها يحث الأمير عبدالله على نجدة (سورية) التي احتلها

الفرنسيون وأساؤوا إلى أحرار، وأشراف أهلها :

أبا نائف جاز الرصافة فيصل … وسورية يعدو لديك نواحها
فهل أنت مذكري نارها فمجيرها … عشية إذ ريعت وخيف افتضاحها؟
وإلا فيا للذل بعد اعتزازها … لقد هان في عين العداة اكتساحها!

وقد قال قصيدة في شهداء السادس من (آيار) :

نعى نادب العرب شبانها … فجدد بالبغي أحزانها
بكى كل ذي عزة تربه … فهاج نزاراً، وعدنانها

وحينما ضربت (دمشق) أنشأ أحمد شوقي قصيدته المعروفة والتي يقول مطلعها :

سلام من صبا بردى أرق … ودمع لا يكفكف يا (دمشق)!
ومعذرة اليراعة والقوافي … جلال الرزء بمن وصف يدق
وأخرى عن خواطرها لقلبي … اليك تلفت أبداً وخفق

وكتب الزركلي قصيدة خالدة في هذه المناسبة وكان بعيداً عن وطنه مهاجراً في مصر يقول فيها:

الأهل أهلي والديار دياري … وشعار وادي (النيربين «١») شعاري
ما كان من ألم بجلق نازل … وأرى الزناد فزنده بي واري
إن الدم المهراق في جنباتها … لدمي وإن شفارها لشفاري
دمعي لما منيت به جار هنا … ودمي هناك على ثراها جاري!
يا وامض البرق اطمئن وناجني … إن كنت مطلعاً على الأسرار
ماذا لديك فان صوتاً راعني … والصوت فيه جفوة الاذعار؟!
النار محرقة بجلق بعدما … تركت (حماة) على شفير هار!
تنساب في الأحياء مسرعة الخطى … تأتي على الاطمار والاعمار
والقوم منقسمون في حماتها … فتكاً بكل مبراً، صبار

وناجى وطنه وهو مبتعد عنه فقال في (دمشق) :

أنـا في هـواك كمـا يـشـاء هـواك ... كـلـف بـحـبـك يـا دمـشـق ودود
لم أنـأ عـنـك قـلـى ولا لنقيصة ... مـا أنــت إلا ربـعـي المـحـمـود
ولقد هجرتك حين حاق بي الأذى ... مـا لـلأبـاة عـلـى الـهـوان قـعـود
أغضيت عنك ولو ملكت أعنتي ... لم ينبسط بيني وبينك بيد!

وقال الزركلي حين صدر عليه حكم الاعدام الغيابي :

نـــدروا دمـــي حـقـاً عـلَّ وفـاتـهـم ... إن الـشـقـي بـمـا لـقـيـت سـعـيـد
الله شـاء لي الحـيـاة، وحـاولـوا ... مـا لم يـشـأ ولحـكـمـه الـتـأيـيـد!

وهكذا فقد كان الزركلي أحد الألسنة العربية الحرة التي تنطق بالكلمة الجريئة لا يريد بها غير وجه الله وعزة الوطن في سلاسة شعرية بالغة وجزالة رائعة موحية.

(١) النيربان : متنزهان في دمشق

شاعر الشام - خير الدين الزركلي ٢ - ٢



وللزركلي غزل رقيق وإن غلب على شعره الطابع القومي واستشعار آلام الأمة العربية.

ومن أرق شعره قصيدته (نجوى) في الحنين إلى الوطن والتي يقول فيها (أبو غيث) مستثيراً الدموع كل الاستثارة :

العين بعد فراقها الوطنا ... لا ساكناً ألفت ولا سكنا
ريانة بالدمع أرقها ... ألا تحس كرى ولا وسنا
كانت ترى في كل سانحة ... حسنا وباتت لا ترى حسنا
والقلب لولا انه صعدت ... أنكرنه وشككت فيه أنا!
ليت الذين أحبهم علموا ... وهمو هنالك ما لقيت هنا!
ما كنت أحسبني مفارقهم ... حتى تفارق روحي البدنا!
يا موطناً عبث الزمان به ... من ذا الذي أغرى بك الزمنا؟!
قد كان لي بك عن سواك غنى ... لا كان لي بسواك عنك غنى!
ما كنت إلا روضة انفا ... كرمت وطابت مفرسا وجنى
عطفوا عليك فأوسعوك أذى ... وهمو يسمون الأذى مننا!
وحنوا عليك فجردوا قضبا ... مسنونة وتقدموا بقنى!

إلى أن يقول :

يا طائر غني على غصن ... والنيل يسقي ذلك الغصنا

زدني وهج ما شئت من شجني ... إن كنت مثلي تعرف الشجنا

أذكرتني ما لست ناسيه ... ولرُب ذكرى جددت حزنا

أذكرتني (بردى) وناديه ... والطير أحادا بها .. وثنى

وأحبة أسررت من كلفي ... وهواي فيهم لاعجا كمنا

كم ذا أغالبه ويغلبني ... دمع إذا كفكفته هتنا

لي ذكريات في ربوعهموا ... من الحياة تألقا وسنى!

إن الغريب معذب أبدا ... إن حل لم ينعم وإن ضعنا

وقد عارض أبو غيث قصيدة (يا ليل الصب متى غده) بقصيدة رائعة مطلعها :

بفؤادي جرح تعهده ... ما غير وصالك يضمده

والعين أبت إلا دمها ... تجريه لعلك تشهده!

والقصيدة الأولى عارضها العشرات من الشعراء وفي أوائلهم شوقي الذي كان مطلع قصيدته :

مضناك جفاه مرقد ... وبكاه ونوّح عوّده!

والتي شدا بها مطرب الأجيال محمد عبدالوهاب!

وفي مشق سنة ١٩١٩م نشر موشحة أورد فيها شعراً قصة (ماجدولين والشاعر) يقول في مطلعها :

من لدامي القلب مكسور الجناح ... فقد الأم وجافاه الأب؟

ألــف اليــاس مــســاء وصــبــاح		جــن في عيـنـي هــداه المذهــب!

ومن شعره بعنوان (يا زمان!) :

متـى تـرى تبسـم لي يـا زمـان؟		الا حـنـان؟
أسلمتني لا أنـس لي ولا أمـان		للحـدثـان
عـيـنـاي لم تـبـرحـا تجـريـان		نضـاخـتـان
أبكي ربوعا لا تطيق الهوان رهن		امــتــهــان!

ويقول متوجعاً لما أصابه من شقوة إبان الاحتلال الفرنسي :

وطــنــي طــال بـكـائـي		والأســى مما عــراكــا
أتــرى تـصـفـو سـمـاي		أنــا أهــوى أن أراكــا
أنــا لا أعــشــق ممـا		عــشــق الــنــاس ســواكــا
فــيــك محــيــاي ومــثــوى		أعــظــمــي تحــت ثــراكــا!

وقد أصدر الأستاذ الكبير الزركلي :

١ -- كتابه ما رأيت وما سمعت في سنة ١٩٢٣م.

٢ - وكتابه عامان في عمان في سنة ١٩٢٥م.

وفي السنة نفسها أصدر الجزء الأول من ديوان شعره المسمى باسمه (ديوان خير الدين الزركلي).

٣ - أما موسوعته (الاعلام) فكان صدورها في سنة ١٩٢٧م وهي عبارة عن تراجم لأشهر الرجال والنساء من عرب وأجانب.

وقد انتخب في ١٩٣٠م عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق وهو أسبق المجامع العربية جميعها.

وكانت وفاة الزركلي في عام ١٩٧٧م وكان عمره آنذاك أربعة وثمانين عاماً وبهذا يعتبر من الأشخاص الذي نسيء لهم في الأجل!

١٤١٩/١١/١٢هـ

المؤرخ محمد عبدالله عنان



المؤرخ الكبير (محمد عبد الله عنان) أحد المؤرخين المعاصرين الأفذاذ الذين أثروا المكتبة التاريخية أيما إثراء، والذين خلفوا ثبتاً طويلاً من المؤلفات القيمة النافعة التي لا يقدر على انتاجها المتوالي إلا ذوو العزم من العلماد وقد كان هذا العملاق واحداً منهم بل واحداً من أبرزهم وأنشطهم وكان متسماً دائماً بالخلق الرضي والتعلق بعظائم الأمور والبعد عن سفاسفها.

وقد ولد سنة ١٨٩٨م بقرية بشلا مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية وتلقى تعليمه الأول في كتاب القرية وحين انتقلت الأسرة إلى القاهرة تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة العقادين الأميرية ثم انتقل إلى المدرسة ا لخديوية الثانوية ثم درس القانون في مدرسة الحقوق وتخرج منها في سنة ١٩١٨م واشتغل بالمحاماة ثم عمل في إدارة المطبوعات وترقى حتى صار وكيلاً لها ونقل بعدها إلى وزارة المعارف مراقباً للثقافة العامة ثم استقال منها وتفرغ لبحوثه التاريخية وقد قرأت جانباً كبيراً من مؤلفات هذا الكاتب المؤرخ قبل أن أعرفه وقد انتخب لعضوية مجمع اللغة العربية في سنة ١٩٧٦م في الكرسي الذي خلا بوفاة المرحوم الدكتور (عبدالحكيم الرفاعي) وقد تعرفت عليه في المجمع وآنست بمحضره ولازمته فترة طويلة وناقشته في بعض ما كتب وقد قال عنه الأستاذ علي النجدي ناصف يوم استقباله في المجمع.

ولم يتبوأ الأستاذ عنان مكانه هذا بين أنداده وفي قلوب قرائه عفواً ميسوراً، أو قدراً مقدوراً، ولكن جهاداً كبيراً وصنيعاً مشكوراً يتمثلان في آثاره الحسان، وبحوث شائقة متعددة أصاب الناس منها علماً غزيراً، ومتاعاً طيباً لا لغو فيه ولا تأثيم.

وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية سنة ١٩٧٦م.

وللأستاذ عنان تاريخ حزبي معروف وعمل سياسي مشهود أما في التاريخ فله باع طويل لا يجارى وقد قال عنه الأستاذ أحمد بهاء الدين (انه أحد أعظم المؤرخين المصريين في كل العصور)

والتاريخ علم واسع وهام وقد قال فيه الشاعر :

ليس بانسان ولا عاقل ... من لا يعي التاريخ في صدره

ومن وعي اخبار من قبله ... أضاف أعماراً إلى عمره

ولعل دراستي التاريخية من العوامل التي قربت إلى نفسي فرحي بصلتي لهذا المؤرخ العملاق، وقربي إلى نفسه الغالية.

والأستاذ عنان يتسم شخصياً بالهدوء والرصانة والرزانة والوقار والوداعة، وقد نسأ الله له في الأجل حيث كان لنا منه ذخر عظيم وركاز ثمين وكان رحيله في يناير ١٩٨٦م وقد عز فراقه على زملائه أعضاء مجمع اللغة العربية حيث كان له إسهام كبير وجهد موفور في أعمال المجمع، وقد قال عنه الدكتور محمد مهدي علام نائب رئيس المجمع :

(إنني في إجلال وتوقير أعترف بفضل كتبه على ثقافتي، قرأت له منذ الشباب المبكر، ثم سعدت بلقائه في باكورة الستينيات عندما عهد إليّ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعي في تأليف لجنة يشترك فيها عضو من كل لجنة من لجان المجلس لتختار أسماء الأبطال في التاريخ العربي والإسلامي لتكون موضع احتفال قومي في تواريخ ميلادهم أو وفاتهم).

وقد عانى هذا الكاتب الكبير من الأمراض ويذكر الأستاذ لمعي المطيعي في كتابه هذا الرجل من مصر عنه ما يلي :

(آخر مرة لقيته فيها كانت وسط البلد في أحد الشوارع المزدحمة يتكئ إلى ذراع

تلميذه وصديقه زميلنا وصديقنا حسين فوزي كان المرض يناوشه، وفي سبيل أن ينتصر عليه .. نظرت إليه وارتد الذهن ستين عاماً إلى الخلف أو تزيد).

أما مؤلفات الأستاذ محمد عبدالله عنان فقد أوردها الدكتور محمد مهدي علام نائب رئيس المجمع في كتابه القيِّم (المجمعيون في خمسين عاما) وهي كالآتي :

١ - تاريخ المؤتمرات السياسية.
٢ - تاريخ الجمعيات السرية، والحركات الهدامة.
٣ - مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام (بالعربية والانجليزية).
٤ - ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى.
٥ - مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية.
٦ - مؤرخو مصر الإسلامية.
٧ - الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية.
٨ - تاريخ الجامع الأزهر.
٩ - ابن خلدون حياته وتراثه الفكري
١٠ - دولة الإسلام في الأندلس (جزءان).
١١ - دول الطوائف.
١٢ - عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس.
١٣ - نهاية الأندلس، وتاريخ العرب المتنصرين.
١٤ - الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا.
١٥ - لسان الدين بن الخطيب (حياته وتراثه الفكري).
١٦ - الاحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق.
١٧ - تراجم إسلامية - شرقية، وأندلسية.
١٨ - ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب (لابن الخطيب) - تحقيق.
١٩ - مأساة مايرلنج.
٢٠ - المذاهب الاجتماعية الحديثة.
٢١ - المآسي والصور الغوامض.

وقد كان الأستاذ عنان من أكثر أعضاء المجمع حرصاً على حضور جلساته، ولجانه.

الدكتور يوسف إدريس ١ - ٤



كاتب موهوب أحببته ..

وترجع أوائل معرفتي بهذا الكاتب العملاق إلى حفلة تكريم أقامها لي في داره صديقي الشاعر الكبير محمد الفيتوري وحضرها نخبة من الشعراء والأدباء كان في قمتهم الشاعر الموهوب محمود حسن إسماعيل .. وحفلت بجو أدبي مفعم بروح الود والاخاء ورويت فيها بعض النوادر الأدبية التي عرضت لها فيما كتبته عن الشاعر محمود حسن إسماعيل .. وكان الدكتور يوسف مأخوذاً بما رواه الشاعر إسماعيل من شعره وهو شاعر جدير بالاعجاب والاكبار.

وتوالت لقاءاتي بالدكتور يوسف إدريس في أمسيات شعرية بالكويت وبغداد والسعودية وفي كل هذه اللقاءات كان الدكتور مثالاً للشخصية النبيلة الجديرة بالاكبار.

وقد دعاني مراراً في كافتيريا الأهرام حيث كان يعمل وكانت صلته حميمة بالأستاذ الصحفي الكبير الصديق محمد حسنين هيكل الذي كان يرأس مؤسسة الأهرام العريقة والذي نهض بها إلى الأوج وأوصلها إلى المستويات الاعلامية العالمية العليا والذي تجاوزت شهرته الحدود العربية.

وقد كان للدكتور إدريس اسلوب قصصي وروائي متميز وكان خصب اليراع وقد

ترك لنا انتاجاً موفوراً حفلت به الأندية الأدبية والثقافية وأثرى الفن السينمائي أيما إثراء.

وقد روى لنا في لقائنا بمنزل الأستاذ الفيتوري وبحضور محمود حسن إسماعيل طرفة حدثت له مع الأستاذ إسماعيل رويتها فيما سبق أن كتبته عنه حيث ذكر الدكتور إدريس أنه أرسل مرة إحدى قصصه للاذاعه وأبلغوه بموعد اذاعتها وحينما حضر لاستوديو الاذاعة شاهد في غرفة زجاجية وجود الشاعر محمود حسن إسماعيل وحينما دفعت إليه المذيعة نص القصة ليقرأه وجده مليئاً بالشطب والتعديل بقلم الشاعر الذي كان يشغل وظيفة المراقب العام للاذاعة آنذاك مما تعذر قراءته فحزن واكتأب وذكر للمذيعة أنه سوف لا يستطيع القراءة مع كل هذا الشطب والتغيير ورجاها أن تعتذر للمستمعين عن عدم حضوره ولكنها أخبرته أن بامكانه قراءة النص كما كتبه فأخبرها أنه كيف يمكنه عمل ذلك والسيد المراقب بجوار استوديو البث يراقب ما يقول فطمأنته أنه يمكنه القراءة من النص الأصلي وسوف لا يتمكن المراقب لوقفه لأنه غالباً سيكون مشغولاً بالتفكير في عناصر قصيدة شعرية يكتبها وقد تحقق ذلك بالفعل فقد قرأ القصيدة من الأصل غير المعدل دون أن يتنبه الشاعر الكبير المراقب إلى عمله وقد ضحكنا لهذه الطرفة وضحك معنا الشاعر محمود حسن إسماعيل.

وفيما يلي ثبت عن حياة يوسف إدريس منذ ولادته حتى رحيله :

ولد في محافظة الشرقية عام ١٩٢٧م - توفي في ١٩٩١/٨/١م.

تخرج في كلية الطب ١٩٥١م.

عمل في القصر العيني وصحة القاهرة ووزارة الارشاد ثم المؤتمر الاسلامي.

سجن واعتقل أربع مرات قبل الثورة بسبب اشتراكه في الحركات الوطنية.

صدر له سبعة عشر كتاباً أولها مجموعة قصص قصيرة بعنوان (أرخص ليال).

ترجمت قصصه إلى عدة لغات وتمتاز بالتشريح الإنسان لقطاعات مختلفة من الحياة ومن الناس.

عالج الكتابة للمسرح فقد مسرحية (ملك القطن).

أول قصة كتبها كانت بعد التخرج وهي قصة (عبدالقادر طه).

بدأ بكتابة القصة القصيرة ثم كتب القصة الطويلة ثم المسرحية.

أول مسرحية كتبها عام ١٩٥٧م هي (جمهورية فرحات وملك القطن).

في ٢٠ مارس سنة ١٩٦٢م أصيب الدكتور يوسف إدريس بأزمة قلبية في التليفزيون

سنة ١٩٦٥م قررت مجلة حوار اللبنانية منحه الجائزة السنوية التي قررتها أخيراً لأحد الأدباء البارزين علي نطاق الوطن العربي للقصاص المصري يوسف إدريس عن عام ١٩٦٥م، واعتذر عن الجائزة.

سنة ١٩٦٥م سافر الدكتور يوسف إدريس إلى بولندا بدعوة من حكومتها.

سنة ١٩٦٥م مجلة حوار اختارته كأحد الكتاب العرب البارزين.

سنة ١٩٦٦م منح يوسف إدريس وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة.

في ١٩ يونيو ١٩٦٦م طار الدكتور يوسف إدريس إلى الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة من جامعة شيكاغو لإلقاء محاضرات عن الأدب المصري الحديث.

في ٦ يوليو سنة ١٩٧٠م انتخب بالاجماع مديراص عاماً لجمعية مؤلفي الدراما في لجنة تقييم الفنانين والفنيين بمؤسسة السينما.

في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٧٠م طار الدكتور يوسف إدريس إلى نيودلهي لحضور مؤتمر الكتاب الآسيويين والافريقيين ومنها طار إلى اليابان ليتحدث عن الحركة الأدبية والمسرحية في مصر.

سنة ١٩٧٠م عُين دكتور يوسف إدريس وكيلاً لنقابة الصحفيين.

سنة ١٩٧٢م مازال الدكتور يوسف إدريس بعضوية مجلس إدارة جمعية المؤلفين والملحنين.

في ١ مارس ١٩٧٥م أصيب بجلطة في القلب.

في ٢٩ مارس سنة ١٩٧٦م أجريت تللدكتور يوسف إدريس جراحة دقيقة في القلب في لندن.

في ٢٧ يناير ١٩٧٧م طار يوسف إدريس إلى أبو ظبي حيث ألقى سلسلة من المحاضرات بدعوة من وزارة الإعلام فيها.

٦ يوليو ١٩٨٠م طار الدكتور يوسف إدريس للاشتراك في المؤتمر العالمي الذي يناقش تطوير التعليم في العالم حتى عام ٢٠٠٠م.

٨ مارس ١٩٨٢م طار الدكتور يوسف إدريس إلى نيودلهي لحضور مؤتمر القصة الذي يعقد في الهند ممثلاً لكتاب القصة القصيرة في الشرق الأوسط.

في ١٨ اكتوبر ١٩٨٤م نظرت محكمة جنوب القاهرة الدعوة المرفوعة من الدكتور يوسف إدريس ضد وزير الثقافة ورئيس مجلس إدارة وتحرير الأهرام بسبب المقال الذي نشرته الجريدة باسم الوزير.

في اكتوبر سنة ١٩٨٥م اختير يوسف إدريس ليكون ضمن رئاسة لجنة التحكيم.

في يوليو سنة ١٩٨٥م تم الصلح بين وزير الثقافة المصري والكاتب الكبير دكتور يوسف إدريس أثناء رحلتهما إلى عمان لحضور مهرجان جرش.

في ١٩٩١/٣/١١م عُين مستشاراً ثقافياً لجريدة الأهرام وتوفي في ١٩٩١/٨/١ وقد حضر الدكتور إدريس العديد من المؤتمرات والمنتديات الثقافية كما سبق القول عربية وعالمية وكان فيها مبرزاً كل التبريز في أدائه وعطائه ظاهر الحضور محفوف المكانة بالاعجاب والقدير.

الدكتور يوسف إدريس ٢ - ٤



وبدايات كتابة الدكتور يوسف ادريس كما سبقت الإشارة كانت في الخمسينيات ومنذ ذلك الحين شعر القراء بميلاد كاتب رائع سهل العبارة عميقها في آن واحد سواء في القصة أو الرواية أو المسرحية.

وقد كانت مجموعته (أرخص الليالي) التي صدرت عام ١٩٥٤م بداية عصر الواقعية مع ما صدر لأمثاله كيحيى حقي، ومحمد ومحمود تيمور وغيرهم.

كما أصدرت له دار الآداب ببيروت مجموعة قصصية هي (حادث شرف)، ثم استمر انتاجه في رسم نماذج بشرية مهمة أصبح بها من أئمة الواقعية الأدبية، وأنشأ بكل أولئك عالماً في دنيا القصة أو الرواية أو المسرحية: يمكن أن نطلق عليه عالم يوسف إدريس بما عج به من شخصيات ونماذج، وما تغلغل به في صميم الحياة المصرية وقدم به انتاجاً ضخماً استثار أقلام صفوة كتاب ونقاد مصر الأعلام.

ولقد نال يوسف إدريس شهرة عريضة في حياته وتناول أدبه أفذاذاً من رجال الفكر الأعلام في مقالات وشهادات ودراسات عميقة.

كما كتب عنه بعد وفاته العشرات من أفذاذ وكبار النقاد والكتاب مما يخلد ذكره.

وقد نشر عنه بعد الوفاة سفر ضخم جمع كل ما كتب عن هذا العملاق، ولم يترك شاردة ولا واردة إلا أتى عليها بمسمى يوسف إدريس أشرف عليه الأستاذ الكبير

الدكتور (سمير سرحان) وضم (١٠٥٦) ألفاً وستاً وخمسين صفحة وبذلك خلد ذكر هذا الكاتب الكبير وقد طبع في مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب.

ولقب الدكتور اكتسبه من مهنة الطب حيث كانت دراسته علمية طبية كما سبق القول ويوسف إدريس مات صريع المرض – وهو الطبيب – وهو مصداق لقول الشاعر :

قالوا الطبيب فقلت كم سل الردى   روح الطبيب، وفي يديه المبضع!

وممن تناول أدب الدكتور يوسف إدريس الدكتور طه حسين حيث قال عن مسرحيته (جمهورية فرحان) في مقدمتها :

هذا كتاب ممتع أقدمه للقراء سعيداً بتقديمه أعظم السعادة وأقواها لأن كاتبه من هؤلاء الشباب الذين تعقد بهم الآمال وتناط بهم الأماني ليضيفوا إلى رقي مصر رقياً وإلى إزدهار العقلية فيها ازدهاراً.

وكان كل شيء في حياة هذا الشاب الأديب جديراً بأن يشغله عن هذا الجهد الأدبي وأمثاله بأشياء أخرى ليست أقل من الأدب نفعاً للناس وإمتاعاً للقلب والعقل .

إلى أن قال :

أما بعد فإني أهنئ كاتبنا الأديب بجهده هذا الخصب وأتمنى أن أقرأ له بعد قليل كتباً أخرى ممتعة.

وممن تناول أدبه الدكتور سمير سرحان إذ قال :

عصر الواقعية في الأدب العربي بدأ بمجموعة يوسف إدريس (أرخص ليالي) التي صدرت عام ١٩٥٤م ومسرحية نعمان عاشور (الناس اللي تحت) التي قدمت على المسرح الحر عام ١٩٥٧م .. صحيح أنه كانت هناك عدة محاولات نحو ترسيخ الواقعية في الأدب على يد يحيى حقي في القصة القصيرة ومن قبله محمد ومحمود تيمور، وطاهر لاشين وغيرهم وصحيح أنه قد سبقت عدة محاولات على يد علي أحمد باكثير وربما أحمد شوقي نفسه في (الست هدى) مسرحيته الوحيدة التي تناول فيها موضوعاً معاصراً إلا أن هذين العملين بالتحديد (أرخص ليالي) و(الناس اللي تحت) كانا يؤذنان بظهور مفهوم جديد لدور الأدب في معانقة قضايا المجتمع أولاً وفي التخلي عن الحبكة أو العقدة أو ما يسمى أحياناً بالحدوتة.

ومما كتب الدكتور (لويس عوض) عن (حادثة شرف) قال :

أصدرت دار الآداب ببيروت مجموعة من القصص القصيرة بقلم أديب من ألمع أدباء المدرسة الجديدة بيننا هو الدكتور يوسف ادريس، والمجموعة تحمل عنوان (حادثة شرف) وهي اسم احدى القصص الواردة بها.

وقد اطلع كثير من القراء على قصصها متفرقة حين نشرتها جريدة الجمهورية ولكن الناشر والكاتب أحسنا صنعاً بنشر هذه القصص مجتمعة فهذا الجمع يبرز ما بينها من وحدة فنية تعين القارئ والناقد معاً على تقدير أدب يوسف ادريس.

وقد كتب كثيرون عن انتاج الدكتور يوسف إدريس كالدكتور رشاد رشدي، والدكتور عبدالقادر القط، والدكتور شكري عياد، والدكتور صبري حافظ، وفريدة النقاش، ورجاء النقاش، والدكتورة نادية رؤوف فرج، والدكتور محمد مندور، وفاروق عبدالقادر، ومحمود أمين العالم، وعبدالفتاح البارودي، وجلال العشري، وصلاح عبدالصبور، وبهاء طاهر، وسامي خشبة، والدكتورة نعمات أحمد فؤاد، والسيد ياسين، والدكتورة لطيفة الزيات، ويوسف الشاروني.

وهناك عشرات الشهادات التي سطرت عن يوسف إدريس ومنها شهادات :

بهاء طاهر، محمود الورداني، جمال الغيطاني، فريدة النقاش، عبدالعال الحمامصي، فؤاد دوارة، أحمد حمروش، صافي ناز كاظم، مصطفى شردي، نوال السعداوي، رجاء النقاش، فوزية مهران، نجيب محفوظ، فتحي الابياري، مأمون غريب، سعد الله ونوس، د. نهاد صليحة، مصطفى عبدالله، صلاح حافظ، أحمد عباس صالح، الطاهر أحمد مكي، شكري عياد، وإبراهيم أصلان، وإبراهيم فتحي، وأبو المعاطي أبوالنجا، وإدوار الخراط، والفريد فرج، وثروت أباظة، وخيري شلبي، وعبدالفتاح رزق، وعز الدين إسماعيل وعلي سالم، وغالي شكري والدكتورة فاطمة محمود، وفتحي غانم، ومحمل جلال، ومحمد المخزنجي، ومحمد مشجاب، ومحمد المنسي قنديل، ومحمود الورداني .. وغيرهم.

الدكتور يوسف إدريس ٣ - ٤



ولأن الدكتور يوسف إدريس معتز بمكانته وثقته بنفسه وأدبه غير ذات حدود، فقد أحسن حينما منح زميله الأديب الفنان الكبير نجيب محفوظ جائزة نوبل أنه كان أحق بها منه والحقيقة أن كليهما يستحق هذه الجائزة بجدارة وممن كان يستحقها قبلهما الدكتور طه حسين، وعباس محمود العقاد، وتوفيق الحكيم، وأحمد حسن الزيات إلى كوكبة كبيرة من فرسان الحرف الذين أثروا دنيا الأدب والفكر أيما إثراء. وقد أعرب عن شعوره بالغيرة وقتاً من الوقت ثم تراجع عن الاعراب عن هذا الشعور وعاد صفاء الود كما كان قبلاً بين العملاقين.

وكما سبق القول فقد درس انتاج يوسف إدريس دراسة منهجية نموذجية مثالية ونسقت هذه الدراسة تنسيقاً علمياً فلم تفلت صغيرة أو كبيرة من هذا الأدب دون دراسة واستيعاب.

وعملت له ببليوجرافيا مستوعبة ودقيقة.

وفيما يلي انتاج الدكتور يوسف ادريس في القصة والمسرحية والرواية مرتبة حسب تواريخ صدورها :

١ - مجموعات قصصية

أرخص ليالي ١٩٥٤م، حادثة شرف ١٩٥٨م، اخر الدنيا ١٩٦١م، لغة الآي آي ١٩٦٥م، بيت من لحم ١٩٧١م، العتب على النظر ١٩٨٨م.

٢ - **مسرحيات**

جمهورية فرحات ١٩٥٦م، اللحظة الحرجة ١٩٥٨م، الفرافير ١٩٦٥م، المهزلة الأرضية ١٩٦٥م، المخططين ١٩٦٩م، البهلوان ١٩٦٣م.

٣ - **روايات**

قصة حب ١٩٥٧م، الحرام ١٩٥٩م، العيب ١٩٦٢م، رجال ونيران ١٩٦٤م، البيضاء ١٩٧٠م.

بعض ما قيل من مراث في الدكتور يوسف إدريس فقد رثاه كثيرون من الأدباء الأصدقاء منهم :

ثروت أباظة :

إذ قال : ربما لم تعرف العلاقات الأدبية أو العلاقات الإنسانية مثيلاً لما كان بيني وبين الراحل العظيم يوسف إدريس فقد تعارفنا في أوائل الخمسينات وكانت الصلة صلة عجيبة فربما نكون اختلفنا في كل ما نكتب من آراء في المقالات ولكننا نلتقي فإذا نحن متفقان في كل ما نقول وهكذا نختلف في كل ما كتبنا ونتفق كلما التقينا، وربما كان الاستثناء الوحيد الذي اتفقنا عليه فيما نكتب يوم كتبنا عريضة الاحتجاج للمطالبة بالحرية وقدمت للرئيس الراحل أنور السادات قبل حرب ١٩٧٣م تلك العريضة التي وقع عليها أستاذنا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ فقد وقع علهيا معنا الراحل العزيز يوسف إدريس .. وكنا إذا التقينا أنا ويوسف وكثيراً ما كنا نلتقي في الأهرام، فحجرته ملاصقة لحجرتي، وطالما جمعتنا غرفة عميدنا توفيق الحكيم، كنا إذا التقينا حدث بيننا هذا النوع من التجاذب الذي لا ندري من أين ينبعث وإنما هو لقاء روح بروح وأحس أنني أحبه وأرى في عينيه أنه يحبني. ولا يمنعنا هذا الذي يثق فيه كلانا كل الثقة أن يخاصم أحدنا الآخر وقد نعالن بهذه الخصومة في مقال أو في حديث اذاعي أو آخر تليفزيوني.

ونلتقي فنعانق ولا عتاب وإنما هو حب له أردية في نفسي وحب منه لي أراه في محياه. كان هذا حالنا. أما يوسف إدريس الكاتب القصاص فأنا أعتبر قصصه القصيرة تقف شامخة مع أعظم القصص العالمية إن لم تتفوق عليها، وأعتقد اعتقاداً راسخاً أن يوسف إدريس هو الأب الشرعي للقصة القصيرة في عهدها

الحديث. وأحسب وأرجع لله أن يخلف حسباني فيما بقى لنا من حياة. وبعد فيا صديقي الذي رحل لن تبقى بيننا غير الصداقة وغير تلك الذكريات الشفيفة التي طالما بثثنا فيها وجدنا وكاشف كل من الآخر بالدقيق المستخفي من أسراره.

ويا صديقي إننا في مولدنا متقاربان لا يفصل بين ميلادك وميلادي إلا شهر واحد تكبرني به فأنت ابن جيلي وأخ عمري مهما يكن قد نشب بيننا من خلاف فالذي بيننا من حب كا دائماً أكبر وأعظم. فأستودعك الله سبحانه يا يوسف خير الودائع من خير المؤدين (إنا لله وإنا إليه راجعون).

نجيب محفوظ :

إذ قال : لقد لفت الأنظار منذ أول كلمة نشرها، ومنذ أربعين عاماً واسمه يتردد على الألسنة كمثل حي للإبداع القيم والفن الجميل، ومضى بخصوصية عجيبة في مضامينه وألحانه ولغته معتزاً بقدرته غير العادية على الخلق والابداع.

هكذا قدم ما قدم من قصص قصيرة وروايات ومسرحيات ومقالات، مجيداً في كل ما قدم طابعاً بخواصه الفريدة مخلوفاته المتميزة . ويكاد ينعقد الاجماع على أنه بلغ ذروته الابداعية في القصة القصيرة، وهي فن دقيق سهل ممتع إذا تيسر له الشمول مع العمق حقق في عالم الابداع الأدبي ما يعتبر من المعجزات ولعل قصصه لامختارة في ذلك المجال ما يعد من الزدب العالمي في أصفى أحواله وأجملها.

وهو من الأدباء النادرين الذين أثّروا في جيلهم مثلما أثّر في الأجيال التالية وبلغ به اخلاصه لفنه أن وهبه كل عزيز وضحى في سبيله بكل غال. كان الفن معشوقه والتفوق فيه حلمه، وفي سبيل ذلك لا يضن بجهد أو تقاليد أو أي شيء في الوجود الفن أولاً وأخيراً وليكن ما يكون لذلك كانت أسعد أيامه أيام العطاء وأتعس أيامه أيام الانتظار، وحتى المرض والتجارب المرة كان على أتم الاستعداد للمصالحة معها والرضا بها إذا وهبته مادة جديدة أو فتحت له نافذة مغلقة أو خصته بحقيقة خافية من حقائق الوجود.

أحمد عباس صالح :

رأيته بعد أن وصل إلى لندن بقليل، كان مسجى على سرير بالمستشفى نحل جسمه نحولاً عجيباً وكان وجهه بارز العظام، وكانت آثار الجراحة التي أجريت له في الرأس

بالقاهرة مازالت ظاهرة، وكانت دماء متجمدة مازالت حول الجرح كان غائباً عن الوعي تماماً.

تأملت الوجه الذي أرقه كان غارقاً في صمت كامل هل هذا ما بقى من يوسف إدريس؟ تُرى ما الذي يجري الآن داخل هذا الدماغ. وما الذي تعنيه غيبوبته!

لم تكن زوجته هذه المرة متفائلة. وقالت لي ذلك صراحة، وروت كيف توقف القلب وهم في الطريق من القاهرة إلى لندن، وأن الطائرة اضطرت للهبوط لتجد معونة طبية وليعود القلب إلى الخفقان مرة أخرى.

وعرفت أن الرأس ممتلئ بالماء نتيجة الاصابة والجراح، وأن هذا هو سبب الاغماء وعندما تجف هذه المياه سوف تعود وظائف المخ وتتم الافاقة.

وكان الجسد المرهق الغائب عن الوعي يتغذى بواسطة الآلات التنفس، القلب، الطعام.

ومرت أسابيع وجفت المياه وعاد المخ إلى العمل وفتح يوسف إدريس عينيه وتعرف على الجميع.

في هذا اليوم أمسك بيدي وفتح عينين ضاحكتين منتبهتين ولم يستطع الكلام فراح يشير باحدى يديه.

خُيِّل إليّ أنه قد أفلت هذه المرة أيضاً من نداء الموت فقد كانت عيناه مفعمتين بالحياة.

وعندما نقلت هذا الاحساس لزوجته لم تأخذ كلامي مأخذ الجد حتى ظننت أن التشاؤم يغلب عليها، وأنها بعد قليل سوف يعود إليها الأمل وسوف تصفو رؤيتها.

غبت شهراً ونصف شهر في القاهرة وكنت أعرف من الأخبار أنه تعافى كما قرأت في عينيه هذا الصباح الذي أفاق فيه .. وأن حدسي كان صحيحاً وأن يوسف إدريس قد انتصر على المرض.

في هذه المرة وجدته جالساً على مقعد بغرفته العادية في المستشفى. ولكن ما كدت أجلس فرحاً وأنا أتطلع إلى وجهه حتى قالت زوجته إنه يعاني منذ يومين من اضطرابات في القلب وأن المستشفى قرر نقله إلى مستشفى آخر لوضع تحت إشراف أطباء القلب وكان على صدره رسام للقلب يعمل لمدة ٢٤ ساعة.

قلت في نفسي لقد أفلت يوسف إدريس من الموت وما هذا إلا من آثار الصراع العنيف وسوف يعود قلبه إلى الانتظام من جديد.

ومن فرط ما عانى يوسف إدريس من الأمراض القاسية تكون لديّ اعتقاد بأنه منح جسداً قوياً قوة غريبة وهو الذي جعله يقاوم كل هذه الهجمات وينتصر عليها.

رأيته وهو يتعرض لنوبات القلب منذ أكثر من عشرين عاماً، وأجريت له جراحة في القلب وبعد قليل عاد كل شيء إلى حياته الصاخبة، إلى التدخين المفرط، إلى التعامل المتلاف مع جسمه.

رأيته وهو يعاني من اضطرابات في الجهاز العصبي من فرط الانهاك. ورأيته مرة وقد تحجرت أمعاؤه. وكان دائماً يعود إلى العافية.

قلت له ضاحكاً في زيارتي الأخيرة مادمت قد أفلت من الخطر هذه المرة فسوف تعيش طويلاً.

وضحك سعيداً، وكأنه كان يريد أن يسمع مني هذا.

ما أكثر حبه للحياة، وما أكثر تعلقه بها!

تحدثنا عن الكتابة، وعن هذه التجربة الصاخبة، وعن أشياء كثيرة مشتركة وامتد الحديث إلى ما لا يقل عن ساعتين وعلى الرغم من أنه كان يلهث أحياناً، ويتنفس بشيء من الصعوبة فإنني اعتبرت هذا شيئاً طبيعياً بعد رحلة مرض طويلة.

وجاءت سيارة المستشفى التي ستنقله ليوضع تحت رقابة أطباء القلب، وضع على النقالة أمامي، فخرجت من الغرفة، ولم أرد أن أراه وهم يدفعونه، وأسرعت إلى المصعد وهبطت منصرفاً بنية أن أراه في اليوم التالي.

وأثناء الحديث عرفت أنه بعد مراقبة أحوال القلب لمدة يومين سوف يذهب إلى مستشفى آخر متخصص في تأهيل المرضى الذين أنفقوا في المرض وقتاً طويلاً، يقوم هذا المستشفى علاج طبيعي للأطراف التي لم تستعمل لمدة طويلة، ويهيء الجسم بشكل عام أن يعود للحياة الطبيعية.

وكان كل شيء على خير ما يرام، ولعلي قلت لنفسي وأنا عائد وحدي إلى بيتي هأنذا مازلت محظوظاً، فسوف تكون لنا جلسات أخرى أنا ويوسف إدريس نتحدث فيها حتى مطلع الفجر.

وتذكرت فعلاً أننا في إحدى الليالي جلسنا نتحدث حتى أشرقت الشمس في بيت صديق مشترك هو المرحوم آمال المرصفي. وأن بيوتنا ظنت أن حادثة قد وقعت لنا وسئل عنا في المستشفيات وأقسام البوليس وعند الأصدقاء.

هل كانت الأحاديث هامة إلى هذه الدرجة؟ وماذا كنا نريد على وجه التحقيق؟ عندما أسترجع هذه الجلسات اكتشف الجوع الفكري الذي كنا نعانيه. كنا نريد أن نعرف أشياء كثيرة. وكانت الكتب التي نقرؤها غير كافية. وكانت المناقشات - فيما يبدو - لتبادل المعرفة وامتحان صحة الاستنتاجات والتماس الأنس باكتشاف المشاركة في الحيرة والقلق والجهاد من أجل أن نعرف.

الدكتور يوسف إدريس ٣ - ٤



ومـمن رثـا الـدكتور يوسف إدريس فتحي غانم إذ قــال :

غياب يوسف إدريس بشخصه يعني أن المرحلة الأولى منحياته قد انتهت، لتبدأ مرحلة ثانية، أكثر انطلاقاً وتحرراً وشمولاً. ولا بأس أن نقول إن أعمال يوسف إدريس الأدبية، روائعه في القصة، ومغامرات المتعة في عالم المسرح وانطلاقاته الثقافية والفكرية، سوف تجد الآن مجالاً أوسع للانطلاق وقد تحررت - نعم تحررت - من وصاية صاحبها. فأصبحت حرة مستقلة تواجه القراء عبر الزمان والمكان أجيالاً بعد أجيال، لا تحاصرها منافسات أو أحقاد أو مجاملات أو دوافع ساسية أو شخصية موجهة إلى صاحب هذه الروائع، وليست موجه بصدق إليها. الآن انفتحت أبواب منجم الذهب على مصاريعها. وإذا كان صاحب المنجم قال (لا وقت للحب) فأقول باسمه، وبحق صداقتي له (لا وقت للحزن) لأن الحياة مازالت قوية دافقة في أعماله تمثل أجمل وأروع لحظات عمره. ولقد كان الذهب الذي يستخرجه من أعماقه (تبرخام) ولقد اختار في معظم قصصه أن يقدم لنا هذا (التبر) محتفظاً بطبيعته الخام ليكون أصدق تعبيراً عن حياة الناس. أكثر احتراماً لآدميتهم. أكثر اقتراباً لإنسانيتهم، فهو لم يقدم لنا الذهب الذي نراه في فترينة الصائغ، لم يقدمه لنا في لغة فصحى قديمة، بل صاغ لغة جديدة اخترعها

وفرضها في الأدب العربي ليقدم رؤيته للفلاح حافي القدمين والبدوي القادم من جوف الصحراء والنوبي المتمسك بتقاليده في الجنوب. الحيوية، التدفق، سخونة المشاعر، الأحلام ممتزجة بالغرائز، العقل الماكر، والرغبات المحمومة تتفاعل كما يراها بين الناس - يشخصها كطبيب ويعالجها كأديب.

كان الطبيب الشاب الأعزب يوسف إدريس جالساً على سرير في حجرة خالية بالدور الأرضي في بيته بشارع المبتديان، وكنت جالساً على المقعد الخشبي الوحيد في الحجرة بجوار سريره، ومضت ساعات كأنها لحظة وهو يحدثني في حرارة، وعيناه تبرقان في جنون، يريد أن يكتب. لا أريد أن أكتب قصة. هل تفهمني يا فتحي. لا يهم أن أكتب قصة كغيرها من القصص. أريد أن أكتب (القصة) عندما أكتب (القصة) فلابد أن أشعر أنه لا قصة قبلها ولا قصة بعدها. تقول هذا مستحيل ولكن من الممكن تحقيقه إذا ما كتبته بدمك. كل انفعالاتك وخلجاتك، شهيقك وزفيرك. فوران الدم في الشرايين والأوردة والشعيرات، توتر الأعصاب، كل هذا هو الذي يكتب القصة. هذا أشبه بالجنون يا يوسف. فيجيب : جنون .. جنون يا أخي .. فليكن.

سألته : كيف يكون ؟

أجاب : كنت طبيب امتياز في الاستقبال بالقصر العيني. وذات ليلة جاءوا بفتاة في شبه غيبوبة. كانت مدمنة. وكان لابد أن أحقنها. ما كادت ترى الحقنة في يدي حتى هجمت عليها. انتزعتها. فسقطت الأنبوبة على الأرض وتهشم زجاجها. أتدري ماذا فعلت، ارتمت على الأرض وهجمت على الزجاج المتناثر تلعقه بلسانها. لا يهمها أن تجرح لسانها أو تسيل دماؤها، لا يهمها سوى أن تلعق السائل على الأرض. لحظة كاملة من التركيز على ما تريده. حتى لو كان ثمنها الموت، هكذا أريد أن أكتب القصة.

تروي لي الخطابات التي أرسلها يوسف عن معاناته ليقدم لحظة صادقة. لو رؤية يؤمن بها، حتى لو كان الثمن انهيار أعصابه بين حين وحين، وكان لابد أن يضيء الصدق وأن تشع حرارته في كل مكان، أي مكان في العالم.

عندما اختارني يوسف السباعي رئيساً لوفد الأدباء في مؤتمر طشقند لأدباء آسيا وافريقيا عام ١٩٦٤م. كنا ثلاثة يوسف إدريس وسعد الدين وهبة، وأنا. ولكن يوسف

إدريس وحده لقى مقابلة الأديب العالمي الذي سبقنا في ترجمة قصصه، والاعتراف به كعبقرية نادرة على المستوى العالمي في القصة القصيرة.

كنت من أول الكتاب الذين تجاسروا وكتبوا عنه في الصحف (القومية) كتبت صفحة كاملة عنه في الخمسينات في مجلة آخر ساعة. بعد أن كتب رواية (لا وقت للحب) وقبل أن أكتب أول رواية لي (الجبل) بعدة سنوات، وكانت آخر معاركة الداخلية مع السلطات، تلك التي نجمت عن تصريحات لوزير ثقافة في عهد سابق، أن يوسف إدريس شتم المصريين لم يسكت يوسف ورفع الأمر إلى القضاء. وكان الأمر لا يعدو أن يكون سوء تفاهم كشف عن طبيعة يوسف واستعداده المطلق للتحدي والنزال.

كانت آخر مواجهاته في حضوري في مارس عام ١٩٩٠م في بغداد بمناسبة ندوة عن (الأدب والحرب) كنتب أدير احدى الندوات يشارك فيها أساتذة جامعيون ونقاد وأدباء من العالم العربي، وقبل نهايةموعد الندوة دخل يوسف إدريس القاعة، وطلب الكلام ورحبت بمشاركته، فأمسك بالميكروفون، وانطلق يهاجم الاشادة بالحرب ينكر أن يعترف الأدباء - في بغداد أو غير بغداد - بأدب يمجد الحرب والقتال، فالأدب لا يكون إلا للحياة والإنسانية ورفض الحروب والتدمير والتخريب وسفك الدماء. الأدب يعوة للسالم، والعلاقة بين الأدب والحرب، لا تكون علاقة صحيحة، إلا إذا تحدثت عن بشاعة الحرب وقسوتها، وقدمت أفكاراً لتجنب ويلاتها، وإذا كانت الحربة مشروعة دفاعاً ضد العدوان، فهي منبوطة إذا كانت أداة للعدوان.

مضى يوسف يتكلم والجميع ينصتون، لا أحد بين الحاضرين يختلف معه. وأشدت بكلماته، وكنت لا أدري أن هذا الصوت الشديد الحماس والحيوية الذي يتدفق ويملأ أسماع المثقفين في بغداد، يتنبأ ويحذرمن كارثة عدوان قادم بعد شهور على الكويت، لقد حضرت هذا الموقف وزنا شاهد عليه، قد كنت رئيساً للندوة التي تحدث فيها، ولم يتنبه أحد إلى خطورة التحذير الذي يعلنه فنان وأديب يتعامل مع الصدق، ومستعد لأن يدفع حياته ثمناً لهذه اللحظة، فما قيمة حياة الجسد الفاني.

إن الحياة تبقى مع لحظة الصدق، وما أكثر هذه اللحظات الصادقة العامرة بالحياة كما عرفها وكتبها يوسف إدريس أدب مفعم بالحياة مازال.

يوسف القعيد رثاه قائلاً :

أدركت الآن فقط، أننا فعلاً وقولاً، حضارة الساعة الخامسة والعشرين، حضارة شعارها معروف. لا كرامة لكاتب في حياته. مطلوب مه أن يرحل عن عالمنا أولاً، ثم تبدأ حفلات التكريم التي تبدأ ولا تنتهي.

وتنفيذاً لهذه القاعدة الشرقية، أتوقع أنه ابتداء من هذا الأسبوع، ولفترة قادمة قد تطول ستتحول الصفحات إلى سرادقات من الورق، يقوم فيها الجميع بتقديم العزاء إلى الجميع. وستكون عندنا قدرة فريدة على التسامح والسمو والنسيان. وخصوم الأمس سيذرفون دموع التماسيح عليه، إنه الاخلاص القاتل لعادات علينا أن نفكر بتغييرها والخروج عليها.

حتى ما أكتبه الآن، لا يخرج عن هذا العرف الغريب. والسؤال هو : لماذا لم يتحرك القلم في يدي بهذه الكلمات قبل رحيله عن عالمنا؟ أليس هذا بغريب؟ مع أنه كان من الأهمية بمكان أن يكتب وينشر وهو من سكان هذا العالم يقرأ ويكتب وينفعل ويرد حتى تصل الرسالة إلى من كتبت من أجله لأن الرسائل التي لا تصل إلى من كتبت لهم، كأنها لم تكن.

كما رثته الصحفية الموهوبة الأستاذة زينب البدوي بقولها :

كان أديبنا الغالي الدكتور يوسف إدريس الذي خلق للابداع وعاش حياته مثلاً فذاً للمبدعين العباقرة عائش للشعب وكتب للشعب وكانت حياته كلها ملكاً للشعب.

تغلغل في كل قصصه ورواياته في مكنونات النفس البشرية وحتي الجنون تستشعر في كل ما كتب نبض الأديب الحق الذي يلمس الأعماق دائماً ولا تهمه السطوح، وهذا القول في قصصه ومسرحياته ورواياته ينطبق أيضاً كل الانطباق على مقالاته ومناقشاته وحواراته، وهو في كل ذلك رسام مبدع ومثال خلاق سواء أمسك بقلمه أو بريشته أو بازميله.

ما زامله إنسان أو جالسه إلا سر بروعة حضوره وحسن منطقه وبراءة ذاته، وطهارة قلبه، وكان نبراساً للشباب يبذل لهم الكثير من ذات نفسه ويمنحهم صادق النصح، ولا يضن عليهم بالتشجيع الذي يرفع معنوياتهم ويوقظ بنفوسهم ملكة القول.

وبحق كان يوسف إدريس مدرسة متكاملة تندر نظائرها، وتعز مثيلاتها أما عن

جوانب خلقه وشهامته فحدث عن ذلك، ولا حرج فلم يكن هذا الرجل الفنان ليحمل في قلبه ذرة من حقد وعلى شموخ أدبه كان نموذجاً للتواضع أما إذا قست كبرياؤه فهو نار ثائرة لا تهدأ ولا تنطفئ وإذا كان يأبى امتهاناً لحقه فهو أكثر إباء أن يمتهن حق الآخرين ولو كان يوسف إدريس رجل قانون لتطوع أن يدافع عن كل كرامات الآخرين الدفاع المجيد وبالمجان.

يا روض ناداك الصباح فلم تجب ... البلبل الغريد، ويحك ما به
أين الأغاريد العذاب يثيرها ... في موكب، من كأسه وربابه؟

وهكذا فقد صوح زهر الرياض، وشارف اللحن نهايته وانطوى ذلك الإنسان الفذ الذي كأنما صنع للفكر والابداع والشهامة والخلق الرفيع وما أصدق الشاعر الذي قال في مثل فقدنا الرائع :

قف على الدرب زهوا وابتساما ... إنه عرس شهيد يتسامى
يحطم القيد إذا القيد عتا ... ويرد الموت مهزوماً مضاما
راهب للفن علوي الرؤى ... لم يكن يخفر للفن ذماما
عاشق للخلد قد سار إلى ... موكب الخلد محباً مستهاما
مثلك قد عبر الأرض فلم ... يلق فيها لجنانحيه مراما
وانطوى كيف انطوى عن عالم ... لم يزل فيه صداه يترامى

رحمة الله على ذلك الطائر الجريح، وعوّض عنه مصر والعروبة ما يستحقانه من عوض إنه قريب مجيب.

وهذه الرسالة من الكاتب توفيق الحكيم

عزيزي الدكتور يوسف إدريس

أكتب إليك هذا لأسألك سؤالاً .. وأكتبه حتى أحدده، وقد ترى في السؤال تطفلاً، وقد يراه آخرون تدخلاً .. ولكني أنا أراه واجباً .. وهذا الواجب لا يفرضه موضعي الرسمي باعتباري رئيس اتحاد الكتاب بل يفرضه ما يصفني به بعض الأصدقاء

من الأدباء من أني (شيخ الأدباء) لا بحكم الفضل بل بحكم السن، وقد شرحت لبعضهم رأيي في هذه الصفة بقولي : إني شيخ حارة (الأدباء) بالمعنى القديم لشيخ الحارة في بلادنا من أنه كان هو الذي يهتم بأحوال أهل الحارة ويسهر على مصالحهم ويعالج مشاكلهم .. بهذا المعنى أرى من واجبي أن أسأل عن حال أديب مرموق هو (يوسف إدريس) أراه في مبنى (الأهرام) بجسمه ولا أراه على صفحاته بقلمه .. ولاشك أن الآلاف من القراء يشاركونني في هذا السؤال : أين ذهب هذا القلم المطبوع؟ ولماذا سكت هذا الصوت المسموع؟ وفي زماننا الغابر أرى الشيخ سلامة حجازي يقف على المسرح في مسرحيته (شكسبير) يصيح أمام (جولييت) النائمة المخدرة بلحنه الشهير : (أجولييت ما هذا السكوت)؟ وأنا اليوم أصيح بصوت أحسن ولحن جهير : (أيوسف ما هذا السكوت)؟!.

وهذا هو الرد

أستاذنا الكبير توفيق الحكيم رسالتك تلك - ولو أنها بلا تاريخ - إلا لها قيمة «قيمة تاريخية» عندي، وعند أي كاتب في مصر أو في العالم العربي، فهي من شيخ الكتاب حين يقرأ، وحين يحس بغياب كاتب، وقد أكون أنا الغائب هذه المرة، ولكني لن أكون الأخير، فما أكثر الأسباب التي ترغم الكاتب على الغياب في عالمنا هذا. ولكن المهم أننا - أخيراً - قد حبانا الله بشيخ جليل لفنوننا وآدابنا (يتمم) بين الحين والحين على أبناء المهنة، ويعرف من مات، ومن عاش، ومن غاب ومن غُيِّب.

وبعد ..

لم أسكت يا أستاذنا، ولن أسكت، فالسكوت للكاتب ليس نوماً، ولا بتأثير مخدر يضعه كاهن للكاتب، السكوت للكاتب موت محقق وإذا كنت أنا قد سكت عن الأهرام أو سكت الأهرام عني، فأسباب السكوت عاصفة كانت هوجاء يعرفها الناس جميعاً وباستطاعتك أن تسأل عنها أي عابر سبيل في شارع الجلاء إذا كان هذا قد حدث، فلا تزال المسؤولية مشتركة، ولايزال السؤال حاداً كالنصل : وما ذنب القارئ؟ وقراء كثيرون قد أرسلوا يسألونني ويلحون في السؤال حتى اضطررت أن أرسل لبعضهم خطابات خاصة، أما حين يجيء السؤال من أشهر كاتب وأشهر قارئ بالتالي فلا أملك ولا يملك الأهرام فيما أعتقد، إلاأن نجيبه على الملأ.

ولا أملك أنا أيضاً، إلا أن أعدك - أيها الأستاذ والقيمة والرمز أن أكون عند

حسن ظنك وظن القراء الأعزاء وإلا أن أبدأ الكتابة عن رحلتي الأخيرة إلى أوروبا تلك التي بلسمت الجراح وملأني التأمل لحياتنا خلالها بكثير من الطمأنينة.

ودوما - أنت هكذا وستظل - سباقاً إلى المودة وإلى السلام. تمنياتي لك وللكتاب والقراء جميعاً بعام جديد حافل بكل ما هو (أرفع وأنفع) في الفكر والخلق والابداع.

يوسف إدريس

الشاعر الفنان شفيق الكمالي



شاعر كبير عرفته في بغداد في أحد مؤتمرات «المربد» الأدبية وحرصت علىتاوثيق معرفتي به لأنه كان إنساناً مثالياً بالاضافة إلي أدبه الرفيع، كما كان فناناً في الرسم وكان من الشعراء الكبار الذين لا يشق لهم غبار!

وقد ولد شفيق في بلدة «أبو كمال» بسوريا عام ١٩٣٠م وأتم دراسته الابتدائية والاعدادية بها ثم انتقل إلى العراق ونال بها ليسانس الحقوق ثم قدم إلى القاهرة وقدم بهارسالة ماجستير نال بها اجازة الماجستير من جامعة القاهرة بدرجة امتياز.

كما عين وزيراً للشباب ثم وزيراً للاعلام وقد أصبح فيما بعدرئيسا لمجلس إدارة «دار آفاق» التي تصدر المجلة الأولى في بغداد المسماة «آفاق».

كما أصبح الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب العرب .. وقد أصدر شفيق الكمالي دواوين ثلاثة هي «رحيل الأمطار، و«هموم مروان وحبيبته الفارعة»، وقد حظيت منه بمقدمة رائعة لديواني «رحيل القوافل»، جاء فيها:

«الجزيرة العربية تتغنى بالأبناء ويتغنون بها تاريخاً في رسالة وحضور نبوءة.

فالشعر الكامن في الوجدان العربي هو الشعر المعبر والمعتبر معاً .. وهو يتجذر في ذلك الوهج الممتد عبر الحقب التاريخية دون أن يخفت وميضه .. من هنا كان على

شعراء الجزيرة العربية أن يكونوا أمام اختبار صعب، وكان عليهم أن يتجاوزوا لأن التراث الذي ورثوه كان كبيراً ومجيداً وظل كذلك.

حين يطالعك الشاعر حسن عبدالله القرشي يطالعك وجه عربي من عمق الجزيرة، وجه يذكرك بأصالةالموطن، ورقة غنائية الشعر العربي، وتلك المسحة الصحراوية النبيلة.

وحين يقدم القرشي قصيدة يختار نفسه يقدمها تجربة، وتاريخاً، وهوى.

وهو صوت يتميز بين الأصوات وظل في الهم الوجداني والهم القومي واحداً ممن يشار إليهم بالمحبة.

إن حساسية القرشي، وتوقيعه على تناغمات الجزيرة لم يجعل شعره «بدوياً»، بالمعنى المحدد بل عربياً بالمعنى الحضاري أناقة وشمما .. وهذا الجمع بين الدقة، وفحولة الصحراء هو بعض خصائص العربي وبعض بوحه، وانتمائه.

هذا الديوان الأنيق المترف لم يكن أنيقاً في طباعته واخراجه فحسب بل أساساً في كلماته، وقصيده، وشخصية صاحبه.

و هو لسان حال شاعر عرفناه وقرأنا له في المحافل وفي وسائل النشر.

ليس جديد القرشي جديداً مصطنعاً بل هو إضافة العطر إلى قارورة الشعر، وهو يصطفي ويختار مفرداته بأناة كما عرف عن تذوقه، وذوقه.

من هنا يكتسب هذا الديوان معنى الألفة والتآلف مع القارئ شرقياً عربياً كان .. أم من مغرب الوطن العربي.. وهذا بعض مجده.

وقد حرصت على إيراد هذا النموذج لأدلل على عمق نثر الشاعر شفيق الكمالي، وروعته .

أما عن شعره فسأورد فقرأت من قصيدة باذخة له عنوانها (يا شام منك ابتدأنا)!

قبلت مروان في عينيك والحكما … وصغت فيك تباريح الهوى نغما
نديه من شواط دجلة لجمي … مستشرفات سهول الشام وآلاكما
خليل المثنى جموح في مفارقها … من عرس ذي قارحتي اليوم ماشكما
تسابق الريح لو تستطيع منلفتا … من القوادم طارت نحوها قدما
يا شام ليس الذي يأتيك مؤتزرا … بالحب مثل الذي يأتيك مغتنما

شتان بين خضم هادر لجب … يعطي وبين غدير يرتجي ديما
وبين طالب قرب واهب دمه … مهرا وبين الذي أزجى الكلام .. وما
يا شام طال النوى حتى تهيمني … كون من الشوق ضار في الحشا احتدما
حلمت غيم حنين مسكر بدمي … حتى إذا مر فوق الغوطتين همى
لا يعرف الشوق إلا من يكابده … ولا الصبابة الا من بها اضطرما
يا ضفتي بردى كم حال بينكما … لون المياه وما انكرت صفوفكما
يا ضفتي بردى بيني وبينكما … خيط اذا انبت ادمي خافقي الما
أخشى عليه كما أخشى على ولدي … والصدق في العشق حال تورث السقما
يا ضفتي بردى تجري بأوردتي … امواجه كلما فاضت نزفت دما
الزمت نفسي عشق الشام لا كدر … يصدني .. لا ولا عايشته برما
يا ضفتي بردى لست المساوم في … حبي وكم أورثتني جرأتي تهما
عايشت ظلكما عمرا ففيأني … والهبت كل شمس هامتي ضرما
حالين .. حال رضى أصفو وتدركني … حال تحيل هدوء الروح مضطرما
يا ضفتي بردى لو شوكة نبتت … عليكما نبت في أضلعي .. ورما
تالله مارف في صدري رفيق هوى … ألا وكان جناحاه صدى لكما
ويا صبا بردى يا نفحة عجبا … لو مسّت الجرح في غور الحشا التأم
لئن تحملت في النعمى أريج هوى … لقد تحملت في البوسى أريج دما
يا بنت مروان يا كبرا همي قيما … ويا مناقب قوم حضرت أمما
ويا بيادر نور لونت زمنا … وجه السماء وفاضت هادرا عرما
أصيلة لم تزل كالهول مرعدة … بروقها تورث المستكبلين عمى
تبقى دمشق الهوى هيهات يصرفنا … عنها زمان بكل المفجعات رمى

فـإن تـكـن بـعـدت عـن وردنـا زمـنـا فـهـي الأعـز عـلـيـنـا خـافـقـاً وفـمـا
وإن ألـم بـهـا مـن نـأيـنـا ظـمـأ فـإن أضـلـعـنـا كـانـت أحـر ظـمـا
لا يـهـنـأ المتـشـفـي .. لا ابـا لـهـمـو أعـنـد أمـثـالـنـا يـغـدو الـقـتـيـل ذمـا
أيـصـبـح الـدم مـاء عـنـد أكـرمـنـا إذن فـلا خـصـبـت أنـثـى لـنـا رحـمـا
عرقان في القلب يذوي الجسم أجمعه بـالـداء و الـنـابـضـان الـبـاقـيـان هـمـا

إن الحديث عن الشاعر العملاق «شفيق الكمالي» واجب تقتضيه مكانته وانسانيته في دنيا طالما غمطت حقوق الأماجد والأعلام ونسيت أو تناست أمجادهم التي حفروها في جبهة الدنيا بالدم والنار.

الدكتور إبراهيم بيومي مدكور



الأستاذ الكبير الدكتور إبراهيم بيومي مدكور أحد أعلام مصر الكبار وقد اجتمعت له من الصفات الرائعة والمزايا ما يعز اجتماعه وتوافره لغيره من الأفذاذ فقد كان لغوياً وسياسياً ومصلحاً اجتماعياً وفيلسوفاً وأديباً وذا حضور باهر في كل مجالات العلم والفضل والاصلاح، ومنذ شبابه المبكر كان طالباً وطنياً وقد اعتقل وسجن بين من سجنوا من شباب الطلبة في ثورة مصر ١٩١٩م.

وفي سنة الخامسة والثلاثين عاد إلى مجال السياسة واختير عضواً بمجلس الشيوخ وقضى زهاء خمسة عشر عاماً نقد فيها نظم الحكم ونادى باصلاح الأداة الحكومية ودعا إلى تحديد الملكية الزراعية.

وقد ولد هذا العملاق بأبي النمرس من مركز الجيزة سنة ١٩٠٢م وحفظ القرآن الكريم صغيراً ثم التحق بالأزهر ثم بمدرسة القضاء الشرعي ثم بدار العلوم حيث تخرج منها في عام ١٩٢٧م.

ثم انتقل من وظيفته وسافر إلى فرنسا على نفقته عام ١٩٢٩م وقد درس الفلسفة والقانون وفي سنة ١٩٣١م حصل على ليسانس الآداب من جامعة السوربون وفي سنة ١٩٣٣م حصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس وفي نهاية ١٩٣٤ حصل على دكتوراه الدولة في الفلسفة.

وفي سنة ١٩٣٥ عاد إلى مصر وانضم إلى هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة القاهرة وتتلمذ على يديه فئة كبيرة أضحوا - فيما بعد - أساتذة ورؤساء أقسام في المواد الفلسفية والاجتماعية بكليات الجامعات العربية المختلفة.

وقد اختير الدكتور إبراهيم مدكور عضواً بمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٦م بين عشرة من أعضائه ليكتمل به عدد أعضاء المجمع أربعين عضواً وقد أثرى المجمع بنشاطه وعلمه.

وقد تعرفت على الدكتور إبراهيم منذ التحاقي بالمجمع ونهلت من أدبه وفضله ولطفه الكثير وقد عُين أميناً عامً للمجمع في سنة ١٩٦١م ثم رئيساً له سنة ١٩٧٤م خلفاً للدكتور طه حسين واستمر رئيساً له حتي وفاته بتاريخ ١٩٩٥/١٢/٥ وطيلة سني عمله كان مثالاً لتوقد النشاط واستمرار العطاء وله اليد الطولى في كل ما انتج المجمع من أعمال باهرة كالمعجم الوسيط، ومعجم ألفاظ القرآن ومجموعة المصطلحات.

وقد أخرج كتابين عن المجمع هما «مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، ماضيه وحاضره» و«مع الخالدين»، وهو جزآن.

كما أخرج كتاباً هو «في الفكر الإسلامي».

وبوفاة الدكتور إبراهيم مدكور خسرت دولة العلم والفكر علماً شامخاً يعز فيه العوض ويندر فيه المثال.

رحمه الله أوسع الرحمات وبارك في حياة زميله ووصيفه الأستاذ الكبير الدكتور شوقي ضيف ا لذي رزس هذا المجمع الباذخ الفضل من بعده وأيسر به.

وقد كانت للدكتور مدكور مهابة ومحبة بين سائر أعضاء المجمع، وكان له حضور بالغ الأهمية.

وقد رثاه الكثيرون ونعوا فضله الكبير وعلمه الغزير.

وقد كان لي حظ نعيه ورثائه بقصيدة عنوانها «عبقري»، أؤثر نشرها في آخر الحديث لأن فيها لمحة عن حياة هذا العملاق الشامخ وإشارة إلى بعض مزاياه وخلائقه.

ويصف الدكتور إبراهيم بيومي مدكور «القصيدة» بقوله : «غذاء القلب، وطمأنينة

الروح، ملجأ الضعيف وسلاح القوي، هي حقيقة امتزجت بحلاوة الخيال، أو خيال لبس أحياناً ثوب الحقيقة، وما هذا الخيال وتلك الحقيقة إلا صرح كثيراً ما شدناه بأنفسنا لأنفسنا كي نكمل ما في عالم الواقع من نقص، ونحقق بعض مما نصبوا إليه من ميول وآمال، فإن ما فينا من قلب خافق، وعواطف متأججة ينزع إلى أمان ورغبات لا حصر لها، ولذتنا في تصور هذه الأماني، وسعادتنا في السير وراءها، فإن لم نجد السبيل إلى تحقيقها حيث نرى ونسمع، ورسمنا لها مملكة سامية فوق مملكة الحس والمشاهدات، وآمنا بها إيماناً لا يقل عن إيماننا بالمرئيات والملموسات على أن ما فينا من عقل يحلل ويبرهن ويعلل يدفعنا إلى الاعتقاد والاستمساك بآراء نتعصب لها وندين بها، فالقصيدة حاجة إنسانية وأثر من آثار قوى النفس على اختلافها، وهي فوق هذا ضرورة اجتماعية وركن هام من أركان التعاون والارتباط، ولا يمكن أن نتصور جمعية بشرية لا يخضع أفرادها لمبدأ واحد، وعقيدة مشتركة».

ويصف الضمير بقوله : «غامض في لفظه غموضه في معناه، ومستتر رغم ما يبرز من آثار، هو أقرب الأشياء منا وألزمها لنا بل يكاد يكون كل شيء فينا والمرء بأصغرية قلبه ولسانه بيد أنا إن حاولنا توضيحه توارى بالحجاب، وأمعن في الاستتار والاختفاء، نؤمن بوجوده دون أن نراه، أو نفهم في وضوح حقيقته، وكيف ننكره وفي إنكاره إنكار لأنفسنا وهدم للدعامة الأولى من دعائم شخصيتنا؟ يأمر فيطاع وينهي فيستمع له ويستر وبحزن عواطفنا وأحوالنا النفسية على اختلافها يعقد محكمته في أسرع من لمح البصر ويصدر أحكاماً غير قابلة للنقض والابرام، لذلك اتجه إليه الواعظ في وعظه، وناداه رجل الدين في نصحه، وجعله الأخلاقي أساساً لدرسه وتولاه عالم النفس بالبحث والتحليل».

عبقري ..!

مرثية الأستاذ الكبير الدكتور إبراهيم بيومي مدكور :

في زحام الخطوب والفجر غائم ... غاب فذ العلاء، صعب الشكائم

عبقري والعبقرية تعلو ... ضمن برديه والحظوظ البواسم

رائد م كتائب العلم أهدى ... لتراث الآداب على المغانم

باذخ الفضل منذ كان فتيا ... عاشق للإباء خدن المكارم

عاش حصنا للفكر موئل علم … يتصبى العليا ماضي العزائم

وتهاداه مجمع الضاد فذا … أين منه النظير، أين المزاحم؟

نصف قرن حباه حبة قلب … وضياء لعينين غيرمساومين

حالما ان يراه فوق السماكين … قويا على اكتساب العظائم

بذل الجهد كي يشيد صرحا … لبناء الفصحى وطيد الدعائم

كي يعيد الشباب للغة المثلى … فتعلو على لغات الاعاجم

جاء بعد الأفذاذ من علية الفكر … إلى موكن النسور القشاعم

واستطال البناء بالجهد والكدح … بنجد جم المفاخر حازم

أين منا وقد تغرب عنا … من يفكر الغموض، يجلو الطلاسم؟

من يُفيض البيان عذبا نديا … جوهرياً يفوق سجع الحمائم

وعلى وجهه الوضيء تبدي … عند إطلاله مهابة حاكم

لغة الضاد عاش يحمي حماها … ويرد الأعداء وهي شراذم

خلق صيغ من ظلال النبوا … ت سري الطيوب حلو النواسم!

من عجاب السنين حلت علينا … سنة وقعها كحز الغلاصم

إذ فقدنا فخر الرجال المُرجّى … من توالت الأوه والغنائم

من له دوما الحصيف من الرأي … وفصل الخطاب أبلج حاسم

هو في ساحة البلاغة سحبا … وفي قمة المكارم «حاتم»!

لا تقولوا مضى فمازال فينا … همة ترتجى، وروحا تقاوم

هو حيٌ فينا بخصب سجاياه … مطل من شرفة الغيب باسم

خالد ذكره، وباق سناه … فهو ترب الخلود، فخر الأكارم

ثم أثاره، شوامخ فكر … ناطقات بمجده المتعاظم!

الشاعر محمود أبو الوفا ١ - ٣



شاعر أحببته قبل أن أراه، وحين رأيته في صحبة الصديق الكبير الأستاذ (سيد قطب) الذي عرفني به شعرت بفرح نفسي طاغ فقد كانت له عندي مكانة كبرى وإعجاب لا حد له بأشعاره لاسيما بالغزلي والعاطفي منها، وكان يضمر للشاعر والأديب والإسلامي الكبير (سيد قطب) محبة تفوق الوصف و(سيد) يبادله بدوره هذه المحبة البالغة. وقد سر كثيراً وأنا أقرأ له بعض ما أحفظه من أشعاره ولاسيما قصيدته التي لحنها وأنشدها موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب (عندما يأتي المساء) والتي كان لها صدى كبير في نفوس المستمعين لجمالها رغم بساطتها يقول فيها :

عندما يأتي المساء
ونجوم الليل تنثر
اسألوا لي الليل عن
نجمي متى نجمي يظهر
عندما تبدو النجوم
في السما مثل اللآلئ
اسألوا هل من حبيب
عنده علم بحالي

ومن مجالسته عرفت أنه يحمل ألماً من تجاهل نقاد وكتاب عصره له وغمط الصحافة الأدبية له.

وقد ولد أبو الوفا في قرية (ديرس مركز أجا عام ١٩٠٠م).

وروى أبو الوفا واقعة حدثت له ذلك أنه كان يحب شعر شوقي حباً جماً، وحينما تقرر إقامة حفل كبير لتنصيب شوقي أميراً للشعراء سيحضره شعراء من سائر أقطار العروبة كتب قصيدة في تحية شوقي وأرسلها إلى لجنة الاحتفال وفازت بالدرجة الأولى من قبل اللجنة التي نظرت ما قدم وذهب إلي الحفل الكبير ليلقيها مرتدياً جلباباً وبيده عكاز، حيث أنه كان بساقٍ واحدة إلا أنه فوجيء بشوقي يطلب انسحابه من الحفل، ويهدد بالانسحاب إلن لم ينسحب أبو ا لوفا وععجب لتصرف شوقي واسنحب بطبيعة الحال متألماً.

وفيما بعد وحينما أقيم لأبي الوفا حفل تكريم من بعض أصدقائه وأحبائه ومريديه، فوجيء بشوقي يحضر حفله معتذراً عما مضى ويقول قصيدة في تحيته ثم علم أن الجفاء الذي حدث من شوقي كان نتيجة وشاية من بعض الذين ذهبوا إلى (شوقي) يقولون له إن محمود أبو الوفا لا يعجبه شعرك، وبدأت بعد ذلك محبة متبادلة بين الشاعرين حتى أن شوقي كتب وصية بألا يصدر أي ديوان له إلا بعد أن يقرّه أبو الوفا.

وحينما تنادى بعض الأصدقاء لإقامة حفل تجمع فيه بعض تبرعات لاقتناء ساق صناعية للشاعر عوضاً عن ساقة المفقود كتب شوقي شعراً يقول منه :

غلب البهاء على القريض وكأسه	فسقى بعذب نسيبه العشاقا
البلبل الغرد الذي هز الربى	وشجا الوصول وحرك الأوراقا
سبَّاق غايات البيان جرى بلا	ساق فكيف اذا استرد الساقا
لو يعرف الطب الصناع بيانه	أولو يسيغ لما يقول مذاقا
غال بقيمته فلم يصنع له	إلا الجناح محلقاً .. خفاقا

وأوفد أبو الوفا إلى فرنسا لعلاج ساقه ولتركيب ساق صناعية.

وقد نشر أبو الوفا شعره في العديد من المجلات الأدبية الكبرى كالمقتطف والمصور

وأبولو وغيرها. وحينما نشر (محمود أبو الوفا) ديوانه الرائع (أنفاس محترقة) كتب عنه الأستاذ الكبير (سيد قطب) وكان حينها حامل لواء النقد كتب عنه في مجلة الرسالة للزيات العدد (٩٤٥) مقالاً ضافياً جاء فيه قوله :

«في الجو رائحة شعر أنها (أنفاس محترقة) للشاعر محمود أبو الوفا، ذلك الشاعر الذي لم نعرفه في حينه، لأننا كنا في غفلة عن إدراك حقيقة الشعر في ذلك الحين.

كنا نتلمس الشعر مخنوقاً في ركام «الفكرة» المعتلة الجامدة أو متقزاً في اللفتة الذهنية البراقة. وكنا نتلمسه في وسوسة العبارة، وفي اصطناع الصورة، وفي فرنجة الشاهد، وفي صقل الايقاعات كما لوكانت ملفوفة في أوراق السلوفان ودع عنك «شعر الصالونات، وشعر الحفلات وشعر المناسبات، وشعر الغناء الذي يفرغه بعضهم على الناس». فهذه الألوان ليست في حساب النقد، ولا اعتبار لها في هذا المجال، فأما الشعر، الشعر كما هو مجرداً من القوالب والأشكال، طليقاً في ثقلة الفكر ولمعة الذهن، واصطناع المشاهد والموضوعات.. الشعر كما هو طليقاً رفّافاً طلاقة المطر والشذى فهو ما لم نحفل به كثيراً. ولقد كتبت قبل سنوات أربع تحت عنوان : (آن للشعر أن يكون غناء) في فصل من فصول كتاب : «النقد الأدبي : أصوله ومناهجه»، أصور حقيقة الشعر وطبيعته في هذه الفقرات. «انه الغناء، الغناء المطلق بما في النفس من مشاعر وأحاسيس وانفعالات، حين ترتفع هذه المشاعر والأحاسيس عن الحياة العادية. وحين تصل هذه الانفعالات إلى درجة التوهج والاشراق، أو الرقرقة والانسياب على نحو من الأنحاء. «ولسائل أن يسأل : أو تنفي الفكر عن عالم الشعر أيضاً؟ ولست أتردد في الاجابة. أن هذا الفكر لا يجوز أن يدخل هذا العالم إلا مقنعاً غير سافر، ملفعاً بالمشاعر والتصورات والظلال، ذائباً في وهج الحس والانفعال، أو موشى بالسبحات والرحات ! .. ليس له أن يلج هذا العالم ساكناً بارداً مجرداً! .. ولحسن الحظ أن الإنسانية لا تزال تحمل هذه الشعلة المقدسة، ولايزال ضميرها يزخر بالمشاعر والخواطر، ولاتزال تهتدي بالغريزة والالهام بجانب الذهن البارز الجاف. وهناك لحظات تنفض عنها ذلك السكون البارد والوعي المتقيد، وتنطلق رفّافة مشرقة، أو دافقة متوهجة، أو سارية تائهة، أو نشوانة حالمة .. وفي كل اللحظات الفنية الفائقة لا نجد إلا التعبير الشعري، يتسق بايقاعه القوي، وصوره وظلاله، مع

هذه اللحظات الوضاءة». في هذا العام الذي وصفت سماته نلتقي بالشاعر محمود أبو الوفا صاحب الأنفاس المحترقة. نلتقي به شاعراً كله شاعراً يخلص من اصطناع القوالب، واصطناع الأفكار، واصطناع الأحاسيس، واصطناع التعبير، ويلقانا بروحه كما خلقه الله. يلقانا بلا تكلف ولا تجمع ولا غشاء. يلقانا كما تلقانا الزهرة لتفرغ لدينا عبيرها وعطرها وتمضي. ويحدثنا أبو الوفا عن نفسه وحبه وآلامه ونجواه .. أو يحدثنا عن الإنسانية والوطن والشعب .. فإذا هو أبو الوفا الشاعر الغنائي المرفرف عذب الروح حتى وهو يتجرع صاب الحياة، سمح الخليقة حتى وهو يحرق الأنفاس ويقول الأستاذ النقاد (أنور الجندي) في كتابه الشعر العربي المعاصر تطوره وإعلامه. «إنه واحد من أبناء المدن الحديثة التي تأثرت بمطران، وشكري، وأبو شادي ويتسم شعره بالتجديد والسهولة وقوة التعبير ووحدة القصيدة. كما كتب عنه الناقد الكبير مصطفى عبداللطيف السحرتي صاحب كتاب «الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث) يقول :

«الذين يعرفون الشاعر محمود أبو الوفا يعرفون أن أبرز سماته هي التعالي والكبرياء، وحرية التفكير، وحب الصداقة، والبعد عن الأطماع، وحياة أبو الوفا هي سلسلة من الكوارث المتعاقبة التي لو وقعت لغير محمود لانتابه عصاب شديد، ولكن محمود ارتفع على آلامه وانتصر على متاعبه، وتسامى بنفسه. وتحول إلى دنيا الخلق الشعري الذي وجد فيه متنفساً لانفعالاته وسعادة لروحه».

الشاعر محمود أبو الوفا ٢ - ٣



وفي حديث شائق للناقد مأمون غريب كتب ما يلي :

«محمود أبو الوفا .. شاعر كبير .. نال جائزة الدولة في الأدب .. قدم عنه المستشرقون دراسات مستفيضة، ومع ذلك فهو مجهول في بلده مصر.

وعندما حاولت الوصول إليه، كان عليّ أن أسير في شارع محمد علي قرب القلعة، ثم أصعد سلماً عالياً لأدخل إلى حارة .. وفي أعمال هذه الحارة قابلت الشاعر الذي قال فيه شوقي شعراً.

وما كدت أضع قدمي على باب حجرته .. حتى وقع بصري على إنسان تبدو السماحة والصفاء على وجهه .. بجلبابه وفوق (الروب دي شنبر) وقابلني بابتسامة عريضة رغم انني ذهبت إليه بلا ميعاد سابق.

وعندما حاولت أن أجري معه حواراً فكرياً .. كانت تنساب إلى خاطري الأغنية التي كان يترنم بها عبدالوهاب من تأليفه، والتي رددتها الملايين :

عندما يأتي المساء

ونجوم الليل تنثر

أسألوا في الليل عن نجمي

متى نجمي يظهر؟

وعندما علم أنني صحفي .. أحسست في نظراته عتاباً .. لم يفصح عنه ولكني أحسسته .. كأنه يقول لي :

- إن الصحافة تجري وراء الأسماء ذات البريق .. وتنسى الناس الذين خلقوا أنفسهم بأنفسهم وأصبحوا يشكلون تياراً فكرياً خصباً.

وأحاول أن أجد بداية الخط الذي أبدأ به حديثي .. وعندما أجد البداية .. وأتذكر .. عندما يأتي المساء وأتذكر قصته مع شوقي وعبدالوهاب ويحكي قصة من أجمل القصص الواقعية .. قصة ليس فيها خيال مؤلف موهوب، ولكنها قصة واقعية لعبت دوراً كبيراً في حياة الشاعر الكبير .. أصمت والصوت الجليل .. القوي النبرات ينساب من أعماقي . وهو يحكي قصته مع أمير الشعراء أحمد شوقي :

- كنت أحب الشعر وأقرضه .. وأصبح لي تلاميذ يأتون إليّ في المقهى الذي كنت أملك جزءاً منه نسمع الشعر ونتناقش في أمور الأدب والأدباء .. وذات يوم قالوا : إن هناك حفلة كبيرة ستقام لتنصيب شوقي أميراً للشعراء. سيحضرها شعراء من كل البلاد العربية . وأعلنوا عنمسابقة للشعر تقال في هذه المناسبة.

فوجئت بأن القصيدة التي كتبتها هي الأولى. وألح عليّ أصدقائي أن أذهب لألقي القصيدة بنفسي ما دمت فقد فزت بالجائزة الأولى، وتحت ضغط هؤلاء الأصدقاء ذهبت إلى الحفل الضخم الذي كان يضم علية القوم في هذا لاعصر .. ذهبت بجلبابي وعكازي .. فوجئت بالنظرات التي تزدري هيئتي .. ولمحني محمد عبدالوهاب .. قابلني معانقاً. ولكن فوجئت بأحمد شوقي يهدد بأنه سينسحب من الحفل لو لم أنسحب أنا .. وقررت الانسحاب بعد أن سقط من نظري هذا الجلال والاحترام الذي أكنه لشوقي.

وتساءلت .. من أنا حتى يقف مني شوقي هذا الموقف ؟ .. ولماذا يقف هذا الموقف من إنسان جاء ليحييه؟!

ومرت الأيام .. وأخذت أكتب أشعاري في المجلات .. وعندما أقام تلاميذي حفل تكريم لي فوجئت بشوقي يأتي معتذراً ويقول قصيدة يحييني فيها .. وعلمت أن الجفوة التي حدثت كانت نتيجة وشاية من بعض الذين ذهبوا إليه يقولون : إن محمود أبو الوفا لا يعجبه شعرك! وبدأت بعد ذلك صداقتي بشوقي .. حتى أنه كتب وصية :

بألا يصدر أي ديوان له إلا بعد أن أقرأه بنفسي!

- وماذا قال عنك شوقي بعد هذه الجفوة؟

- يصمت الرجل وأحس بالتأثر على قسمات وجهه :

البلبل الغرد الذي هز الربا
وشجا الغصون وحرك الأوراقا
سبّاق غيات البيان جرى بلا ساق
فكيف إذا استرد الساقا

ومحمود أبو الوفا هو صورة أعتقد أنها لن تتكرر كثيراً .. فهو على حد تعبيره - ابن الحياة - لم تثقفه مدرسة أو جامعة .. ولكنه صنع نفسه بنفسه .. من قراءاته الطويلة .. من تجاربه وخبراته في الحياة .. إنه معتد بنفسه إلى أقصى حدود الاعتداد .. إنه مثل العقاد ..

وأسأله :

- ألم تهد كتباً لك يوماً إلى العقاد؟

ويجيب :

- لم يحدث أن أهديت كتاباً لأحد . إن العقاد طلب مني كتبي. ولكني لم أذهب إليه ليكتب عني.

- وهل كتب عنك العقاد يوماً؟

- كثيراً.

- هل حدث صدام فكري بينك وبين العقاد؟

- حدث مرة أن كتب العقاد مقالاً عن (إنسان الفصل الخامس) .. وفي مقاله هذا، حاول أن يعقد مفارقة بيني وبين نيتشه، وقابلته صدفة فعرض عليّ المقال الذي كان سينشره .. فناقشته في هذا وأخبرته أنه ليس هنلاك علاقة بين فلسفة القوة عند نيتشه .. وفلسفتي عن إنسان الفصل الخامس .. واقتنع العقاد .. وسحب المقال وأعاد كتابته بعد أن أخبرني بأن هذه هي المرة الأولى التي يعدل فيها مقالاً كتبه».

وهكذا نجد أن هذا الشاعر قد استقطب اعجاب عمالقة الفكر والنقد وسوف

نستكمل الاشارة إلى آراء جمهرة كبار الأدباء والشخصيات الذين حيوا نهضة الشاعر أبو الوفا.

كما قد حان الوقت لكي نسعد بايراد نماذج من شعر هذا الشاعر الموهوب ..

فمن شعر محمود أبوالوفا بعنوان (أحباؤنا) :

أحباؤنا أنتم على البعد والقرب … بعدتم قربتم، ما لدينا سوى الحب
فكونوا كما شئتم وشاء هواكمو … فأنتم هوى روحي وأنتم هوى قلبي
احبكمو حباً كأني نهلته … من الحب في قلب المحبين للقلب
على أي درب في الحياة سلكته … سأسلكه حتي إذا لم يكن دربي
أرى أنني فيه بكل خواطري … بروحي وجسماني بفكري وباللب
كذلك حبي للذين أحبهم … من الصحب أو ممن يحبهموا صحبي

ومن شعره بعنوان (تعالي) :

تعالي نطر في سماء المُنى … فلابد للحب من أجنحة
ولابد للحب من ساعة … تكون لنا الساعة المفرحة
تعالي نفسرن حلم الهوى … ونهدي إلى الحب تفسيرنا
فإن أبصر الناس فردوسنا … وأعجبهم : تبعوا شرعنا
بدمعي أنا قد سقيت الغرام … بربك لا تحرميني الجنى
تعالي! تعالي بنا نجنها … وننتهز الفرصة السانحة
تعالي نحلق على كل جو … ولا نسأل الحب أين المصير
تعالي نحطم جميع القيود … ولا نتقيد بغير الضمير
فمالك - في الحسن - من مشبه … ومالي أنا في الهوى من نظير
أطيعي الحبيب، ثقي بالهوى … فما خذل الحب من صارحه
ولا تحسبينا ابتدعنا الهوى … ولا أننا في الهوى وحدنا

فقد ظلل الحب من قبلنا   وسوف يُظلل من بعدنا

لقد مر «بألحان» أهل الهوى   جميعاً، وخلوا لنا كأسنا

على روض أهل الهوى تطلعين   كما تطلع الزهرة المصبحة

ولـه بعنوان (قلبي) :

تناثر قلبي فلذة بعد فلذة   لكل جميل راح منه نصيب

فيا لضلوعي كم يمزق شملها   له خفقان دائم ووجيب!

فيخفق إن رفت من الحسن شمال   ويخفق إن هبت عليه جنوب

ولوع بكل الحسن هذا له هوى   وذاك له ري، وذاك طبيب

أكل الجميلات الحسان حبائب   وكل أخي حسن إليه حبيب؟

الشاعر محمود أبو الوفا ٣ -٣



.. ولقد كان الشاعر الكبير محمود أبو الوفا نسيج وحده وكان أسلوبه الشعري خلاباً فريداً كما كان حضوره وشخصيته ودماثة خلقه كل أولئك يضفي عليه رونقاً يقربه إلى النفوس، وكان في صوته حلاوة ورقة تسحران سامعيه وهو ينشد شعره.

وأسلوبه صالح للشعر القصصي والتمثيلي ولو مارسهما بافاضة لأبدع فيهما أيما إبداع وأجاد أيما إجادة، وكان ذلك في صنو شاعر البحرين العبقري الشاعر الكبير إبراهيم العريض.

ولقد طرق الشاعر أبو الوفا كل موضوعات الشعر العربية بدقة وشفافية وكان محلقاً فيها جميعاً كل التحليق مبرزاً كل التبريز.

كما حيا شعر أبو الوفا كثير من الاعلام ولا نستشعر حرجاً من إيراد الكثير من نماذج ذلك فقد قال عنه «مصطفى صادق الرافعي» :

«أبو الوفا شاعر ملء نفسه، حتى أنه ليعد أحد الذين يعتصم بهم الشعر العربي، وهم قليلون في زماننا».

وقال عنه «الشيخ مصطفى عبدالرازق» :

«.. وإنك يا أبا الوفا لتعرف رأيي في شعرك الذي كثيراً ما طربت له نشيداً منك يزيده حماستك توهجاً، ويملؤه تطريبك شجواً وكم رأيتك فيه تهجم بلطف شاعريتك على سر الحياة الذي أعيت دونه الفكر».

ومما قاله الشاعر الكبير «محمد عبدالغني حسن» :

أيها الشامخ في بأسائه ... يتحدى الدهر والمعتركا
يشتكي في كبرياء ويرى ... نفسه فوق البرايا ملكا
حسبك اليوم فخاراً انك ... لم تطأطئ لزمان رأسكا!

وقال عنه الدكتور «عبدالرزاق السنهوري» :

«لعل البلد في الآونة الأخيرة أشد ما يكون حاجة إلى فلسفة القوة وهو يجتاز مرحلة من آخرمراحل تحرره القومي.

ونهجك يا أبا الوفا في هذا الشعر جديد، فقد طرقت موضوعاً واحداً متصل الأجزاء في قصيد واحد متغاير القوافي، فابتدعت جديدا في الشعر العربي - ولعلك بعد شوقي الذي ابتدع التمثيلية في الشعر العربي فأغنيا الأدب العربي، وجعلاه «يماشي» الآداب الغربية».

وقال عنه أحمد زكي باشا شيخ العروبة :

«أفلم يكن من فضل الله على دولة الأدب انه اختار «أبو الوفا» مع رقة حاله وبرغم تواضعه - ليضرب لنا المثل الأعلى لعفة اللسان ونزاهة القلم؟ وما أقل العاملين بهذه الفضيلة المزدوجة في هذا الزمن»!.

لقد كانت براعة أبو الوفا في الانزواء، وكان نبوغه في الاختفاء باعثين على ابرازه لنا في أجمل مظهر».

وقال عنه الدكتور أحمد زكي أبو شادي :

«هذا هو الشاعر المصري الرشيق الروح المحترق الأنفاس الذي تعالى بشعره عن التكسب والتملق والابتذال، وقد أعرض شعره وخصائصه عرضاً عاماً على قدر ما يسمح به الفراغ في مقال تال، لأنه جدير بعناية أدباء العربية في الشرق وفي أمريكا، كما أنه قدوة حسنة لشعراء العصر في نزعاته الوطنية والانسانية».

وقال عنه الدكتور فؤاد حتروف :

«الشاعر محمود أبو الوفا إذ تتملكه صورة ما لا يبرح يقلب فيها النظر حتى تنبثق من عقله الباطن آراء درسها ومثلها بالتأمل الطويل الذي يمنحها قواماً خارجياً.

صورة لست تجد فيها الفكر الذي نسج آراءها، ولا الخيال الذي وشى حواشيها، بل تجد شاعرية شاعر اجتمع التفكير فيها عمقاً صافياً، والخيال جريئاً وثاباً، والشعور متأججاً صادقاً في ألفاظ كأسها في معايها ومبانيها وجرسها ومواقعها آيات التنزيل.

هذه هي وحدة الاندماج في الشعر العالي بين اقانيمه المتباينة».

وقال عنه الشاعر حسن القاياتي :

«الأستاذ أبو الوفا مثل من الأدب السامي وحلاوة الشمائل، ولكنه على ذلك مأساة ماثلة كالجمال الساحر قلما يملأ العيون حسناً وروعة، دون أن يملأ القلوب وجداً ولوعة.

أجل : إن «أبا الوفا» مثل من الأدب الحكيم الطلي».

وقال عنه إسماعيل صدقي باشا :

«هذا شاعر بحق .. لقد عرفته من كبريائه».

وقال عنه الناقد محمد فهمي عبداللطيف :

«علمتك أديباً كبيراص، ومحدثاً لبقاً وكاتباً ممتازاً، وعلمتك أيضاً شاعراً فحلاً، ولكن أقسم لك أن خيالي لم يذهب إي قدرك الذي علمته ولمسته حين قرأ ما تفضلت مشكوراً باهدائه إليَّ من دواوين شعرك التي تعتبر بحق مفخرة العرب والعروبة، وقد سرحت ببصري وذهني في ثمارها اليانعة».

وقال عنه الأستاذ عباس محمود العقاد :

«لقد أحسن الشاعر أبو الوفا صاحب ديوان «شعري»، في اختيار هذا الاسم. فإنه في الحق شعره الخاص الذي يقوله هو ولا يقوله غيره، وآيته فيه أنه يعني ما يقوله ويقول ما يعنيه وأنه وحي السليقة الذي تمليه عليه حياته وبواعث وجدانه من آثار الحياة وآثار عوارض الحياة».

وقال عنه الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى :

«الأصالة والواقعية سمة لا تنفصم سواء في شعر محمود أبو الوفاء أو في نفسه».

وقال عنه الناقد عبدالمنعم شميس :

«القصر على الطراز العربي لا قيمة له أمام بيت واحد من الشعر يقوله محمود أبو الوفا».

وقال عنه الكاتب الكبير «كامل الشناوي» :

«إن الصفة التي لازمت أبو الوفا من شبابه إلى شيخوخته هي التمرد، والثورة، والانقضاض بعنف وذكاء على كل ما لا يرضى عنه».

ومن قصائد محمود أبو الوفا المشهورة هذه القصيدة وعنوانها «تغريدة»، نوردها مختتمين بها الحديث في شعره :

صداحة الروض ما أشجاك أشجانا ... نوحي بشكواك أو نوحي بشكوانا
ذاب الفؤاد أسى ألا بنيته ... الآن أذرفها من عيني الآنا
للحب عندي سر لا أبوح به ... الا دموعاً، وأنات، وألحان
في ذمة الله قلب لم يجد سكنا ... يأوى إلى ظله فارتد حيرانا!
ياليل ساهره.. ياأحلامه احتشدي ... يا دمعه .. واته سرا واعلانا
ياحسن لبيك أن تأمر فهأنذا ... من خير ما ملكت يمناك عبدانا
إن الذي صاغ آيات الهوى عجبا ... لم يرض غيري أنا للحب عنوانا
حسبي إذا الحب أضناني فمت هوى ... إن يذكروني.. قالوا : «كان إنسانا»!

ومن كتب أبو الوفا ما يلي :

الحرية ديوان طبع ووزع سراً

أنفاس محترقة عام ١٩٣٢م.

أشواق عام ١٩٤١م.

أعشاب عام ١٩٤١م.

أناشيد وطنية عام ١٩٥١م.

أناشيد دينية عام ١٩٣٨م.

شعري عام ١٩٦٢م.

النشيد عام ١٩٥١م.

عنوان النشيد عام ١٩٥١م.

إنسان الفصل الخامس - دراسة - عام ١٩٥١م.

وقد نشر في أرقى دور النشر العربي وقد توفي هذا الشاعر الكبير عام ١٩٧٦م. وكانت لوفاته رنة حزن كبيرة لدى أصدقائه ومعارفه ومثله كان جديراً بالافتقاد .. وحينما توفي هذا الشاعر المظلوم حييته - راثياً - بما يلي :

مات الوفاء بموت محمود ... والشعر أن أنين مفؤود

غاضت بشاشتنا وكان لنا ... ضوءاً بأيام لنا سود

كان الكريم برغم حاجته ... فكأنما قد قدّ من جود

رباه فارحم شاعرا غردا ... قد عاش رهن جوى وتسهيد!

يوسف السباعي



عرفت القاص الشهير الأستاذ الكبير يوسف السباعي منذ زمن طويل، وكانت معرفتي به في مجلة (العالم العربي) التي رأس تحريرها يوماً العملاق الأستاذ سيد قطب .. وقد بدأ الأستاذ السباعي ينشر فيها أقاصيصه، وثابرت بعد ذلك على لقائه ومودته.

وينتسب الأستاذ السباعي إلى أسرة عريقة مشهود لها بالفضل ووالده هو الكاتب الشهير محمد السباعي.

وقد ولد يوسف السباعي في ١٠ يونيو ١٩١٧م وكان ضابطاً بسلاح الفرسان، ثم تفرغ للأدب وتولى سكرتارية المجلس الأعلى للآداب والفنون ونادي القصة والمؤتمر الافريقي الآسيوي وجمعية الأدباء ودار الهلال.

وقد أصدر ما يزيد على الخمسين كتاباً من قصص وروايات ومسرحيات .. وكلها مؤلفات وكتب قيمة تستحق التقدير وتستدعي الاعجاب والدراسة.

ويوسف السباعي كان على خلق عظيم وعلى تواضع جم وعلى مؤازرة غير ذات حدود لشباب الأدباء .. وقد تولى وزارة الثقافة والاعلام.

وتزوج من إبنة عمه التي أحبها حباً جماً وكان هذا الحب مهماً له في عطائه الفكري الغزير وعلى امتلاء انتاجه بأنسام العاطفة والحب.

وكان قدر هذا الإنسان الكبير أن يتسلط على حياته جماعة غدرة فينهوا حياته الثمينة برصاصات غادرة في بلاد غريبة عنه هي جمهورية قبرص اليونانية سنة ١٩٧٨م.

وهكذا تنطوي صفحة هذا العبقري وهو في قمة عطائه، وفوران أمله، وتخسر بذلك مصر الغالية والعربية أديبا نادراً المثال، ورجلاً يفيض شهامة وكرماً ونبلاً وإنسانية! وكان الأسف لفقدانه عظيماً فقد كان مالئاً الدنيا وشاغلاً للناس.

وبمناسبة تأبين الشاعر والمسرحي الكبير الأستاذ علي أحمد باكثير دعاني الأستاذ يوسف السباعي للمشاركة في تأبينه وقد حضرت وشاركت فيه بقصيدة حازت اعجاب الصديق السباعي مما دعاه - فيما بعد - لدعوتي للمشاركة في تأبين الرئيس عبدالناصر ولكن ظروفي لم تسمح حينئذٍ بهذه المشاركة حيث كنت مريضاً ملازماً للفراش.

وحينما جرى التفكير في احياء المجلة الراقية «الرسالة»، للأستاذ أحمد حسن الزيات جرى إحداث مجلة حديثة هامة هي «الرسالة الجديدة»، وأنيطت رئاسة تحريرها بالأستاذ يوسف السباعي وقد استمر صدور هذه المجلة فترة لا بأس بها ثم أوقفت بعد أن أعطت دوراً مرموقاً.

وعلى العموم فإن يوسف السباعي ما شغل عملاً إلا نهض به خير نهوض، وأيسر به أيما إيسار!.

ومعظم روايات يوسف السباعي كان من حظها أن تخرج سينمائياً وأن تطبع العديد من الطبعات وهو في ذلك منافس جيد للكاتب الكبير إحسان عبدالقدوس الذي كان صديقاً له في تسنم درج الشهرة والمجد.

وللأستاذ السباعي آراء ونظريات أدبية فهو يقول إنه يكره الدموع ويعتبرها مظهرا من مظاهر الضعف، والضعف يجب أن يستر وبالرغم من ذلك ففي كثير من الأحيان لا يستطيع الإنسان أن يستر ضعفه .. وهناك مواقف كثيرة كشفت عن ضعفي..».

وعن الأدب ودوره يقول السباعي :

«.. الأدب بطبعه يدعو إلى السلام ..».

وقد عُرض عليّ مرة أن يُنشر لي مجموعة قصصية في سلسلة الكتاب الذهبي الموكل إليه، ولكنني تقاعست كسلاً في وفاتت هذه الفرصة.

ومن مؤلفات يوسف السباعي :

بين أبو الريش، وجنينة ناميش، يا أمة ضحكت، الشيخ زغراب، السقا مات، إني راحلة، رد قلبي، ليل له آخر، الأطلال، فديتك يا ليلى، أطياف

وأخيراً رحم الله يوسف السباعي وأجزل له المثوبة في دار البقاء فقد كان سمحاً معطاء يقدر الإخاء والصداقة حق قدرهما.

موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب ١ - ٢



كان حلماً لي أن أتعرّف بالفنان العبقري محمد عبدالوهاب مالئ الدنيا وشاغل الناس .. وقد أتاح لي هذه الفرصة صديقه الصحفي اللامع الأستاذ محمد السيد شوشة وصديقي بدوره.

وقد ذهبنا معاً إلى مكتب الفنان الشهير، وهناك بثثته ما أحمل له من تقدير وإعجاب وقدمت له بعض دواويني وكتبي.

وكان عبدالوهاب مشرق الطلعة يومها في عقده السادس وكأنه في العقد الرابع من العمر ليس غير ..

وقد رحب باللقاء أيما ترحيب، وجاملني بأن أخذ يقرأ قصيدة من قصائدي من أحد دواويني التي قدمتها له هدية.

ثم قال لي إنه يسعده أن يغني لي إحدى قصائدي ولكنه يود أن يجد الفرصة للاستيعاب والاختيار.

ثم بادر باهدائي إحدى صوره الفوتوغرافية مطرزة بعبارة جميلة هي : «إلى زميلنا في الروح الشاعر الرقيق الأستاذ حسن عبدالله القرشي مع تقدير أبدي»، وما زالت لدي هذه الصورة.

وبعد أيام زارني صديقي الفنان الأستاذ سعد عبدالوهاب ابن أخ الأستاذ محمد عبدالوهاب الشيخ حسن في مكتبي بالاذاعة المصرية.

وسعد كان صديقاً لي - ومازال - إذ كان يعمل أيامها مخرجاً في الاذاعة المصرية التي كنت أقضي بها فترة لدراسة الفن الاذاعي بمختلف عناصره موفداً من الاذاعة السعودية التي كنت رئيساً للمذيعين بها آنذاك.

وقال لي سعد إنه رأى دواوين وكتبي على مكتب عمه وأنه كان يقرأ بعض قصائدي من أحد الدواوين وربما اختار واحدة منها ليلحنها ويغنيها فشكرت له ما أبلغني به.

ثم زارني الأستاذ محمد السيد شوشة وأخبرني أن الأستاذ يود أن يراني، وقد سرني ذلك كثيراً، وبادرت بلقاء الأستاذ الكبير فأطلع لي من درج مكتبه قصيدة لي قال إنه رشحها للتلحين ولكن عليَّ ألا أستعجله في ذلك فلديه الكثير من المشاغل..

وهي قصيدة من ديواني الثاني (مواكب الذكريات) ومطلعها :

من ثغرك العذب وهذا البنان　　　والوجنة الفرحى زها الأرجوان!

ولكنه أبدى لي بعض ملاحظات واقتراحات تستوعب مجمل القصيدة مقترحاً ادخالها على نص القصيدة، وفي صميم أبياتها وأهمها توسيع تجربتها وعلى سروري بأن حظيت القصيدة باهتمام هذا العملاق إلا أنني شعرت بشيء من عدم الارتياح، وأضمرت في نفسي عدم الاستجابة ر غم شدة الرغبة بأن تحظى القصيدة بغناء هذا العبقري.

ثم حاولت جاهداً - فيما بعد - بأن أخضع القصيدة للتعديل أو للملاحظة اللذين أشار بهما الفنان الكبير، إلا أنني رأيت بعد معاناة أن التعديل يقتضي صياغة القصيدة من جديدة، وصرفني كبرياء الشباب واعتزازي بفني - مع الرغبة المتأججة في نفسي - أن أجنح إلى ذلك.

وهكذا فاتتني فرصة فنية ثمنية، ولكنني لم أطل الأسف على فقدانها وإن كانت جديرة بذلك.

على أنني لم أنقطع عن زيارات الأستاذ عبدالوهاب والاستئناس بحديثه العذب وثقافته العالية، وحضوره المبهج، ومجلسه العامر.

أما نص قصيدتي فهو كالآتي :

من ثغرك العذب وهذا البنان … والوجنة الفرحى زها الارجوان
يا شعلة الضوء التي دفقت … طي حياتي ذكريات الحنان
أنت رؤى قدسية صفقت … تغمر حتى خطرات الجبان
وشّحك الروض بأزهاره … والعشب مغشي عليه مهان
جوعي إليك الحر لا ينقضي … هيهات يعدوك صراخ الجنان
جنية مسحورة أقبلت … في موكب فذ وفي مهرجان
يفوح منها أرج مسكر … صعدة روح طليق العنا
حرره الطيش فيا ويلتا … للطيش كم أزرى بنجوى الحسان
ثقي بقلبي فهو أرجوحة … وردية نشوى هوى وافتتان
وجنة سكرى بخمر الصبا … تفيض بالفرحة في كل آن
مناتي أن أرعاك في معزل … عن عالم غشى سناه الدخان
فانتشي من نبعك المجتبي … ما يغمر الروح رضا، والزمان!

ومنذ بدايات عبدالوهاب تبناه أحمد شوقي أمير الشعراء وكان رائده وأستاذه ومرشده، وقد أفاد عبدالوهاب من ذلك الكثير والكثير جداً وكان يقضي معه ثلاثة أرباع وقته.

وفي العديد من رحلاته كان يصطحبه معه وربما اصطحب الصحفي الشهير الأستاذ الكبير فكري أباظة فكان فكري يلقي أشعار شوقي وكان عبدالوهاب يغني ما يروق من بعض فقراتها.

وكان هذا الحال قد تمثل في قصيدة شوقي التي انشدت في لبنان - الذي كان يحظى بعشق لا مزيد عليه من أمير الشعراء - والتي كان مطلعها :

شيعت أحلامي بقلب باك … ولممت من طرق الملاح شباكي
ورجعت أدراج الشباب وورده … أمشي مكانهما على الأشواك
وبجانبي واه كأن خفوقه … لما تلفت جهشة المتباكي

والتي التقط منها (عبدالوهاب) المقطع الذي يقول فيه شوقي :

يا جارة الـوادي طـربـت وعـادني ... مـا يشبـه الأحـلام مـن ذكـراك
مثلت في الذكرى هواك وفي الكرى ... والذكريات صدى السنين الحاكي
لم أدر ما طيب العناق على الهوى ... حـتـى تـرفـق سـاعـدي فـطـواك
وتـأودت أغـصـان بـانـك في يـدي ... وافـتـر مـن خـفـريـهـمـا خـداك
ودخلت في ليلين فرعك والدجى ... ولـثـمـت كـالـصـبـح المـنـور فـاك
لا امس من عمر الزمان ولا غد ... جمع الـزمـان فـكـان يـوم لـقـاك!

موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب ٢ - ٢



وفي لبنان كان شوقي وعبدالوهاب معاً وكان على عبدالوهاب أن يحيي حفلاً غنائياً وقبل موعد الحفل بقليل جاءه نبأ نعي والده في مصر فاشتد حزنه وقرر إلغاء حضوره الحفل ولكن شوقي قال له هيا بن نستشير الدكتور طه حسين وكان بلبنان ونرى رأيه في الموقف وقد أشار الدكتور طه بضرورة حضور عبدالوهاب الحفل وعدم الغائه و قال له من قال إن الغناء كله فرح و هل الموسيقى كلها فرح أليس فيها حزن؟ ان عليك ألا تلغي ما أنت بسبيله وسمع عبدالوهاب نصيحة الدكتور طه وأحيا الحفل رغم ما يشعر به من ألم وحزن.

وفي مرة اشتد النقد على عبدالوهاب مما كاد يلويه عن الاستمرار في الفن واعتزاله ولكن شوقي قال له هل إذا جمعت جمهرة ما كتب في الصحف من النقد وصعدت عليه هل ترى نفسك علوت أم هبطت لاشك أنك ستعلو وهكذا فإن كل ما يتناولك من النقد إنما يزيد من علو شأنك ولا ينقصه؟!

وأمير الشعراء كان يرتبط بصداقة خالدة مع شاعر لبنان (بشارة الخوري) الأخطل الصغير ولذلك حفز عبدالوهاب على أن يغني له كثيراً من قصائده الرائعة الفصيحة والعامية.

ويُعد عبدالوهاب شاهداً على عصره وقد نسيء له في أجله.

وعبدالوهاب كان مشهوراً بالوساوس خشية الأمراض والعدوى وكان متهماً بالبخل وكان يخشى ركوب الطائرات إلا فيما ندر.

كما كان مشهوراً بأنه رجل أعمال ومنذ ثرائه الباكر أنشأ عمارة سماها «الجندول»، اسم احدى أغنياته وهي في وسط شارع ٢٦ يوليو «فؤاد سابقاً».

كما كان مشاركاً في شركة «بيضافون» هي كايروفون واشترك مع الفنان عبدالحليم حافظ ومجدي العمروسي في انشاء شركة «صوت الفن».

وعبدالوهاب درس الموسيقى ودرّسها.

وقد لحن عبدالوهاب للكثيرين من المطربين المشهورين وغيرهم ومما لحنه لأم كلثوم «انت عمري، وأغداً ألقاك»، كما لحن لعبدالحليم حافظ، وليلى مراد، وصباح، وفيروز، وفايزة أحمد، وياسمين الخيام، وأسمهان، وطلال مداح، ومن الأفلام التي عملها عدا ما شارك فيه :

لست ملاكاً، الوردة البيضاء، دموع الحب، يحيا الحب، يوم سعيد، رصاصة في القلب.

ويقول عبدالوهاب إن هناك صحفيين كباراً شجعوه منهم فكري أباظة، ومحمد التابعي، وإبراهيم المصري، وعبدالقادرة حمزة!

وكان عبدالوهاب من عشاق باريس يقضي فيها أكثر شهور الصيف وتعجبه أجواؤها.

وللأستاذ عبدالوهاب صداقات عميقة ببعض السعوديين وكان يقدرون صداقته ويعجبون بفنه الخالد الرائع وقد أثنى في بعض أحاديثه على مطربي السعودية طلال مداح ومحمد عبده.

ومرة كنت في زيارته مع صديقي الشاعر الكبير الأستاذ أحمد فتحي الذي غنى له عبدالوهاب قصيدته المشهورة «الكرنك»، والتي حظيت باعجاب الملايين، وسمعته يثني ثناءً عاطراً على بعض المطربين العرب ولاسيما اللبنانيين والسوريين! وفي مقدمتهم وديع الصافي.

ومجلس عبدالوهاب لم يكن يخلو مطلقاً من حضور بعض كبار المثقفين والمشاهير ممن حظوا بصداقته ومنهم الشاعر الكبير نزار قباني والصحفي الشهير كامل

الشناوي والمسرحي الموهوب سعد الدين وهبة والممثل الخالد يوسف وهبي والأثاري الجهير كمال الملاخ وغيرهم كثيرون!

وقد أنتج عبدالوهاب «أوبريت» مجنون ليلى وأشرك في غنائه المطربة الجهيرة «أسمهان» الأطرش.

ولعبدالوهاب مئات الأغاني والمنولوجات الناجحة ومن أهمها وأجملها :

الفن، الكرنك، الجندول، كليوباترا، إجري يا نيل، قالت، النهر الخالد، أغاني سيد درويش، مضناك جفاه مرقده، الوردة البيضاء، من غير ليه، بلاش تبوسني في عينيه، في البحر لم فتكم في البر فتوني، ردت الروح، قوللي عملك ايه، النيل نجاشي، عاشق الروح، أنا والعذاب وهواك، ليالي الشرق، الروابي الخضر، الصبا والجمال، يا وابور، محلاها عيشة الفلاح، خايف أقول اللي في قلبي، أعجبت بي، على أيه بتلومني، سلاما من صبا بردى أرق، أخي جاوز الظالمون المدى، علشان الشوك في الورد أحب الورد، بلبل حيران.

ومن آراء بعض الشخصيات في الأستاذ محمد عبدالوهاب نقتطف ما يلي :

أ - مصطفى أمين :

«الأستاذ عبدالوهاب رجل مجدد استفاد من تعليمه للموسيقى الأوروبية كما أضاف الموسيقى الأوروبية وبعض الآلات الأوروبية إلى الموسيقى المصرية دون أن يقضي على النغمة الشرقية الصحيحة.

ما قدمه عبدالوهاب أنه فتح نوافذ الموسيقى الشرقية على الموسيقى العالمية ولاشك أن المرأة لعبت دوراً كبيراً في حياته وخصوصاً حبه الأخير للسيدة زوجته نهلة القدسي التي من أجلها قدم الكثير من أغانيه وهو من أذكى الأشخاص الذين قابلتهم ..».

ب - أحمد بهاء الدين :

«بدءاً طبعاً كان لدينا تراث من الألحان ولكنه تراث قصير جداً لا يزيد عن نصف قرن بالكثير قبل ظهور محمد عبدالوهاب .. وكان هذا النصف قرن من التراث كل النمط الغائر فيه متكرر ومتوافر إذا استثنينا اللمعة الضخمة التي لمع بها سيد درويش وانطفأ بسرعة قبل أن يؤدي رسالته.

الأستاذ عبدالوهاب التقط هذه الشعلة من سيد درويش وعبر بها مراحل كثيرة».

ج - **فاتن حمامة :**

«اشتغلت مع الأستاذ محمد عبدالوهاب في فيلم «يوم سعيد» وكانت سني مبكرة وأنا في هذا السن لم أشعر بعظمة عبدالوهاب أو أهميته والحقيقة أن عبدالوهاب الانسان .. انسان عظيم جداً ..»

د - ويقول عنه :

١ - **فؤاد المهندس :**

أننا أعتبره بالنسبة لي أبي الروحي.

٢ - **رتيبة الحفني :**

رجل صالون ذكي .. خفيف الظل.

٣ - **ياسمين الخيام :**

يكفينا فخراً أننا عشنا في زمن عبدالوهاب وعصره.

٤ - **حلمي بكر :**

غنى لعبدالوهاب من يستطيع أن يغني ومن لا يستطع غنى باحساسه أو صفق له بيديه.

٥ - **محمد سلطان :**

عبدالوهاب ليس قمة، ولكنه قمة نادر.

٦ - **سعد عبدالوهاب :**

كان من الأصوات القديرة القادرة على الاستمرار.

٧ - **عادل مأمون :**

نهر يتدفق من الألحان الجميلة.

٨ - **نجوى فؤاد :**

كان مدرسة كبيرة بالنسبة لي.

٩ - **عبدالوهاب محمد :**

انني لسعيد الحظ لأنني من الجيل الذي عاش مع محمد عبدالوهاب.

١٠ - أحمد فؤاد حسن :

أخرج الموسيقى من قمقم التطريب إلى رحابة التعبير الموسيقي.

ومن أروع ما تم من حوار قبل وفاة هذا العملاق هو الحوار الطويل الذي عمله الكاتب الكبير سعد الدين وهبة مع عبدالوهاب والذي تناول جوانب عديدة من حياته وآرائـه ثم نشر فيما بعد في كتاب عـنوانه «النـهر الخـالد»، من إصدارات دار سعاد الصباح.

وقد استفدنا من هذا الكتاب في صميم بحثنا الراهن عن الأستاذ محمد عبدالوهاب وهو حوار يجب أن يعود إليه كل باحث في سيرة عبدالوهاب.

وأخيراً فقد كان مولد العبقري الكبير محمد عبدالوهاب بتاريخ ١٣ مارس سنة ١٩٠١م، كما كانت وفاته بتاريخ ٤ مايو ١٩٩٢م، وبذلك انطوت هذه الصفحة الغالية التي يندر تكررها!.

الشاعر الكبير محمد عبدالغني حسن ١ - ٢



إنسان قبل أن يكون شاعراً مرموقاً وأديباً لامعاً .. وهو بدون شك شاعر عملاق أصدر العديد من الدواوين والكتب القيمة وكان أحد أساطين مجلة «الرسالة» للزيات وأحد المشهود لهم بالنبوغ والكفاءة كما أنه مثقف كبير وشخصية فذة ويتمتع بخلق كريم، ونفس عالية الهمة، ومثابرة وصبر على العطاء.

وقد كنت أحد قرائه في «الرسالة»، وغيرها ثم أحسنت الظروف فجمعتني بزماتله في مجمع اللغة العربية إذ اختير كأحد أفذاذه البارزين الذني يستحقون التكريم والحفاوة.

وقد ولد الأستاذ محمد عبدالغني حسن بمدينة المنصورة سنة ١٩٠٧م من محافظة الدقهلية وأتم دراسته الابتدائية والثانوية بمدارس المنصورة وأكمل دراسته العالية بدار العلوم، وحصل على دبلومها العالي ١٩٣٢م ثم أوفد بعد ذلك في بعثة إلى انجلترا فدرس التربية وعلم النفس واللغة الانجليزية بجامعة «اكستر» وقد جمع إلى الانجليزية اللغة الفرنسية.

حيث سافر إلى فرنسا فترة دراسة مخصبة ..

وفي تحية العام الهجري الجديد يقول الأستاذ محمد عبدالغني حسن وهو مولع بالشعر الديني :

يـوم تـبـسـم في الأيـــام وازدهـــرا … وسيرة عطرت من لطفها السيرا
يا يوم حدث شباب النيل وارو لهم … وقص من ذكرك العالي لهم خبرا
واجمع على الدين والاخلاق عقدهم … فقد تفرق هذا العقد وانتثرا
واطبع الناس من يقضي الحياة ولا … يقضي من الدين والدنيا بها وطرا
يارب أدرك من الاسلام أمته … واجمع على نهجك الافراد والاسرا
ياحارس الروض ان الروض ان عصفت … به الاعاصير جف الروض وانتثرا
والروح ان لعبت ريح السموم به … لا ينبت الغصن أو لا يطع الثمرا
سافرت للغرب والآمال تدفعني … أكرم به للأماني والعلا سفرا
رأيت فيه الليالي وهي عاصفة … والبحر مضطربا والجو معتكرا
شط المزار فما شطت فضائلنا … ولا تغير منا القلب أو نفرا
ان الغريب وان طابت مناظره … رنا إلى الوطن المحبوب أو نظرا
لا اللهو في الغرب انسانا مبادئنا … ولا أضاع لنا من ديننا الذكرا
رأيت في الغرب أخلاقاً مطهرة … كما رأيت به الأرجاس والقذرا
انا أخذنا محاراً لا غناء به … وغيرنا أخذ الأصداف والدررا
بالأمس قامت لنا في الدين قائمة … ما بالنا اليوم عفينا به الاثرا
انا فتحنا به الدنيا مطأطئة … وباسمه قد غزونا البدو والحضرا
سلوا القياصر تلقوا عندها نبأ … وسائلوا الفرس من تلقوا عندها خبرا
هنا رأينا بساط الفرس ندثراً … مخرقاً .. ولواء الروم منكسرا

ما أضيع الناس من يقضي الحياة ولا … يقضي من الدين والدنيا بها وطرا

ومن أصدق قوله :

ثم عاد الشاعر إلى مصر فعين مدرساً بمدرسة المنصورة الثانوية وتقلب في

العديد من المدارس ثم عُين مديراً للاذاعة المدرسية وعُين بعدها أستاذاً للأدب العربي والنقد بالمعهد العالي للتمثيل ثم أستاذاً بكلية الشرطة فمفتشاً عاماً بالتعليم الثانوي والأجنبي سنة ١٩٥٥م وإلى جانب ذلك عُين مديراً للنشر والدعاية بدار المعارف وتفرغ بعد ذلك لادارة مؤسسة المطبوعات الحديثة ثم عُين مديراً للنشر بالدار القومية ١٩٦٣م ثم عُين عضواً بمجلس الادارة بدار التعليم ومديراً للنشر بها، وقد ا شتغل بالصحافة الأدبية فعين رئيساً لمجلة «الناشر المصري»، التي كان يصدرها «اتحاد الناشرين».

واختير لعضوية لجنة الدراسات الأدبية ولجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب منذ سنة ١٩٦٢م وعضواً بلجنة فحص الانتاج المقدم لجوائز الدولة التشجيعية.

وقد اختير عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بدمشق ثم اختير عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ محمد رفعت أحمد.

وللأستاذ محمد عبدالغني حسن نشاط متعدد والكثير من المقالات والدراسات في كل فروع المعرفة والسير والتراجم والابداع الشعري الخصيب.

قم باسم ربك للجهاد وناضل — واصدع بصوت الحق صوت الباطل
لا ترهبنك من قريش عصبة — ما بين لاه في الضلال وغافل
اترك منازلهم وخل ديارهم — حشداً تعج بجمعها المتطاول
دعهم يثيرون القلوب سخائما — ويؤلبون عليك كل مصاول
ويجرئون عليك كل مسفه — دان إلى الاسفاف أرعن جاهل
هيهات ما لحقوا مداك بطالع — منهم ولا خبأوا سناك بافل
«الشرك» لم تفلح لديك شراكه — يوماً ولم تظهر لديك بطائ ..
اضرب بسيف الله كل منافق — واغلب بمكر الله كل مخاتل
واصدع بأمر الله ان سبيله — وضح المعالم مستقيم الداخل
واظهر فإن الله جارك في الوغى — وسهام قوسك في الزحام النابل

ومن شعره بعنوان (طريق الجهاد) :

لا تخش من تلك الجموع فانها … عند اشتباك الأمر جد قلائل ..
يا أيها الهادي بذلت على رضى … والنصر عاقبة الكريم الباذل
وضحت دلائل من هداك وضوأت … و«قريش» سائرة بغير ذلائل
يمشون في الجهل القديم وقيده … وظلامه كالعاثر المتثاقل
ما ضر لو تبعوا خطاك واخلدوا … للسلم في الربع الأمين الآهل؟
لكنهم رجعوا إلى أجدادهم … واستعصموا منهم بركن مائل ..
يا أيها المعصوم حسبك قومة … لله ما لقى الهدى من جاهل
مالت «قريش» إلى الهوى وتآمرت … واساء جاهلها الكبير لعاقل
كان «الآله» بها صناعة ناحت … ووليد انملة وطعمة آكل!
عميت محجات البيان واشكلت … وتشابه الصوال بالمتصاول ..
وطغا على أرض الجزيرة جارف … كالسيل في ا ثر الغمام الهاطل
غطى على «قيس» فأغطش ليلها … واجتاح ما ابقى الزمان «بوائل»
فوضى .. فما سعدوا برأي صالح … فيهم ولا ظفروا بحكم عادل
جاهدت لله الكريم فلم تمل … لهوى ولم تجنح لرأي باطل
حتى إذا آذاك قومك لم تجد … غير الرحيل فكنت أشرف راحل
يوم بدأت به الحياة جديدة … لله واستأنفتها من قابل
«الفتح» جاءك فيه بين أسنة … «والنصر» جاءك فيه تحت عوامل ..
ذكرى سنحييها لعل طريقها … يهدي الشباب إلى الطريق الحافل!

وقد أسرفنا في إبراز نماذج الشعر لتوضيح منهجه الغالب وهو الشعر الديني الذي أفرده بدون عنوانه (من وحي النبوة).

الشاعر الكبير محمد عبدالغني حسن ٢ - ٢



كما كان للشاعر محمد عبدالغني حسن نشاط موفور في نطاق المجتمع، يدل على تقديره للمسؤولية التي اضطلع بها وفي تقديمه قال عنه الأستاذ الكبير الدكتور أحمد الحوفي:

«إن الزميل الجديد الذي أقدمه الآن يمزج ثقافته الفياضة وأدبه المتدفق بكثيرمن خلال الخير كالتواضع والدعة والمودة والمسارعة إلى إيثار الحق، والشغف بالحقيقة أياً كان مصدرها..».

وقد أطلق عليه آنفاً لقب (شاعر الأهرام) وكان ينشر أكثر شعره في مجلتي (الرسالة والثقافة) وغيرها.

وقد وصف الكاتب الكبير انطون الجميل شعره بقوله :

«امتاز بالسهولة منذ أخذ يقرض الشعر .. سهولة في الاهتداء إلى المعاني المشرقة، وسهولة في الاهتداء إلى الألفاظ المنسجمة».

وقد كانت صلتي به صلة صداقة عميقة وكان كريماً في تعليقه على ما أورده من محاضرات أو قصائد في نطاق المجمع متسماً ذلك بالنقد الفاحص الدقيق لا بالمجاملة والتقريط وهو ما زاد من محبته في نفسي واكباري له وتقديري.

وقد كان له حضور في المجمع يستحق الاشادة ووهبه الله بسط في العلم والجسم ووهبه الموفور والنافع من الذكاء المتوهج ومن شعره بعنوان «مبادئ ومبادئ»..

بانت تباشير الصباح المنجلي ... الق الستار على الظلام واسدل
يا مطلع الشمس المضيئة بالهدى ... يكفي رقادك بعد ليل الليل
كنت الدليل على صباح مشرق ... للحائرين، ونور فجر مقبل
حررت عبدان النفوس فأنزلوا ... من قمة الأيام أكرم منزل
ومشوا على هام الليالي هامة ... تطأ السماء كبدرها المتهلل
ومضوا بأرواح كرام لاتني ... عند اللقاء وانفس لا تأتلي
ايمانهم بالله غير مزعزع ... وضميرهم في الله غير مزلزل
الحق في يدهم وضيء الملتقى ... والسيف في يدهم حديد المنصل
قحموا على الرومان أحصن دارة ... وعلى ملوك الفرس أمنع معقل
قد أرخصوا في الله كل عزيزة ... ثم استقلوا فيه كل مدلل
حملوا القلوب على السيوف وأمعنوا ... في حملهن على الرماح الذبل
كانوا على الأعداء اضأل قلة ... لكنها عزّت فلم تتقلل
هم حرروا الانسان من أصفاده ... واستنقذوه من المحل المهمل
أعلوا مكانته وكان محله ... في ذلك الدرك الدنى الأسفل
حكموا فكان العدل شرعة حكمهم ... ما الحكم؟ ما السلطان ان لم تعدل؟؟
سارت مبادئهم وسارت خلفها ... أفعالهم في موكب متمثل
ليست مبادئهم حديث منمق ... زيف السان ولا كلام مجمل
لم يخدعوا بالقول كل محير ... أو يخلبوا باللفظ كل مؤمل
قل للسياسيين دين محمد ... فيه مبادئ حرة لم تنكل
تلك الوعود المسرفات بعهدكم ... لا تمنع الاشكال ان لم تشكل
غنيتمو بالسلم وهي خديعة ... فالحرب بالأبواب قيد الانمل
ووضعتمو «الميثاق» فوق محيطكم ... ورميتموه بمائه المتحول
غسلته أمواج المحيط وكفنت ... أوراقه في مهدهن الأول
واحسرتاه لوعده المطول .. أو ... واضيعتاه لنصه المتبلل!!

وهذه القصيدة الرائعة تشف عن مكانته الشعرية المرموقة ومنزلته العالية لاسيما حينما يقول في الحكم العادل :

حكموا فكان العدل شرعة حكمهم

ما الحكم، ما لاسلطان؟ إن لم تعدل؟؟

وللأستاذ محمد عبدالغني حسن آثار موتورة وتآليف تستحق الذكر منها :

الشعر العربي في المهجر

الفلاح في الأدب العربي

في صحبة الشعر والشعراء

معرض الأدب والتاريخ الإسلامي

جوانب مضيئة في الشعر العربي

مشاركات في النقد الحديث

تاريخ مجلة روضة المدارس بالاشتراك مع الدكتور عبدالعزيز الدسوقي .

وله في السير والتراجم..

حياة مي

ابن الرومي

أبو مسلم الخرساني

عبدالله فكري

جرجي زيدان

أحمد فارس الشدياق

الشريف الرضي

تميم بن المعز الأمير الشاعر

حسن العطار

وله في التراجم عن الانجليزية

المرأة والدولة في فجر الاسلام للباحثة تابيه ابوت

رواية مون فليت في مجموعة أولادنا

وفي مجال تحقيق التراث

تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي

حلية الفرسان وشعار الشجعان لابي هذيل الأندلسي

الشيخ محمد عياد الطنطاوي للمستشرق كراتشكوفسكي

وفي مجال التاريخ

علم التاريخ عند العربي، المعاهدات والمهادنات في تاريخ العرب، غرائب في الرحلات، ملاح من المجتمع العربي.

وفي مجال الدراسات الإسلامية

القرآن بين الحقيقة والمجاز والاعجاز، الاسلام بين الانصاف والجمود.

أما عن دواوينه الشعرية فله منها الآتي :

من وراء الأفق، من نبع الحياة، من وحي النبوة، ماضي من العمر، سائر على الدرب، من وحي الأكباد النازحة.

ولولا الاطالة لأوردنا ثبتاً بأعماله الجليلة في نطاق مجمع اللغة العربية.ونعود إلى إيراد نماذج من شعره الفحل وقريضه الديني المميز فهو يقول بعنوان «منطق السيف» عن غزوة بدر :

يا غزوة خلدت في القرآن … فضمنت خلدك في مدى الأزمان

كانت على الإسلام بدء تحرر … من ربقة الأصنام والأوثان

السيف فيها بالحقيقة ناطق … والحق فيها ساطع البرهان

لا خير في حق إذا لم يحمه … حلق الحديد والسن النيران

من لم يصنه من العداوة سلم … صانته قوته من العدوان

تلك المصائب من قريش لم تزل … في الاثم فارقة وفي الطغيان

نفروا إلى حرب يضيق ببأسها … صدر الكماة وأنفس الشجعان

الكفر يجمعهم على راياته … والشرك يدفعهم الى الميدان

لا الحق يجري في عروقهم ولا … صوت الهدى ينصب في الآذان

القو اعمتهم إلى شيطانهم … يا ويل من لجأوا إلى الشيطان
مهلاً «أبا جهل» فانك عائد … بالخزي من مسعاك والخسران
هلا رجعت إلى مقالة «عتبة» … وإلى النصيحة من «أبي سفيان»
أغرتك بالاسلام قلة أهله … بين افتقار الصحب والأعوان
ماذا يضير المسلمين إذا غزوا … في قلة موفورة الايمان
ايمانكم بالله قوى بينكم … لحم العري وأواصر البنيان
كانت ملائكة السماء تعينكم … وعدوكم بالله غير معان
يا قلة بالله كانت كثرة … بشراكم وبنبوءة القرآن
الله ألقى الرعب بين عدوكم … وأشاع فيه دلائل الخذلان
فخذوا السيوف إلى الحتوف وابشروا … بالنصر موعوداً من الرحمن
من كان ناصره الاله فإنه … هيهات يخذل من بني الانسان
يا رابع الأركان بني جماعة … كانت بلا رأس ولا أركان
الله جارك قاذفا بكتيبة … والله حسبك طاعنا بسنان
المسلمون على ضآلة جمعهم … خذلوا لواء الافك والبهتان
شاهت وجوه الشرك حين قذفتها … بحصى، وزاغت أيما زوغان
لك في جهادك معجزات جمة … يا معجز الآيات والتبيان

ومن أجمل قوله :

من كان ناصره الاله فانه … هيهات يخذل من بني الانسان

وقد توفي هذا الشاعر العالم الكبير محمد عبدالغني حسن سنة ١٩٨٥م وأقام له مجمع اللغة العربية حفلة تأبين كبرى ألقيت فيها كلمات وقصائد في رثائه، وقد شاركت في تأبينه بقصيدة مطولة أثنى عليها ابنه الذي فوض في تحليل القصائد وقال انها هزته هزاً عميقاً.

وبدون شك فإن الخسارة في فقده كانت عظيمة والألم في المصاب به كان كارباً موجعاً رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الجزاء الأوفى على ما قدم وبذل .. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إبراهيم عبدالقادر المازني



المازني ظاهرة ثقافية متعددة الجوانب وهو أديب عظيم تعشقه إذا استوعبت بضع مقالات من أدبه فقد أوتي من سحر البيان وروعة الأداء ما يقف المرء أمامه معجباً إلى حد الدهشة، وهو بدون شك علم من أعلام النهضة الأدبية، والفكرية، والصحفية.

وقد وهبه الله لغة ساحرة، وفكراً مبدعاً وقلماً سيالاً يمكنه أن يحوّل مقالاته إلى قصص يشد القارئ، كما أنه وصّاف ماهر وناقد لا يشق له غبار طالما أرّث له نقده خصومات وعداوات.

والمازني كان أحد نجوم الحياة الأدبية والسياسية كما كان أحد أعلام كتابة مجلة (الرسالة) للزيات وغيرها من المجلات والصحف الكبرى.

وحياة المازني لم تدرس كما ينبغي أن تدرس حياة أمثاله ولذلك فإن عقوق هذا الكاتب في ذمة أبناء جيله وما تلا هذا الجيل.

وكان مولده في القاهرة سنة ١٨٩٠م أما أسرته فمن كوم مازن، بالمنوفية، وقد نال شهادة الدراسة الثانوية سنة ١٩٠٥م ودخل بدءاً مدرسة الطب ولكنه لم يستطع مقاومة غثيانة من حجرة التشريح فانصرف عنها، وأحب أن يلحق بكلية الحقوق كما أن مستواها الاجتماعي كان عالياً ولكن ارتفاع مصاريفها حرمه من الالتحاق بها ولذلك اضطر أن يلتحق بمدرسة المعلمين العليا وهناك توفر منها على دراسة

الأدب فكان علماً فيه ثم درسه وأخيراً ترك التعليم واشتغل بالصحافة التي فتحت له أبواب الشهرة حيث وهبه الله قلماً جباراً ساعده على أن يكن أحد أمراء النقد فكان لهذا القلم سطوة ماضية سواء في النقد الأدبي أو الاجتماعي أو السياسي.

وقد التحم في حياته الفكرية بصداقة ثمينة مع عملاق الأدب الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد الذي عرفته بصحبته في المكتبة الشهيرة مكتب مصطفى محمد في مدخل شارع محمد علي وبمكتبة الأنجلو المصرية حيث كانا من روادها.

ورغم شهرة المازني المحلقة فإنه كان وديع النفس سمح الخلق مما أتاح لمثلي على حداثة سني آنذاك أن ألقى جانباً محسوساً من تقديره ولطفه ورعايته.

والحقيقة أن صلة وصداقة المازني للعقاد مواضعة اجتماعية وفكرية يستحق أن تؤرخ وتدرس وحبذا لو لقيت صداقات الأدباء كاتباً ذا قلم مبدع يتناولها بالبحث والتحليل إذن لظفر القراء من ذلك بغنم كبير.

وقد ألف مع صديقيه العقاد والكاتب الشاعر عبدالرحمن شكري سفراً نقدياً هو (الديوان) الذي يعتبر فتحاً في باب النقد رغم أنهم جنحوا فيه للهجوم على من تناولته أقلامهم فيه وعلى رأسهم شوقي.

وقد نال هذا المؤلف شهرة كبيرة وتحدث عنه عملاق النقد الشاعر المهجري الكبير (ميخائيل نعيمة) مثنياً، ومقدراً.

والأصدقاء الثلاثة كانوا شعراء معلمين ولكل منهم مجموعات شعرية مطبوع.

وقد كتب المازني مقدمة ديوان العقاد، وأفاض فيها بالحديث عن شاعرية العقاد، ومما جاء فيها أنه شعر أن العقاد لو لم يقل ما قال من بعض الشعر لكان قد قاله هو.

وبدون شك فقد كان المازني شاعراً عبقرياً تلمس في شعره أستاذية الشاعر القدير في أسلوب نادر فذ على أن الصفة الرائعة في المازني أنه كان مترجماً موهوباً ترجم الكثير من الآثار الغربية.

وقد اختير المازني عضواً مراسلاً في (مجمع اللغة العربية بدمشق) وهو المجمع الذي سبق في نشأته مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي اختار المازني أيضاً لعضويته عضواً عاملاً سنة ١٩٤٧م.

وقد قال عنه الأستاذ عباس محمود العقاد يوم استقباله في المجمع :

(.. ولست أغلو، ولا أحجم عن التحدي إذا قلت : إنني لا أعرف فيما عرفت من ترجمات النظم والنثر أديباً واحداً يفوق المازني في الترجمة من لغة إلى لغة، ويملك هذه القدرة شعراً كما يملكها نثراً ويجيد منها اللفظ كما يجيد منها المعنى والنسق والطلاوة وقد يغني التمثيل هنا عن الافاضة في الدليل ..).

ومن آثاره في المجمع الآتي :

١ - كلمه في حفل استقباله.

٢ - كلمة في الشعر في الحفل العلني لاعلان نتيجة المسابقة الأدبية للعام المجمعي ١٩٤٧ - ١٩٤٨م.

٣ - كلمة في تأبين عضو المجمع الأستاذ أنطون الجميل.

إلى عديد من المقترحات الأدبية المفيدة التي تحفل بها سجلات المجمع والتي تلقى دائماً الاهتمام والاستجابة.

والكرسي الذي شغله المازني في المجمع كان للعضو المرحوم أحمد إبراهيم إبراهيم والذي قال عنه المازني في حفل استقباله :

(.. كان بحر علم زاخر، ولكن قارئ كتبه يخيل إليه أن هذا المحيط الأعظم من العلم قد صر له في منديل، أو استودع أنبوبة صغيرة اختزل يها هذا الأوقيانوس اللجي الطامي العباب، ولا عجب فإن أسلوبه في البحث والتناول يجعلك تشعر أن درس الفقه أيسر مطلباً من قراءة القصة ..).

وقد سألت فتاة (المازني) : هل عشقت؟ فقال نعم عدد شعر رأسي ولكنني أفيق وأصحو في كل مرة بعد أربع وعشرين ساعة ليس إلا وقد وصفه صديقه العقاد بأبيات قال فيها :

أنت في مصر دائم التجديد   بين حب عفا وحب جديد
بين ماض لم يذبل الحسن منه   وطريف كاليافع الأملود
أنت كالطير ربما شالت الطير   عن الأيك وهو جم الورود!

نثر المازني

كما سبق أن أشرنا إلى أن المازني أحد أمراء النثر في أدبنا الحديث وأحد الأدباء الذين لهم أسلوب خاص معين وقديما قالوا «الرجل هو الأسلوب» وقد كان الكاتب والشاعر الدمشقي الأستاذ أحمد عبيد قد بعث إلى المازني رسالة يطلب فيها أن يوافيه بنبذة من حياته وجانب من شعره وقد جاء الرد من الأستاذ المازني الذي نورد جانباً منه على مطلبه الذي كان الباعث عليه أنه طلب منه ومن جمهرة أدباء العصر نماذج من أشعارهم وتواريخ حيواتهم والسبب أنه قد عنى بابراز كتاب يتضمن أشعار أبرز شعراء مصر، يقول المازني في الرد على الأستاذ أحمد عبيد حيث يجمع هذا الرد مجموعة خصائص أسلوب الأستاذ المازني في النثر المبدع:

سيدي الأخ المفضال .. تلقيت كتابكم الذي تفضلتم فشرفتموني به وطلبتم فيه إلى أن بعث اليكم «بصفحة من تاريخ حياتي وقسم من شعري الذي لم ينشر بعد وآخر مثال لشخصي الكريم»، فاسمحوا لي قبل أجيبكم إلى ما سألتم أن أثني على أدبكم وأن أشكر لكم قولكم أن شخصي كريم وظنكم أن لي تاريخ حياة يدور في بطون الكتب. نعم أشكر لكم أن تنسبوا شخصي إلى «الكرامة»، وان كنتم تعلمون أني من أبناء الشيخ آدم والمرأة حواء وليس لنسلهما في نظر «الحياة» كرامة ولا لذراريهما عند الأقدار وزن أو قيمة لذلك أحسبكم لم تنعتوني بالكرامة إلا مبالغة منكم في توخي الأدب في الخطاب وفرط الحرص على تحري المجاملة مع رجل غريب عنكم أجنبي منكم لا تعرفون عنه أكثر مما يتأدى به اليكم السماع. وأصارحكم القول زهداً مني في الاغترار وكراهة أن أرخي لنفسي طول الخديعة، فأسألكم هل تعرفون عني أكثر من اسمي؟ ولا ريب أنه كان أبعث على رضى النفس، وأدّعي إلى استشعارها الاغتباط أن أدع التفكير في هذا أو أن أتخذ من رسالتكم إليّ دليلاً على أن بوق الشهرة قد نفخ باسمي في الشرق والغرب، وأن شعري قد سار مسيرة الشمس. نعم كان ذلك لي أفخر، وعلى اعتقاد التوفيق فيما أزاول أعون، وللاطمئنان على حياة شعري أجلب ولكنني كنت امرءاً يخدعه كل شيء إلا شعره. أنا أعرف به من أن أبالي رأي الناس فيه وأصح تقديراً له من أن يستخفني مدحهم اياه أو يستفزني ذمهم له. وقد قلت لك هذا لاخراج نفسي وأخرجك من كل عهدة عما أبعث به إليك منه ولأدعك وما تؤثر له

فإن شئت فأطعم به النار أو شئت فاعهد بذلك إلى القراء ولا تخش ملامي فإني أنا القائل في قصيدة «تيمون الاثيني» أو «عدو الناس» أخاطب القارئ :

وإذا ما شئت فاحذف صفحات ... خير ما فيها واغلاه المداد

نفعها لطابعيها ورقات ... وهي بعد الطبع للنار عتاد

ولست أدري أن لي تاريخاً أو حياة كما يقول «هين»، فيمن نسيت اسمه من كتاب الألمان فابعث اليك بصفحة منه ولقد ولدت كغيري من الناس من أبوين تفضلا فدفعا بي إلى هذه الدنيا والزماني أن أعيش فيها وأن أدرج إلى غاية لا علم لهما ولا لي بهما وحملاني من أثقاف ضعفهما وقوتهما وذكائهما وبلادتهما ومن الحلم والجهل والحكم والطيش وغير ذلك مما ورثاه واكتسباه مالا أحسن السير معه في طرائق هذه الأرض. ولهذا أصبت بالعرج وأحسب أن لو كان العبء الذي حملاني ثقله أفدح مما هو لتشرفت بالكساح! فالحمد لله على الظلع وكأ نما أدرك أبي أنه جني على ذنباً شنيعاً ففر إلى عالم الآخرة قبل أن أبلغ السن التي أستطيع أن أحاسبه فيها على جريرته التي اقترفها - هذا ما يخيله إليّ الغرور ولعله نظر إليّ بعد أن تعب في استدراجي من هيولي الأزل فاستبشع أن أكون ابنه واستفظع أن أصبح خليفته على ضياعه التي أضاعها ووارث ماله الذي بدده فمات .. غماً! وهكذا فاتني أن أثبت له خطأ رأيه في وأن أنتصف لنفسي منه إذا كان قد فر ككل جبان وأخلى لي جوانب الميدان وأحسب أن لي أن أدّعي ما أشاء الآن على حد قول الرصيف الصادق :

وإذا ما خلا الجبان بأرض ... طلب الطعن وحده والنزالا

ويظهر أن أمي لا تشاطر أبي سوء رأيه ولا تذهب مذهبه في استقباحي أو هي على الأقل لا تسوغ الخروج من الدنيا فراراً من دمامتي وكأني بها اعتنقت دين القائل : أن «القرد في عين أمه غزال» فهي تأبى إلا أن تعيش ولاتزال مصرة على الحياة إلى هذه الساعة ولا أدري متى تقتنع مثل أبي رحمه الله أو ما شاء فليصنع به! لقد كان أذكى منه وأرشد فبادر إلى الموت وأن يكون من أسرة طويلة الأعمار نيف أثر

أفرادها على الثمانين وأظنهم استأثروا بالطول في الأعمار والأجسام وفي الحلم والاناة والآمال وخلوا لي القصر في هاتيك جميعاً.

شعر المازني

يتمتع الأستاذ المازني بملكة شعرية رائعة فهو من أوائل شعراء عصره وأكابرهم ومن نماذج شعره :

رقية حسناء

نم هنيئاً في ظلي الضينان ... وانس برح الهموم والأشجان
وانس ما كان من زفير على الجر ... ودمع يجري بغير عنان
وانظر العيش في منامك والدهر ... بعين قريرة الانسان
هذه راحتي على وجهك الغض ... وروحي وريفة الافنان
وفؤادي مرفرف بجناحيه ... حنانا فانشق نسيم الحنان
وبناني مخصب كعصا الساحر ... يجري الحياة في الزبدان
لك من أدمعي حياة كما للزهر ... من صيب الحيا الهتان
ورياض من حسن وجهي حوال ... وجنان منظري الاضحيان
وأغان خرساء ترصف بالأسماع ... منثور مفرحات الأماني
ونسيم لنا يهب على النفس ... يعرف الريحان والاقحوان
وضياء يشيع في ساحة الصدر ... فيمحو مخيم الادجان
ويرد الشباب حتى كأن المرء ... يختال في شباب ثان

الوردة الذابلة:

أرج كأنفاس الحبيبة ... حين تدني منك فاها
وغلائل بات الغمام ... يجودها حتى رواها
ذبلت واخلق حسنها ... ياليت شعري ما دهاها
رويتها بمدامعي ... لو كان يحييها حياها
وضممتها ضم الحبيب ... عسى يعود لها صباها

وزفـــرت عـــلّ زوافـــري ... تجـــدي فـــزادت في ذواهـــا
فـرمـيـتـهـا وبـرغـم أنـفـي ... انـــنـــي مـــن قـــد رمـــاهـــا
ولـو استطعت حنيت اضلاعي ... عـــلـــى ذاوي ســـنـــاهـــا
وجـعـلـت صـــدري قـبـرهـا ... وجـعـلـت أحـشـائـي ثـراهـا

الشـعـر والجـمـال

ياليت شعري الا شيء نصون به ... هذا الجمال فلا يعروه نقصان؟
وكيفي نصرف عنه لحظ طالبه ... اني - ونائم هذا الدهر يقظان
وهل تغالب هوج الريح نرجسه ... ما ان لها غير فرط الحسن امكان
ألا تكن هـذه الأشعار خالدة ... فلن يدوم لهذا الحسن ريعا
يبلى مع الحسن عشق العاشق ولا ... يبلى جمال فتى بالشعر يزدان!

طيـف المـاضـي

مالي سوى طيف أيامي التي غبرت ... خدن اذا شئت وافي وهو مذعان
كـأنـني حين أدعـوه وانـشـره ... «عيسى بن مريم»، يحيي معشراً حانوا
هـذا نديمي أناجيه ويترع لي ... كؤوس ذكر لمن لي منه نسيان
يصوف بي بين أطلالي ويطرفني ... فيها بأيامنا والعيش زهران

فـسحة القـبـر

في ظلمة القبر للثاوي به فرج ... وفي التراب توافى الهم أحيان
من لم تسع نفسه الدنيا بما رحبت ... فلن تضيق بها في القبر أعطان

خيبة الأمل في الحياة

مـا كنت آمـل أن أحيـى بمنتزح ... عن الهموم وهل عنهن حيدان؟
أعددت للدهر درعاً كنت أحسبها ... متينة فـإذا بـالـدرع كتان
وكنت أنظر في قلبي واحسب في ... بطانة لقلوب الناس ظهران

فشد ما موهت نفسي وجوههم حتى تشابه عقيان وصيدان

وانما النفس مرآة إذا كرمت فكل ما تبصر العينان حسان!

العتاب

خليلي ما يغني العتاب إذا انطوى على البغض قلب كالزمان حؤول

إذا لم يكن صدقي الوداد بنافعي فكل مقالات العتاب فضول

أقوال الأدباء عنه:

للمازني اسلوب خاص لا يدلك على أنه أسلوب السليقة والطبع أكثر من هذا التآلف الذي تجده بين قلمه ونفسه .. فإن قلمه يتحرى الفخامة في اللفظ، والروعة في حوك الشعر كما تتحرى نفسه على لطافتها الفخامة في المشاهد، والروعة في مظاهر الكون والطبيعة.

عباس محمود العقاد

ولو لم يكن الأستاذ المازني قد أصاب مكانة سامية من نفوس الناس قبل طبع ديوانه، ولو لم تكن قد تجلت لهم شخصيته وكفايته من قبل، لولا ما في شعره بعض الأحايين من المعاني السرية التي يخيل للقارئ انها من توليد الأستاذ وابتكاره والألفاظ النقية التي هي متاع مشاع لجميع الشعراء ولا تكاد تتفاضل بها «الشعراء» لما أقبلوا على الديوان ينقدونه ويقرظونه ويحتفلون به هذا الاحتفال الذي نراه.

عبدالرحمن البرقوقي

ويل لأشواك الأدب من هذا المنجل الوضب

أحمد شاكر الكرمي

قد شفى المازني غلة نفس ما شفاها مرور عام فعام

وطوى شعره قريض ابن هاني وطوى بعده أبا تمام

محمود رمزي نظيم

وللأستاذ المازني مجموعة قيّمة من المؤلفات هي كالآتي :

الديوان في نقد الشعر بالاشتراك مع العقاد، رسالة في الشعر وغاياته ووسائطه، حصاد الهشيم (مقالات) إبراهيم الكاتب، إبراهيم الثاني، قبض الريح، نسيج العنكبوت، صندوق الدنيا، ديوان شعر (جزآن)، رحلة الحجاز، بشار بن برد، الكتاب الأبيض الانجليزي.

كما ترجم رباعيات الخيام، والآباء والأبناء لتورجنيف وسانيزة لارتزيبا.

وكانت وفاة المازني في عام ١٩٤٩م ولذلك فكل ما ظفرت به الحياة من عمر المازني لا يزيد عن ستين عاماً، فهو يعد من أقصر الأدباء الكبار عمراً.

والمازني العظيم الذي لم ينل في حياته من التكريم بعض ما يستحق أمثاله فإنه كذلك لم ينل بعد وفاته ما يستحق من الاحتفال بذكراه وهو في ذلك كصنوه الأديب الكبير الدكتور زكي مبارك.

الكاتب الكبير الدكتور زكي نجيب محمود ١ - ٢



الكاتب الكبير الفنان والفيلسوف الدكتور زكي نجيب محمود شخصية ضخمة ذات أبعاد مترامية، وقد ضرب في كل فن بسهم وآخر، وملأ بلده مصر بمؤلفاته، ومحاضراته، وآرائه غير التقليدية.

وكانت مجالاته الكتابية مجلة الرسالة، والثقافة مع المجلات الراقية الأخرى.

كما أن جميع المنتديات الأدبية والقاعات الجامعية فاتحة ذراعيها لاستضافاته العلمية والأدبية، فقد كان للدكتور زكي حضور جماهيري ثقافي كاسح، وما أن يعلن عن محاضرة له أو ندوة أو أمسية حتى يتوافد الجمهور لحضورها والاستفادة منها، والتعليق عليها.

وقد درس الدكتور زكي في انجلترا حيث حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن ثم سافر إلى أمريكا، وقضى بها سنوات وبعد عودته عاد وكتب كتابه «أيام في أمريكا» مشيداً فيه بحضارتها..

وكان الكاتب الكبير عبد المنعم خلاف قد كتب سلسلة مقالات في مجلة «الرسالة»، للزيات عنوانها «أؤمن بالانسان» فكتب يعارضه..

ويرى الدكتور زكي أن علامة التمدن هي التقيد بالواقع وإدراك الواقع يتطلب القضاء على الخرافة ويرى أن ميدان الآداب والفنون قد أصبح أيضاً معياره الواقع.

ويرى أن أهواءنا ومصالحنا هي التي تملي علينا أحكامنا وأن علينا أن نرفع قيمة العلم الطبيعي، ونخفض قيمة الوسائل الكلامية.

والدكتور متأثر بمدرسة الغرب الفكرية مبهور بآرائه ونظرياته مؤمن بتيار الحضارة وحده.

ويقول الدكتور عن نفسه «كنت في شبابي حاد الانفعال قوي العاطفة خصوصاً إذا كان في الأمر اختلاف على رأى مهما كان الموضوع الذي يدور حوله الجدل فقد كنت أدافع عن فكرتي فيه بحرارة مختلفة مستقلة كأنما قوائم الدنيا بأسرها ترتكز على صواب بفكرتي.

ثم علمتني الحياة برودة العواطف، وعلمتني أن حدة العاطفة معناها عجز عن قوة التفكير، لذلك لا تشتعل العواطف بين المختلفين في نظريات العلوم، وإنما تشتعل إذا كان موضوع الخلاف في الرأي غامضاً مبهم المعالم كالمذاهب السياسية».

وفي رأيه أن أبرز مشكلة اجتماعية نعانيها هي ضعف الاحساس عند الافراد بأنهم مسؤولون عن الصالح العام مسؤوليتهم عن صالح أشخاصهم.

كما أن الفلسفة طوال تاريخها تسير في طريقين أولهما الفلسفة المثالية حيث يكون للعقل لا للحواس الكلمة الأخيرة، وطريق ثان يحمل الحواس أساس المعرفة كلها، ويرد العقل بكل ما فيه إلى ما قد جاء إلى الإنسان عن طريق حواسه، وهذا الاتجاه اسمه الفلسفة التجريبية فليست الفلسفة التجريبية إذن شيئاً جديداً وان تكن في عصرنا الحاضر قد أخذت صورة جديدة هو ما يسمونه بالتجريبية العلمية.

والدكتور زكي يملك أسلوباً عربياً خالصاً ممتازاً هو من خيرة الأساليب الرائعة التي كانت تفخر بأصحابها مجلة الرسالة للزيات.

الكاتب الكبير الدكتور زكي نجيب محمود ٢ - ٢



لقد تعرفت بالدكتور «زكي نجيب محمود» في دار الأدباء بالقاهرة وكنت يومها شاباً يافعاً ولازمته ملازمة شديدة وحضرت الكثير من محاضراته.

وقد صدر حينها كتاب طريف له عنوانه «جنة العبيط أو أدب المقالة» وأهداني نسخة منه فقرأته وأعجبت به كثيراً فكتبت عنه الكلمة التالية :

جنة العبيط .. أو أدب المقالة

كتابنا هذا الأسبوع هو «جنة العبيط أو أدب المقالة» للكاتب المصري الأديب الدكتور زكي نجيب محمود، وهو كتاب يحاول فيه الدكتور زكي شق طريق خاصة للمقالة العربية بحيث تسامت المقالة الغربية أو المقالة كما يفهمها الأدب الانجليزية وتمشي معها في قرن! وقد ناشد الكاتب - في واضع مرموق - قارئه بأن يتروى في الحكم على كتابه وألا يطبق عليه مقياس المقالة كما يعرفها قادة الأدب العربي الحديث ويزنه بمعيارهم لأنه إنما يعمل على مناهضة أولئك القادة بكتابه هذا الطريف!

ولقد أعجبني في الدكتور الفاضل اعتداده والحق أنها محاولة نبيلة موفقة منه نرجو أن تجد لها مؤازرين ومحبذين ومناقشين إذ من الخير لأدبنا العربي في نهضته أن ينتهج أحدث الطرق، ويصطنع أكمل الوسائل للحاق بركب الأدب العالمي على هدي وبصيرة، وأن يجدد في أسلوبه وطرائقه ما وسعه التجديد ويصبغها بلون

الأدب الفخم مادام أن من أدبائنا المستنيرين كُتاباً غيورين يجهدون باخلاص - في تعبيد الطريق السوي لمن يروم سلوكها!

ورأي الدكتور في المقالة المثالية يتلخص في الفقرات التالية «ص٥, ٨, ٩, ١٠».

«شرط المقالة الأدبية أن يكون الأديب ناقماً وأن تكون النقمة خفيفة فيها لون باهت من التفكه الجميل».

«وكاتب المقالة الأدبية على أصح صورها هو الذي تكفيه ظاهرة ضئيلة مما يعج به العالم من حوله فيأخذها نقطة ابتداء ثم يسلم نفسه إلى أحلام يأخذ بعضها برقاب بعض دون أن يكون له أثر قوي في استدعائها عن عمد وتدبير حتي إذا ما تكاملت من هذه الخواطر المتقاطرة صورة عمد الكاتب إلى اثباتها في رزانة لا تظهر فيها حدة العاطفة وفي رفق بالقارئ حتى لا ينفر منه نفور الجواد الجموح.

وما دمنا نشترط في المقالة الأدبية أن تكون أقرب إلى الحديث والسمر منها إلى التعليم والتلقين وجب أن يكون أسلوبها عذباً سلساً دفاقاً اما أن أخذت تشذب أطراف اللفظ هنا وتزخرف تركيب العبارة هناك كان ذلك، متنافراً مع طبيعة السمر المحبب إلى النفوس ..الخ..».

والكتاب ينتظم طائفة من المقالات الأدبية تتسم بطابع الجدة والتركيز والشجاعة الأدبية معيارها الثقافة العالية والأصالة الفنية والطرافة في البحث ولطف التناول، وجلها بمثابة المثال والنموذج وتطبيق القاعدة.

كما حفل الكتاب ضمناً بتلخيص بعض آراء قيمة لنفر من كبار النقاد والشعراء في الأدب الانجليزي، وإذا كان لابد من التمثيل لنمط من آراء الكاتب فإنا نجتزئ بما يلي من مقالة عنوانها «أعذب الشعر أصدقه ص ١٥٢» :

«الشاعر إنسان تثور فيه العواطف فاترة حيناً عنيفة، حيناً آخر، فهو حين ينظر إلى الأشياء لا ينظر إليها نظر الفلسفي المجرب بل ان عاطفته لتصبغ نظره هذا بصبغة خاصة راضياً كان أو كارهاً، وكل قارئ في وسعه أن يذكر حالات من حزنه وفرحه فيقارن بين نظره إلى الدنيا في كلتا الحالتين، هي باكية في عينه إذا حزن، باسمة إذا ابتسم فالشاعر الطروب حين ينظر إلى زهرة صفراء قد تدفعه العاطفة أن يصورها كأساً من ذهب وحين يسمع خرير الماء يصور الماء مغرداً شادياً، والشاعر

الحزين يسمع صوت العاصفة يظنها مزمجرة غاضبة، أفنقول إن هذا قول كاذب لا يصور الحق؟».

على أن الكاتب قد يقسو في بعض أحكامه كما يتمثل ذلك في مقالته «النساء قوامات ص ١٣٧».

والكتاب على العموم طرفة أدبية رائعة وهو يقارب المائتي صفحة من القطع المتوسط مطبوع في مطبعية لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر وانا نحث القارئ على اقتنائه للاستمتاع بمثل هذا النموذج ا لفريد في كتبنا الحديثة الذي لاشك أن المكتبة العربية تفسح له مكاناً طيباً مرموقاً وتهش لكاتبه البارع الذي لو لم يكن له من فضل سوى دعوته الحرة الجريئة لكفته فخراً ونباهة ذكر ..

ولقد سر الدكتور زكي بهذه الكلمة سروراً بالغاً وشكرني عليها شكراً عميقاً وقال لي إنك تفهمت نفستي وتفهمت منهجي الكتابي فهماً عميقاً.

وقد ولد الدكتور كي نجيب محمود في ١ فبراير سنة ١٩٠٥م وتوفي في ٨ سبتمبر سنة ١٩٩٣م فيكون قد عُمِّر ثمانية وثمانين عاماً.

ومن مؤلفاته وترجماته :

شروق من الغرب

جنة العبيط أو أدب المقالة

المنطق نظرية البحث لجون ديوي

برتراند راسل

ديفيد هيوم

حياة الفكر في العالم الجديد

فلسفة وفن

المنطق الوضعي ١ – ٢

أيام في أمريكا

هذا عدا عشرات المقالات الممتازة التي أتحف بها القراء في العديد من المجلات الثقافية الرفيعة في شتى موضوعات الفكر والأدب والفلسفة:

وقد أبّنته بقصيدة منها :

رحـل الـفـيـلـسـوف رب الـبـيـان ... بـعـد أن كـان مـورق الأغـصـان
عـاش مـا عـاش مـسـتـقلاً بـرأي ... يـتـحـدى بـه ذرى الأقـران
مـولـعاً بـالـجـديـد في كـل فـكـر ... لا يـبـالـي قـسـاوة الاخـوان
يـتـمـنى حـضـارة الـغـرب للشـر ... ق ويـسـعـى لـهـا فـتـي الـجـنـان!

الشاعر الكبير جورج صيدح ١ - ٤



يُعد الأستاذ الكبير جورج صيدح أحد الشعراء المهجريين العباقرة الذين لهم مكانتهم العالية بين كبار الشعراء المهجريين المعروفين.

ولقد تعرّفت به في لبنان، وصادقته فكان نعم الصديق ونعم الشاعر القومي الأصيل، ونعم الانسان ونعم الناقد الحصيف.

ثم تبادلنا بعض الرسائل الأدبية ووصلني منه بعض التعليقات الرصينة.

كما بعث لي نسخة هدية دواوينه تحت مسمى ديوان صيدح وهو شعر راق مصفى، يجتذب القلوب قبل الأنظار.

يقول جورج صيدح من قصيدة له يصف بها مشاعره الأبوية نحو ابنته وهي بين يدي الطبيب الجراح يعمل فيها مبضعه.

ساعة التجريح

كان الجراح يعمل مشراطه في أحشاء ابنة الشاعر لانتزاع الزائدة المعوية.

رفقاً بها يا مبضع الجراح ... شرحت قلب الوالد الملتاح

إن زدت إيلاماً فضحت تجلدي ... وجمعت بين صياحها وصياحي

والله لو أطلقت روحي لارتمت ... تحت النصال، تصدها بجراحي

هذي القطاة، قصاصة من ريشها ... تكفي إذا انتثرت لقص جناحي

ماذا جنت وهي الفطيمة في الربى   حتى تذوق خسارة الأقداح؟
بالأمس مدت عنقها من وكنها   واليوم تشهد مدية الذباح
الياسمين الغض في أكمامه   غبن النضارة أخذه بالراح
أنا لا أخدشه بغير نواظري   وبغير شم عبيره الفواح
مالي أراه على الخوان مجرحاً   وأكاد الثم أنمل الجراح؟
ويحي، دفعت إلى المشارط فلذة   كنت الضنين بها على الأرياح
صرعت من الآلام في غيبوبة   سكرت بها وأنا الصريع الصاحي
قالوا غلوت بحبها، فأجبتهم   ويل الشجي من الخلي اللاحي
النوح إن يثقل على اسماعكم   صلوا لأجل نجاتها، وصداحي
هي فرحة للوالدين وحيدة   يتأسيان بها على الأتراح
إن الذي أشفى على خوض الدجى   مثلي، ليقدر قيمة المصباح
آمنت في علم الطبيب، وأنَّ في   جرح الجسوم سلامة الأرواح
رباه، سدد كفه وسلاحه   إني طرحت على يديه سلاحي

ويقول من قصيدة بعنوان : لقاء بيروت

دخلتك يا بيروت والفكر شارد   يطالع في سفر الصبا ألف تذكار
وقد سبقتني للديار قصائدي   وسارت مع الركبان تنشر أخباري
قائلةٍ شاخ «المعتر» واستوى   ولو جربتني جربت عزم جبار
وقائلةٍ، أهلاً بشاعر سوريا   فقلت لها لبنان مهبط أشعاري
أشيب وقلبي أخضر مثل أرزه   ورأسي حديا رأس صنينه العاري
ورائي ربيع العمر، ضيعت زهره   ولكن في كفي قطافة أثمار
مؤونة طيرٍ عدت أنثر حبها   على سفح لبنان، كرامة أطيار

الشاعر الكبير جورج صيدح ٢ - ٤



ومن الرسائل الاخوانية التي تلقيتها من شاعرنا الكبير جورج صيدح الرسالة الأدبية التالية : شاعري العزيز الأستاذ حسن عبدالله القرشي أنعمت عليّ بالتفاتة ترفتني وبهدية أسعدتني، هي مجموعتك الشعرية الرقيقة الجزلة، الهامسة الصارخة «نداء الدماء»، فحق عليّ «نداء الشكر»، تهتف به نفسي إليك، وقد رققها شعرك حتى كاد يمزقها :

هكذا في الشرق يا قومي يحيا الأدباء   زادهم يأس وحرمان وحب واباء

ومني يلهو بها الصبح ويذوبها المساء   فهمو في الوغي القاني غفاة غرباء

وما عاقني عن كلمة الشكر إلى الآن سوى جهلي عنوانك وهو غير مرقوم في الكتاب. وقد حصلت عليه اليوم بفضل من الأخ وديع فلسطين، فجئت أهنيك بما توفقت إليه من سمو الالهام وبراعة التعبير، لاسيما في قصائد ثلاث : «مكة واللاجئون وزنجبار»، وأسفي عظيم لفراغ يدي من ديوان أقابل به هديتك. كان آخر ما نشرت عام ١٩٦٠م «مكانة نويرب»، لم أزود بنسخ منه حين غادرت بيروت وعليّ أن أكتب الآن لأصدقائي هناك .. راجياً أن يتحفوني بنسخ منه كي أقدمها إليك قريباً إن شاء الله مع أطيب تحياتي وتمنياتي وعواطف مودتي.

وجورج صيدح شاعر قومي أصيل وحينما فاجأته هزيمة ١٩٦٧م الجائحة سجل آلامها بقصيدة موجوعة هي الآتية محذوفاً منها بعض الأبيات:

متى نلتقي؟

«إلى أخي المشرد عن فلسطين، منكوباً في الدنيا والدين»

متى نلتقي؟لابد للنسر من وكر … ولابد للأحرار من منزل حر
بعيداً عن الأوطان بعد صغارها … بعيداً عن السكان مهتوكة الستر
ديار العبيد البيض ليست ديارنا … ولا قومنا من قامة الحمر والصفر
بذكرك منفاي أملأ وحدتي … وان كنت في منفاك تعرض عن ذكرى
حملتك في سري ابتساماً على فمي … شريداً بلا مأوى شهيداً بلا أجر
وطفت بك الأقطار أسأل أهلها … أماناً من الأشرار أو أهون الشر
فلم أجد الإنسان في جهل سوقة … ولم أنل الاسعاف من علم من يدري
تمزقت الأرحام حتى تمردت … على أرضها الانهار في السهل والوعر
لنا أم تبني على القيس ترحها … يمالؤها جود القرائح «بالفشر»
لنا عسكر مجر يكر على الحمى … وما عرف الأعداء منه سوى الغر
مشى بعتاد الحرب جند نخالهم … سعاة بريد أسلموا إلى القفر
فلا قلبنا يصفو ولا رأسنا يعي … ولا كفناً تسخو ولا دمنا يجري
يحقرنا شعب السقارة و...... … ويمرغ في أعراضنا حين يستشري
رأيناه يوم النصر يضحك مارحا … لانا حبونا جيشه فرحة النصر
هو اليأس يا رباه عفوك انني … رشقت نبالا من لساني على صدري
أقول لنفسي والدياجير اطبقت … على أمتي قد يسفر الليل عن قبر
فأحلم بالثارات تؤخذ عنوة … وأحلم بالغارات والفتكة البكر
وازعم أن الحق ينبو سلاحه … ويفري سلاح البطل في آخر الأمر
فيقضي على «اسرائيل» سؤم يهودها … ولؤم مربيها المدجج «بالذر»
تعود - كما قال الكتاب - فلولها … مشردة ملعونة أبدا الدهر

ومن شعره القصيدة التالية :

وردة المستنقع

نظرة عامة إلى الأدباء العرب المتاجرين في المهاجر الأمريكية

يا وردتي طرت كذات الجناح ... ولم تعودي في معاد الطيور
رباه سلطت عليها الرياح ... فحومت فوق الربى والثغور
وانطرحت كالعندليب الصدي ... في صفحة المستنقع الاربد
أي وردتي، في ثوبك الناصع ... وحظك الفاحم هزء القدر
واغبن ذاك الكوكب الساطع ... خلف الغيوم الخانقات استتر
مسراه - لا عين به تهتدي - ... مسراك بين الوحل والجامد
سألت عنك الروض والروض نام ... عن غرسه اللهفان ملء الجفون
كأن ما كنت عروس الخزام ... سيدة الازهار تاج الغصون
غابت عن الرائح والمغتدي ... ذكراك يا مجهولة المحتد
راقبتها في الماء عند الغسق ... وحولها الأقذار طوف يطوف
كأنها بين الدياجي شفق ... تلألأت أوراقها كالشفوف
على عراء الحما الأسود ... تود لو تكسوه بالعسجد
لهفي عليها اما أذل الأسير ... أسره علج دعي الحسب
رباه لو القيتها في غدير ... لاحتضرت راقصة من طرب
بريئة من دنس المرقد ... تياهة بالكفن المزبد
لو كنت شوكا ما غزتك الانوف ... ولا تهادتك اكف الملاح
ولا تحداك هواة القطوف ... ولا توالت غمزات الوقاح
الشوك ريان على الانجد ... وأنت عطشى للهواء الندى
كما غرغر الماء لريب مزق ... احشاءه من وشوشات النسيم
فابتلع الوردة - إلا العبق ... مازال حياً سابحاً في السديم
كأنه أنفاس مستشهد ... رفت على المستنقع الأربد

ومن شعره بعنوان :

رجـــوع المـــوجـة

ويسألون المغترب العائد إلى وطنه لماذا استأنف الاغتراب؟

قالوا صف الأوطان قلت مليحة ... حذقت أساليب الخلابة كلها
تجرت بماء جبينها واستغنمت ... رخص الضمائر والقرائح واللها
في الدل لا في الوصل سر فتونها ... خابت أماني من يجرب وصلها
حبي لها بالأمس أوجب عودتي ... واليوم يوجب هجرتي حبي لها
داويت بالاعراض اعراض القلى ... فلعل في كل الجراحة بلها
لولا الكرامة والاباءة والحيا ... ما كنت أنفض عن ثيابي وحلها
حسبي من الأحلام بددها اللقا ... ان الحنين غدا يلملم شملها
واذا الفطيم شكا قساوة أمه ... تلقاه بعد الفطم يشكر فضلها
الموجة السكري صحت فتراجعت ... عن شاطئ بث التماسح حولها
بالجزر بعد المد شردها فان ... غابت أتاه حديثها فتولها
نثرت لآلئها على حصبائه ... لم تعطها الحصباء إلا رملها
واستودعت صم الصخور دموعها ... إن الصخور الصم كانت أهلها

الشاعر الكبير جورج صيدح ٣- ٤



وحينما هاجر الشاعر جورج صيدح جرى تكريمه بعد زيارته للمعرض العالمي في نيويورك ..

وقد علّق على ذلك زميله الشاعر ايليا أبو ماضي في جريدته السمير بمناسبة افتتاح معرض دنيا الغد في نيويورك قائلاً :

«.. أخذت بابل الجديدة بعد أن لبست حلاها وجواهرها بل حلي العقل البشري الجبار بالمعرض الذي قام فيها تجتذب إليها الناس من كل قطر حتى الشعراء الذين يهربون من المدائن ليكونوا مع أنفسهم ومع ربة الالهام .. فقد جاء إلى نيويورك من كاراكاس - فنزويلا صديقنا الشاعر الملهم صاحب القصائد الرائعة جورج صيدح مع قرينته المهذبة انطوانيت وطفلتهما الجميلة جاكلين التي نشرنا له فيها قصيدة من أجمل الشعر .. وهذا البلبل الصيدح من أكابر شعراء العربية في المهجر على قلة نظمه له قصائد خالدة أشهرها قصيدة في «غابة بولونيا» وعلى رغم ذلك الهجر والترك لم تفقد شاعريته لمعانها.

وشد ما كان ابتهاجنا عندما دخل إلى إدارة السمير فجأة فرأناه لايزال في ثوب الشباب والقوة، وقد عفرنا منه أنه سيلبث في نيويورك مع أسرته شهراً ثم يسافر إلى باريس للسياحة والنزهة.

وسيقرأ الناس له قصيدة في السمير في وصف نيويورك وأيامه فيها منذ عشر سنوات ثم في حياة المهاجر القائمة على الكفاح والتناحر ..».

وفيما يلي قصيدته «معرض دنيا الغد» :

سفر وطيب العيش في الأسفار … دار الأحبة قد جعلتك داري
خلع السرور عليّ ثوب شبيبة … فخلعت من بعد المشيب عذاري
ومرحت في نيويورك مسلوب النهى … اجتاز معرضها كطيف ساري
عوّذت قلبي من حبائل سحرها … ضنا بساكنه، وبالزوار
جبارة الأمصار، إني خاشع … لبنيك يا جبارة الأمصار
بالناطحات غزت نجوم لوائهم … درب السماء إلى نجوم الباري
كشفوا حجاب الغيب عن «دنيا غد» … فكأنهم عرافة الأدهار
قوم عنت أقدارهم لمرادهم … والشرق عان في يد الأقدار
صحبي أحييكم فاشعر بالندى … ينثال من قلبي على أشعار
عيا اللسان، فلو مددت يداً إلى … قيثارتي لتراطنت أوتاري
سرعان ما خلت السنون، فهذه … عشر تولت فدية الدينار
أخذت بما أعطت من الجسم القوى … وتبدل الرأس الكثيف بعاري
وقسا المحيط على الأديب فروحه … متهالك فوق الشفير الهاري
يا غازي الدولار وهو محصّن … دون الوصول إليه خط النار
إن الغنيمة في ايابك سالما … قبل انصهار الروح في الدولار
شر التغرب أن تعيش مغربا … بالعقل والاحساس والأفكار
وتظن نفسك في السحاب مصونة … فإذا بها سقطت مع الأمطار
تجري على أمل التراجع خلسة … عند التطام الماء بالأحجار
حتى إذا كلّت ولاح المنحنى … ألقت أعنتها إلى التيار
هذا مصيرك بين طلاب الغنى … إما فريستهم وإما الضاري
إن غرّب الأصحاب شرّق إنهم … كالدهر في الإقبال والإدبار
لا خير من حساد فضلك يُرتجى … إلا متى عجزوا عن الإضرار

وامسح علومك والثقافة، إنها ... ذنب يثير حفيظة التجار
سوق التناحر حول أذيال المنى ... بات بها الأخلاق أي بوار
لو عاد بي يومي إلى أيامها ... ما بعت فقري واشتريت يساري

وفيما يلي نص رسالة من الشاعر جورج صيدح إليَّ

شاعري القرشي النهيُّ السخيّ

تبارك أدبك الوضاء المعطاء إنه كالشمس تشرق على الصالحين والطالحين ولهذا السبب كان لي منه نصيب ثمين من حين إلى حين .. وهذه هديتك الأخيرة «النغم الأزرق» تطربني وتشجيني فإذا ذكريات الأسفار تردفني في ركابك إلى شواطئ البسفور لا إلى ظلاله في «فيافنتو» في روما وإلى حواكير حيفا ويافا وإلى أعشاش الزغاليل أطفال العائلة فالمح وراء نفسك الأزرق ألواناً أخرى كلها بهاء، ورواء .. حمراء وخضراء وبيضاء تجمع الرؤى في نظرة ..

والذي يؤلمني ويخجلني هو فراغ يدي من مؤلفات أقابل بها أياديك واعتز بوضعها بين يديك وأملي وطيد بإعادة طبع بعضها وبوفاء ديون الأصدقاء يوماً ما، وما كلمة شكري الآن إلا لتأكيد هذا العزم ولترديد آيات الثناء والاعجاب مع عواطف الامتنان والعرفان عزيزي.

كما نورد فيما يلي إحدى قصائده الرائعة

وكان الصباح

وصول إلى خطة الأمل في كراكاس عاصمة فنزويلا على رغبة في الاستقرار وفي المصالحة مع الحياة

وكان الغروب. كئيباً يجوب ... شغاف القلوب. بألوانه
وكان الحزين يمد الأنين ... وما من يلين لارنانه
ترى في الظلام وراء الغمام ... يتاح المقام لجثمانه؟
ثارت رياح القدر الجائزة ... تفتك في أوراقه الناضرة
من هو؟ نبت من نبات العلى ... يسلمه لبنان للقاهرة
جف وفيض النيل من حوله ... والجو زاه والرُبى زاهرة

ما هان واستندى اكف الورى … فقاطعته السحب الماطرة

نما صليب العود لا ينحني … للريح، فالريح له كاسرة

هوجاء جثته وسارت به … عشواء في تسيارها حائرة

إلي مكان غارق في الدجى … تخفي به أشلاءه الضامرة

ولم يكن أول نبت ذوى … وكانت النار له ناظرة

وكان الصباح وكان الاقاح … يزين البطاح بعقيانه

وكان النسيم نديا رخيم … يرف النعيم باردانه

فحط الرحال بأرض الجمال … كأن المآل لأوطانه!

الشاعر الكبير جورج صيدح ٤-٤



ولا تخلوا حياة الشعراء من المآسي وهذا ما صوره جورج صيدح عن حكاية هجرته الطويلة ومراحل صلاته القديمة باخوان المهجر الذين عايشهم في البرازيل والأرجنتين واتخذهم دروعاً وأشعل لهم الشموع قال الشاعر عن هؤلاء:

هذا البعض في حقيقته ليس إلا أقلية صاخبة مشاغبة في محيط الأدب المهجري، تتحرش بالأكثرية الصامتة الجامدة، المؤلفة من كبار الأدباء الأصلاء الأجلاء فلا تجد فيهم من يكترث لها ويرد عليها. على أن الفريقين يعكران جو الأدب هذا بتعاليه وذاك بتماديه، إذ تقف المواهب على الحياد وتركب الشعوذة خيول الطراد وكم تفرس الجبان متى خلا له الميدان.

كنت آليت على نفسي كتمان هذ المأساة والصبر على الخيبات حتى لا أفضح هزيمتي بلساني وانقض بيدي بنياني، ولكن اتفقع أن أصنام الأدب غالوا في التشهير والاستهتار أيقظوا الوعي العام، وحلّت عليهم نقمته. ثم زالت الغشاوة الغرارة عن الأبصار وانقلبت حملاتهم إلى ما يشبه الانتحار.

أما إهدائي هذه القصيدة إلى الشاعر القروي دون غيره من زملاء الهجرة فلأنه كان في الزمن الأخير أكثرهم اهتماماً بكتابي (أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية) الذي صدر عام ١٩٥٦م وحاز رضاءه العالي وثناءه الغالي في الرسائل

كما في المحامل، ومازال يطالعه ويراجعه في طبعاته الثلاث منذ خمسة عشر عاماً حتى اتخذ الآن موقعا.

ليس من المعقول أن يكون قصد القروي تصحيح هذه الهفوات بدليل أنه لم يلفت إليها نظري على كثرة ما تقابلنا وتراسلنا، وبدليل أنه وجه طلب التصحيح إلى شاعر في بيونس ايرس وصحافي في سان باولو ولم يوجهه إليّ، فهو بحمد الله لم يفقد رشده، وهو يعلم حق العلم بأنه لو ينبهني إلى أية هفوة (كما نبهني غيره) لأصلحتها في احدى الطبعات، ويعلم حق العلم بأنه لو لم يكتم عني أخبار خُلصائه وزواره لكنت زينت بهم صدر كتابي ولو كانوا أميين، يكفي أنهم من اله وصحبه الأكرمين .. سلام الله عليهم أجمعين ..

ومن قوله في وصف بحيرة ليمان :

بحيرة ليمان (نزهة على شواطئها في الباخرة الجوالة) ..

لي في البحيرة مركب ... كالصرح لا يتقلب
هو في العشية مسرح ... هو في الضحية ملعب
هو في النهار حمامة ... هو في الليالي كوكب
جمع الزوارق حوله ... كالولد يجمعها الاب
فإذا رسا لاذت به ... وإذا جرى تتعقب
وإذا أشار تبعثرت ... أو أقبلت تترتب
عبثا تغالب سيره ... الأمواج، فهو الأغلب
يرتادها مذعورة ... منشورة تتوثب
زبدا تطير أمامه ... ووراءه تتآلب
فكأنه قلم يمد ... من الهجين ويكتب
ان هل هللت الشواطئ ... والثغور ترب
آن يواصلها وآونة ... يصدر ويهرب
والطير من وكناتها ... تهفو إليه وتصحب
فكأنها رسل الدساكر ... بالتحايا تخطب
وكأنه ملك أطل ... على رعايا ترقب

لم يبق في قيثارتي ... وتر يرف ويطرب
اسنى النجوم متى هوى ... هو في النواظر غيهب
اني أتيتك يا بحيرة ... مدنفا اتطيب
أنا ذلك الشبح المريب ... الواجف المتغرب
حيران، أية محنة ... اشكو واية اندب
لي مدمع في القلب سال ... عن العيون محجب
حذر الحسود إذا رأى ... من ذلتي ما يرغب
ثقلت على نفسي الحياة ... وضاق فيها المذهب
لا مال، لا آمال، لا ... هدف يلوح فاكلب
قومي، وهل قومي سوى ... هود علي تعصبوا؟
شمتوا - وقد هان العزيز ... بحاتم لا يأدب
يا مال كم قصر تشيد ... وكم ضمير تخرب
خسرت بك الأخلاق ما ... الاعلاق ليست تكسب
ان يؤسر الليث ازدري ... ملك السباع الثعلب
متى الفريسة جندلت ... كثرت عليها الأعقب
واستنسر الصرصور ... واستشرى لديها الارنب
فإذا عيالك انشبوا ... ما ليس خصمك ينشب

وللشاعر قصيدة رقيقة عن ابنته في الحديقة :

ابنتي مع دمية تلعب ... في رحب الحديقة
امها غابت فهذي ... فرصة البنت الطليقة
خالفت في دعسها ... العشب المراسيم الوثيقة
ولوت اعناق اغصان ... الشجيرات الأنيقة
مورقات اصبحت ... ارجوحة اللهو الحلبقة

رشــرشــتــهــا بــســخــاء — تــرك الــعــطــش غــريــقــة
مـــن رآهـــــا ظـــنـــهـــا — تــطــفــئ بـــالـــنـــار حــريــقــة
رب ورد هـــاجـــمـــتـــه — وهــــي لــــلــــورد شــقــيــقــة
وكـــــنـــــار داعـــبـــتـــه — خــنــق الــضــغــط شــهــيــقــه
وأنــــــا - في مــقــعــدي — اســعــد حــي في الــخــلــيــقــة

ورغم علو كعبه في الشعر فإن جورج صيدح لم يلق من عناية النقاد ما يستحق شعره وتراثه.

وقد ولد الشاعر جورج صيدح ١٨٩٣م وتوفي ١٩٧٨م وكانت ولادته في دمشق حيث تلقى دروسه الابتدائية و من سنة ١٩٠٨م إلى ١٩١١م أكمل دراسته في لبنان ثم رحل إلى مصر فأقام بها إلى سنة ١٩٢٥ حتى غادرها إلى باريس ومنها إلى فنزويلا وفي سنة ١٩٤٧ انتقل إلى الأرجنتين وبعد أسفار عديدة ومنها رحلته إلى أمريكا عاد إلى بيروت في ١٩٥٤م ليغادرها بعد بضع سنوات إلى باريس ثم عاد إلى باريس حيث توفي بها.

وللشاعر جورج صيدح شعر بالاسبانية والفرنسية .

كما أن للشاعر صيدح مؤلفات منها :

ديوان (النوال)، ديوان (النبضات) ديوان (حكاية مغترب) ديوان صيدح (أربعة أجزاء).

وكان الشاعر صيدح صهراً للناقد اللبناني والصحفي العملاق الصديق حنا غصن حيث كان حنا زوجاً لابنته الوحيدة جاكلين والتي طالما ذكرها في أشعاره :

وقد رثيته بقصيدة منها :

رحــل الــبــلــبــل الــذي كــان يــصــدح — كــالــربــيــع الــمــراح يــشــدو ويــمــرح
كــم شــجــانــا تــغــريــده كــمــا دعــانــا — لــحــيــاة كــالــزهــر إذ يــتــفــتــح
ودعــى لــلــنــضــال (يــعــرب) طــرا — لــتــعــيــد الأمــجــاد فــالــعــز مــطــمــح
في زمــان لا يــســتــجــيــب جــنــاه — لــســوى الأقــويــاء إذ تــتــســلــح

الشاعر بلند الحيدري ١ - ٢



الحيدري شاعر عملاق، وهو أحد الأفذاذ الكبار عبدالوهاب البياتي، ونازك الملائكة، وبدر شاكر السيّاب، وهؤلاء هم أساتذة شعر التفعيلة!

وهو شاعر يتميز بالخلق الكريم وبالوفاء لأصدقائه كما أنه ذو نظرة نافذة فاحصة، وتجربة واسعة، وفكر مبدع!

عرفت بلند الحيدري في دار الآداب ببيروت لصاحبها الصديق القاص الكبير الدكتور سهيل ادريس .. ثم استمرت لقاءاتنا في بيروت ثم في القاهرة ولندن والسعودية وفي كل ملتقى لي بهذا الشاعر العريق كان يكبر في عيني ويتعمق اعجابي به في قلبي ووجداني.

وقد ولد بلند في بغداد عام ١٩٢٦م ولكنه قضى ما يزيد على ثلثي عمره مبعداً عن بلده، مغترباً عن وطنه منفياً من السلطة خارج بلاده! يلتمس لقمة العيش من سن قلمه وكفاحه وما أصعب هذا الالتماس وأشقه وأقساه!

ويقول بلند من قصيدة عنوانها ما بين الجرح والسكين من ديوان «دروب في المنفى» :

يا وطني المسكين

يا أنت المائت في الجرح وأنت القاتل في السكين

ها أني يا وطني
إذ أغرز عينك في عيني
أتساءل ماذا يعني
وطن يتوزع بين اثنين
ما بين المائت في الجرح
وبين القاتل في السكين؟
هو القتيل مرة ثانية
ممدد في الشارع الطويل
يسألنا عما انتهى لأهله من دمه المطلول
فتسكت العيون
تنسدل الجفون
وليس غير موتنا يغرق في السكون
وليس إلا دمان
عادل من مدية القاتل
من نزف جرح ذلك القتيل
من وطن ممدد في الشارع الطويل
يا أنت الوهن الموغل في الصمت
ماذا سيكون لنا
من وجهينا عبر المرآة العمياء وعبر الهم
الأكثر من همينا
إلا أنا لا نملك من كل الدنيا
إلا وجهينا ففي عتمة مرآة
أتقولين
لماذا نسأل عن أرض ضاعت
من بين يدينا
لكن .. يا أنت الوهن الموغل في الصمت

أيكون لنا أن نولد في عتمة عينينا
وطنا لا أرضاً مقفرة
بلا بلداً من دون سماء
لا نهرين بلا ماء!

ومن شعره بعنوان (سميراميس) من ديوان (خفقة الطين) :

سكر الليل باللظى المخمور ... واقشعرت معالم الديجور
وسرت نسمة فهش ستار ... واستخفته ضحكة التغرير
فتترى عن غرفة وسرير ... كان يجثو في قلبها المخدور
ورأى الليل شمعة تتلاشى ... في دموع تآكلت بالنور
أطلقت ضوءها الكئيب فأغفى ... فوق ظلين هو ما في السرير
لملمت طفلة السكون الأماني ... وتناهت في كفها المسحور
وغفت ضجة النهار فماذا؟ ... حرك الحس في الدجى المخمور
أغرام؟ عهد الغرام توارى ... وانطوى مضجع الهوى المسعور

وعن بلند الحيدري قال بدر شاكر السياب :

هناك عدد من الشعراء أكن لهم كل التقدير والاعجاب وعلى رأسهم بلند الحيدري الذي كان ديوانه «خفقة الطين»، أول ديوان صدر من ثلاثة دواوين كانت فاتحة عهد جديد في الشعر العراقي هي «عاشقة الليل» لنازك و«أزهار ذابلة» للسياب.

وقال عنه مارون عبود :

ليس فينا من قدر الصمت واستوحاه كما استوحاه هذا الشاعر، وقل في الأدب العربي من أوحت إليه الطريق ما أوحت إلى بلند الحيدري.

أشهد أن ديوان بلند الحيدري «خفقة الطين» أحفل ما رأيت من دواوين الشباب بالشعر ولعله الشاعر الذي تحلم به بغداد.

وقال عنه خليل حاوي :

وبلند الحيدري الذي لمست اتساع تجربته، وعمقها وما اقتضته من تعديل، وتوسيع في قاموسه الشعري وذلك في قصيدته الأخيرة «حوار عبر الأبعاد الثلاثة» التي تعددت فيها الأصوات. غير أن تلك الأصوات جميعاً تحمل نبرة الأصالة التي تميز بها الشاعر.

كما قالت الأديبة الكبيرة خالدة السعيد :

في مطولة بلند الحيدري «حوار عبر الأبعاد الثلاثة» تجسد هذه القصيدة هذا التصدع، وتتولد المأساوية من إرادة مزدوجة في االانفصام والالتئام، حيث يتداخل العنف الرافض في صورة قتل الأب، والحنين إلى الالتئام بالتشبث بكسرة صغيرة من الوجه للطفل خلال استحضار لاهث صاخب لتجليات الوجوه أو الأبعاد الثلاثة، وكل منها يحاكم الآخر ففيما يحتضن الأصوات جميعها وصوت «الأنا» الراتبة المتمثلة هنا بالجنون الملعون الذي لا يملك اسماً لأن امتلاك الاسم علامة على توحد الهوية.

كما حيا شعره آخرون مثل نذير العظمة، ومعين بسيسو ود. أنس داود، ومحمد فتوح أحمد، ووليد منير، وياسين رفاعية، ومحمد علي شمس الدين، وغيرهم ممن سيأتي ذكر بعضهم.

ومن قول بلند بعنوان «طاحونة» من ديوان أغاني المدينة الميتة :

تلك هي الأرض فلا تعجبي ... إن مر بي الفجر وما مر بي
قد كان لي درب وكانت رؤى ... تواعدا والأمس في مأرب
ومات ماكان سوى خطوة ... لما تزل تبحث عن مهرب
شدّت بساقي وما راعها ... من مشرقي النامي ومن مغربي
شيء سوى أصداء ايقاعها ... تئز في صمت عميق غبي
احسها تصرخ في مسمعي ... آفاق .. يا للعبث المتعب

ومن قول بلند من ديوان «خطوات في الغربة» بعنوان «عشرون ألف قتيل» :

صوت المذيع .. تخشب
شاؤوا له ألا يحس بما يذيع
«لندن» .. عشرون ألفا
- لا كفى خبر عتيق كالمذيع
وتقول أنت .. من الحفاة
وتقول أنت .. من القطيع
وعلى شفاه أخريات
صوت يتمتم في صلاة
رباه
احفظ لي حياتي
أنا لا أريد سوى حياتي!

الشاعر بلند الحيدري ٢ - ٢



ومما قاله عنه جبرا إبراهيم جبرا:

ومن مميزات شعر بلند الحيدري انه بعكس أكثر ما تنتج المطابع من كلام موزون وسخافات مقفاة، شعر صور فهو كالفنان الحاذق لا يلقي بالألوان على لوحته جزافاً ولا يرسل الخطوط عليها ان اتجهت أنه يورد تفاصيله مرتبطة متماسكة فتنمو القصيدة بين يديه نمواً من الداخل ككل الأعضاء الحية وإذا بها في النهاية وحدة متكاملة لها أول ووسط ونهاية كما يقول أرسطو في وصف العمل الفني الصحيح لا سلسلة من الأبيات يتلو الواحد الآخر رغم أنفه، وهذه ميزة هامة لا توجد إلا في القليل من الشعر المعاصر.

ومن قول بلند «في الأربعين» من ديوان خطوات في الغربة :

في الأربعين

وعلى يدي

أكداس أحلام تموت بلا غد

لا ..

ابعدي

لا تبحثي في ناظري عن موعد

أنا من سنين

لو تعلمين
ما كنت غير صدى خطاي الشرد
تنساب بي
في ألف منطلق حزين
لا ابعدي
يا أنت يا من تحلمين
بالفجر يولد في رؤى زهر ندي
بالياسمين، أنا من سنين، لو تعلمين
أيقظت في الأشواك من عطشي المهين
حقد الكمين
حقد الأماني المائتات على طريق أسود!

وكما رأينا فقد كان بلند الحيدري شاعراً خصب الانتاج ممتد الايقاع وقد صدر له من دواوين الشعر :

دروب في المنفى
خفقة الطين ١٩٤٦م بغداد
أغان بالمدينة الميتة ١٩٥١م بغداد
أغاني المدينة الميتة وقصائد أخرى ١٩٥٧م بغداد
جئتم مع الفجر ١٩٦١م بغداد
خطوات في الغربة ١٩٦٥م بيروت دار المكتبة العربية
رحلة الحروف الصفر ١٩٦٨م بيروت دار الآداب
أغاني الحارس المتعب ١٩٧١م بيروت «ترجم إلى الانجليزية ١٩٧٧م».
حوار عبر الأبعاد الثلاثة ١٩٧٢م
المجموعة الكاملة ١٩٧٥م دار العودة
إلى بيروت مع تحياتي ١٩٨٥م
أبواب إلى البيت الضيق ١٩٩٠م لندن دار رياض الريس.
المجموعة الكاملة ١٩٩٣ دار سعاد الصباح - القاهرة.
كما صدر له من الدراسات :

زمن لكل الأزمنة، نقاط ضوء، مداخل إلى الشعر العراقي، عودة الماضي.

ولبلند الحيدري في تحية شعر كاتب هذه السطور:

«.. والقصيدة عند الصديق الشاعر حسن عبدالله القرشي تنبض بحساسية على جانب كبير من الغنى، ولصوره الشعرية وهجها الذي يجاور بين رؤى متعددة الأبعاد فهي سهلة المنال حتى تكاد تلمسها لمساً وهي في الآن ذاته مرمى في رمز ذهني وعبرهما نما وكبر شاعراً متميزاً بخصوصيته ..»

وفي عام ١٩٩٦م توفي شاعرنا بلند وقد كانت وفاة بلند أشبه بالزلزال لمفاجأتها لأحبائه وأصدقائه ويصدق فيها قول الشاعر في مرثيته:

إن عبدالحميد يوم تولى ... هدَّ ركناً ما كان بالمهدود
ما درى نعشه ولا حاملوه ... ما على النعش من عفاف وجود

ولقد رثاه الكثيرون منهم «نزار قباني» كما رثيته بقصيدة أورد نصها فيما يلي:

إلى روح بلند الحيدري ... شهيد الوفاء ...!
حضورك لن ينتهي يا «بلندا» ... كينبوع نور جرى لا يحد
تضج القناديل من ضوئه ... وتسمو المنارات والفجر يبدو
وجيش المحبين امداؤه ... تزيد، تزيد، ويشرق وعد
شهدتك تشد قمم الأماني ... تراقص أحلامنان حين تشدو
واما تصاعد منك النشيد ... ففي الأفق برق وفي الكون رعد!
غريباً قضيت شباب الحياة ... وفجر شبابك لا يسترد
ولكن فجرك، لن ينقضي ... هم الخالدون: تراث ومجد
يطلون من شرفات الشموس ... شموساً تشع لها العز مهد!
رضعت الاباء على غمرة ... مراراته سُكّر لك شهد
صبور على الصعب لا تلتوي ... ولا تستلين وان زاد جهد
ودأب الحياة لاشقاء المض ... يطول عناء ويخفق سعد
شديد على النفس منها الفراق ... وموت الأماجد منه الأشد!

«بلند» واحسرتا يا «بلند»   لقد ضاع حلم أوغل بعد
وقرح فقدك كل العيون   وان لم يكن من أسى الموت بد
سلام عليك شهيد الوفاء   شهيد المحبة ما صين عهد
سلام على سيد للنقاء   ومن لم يعايشه غدر وحقد
شهاب من الألق العبقري   وحقل نما فيه زهر وورد
ففي جنة الخلد مأواك باق   وآثار مجدك كم تستجد
سبقت ونحن بك اللاحقون   غدا فسهام الردئ لا ترد!

ومما قاله عبدالوهاب البياتي عن شعر بلند :

إن بلند شاعر مبدع في أساليبه الجديدة التي حققها وفي طريقته التي لا يقف فيها معه إلا شعراء قلائل من العراق.

ومما قاله فؤاد الخشن عن بلند :

يتلاعب بلند بعدد التفاعيل، ويوزعها كيفما شاءت شاعريته الفذة، ويحمل الكلمة ويضغطها فتشع وتوحي، وتضع القارئ أو السامع في الجو الذي عاشه الشاعر أو عاناه.

ومما قاله رياض الريس عن بلند :

وإذا ما كان بلند رائداً من رواد الشعر الجديد وفي طليعة من فتح آفاقاً على تجارب شعرية لم يكن قد ألفها بعد في شعرنا الجديد فإنه بقي في مجموعته الأخيرة عند حدود التجارب وإن حاول أن يتخطاها في بعض القصائد غير أن هذا لا ينكر أنه في قصائده ما بين ١٩٥٧م ١٩٦٤م حاول أن يعطي أبعاداً جديدة لمضامين قضايا معاصرة ضمن الأشكال الشعرية التي كان أول من جدد فيها في الأربعينات.

الدكتور ناصر الدين الأسد



شخصية كريمة باهرة عشقت العلم والبحث والدرس وأوفت في كل أولئك على الغاية واستولت على الأمد.

ومولد الدكتور ناصر كان في عام ١٩٢٢م في العقبة في الأردن وكان تعليمه بالكتّاب ثم بالمدرسة الابتدائية ثم التحق بالكلية العربية حيث حصل منها على الشهادة الثانوية الانجليزية سنة ١٩٤١م ثم حصل على دبلوم التربية أو التعليم من نفس الكلية والتحق بعد ذلك بكلية الآداب بجامعة القاهرة وحصل منها على الليسانس الممتازة ١٩٤٧م وبعدها حصل على الماجستير ١٩٥١م ثم حصل على الدكتوراه ١٩٥٥م وعُين مدرساً فأستاذاً مساعداً فأستاذاً بالجامعات العربية وكانت لها مساهمة فعالة في تأسيس الجامعة الأردنية وعمل عيمداً لكلية الآداب بها ثم رئيساً للجامعة نفسها وقبل ذلك عمل في مراكز قيادية في جامعة الدول العربية.

وقد تولى منصب سفير الأردن بالمملكة العربية السعودية فترة طويلة وعين أيضاً مديراً مساعداً للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ثم مديراً لها.

وقد انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٣م في المكان الذي خلا بوفاة العالم الشهير الأستاذ قدري حافظ طوقان وهو أيضاً عضو بمجمع اللغة العربية الأردني كما أنه الآن رئيس للمجمع الملكي الأردني لبحوث الحضارة .. وفي كل المناصب التي تسنمها وتولاها كان ومايزال موضع التقدير والاكبار.

وقد تعرفت بالدكتور ناصر الدين الأسد حين كان يعمل بجامعة الدول العربية واستمرت هذه المعرفة طيلة عقود من السنين وتولدت عنها صداقة عميقة وثيقة مازالت مستمرة راسخة ولله الحمد.

وقد تزاملنا في حضور مؤتمر للمستشرقين عقد بايطاليا أولاً في مدينة «بالريمو» عاصمة صقلية ثم في مدينة «روما» وكان يرأس المؤتمر المستشرق المعروف بالدكتور «رزيتانو» وكان الجميع مبهورين بشخصية الدكتور الأسد وثقافته المتعددة الجوانب.

وأثناء هذا المؤتمر تجلت موهبة الدكتور الأسد الشعرية فقد جرى اكتشافه شاعراً محلقاً سعد الناس منه هناك بقصية رائعة ماتعة.

وأهم ما يسر الإنسان به من صداقة الدكتور الأسد هو ما اشتملت عليه شخصيته من خلائق فضلى أهمها وفاؤه النادر وعطاؤه السمح وكرمه البارز وعمق اخائه.

وقد سعدت بزيارته في داره العامرة بـ «عمان» وفوجئت بما حوته هذه الدار من مكتبة للدكتور حافلة بآلاف المجلدات والموسوعات والمخطوطات في شتى ألوان المعرفة وتشغل المكتبة من فيلته الرحيبة أوسع مكان وأجمل موقع وهي متاحة لعشاق القراءة وطلاب المعرفة ينهلون منها أطيب زاد ويتزودون بأغلى عتاد.

وللدكتور ناصر الدين الأسد مجموعة قيّمة من المؤلفات منها :

كتاب القيان والغناء في العصر الجاهلي وهو رسالته لنيل درجة الماجستير الجامعية.

كتاب مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية وهو كتاب قيّم لا يستغني عنه باحث وكان هذا الكتاب رسالة لنيل درجة الدكتوراه حيث نالها بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وهذا الكتاب افتتحت به دار المعارف بمصر سلسلتها العتيدة القيمة الموصولة الأسباب «مكتبة الدراسات الأدبية»، فكان هو الحلقة الأولى منها. وقد طبع هذا الكتاب عديداً من الطبعات وأصبح مرجعاً عالياً في موضوعه لجمهرة الدارسين والباحثين في كل الأصقاع.

كما حقق الدكتور الأسد ديوان قيس بن الخطيم وديوان شعر الحادرة..

كما كتب الدكتور عن الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن وعن الشعر الحديث في فلسطين والأردن وعن خليل بيدس رائد القصة الحديثة في فلسطين وعن محمد روحي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين.

كما كتب عن قصص الكيلاني للأطفال وعن فلسفة الاستعمار وعن الثورة العربية الكبرى والأدب.

وترجم عن الانجليزي بالاشتراك كتاب جورج انطونيوس عن يقظة العرب.

وللدكتور الأسد نشاط مجمعي كبير وهو مثابر على حضور مؤتمرات المجمع والمشاركة في أبحاثه مشاركة فعالة.

وفي استقباله بالمجمع قال عنه الأستاذ الكبير الدكتور محمد مهدي علام نائب رئيس المجمع «فقد قضت التقاليد المجمعية أن يذكر مستقبله شيئاً عن حياته العملية ولولا ذلك لكان الدكتور ناصر الدين الأسد في غنى عن أن أقول عنه أكثر من قولي : مرحباً بك أيها الزميل الجديد في حرم المجمع عضواً نعتز بزمالته».

وقد أرسل لي تحية هذه الأبيات .. تحية مودة وتقدير للأخ العزيز الشاعر الكبير حسن عبدالله القرشي من أخيه ناصر الدين الأسد :

أيـهـا الـشـاعـر لازلـت لنا … نـغـمـاً يُـطـرِبُ مـنّـا الأنـفُـسـا
كم غرفنا منك شعراً رائعاً … فـانـتـشـيـنـا ومـلأنـا الأكـؤسـا
واسـتـزدنـاك فـأنـشـدت لنا … من رقيق الشعر ما ينفي الأسى
ودواويـنـك قـد غـنّـى بـهـا … كـل أحـبـابـك صُـبـحـاً ومَـسـا
شـاعـرَ المجمع يهنيك الذي … نـلـت ممـا لم يَـنَـلْـه الـرُّؤَسـا
لـقـب قـد حُـزْتَـه عـن قُـدرة … عَـزَّ مـنْ غـيـرك أن يُـلْـتَـمـا
فـارفـع الـشـعـر لـواءً عـالـيـاً … وتَـعَـهَّـدْه بـيـانـاً مَـلـسـا
في زمـانٍ ضـاع فيه شعرنا … وأصـيـلُ الـقـولِ فـيـه أنـدرسـا

وفي كل الأحوال فإن الدكتور ناصر الأسد ينطبق عليه قول أبي تمام :

مـن لي بـإنـسـان إذا اغضبت … وجهلت كـان الحلم رد جوابه
وإذا ظمئت إلى الزلال نهلت من … اخـلاقـه الـعـليا ومـن آدابـه «١»
وتـراه يصغي للحديث بسمعه … وبـقـلـبـه ولـعـلـه أدرى بـه!

هذه صورة موجزة كل الايجاز للصديق السمح الأديب العالم الكبير الدكتور ناصر الدين الأسد مد الله في حياته وحفظه ذخراً للأدب والفكر وللعربية والعروبة.

«١» أجريت عمداً بعض التغيير في هذا البيت

الأستاذ الكبير مصطفى مرعي المحامي



شخصية معروفة مرموقة ..

وقد أعجبت بهذه الشخصية الفذة قبل أن أعرفها فقد كان لهذا العملاق تاريخ نضال طويل، وكان مثال الجرأة النادرة والشجاعة الباهرة - والعطاء الفذ، كما كان عضواً بمجمع اللغة العربية.

وترجع معرفتي الشخصية به عند التحاقي بالمجمع وكان لمناقشاته الفذة، ومداخلاته المثمرة، وتعليقاته المفيدة في المجمع، أثرها الطيب لدى جميع الأعضاء .. ومعرفتي هذه زادتني إعجاباً به وإكباراً له.

وكان عندما يناقش أو يعلق يقف منتصب القامة مما يجعل لحديثه ونقاشه تأثيراً مضاعفاً وقد اكتسب هذه الصفة لأساس مهنته، وهي المحاماة حيث كان في طليعة المحامين البارزين الذين تركوا بصمات بارزة في تاريخ المحاماة، في بلده العريق أمثال سعد زغلول، ومكرم عبيد، وإبراهيم الهلباوي، وزهير حرانة.

ولقد كنت منذ فترة طويلة أنهل من خلقه الرفيع وأستزيد منه معرفة بالرجال الأفذاذ ومواقفهم المميزة، وكان هو من رؤوس هذه الفئة المبهرة.

وقد ولد الأستاذ مصطفى مرعي سنة ١٩٠٢م بقرية الجزيرة الخضراء التي كانت تابعة آنفاً لمركز فوة من محافظة الغربية وبدأ تعليمه بكتاب القرية ثم التحق بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالأسكندرية حيث حصل على الشهادة

الابتدائية ثم التحق بمدرسة رأس التين الثانوية وحصل منها على البكالوريا ١٩١٩م والتحق بعد ذلك بمدرسة الحقوق حيث حصل منها على درجة الليسانس ١٩٢٣م.

وقد مارس المحاماة وعُين قاضياً بمحكمة الاسكندرية ثم عُين محامياً عاماً سنة ١٩٣٢م وفي ١٩٤١م عُين مستشاراً بمحكمة الاستئناف ثم مستشاراً بمحكمة النقض ١٩٤٦م وفيما بعد عُين وزيراً للدولة في حكومة إبراهيم عبدالهادي ثم عُين وزير دولة في حكومة حسين سري ثم استقال من العمل الحكومي وعاد إلى العمل بالمحاماة.

ثم عُين عضواً بمجلس الشيوخ وبصفته هذه قدم استجوابه لمؤيد المشهور عن الأسلحة الفاسدة الذي كان فيه اتهام واضح لحاشية رئيس الدولة، وكان هذا سبباً بعد ذلك في اخراجه وثمانية عشر عضواً ممن ناصروا الاستجواب ومن بينهم الدكتور محمد حسين هيكل، وأحمد عبدالعزيز، وعلي عبدالرازق وغيرهم من كبار الأجلاء.

وفي ١٩٥٩م اعتزل المحاماة ثم في سنة ١٩٧٣ اختاره مجمع اللغة العربية عضواً عاملاً فيه، فكان له أداؤه المرموق!

وللأستاذ مصطفى مرعي العديد من الدراسات والمحاضرات على طلبة كلية الحقوق حين انتدب اليها.

كما أن للأستاذ مصطفى مرعي كتاباً شهيراً هو «المسؤولية المدنية في القانون المصري»، وقد أفاد منه الكثيرون.

وقد كان الأستاذ مرعي شائق الحديث بارز الحضور لا يسأم محدثه من الاستماع إليه، والاعجاب بأدائه، وعطائه.

وفي تقديمه يوم استقباله في المجمع يقول عنه الأستاذ عبدالعزيز محمد :

أقدم اليوم كبيراً من أساطين رجال القانون جال في جميع ميادين القانون، وتسنم القمم فيها جميعاً، من محاماة وقضاء وفقه، حتى إذا بلغ ذلك المدى تصدى للشؤون العامة فحمل أعباءها وكافح في سبيلها، وكان له في ذلك مقام معلوم، وبعد فهو من صفوة رجال الفكر المعاصرين .. شخصية لاشك فذة متعددة الجوانب.

وقد ترجم له العلامة الأستاذ عبدالحليم الجندي في كتابه الشهير «المحاماة وسيادة القانون».

ومع هذا فإن الأستاذ مصطفى مرعي لم يلق ما يستحقه من تقدير واهتمام وإشادة بشخصه وعمله وتأثيره في محيط الحياة والمجتمع.

وقد كان هذا العملاق زاهداً أميناً بالاضافة إلى شجاعته الخارقة.

وفي توفي في ١٩٨٧/١١/٧م وكان لوفاته أثر عميق في نفوس زملائه الأعلام من أعضاء المجمع ومن غيرهم من الفضلاء.

وقد رثيته بقصيدة أقول فيها :

لك يا مصطفى الخلالُ الكرام … والمحيا النبيل، والإقدام
عفة في كرامة في سماح … وإباء كالشمس لا يُستضام
همة تفرع الجبال الرواسي … لا تبارى ، ونجدة، وذمام
فقدتك البلاد، والأمة السما … حة والفضل والأماني العظام
قد تحليت أنت بالمثل العليا … يا، وكم ضاء من رؤاك ظلام
جرح فقدانك الأليم لقلبي … ناغر صارخ، فلا يلتام!

رحمه الله رحمة واسعة، وأثابه على ما قدمه من عمل طيب. وأفاء عليه من شأبيب رضاه ما هو أهل له!

الشيخ أمين الخولي



الشيخ أمين الخولي .. أحد عمالقة الفكر العربي، وأحد الأفذاذ الذين أثروا العربية بانتاجهم الرائع، وصلاتهم الثقافية العديدة وانتاجهم الممتع الغزير.

وقد عرفني عليه صديقي الناقد الجهير الأستاذ «أنور المعداوي»، حيث كان ينتسب إلى مدرسة أدبية يتزعمها الأستاذ الخولي وهي مدرسة الفن والحياة في كلية آداب جامعة القاهرة العتيدة والتي كانت تضم جمهرة من مثقفي الوطن العربي ومن أعضاء هذه المدرسة الكبيرة عائشة عبدالرحمن التي أطلقت على نفسها اسم «بنت الشاطئ» وهي زوج الشيخ أمين وكانت إحدى تلميذاته النجيبات.

ثم تكررت معرفتي بهذا الأستاذ الجليل حينما وفد إلى المملكة العربية السعودية برفقة الدكتور طه حسين الذي حضر إلى المملكة رئيساً لوفد جامعة الدول العربية حيث كان الدكتور رئيساً للجنة الثقافية في هذه الجامعة.

وقد فرح المثقفون عندنا بمقدمهما وفرحا - بدورهما - بهذه الزيارة وكانت خطب الأستاذ الخولي الفنية الثرية في المملكة تبدأ بمخاطبة أهل الديار المقدسة بقوله : «جيرة الله».

وقد زرته في القاهرة مستفيداً من علمه وكان الأستاذ الخولي يمتاز بقوة الشخصية وصلابتها ويصدق فيه قول الشاعر :

غزيري من خلق باسل ... أشد، وامضى من الذابل

صليب على القسر لا يلتوي ... إذا غزته يد الناقل

كما كان عنيداً في تصرفاته، وقد ذكر أن زوجته السابقة كانت تغار من الطالبة «بنت الشاطئ» وشكته إلى الدكتور طه حسين، فما كان منه إلا أن سارع فتزوج هذه الطالبة اللامعة معاندة لهذه الشكوى، وحيث كان التفاهم بينهما متبادلا.

وناهيك بما هي عليه الدكتورة «بنت الشاطئ» سابقاً ولاحقاً من سمو الشخصية وعلو الفكر وخصوية الانتاج واشراق الأسلوب. مع هذا السيل الدافق من المؤلفات الباذخة المفيدة وما نشرته وتنشره من البحوث القيمة في جريدة «الأهرام»، خلال بضعة عقود من السنين وقد ولد الأستاذ أمين الخولي سنة ١٨٩٥م بشوشاي من مركز أشمون بمحافظة المنوفية، ودرس في الأزهر حتي استقر به المقام بمدرسة القضاء الشرعي، وحين تخرج فيها سنة ١٩٢٠م اختير ضمن هيئة التدريس بها، وقد رأس تحرير مجلتها وفي سنة ١٩٢٣م عُين إماماً للمفوضية المصرية بروما ثم للمفوضية المصرية ببرلين وعاد سنة ١٩٢٧م ليدرس بقسم تخصص القضاء الشرعي بالأزهر وفي العام التالي عُين في كلية الآداب بجامعة القاهرة مدرساً ثم أستاذاً مساعداً ثم أستاذاً رئيساً لقسم اللغة العربية واللغات الشرقية، ثم وكيلاً لكلية الآداب. وفي سنة ١٩٥٣م نقل مستشاراً فنياً لدار الكتب ثم مديراً عاماً لادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم.

وفي سنة ١٩٦١م عُين عضواً بمجمع اللغة العربية، وكان أحد الذين صدر بتعيينهم قرار جمهوري عند تعديل قانون المجمع.

وقد مثل مصر في مؤتمر تاريخ الأديان السادس المنعقد ببروكسل ١٩٣٦م وشهد مؤتمر المستشرقين الدولي بميونخ ومؤتمر المستشرقين الدولي بموسكو ١٩٦٠م.

وللأستاذ أمين الخولي نشاطات أدبية كثيرة وبحوث في اللغة والأدب والبلاغة والنحو والتفسير وقد نشرت بحوثه ومقالاته العديدة في مجلة كلية الآداب بالقاهرة والسياسة الأسبوعية والرسالة، والعربي، والمقتطف، والأدب، وغيرها كما شارك في التعليق تصحيحاً لترجمة دائرة المعارف الإسلامية.

ومن نماذج نثره البليغ ما قاله يوم تأبين عضو المجمع القانوني «علي بدوي» :

من هذا الافق أحدث الحديث المنصف عن علي بدوي الإنسان، ومناسق شخصيته العامة وشخصيته العلمية بصدق في طلب الحق، والدفاع عنه، والتخلي عن المنافع الفردية، مع الشعور الاجتماعي الناضج فلدي في هذه النواحي ما أخذته به مطمئناً عن «علي بدوي» الرجل ..

وهذا نموذج آخر من نثر كاتبنا المعلم يقول :

في واد مشرق السماء، جهم الأديم تضطجع بين الجبال على سيف الصحراء تلك العذراء الممنّعة «مكة» تكاد تنال باحدى يديها مياه «القلزم» حين تنسم عن بعد نسيم الشرق بعراقه وخرسه تلتفت يمنة إلى بلاد العرب السعيدة بدفء شتائها وأسباب حياتها ويسرة إلى مشارف الشام بوارف ظلالها وفتون حضارتها.

في واد غير ذي زرع حول البيت المحرم منذ بضعة عشر قرناً كانت تخفق القلوب وجلة، وتختلج النفوس متطلعة ويشيع في الألباب تشوق وتلهف استحال اضطراباً اجتماعياً وثوراناً روحياً على قديم لا يرضي العقل، ولا يسعد القلب حتى هب نشاط أناسي منهم إلى انتجاع ذلك الجديد بالرحلة إليه والنقلة في سبله مثلما تلتمس الرفاهية الحيوية من أعراض التجارة، وحطام الدنيا».

ولكاتبنا العظيم مجموعة ضخمة ورائعة من المؤلفات الخصبة منها :

مسرحية الراهب المتنكر وقد مثلت بدار الأوبرا سنة ١٩١٧م وكتاب الفلسفة وتاريخها، فتاريخ الملل والنحل، وصلة الإسلام باصلاح المسيحية «بالايطالية» ومشكلات حياتنا اللغوية، ومناهج تجديد في البلاغة والتيسير والأدب، وفن الأدب المصري فكرة ومنهج وفن القول ورأي في أبي العلاء والجندية والسلم، ومن هدي القرآن القادة - الرسل، ومن هدي القرآن في أموالهم، ومن هدي القرآن في رمضان، وصلات بين النيل والفولجا بالألمانية، ومالك ابن أنس ثلاثة أجزاء ومالك تجارب حياة في سلسلة أعلام العرب والمجددة في الإسلام «الجزء الأول» وله نشاط واشتراك في لجان المجمع المختلفة وبحوث هامة قدمها للمجمع.

وكانت وفاة هذا العالم الجليل سنة ١٩٦٦م ومات في أقوى ما يكون : حضور فكر، وخصوبة ذهن وحيوية شخصية.

وقد رثاه كثيرون ومما قاله عنه فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري عضو المجمع يوم تأبينه :

بهذا الفكر المحلق كان الفقيد يتناول الشؤون الاجتماعية بحثاً ودروساً وتمحيصاً: وعلى قدر سمو فكره كانت رحابة قلبه ذلك القلب الكبير الذي اتسع لصداقات كثيرة تخطياً إليها حدود الألوان والمذاهب والأجناس.

الشاعر صلاح عبدالصبور ١ - ٢



صلاح عبدالصبور شاعر من أكبر الشعراء، وناقد من ذروة النقاد وصاحب خلق عظيم هو في القمة من أخلاق الأدباء الكبار.

وكان مفتاح المعرفة أنه وقبل أن نتلاقى ونتعارف تلطف فكتب عن ديواني الثالث (الأمس الضائع) مقالاً رائعاً مطولاً في مجلة (صباح الخير) وكانت تحيته لي فيه من أبلغ التحايا وأروعها.

ثم جئت إلى القاهرة، واتصلت به، تلاقينا معاً في دار الأهرام في مكتب الكاتب الكبير الدكتور «لويس عوض»، وكان تعارفاً مشتركاً إذ تعرفت أيضاً بهذا الأديب العملاق وهذا المفكر العبقري الدكتور لويس.

وتوثقت معرفتي بصلاح وبصديقيه الحميمين الشاعر الكبير «أحمد عبدالمعطي حجازي» والشاعر الموهوب «أمل دنقل».

وكنت أزوره في مكتبه حيث كان رئيساً لتحرير مجلة «ابداع.

ونشرت بعض أشعاري في هذه المجلة الراقية وكنت أنشده بعض ما أكتب من أشعار وكان يتلطف هو الآخر بانشادي طرائف من شعري الراقي.

أما تاريخ ميلاد صلاح عبدالصبور فهو ٣ مايو ١٩٣١م واما وفاته فكانت بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩٨١م.

وقصة رحيل صلاح عبدالصبور أوردتها الأستاذة عبلة الرويني بتفصيل في كتابها عن زوجها أمل دنقل الذي عنوانه «الجنوبي» قالت تحت عنوان:

جيل الشعارات وجيل الهزائم

في صيف ١٩٨١ «١٥ أغسطس» دعانا الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي في زيارته الصيفية للقاهرة. إلى عيد ميلاد ابنته «ذكرت لي فيما بعد السيدة زوجته سهير عبدالفتاح أنها ترددت أمام دعوة أمل بالتحديد تخوفاً مما تعرفه عن حدته في المناقشة خاصة، وأن المدعو معنا هو الشاعر صلاح عبدالصبور وزوجته وابنتاه».

ولم تكن سهير تعرف أمل جيداً حتى تدرك أنه لا يمارس حدته أمام الحقيقيين من البشر. وأنها في كثير من الأحيان تبدو قناعاً صلباً يخفي وراء ه قلبه المرهف.

في هذه الليلة كان أمل في غاية الرقة والعذوبة، بل وشديد الفرح فهذه السهرة التي تضمه مع شاعرين كبيرين «صلاح عبدالصبور - حجازي».

سأل أمل صلاح عبدالصبور عما ينشر في الصحف حول إعداده لأمسية شعرية عن ابن الفارض فنفى ذلك قائلاً إنها مجرد أخبار صحفية . ثم قاد الحديث حول الأمسيات الشعرية التي تقدم إلى استفسار آخر حول تلك المساجلات بين صلاح والموسيقار محمد عبدالوهاب الذي أراد أن يغني لحناً لإحدى قصائده.

فاختصر صلاح عبدالصبور الكلام قائلاً إن هذه الأخبار هي ضريبة الشهرة الاجتماعية التي هبطت عليه في السنوات الأخيرة، لأنه صار مسؤولاً ثقافياً. ورئيس الهيئة العامة للكتاب. وهكذا تحول من شاعر كبير إلى شاعر نجم.

سأله أمل إن كان يضيق داخلياً بمثل هذه الضريبة فأجابه : طبعاً لكن على من تقرأ مزاميرك «ولم يقل يا داوود».

طلب صلاح عبدالصبور من أمل أن يسمعه قصيدته الشهيرة «لا تصالح» رفض أمل أن ينشد القصيدة معتذراً بأنه في حضرة شاعرين مثلهما لا يستطيع نفسياً إلقاء شعره ثم راح ينشد قصيدة صلاح عبدالصبور «أحلام الفارس القديم».

دارت المناقشة دورتها بين الحاضرين ومنهم «جابر عصفور، بهجت عثمان الرسام في دار الهلال، والذي كان صلاح بنفسه هو الذي دعاه إلى السهرة»، حتى فوجئنا بصوت بهجت عثمان يعلو في لحظة سُكر واضحة .. «انت بعت .. وبعت بمليم يا صلاح».

ثار صلاح وهب واقفاً معلناً. ما الذي حصل عليه ليتهم بالخيانة والبيع ثم ما الذي باعه بالتحديد؟

وثارت معه السيدة زوجته «سميحة غالب» معلنة ترددهم في حضور مثل هذه السهرة وما توقعته من الجلوس مع السوقة!!

طرد حجازي بهجت من منزله، وحاول الجميع تهدئة صلاح عبدالصبور الذي شعر بالتعب و الاجهاد.

«خاصة وأنه طوال اليوم كان خارج المنزل في عمل مستمر. ثم صعد إلى منزل حجازي بالطابق الخامس دون مصعد».

وقرر النزول لشم بعض الهواء وتهدئة أعصابه قليلاً واشتد عليه التعب في الطريق، فذهب إلى مستشفى ميلوبوليس المجاورة لمنزل حجازي حيث كانت الوفاة على الفور.

بكى أمل صلاح عبدالصبور كأنه فقد أباه. لكنه لم يستطيع أن يكتب حرفاً واحداً خلال مشاركات الاحتفال بالذكرى، ذاكراً فيما بعد أن موته كان هو رصاصة الرحمة أو لعله هو حياته التي كشفت في لحظة عن جوهرها الحقيقي فرغم مأساوية أحداث تلك الليلة الغريبة شكل موت صلاح عبدالصبور نوعاً من الانتصار للشعر وللحقيقة داخل نفسية شاعر وصلت في شفافيتها إلى درجة عالية من الصوفية، وكأنه صار بذلك حلاج الكلمة، وحلاج الموت.

استغل بعض الكتاب السهرة للهجوم على اليسار ومحاولة حصار المدعوين في تلك الليلة واتهامهم بقتل صلاح عبدالصوبر بل وصل الأمر إلى حد سؤال السادات لحجازي عن مقتل صلاح عبدالصبور .. وكان ذلك استغلالاً رخيصاً للرجل وللموقف وللشعر والشعراء.

يقول صلاح من ديوانه «الناس في بلادي» بعنوان «هجم التتار».

هجم التتار

ورموا مدينتنا العريقة بالدمار

رجعت كتائبنا ممزقة وقد حمي النهار

الراية السوداء، والجرحى، وقافلة موات

والطبلة الجوفاء، والخطو الذليل بلا التفات
وأكف جندي تدق على الخشب
والبوق ينسل في انبهار
والأرض حارقة، كأن النار في قرص تدار
والافق مختنق الغبار
وهناك مركبة محطمة تدور على الطريق
والخيل تنظر في انكسار
الأنف يهمل في انكسار
والعين تدمع في انكسار
والأذن يلسعها الغبار
والجند أيديهم مدلاة إلى قرب القدم
كان ضحاكاً ولوعاً بالغناء
وسماع الشعر في ليل الشتاء
ونمت في قلب زهران زهيرة
ساقها خضراء
من ماء الحياة
تاجها أحمر .. كالنار التي تصنع قبلة
حينما مر بظهر السوق يوما
ذات يوم
مرّ زهران بظهر السوق يوما
واشترى شالاً منمنم
ومشى يختال عجبا
مثل تركي معمم
ويجيل الطرف ما أحلا الشباب
عندما يصنع حبا
عندما يجهد أن يصطاد قلبا

كان .. يا ما كان ان زُفّت لزهران جميلة

كان .. يا ما كان أن أنجب زهران غلاما

كان .. يا ما كان أن مرت لياليه الطويلة

ونمت في قلب زهران شجيرة

وقال صلاح بعنوان «الحب في هذا الزمان» من ديوانه أحلام الفارس القديم :

تسألني رفيقتي : ما آخر الطريق؟

وهل عرفت أوله؟

نحن دمى شاخصة

فوق ستار مسدلة

خطى تشابكت بلا

قصد، على درب قصير ضيق

الله وحده الذي يعلم ما غاية هذا الوله المؤرق

يعلم هل تدركنا السعادة؟ أم الشقاء والندم؟

وكيف توضع النهاية المعادة

الموت؟ أو نوازع الألم؟؟

يعلم حين نلتقي بعد سنين، أو شهور

هل سيكون في القلوب وجدها؟

هل سيكون في العيون حقدها؟

أم نلتقي كالأصدقاء القدماء؟

يسلمون في فتور

يودعون في فتور!

الشاعر صلاح عبدالصبور ٢ - ٢



ولصلاح رأي في الحب إذ يصفه بقوله :

«الحب لا يعرف بالزمان وغدره لأنه أقوى من كل شيء»!

وكان صلاح عبدالصبور لم يقتنع وهو يراجع مسرحية شوقي عن «قيس وليلى»، بأن سبب فراق قيس وليلى أنه نظم فيها أحلى الكلمات من الشعر، ولم يقتنع بالاغماءات الكثيرة التي أصيب بها قيس كما صوره شوقي وراح يبحث عن أسباب جديدة عصرية من عصرنا الحديث عصر القلق والغربة والضغط الاقتصادي فكتب مسرحية جديدة باسم ليلى والمجنون:

ويقول في الحب:

يطيب لي في آخر المساء أن أقول كلمتين

شفاعة أرفعها إليك يا سيدة النساء

الحب يا حبيبتي أغلى من العيون

صونيه في عينيك واحفظيه

الحب يا حبيبتي مليكنا الحنون

كوني له مطيعة سميعة

وقال صلاح بعنوان «شنق زهران» :

وترى في جبهة الأرض الضياء

ومشى الحزن إلى الأكوان

تنين له ألف ذراع

كل دهليز ذراع

من أذان الظهر حتى الليل .. يا لله

في نصف نهار

كل هذه المحن الصماء

في نصف نهار

مذ تدلى رأس زهران الوديع

كان زهران غلاماً أمه سمراء

والأب مولد

وبعينيه وسامة

وعلى الصدر حمامة

وعلى الزند أبو زيد سلامة

ممسكاً سيفاً وتحت الوشم نبش كالكتابة

اسم قرية «دنشواي»

شب زهران قوياً ونقياً

يطأ الأرض خفيفاً وأليفاً

كان زهران صديقاً للحياة

مات زهران وعيناه حياة

فلماذا قريتي تخشى الحياة

وقد جاء في تحيته لي تقريظاً لديواني الأمس الضائع» :

(.. كان لابد أن يكون لهذا الجيل من أهل الحجاز شاعره، وكان هذا الشاعر هو (حسن عبدالله القرشي) فهو قلق النفس، متطلع إلى آفاق جديدة ربما كانت أبعد مدى من الصحراء التي يعيش فيها.

الشاعر حسن عبدالله القرشي لا يرضى بمجتمعه الذي يعيش فيه فهو ينتقده ويدينه في كلمات احتجاج، ولكنها على أي حال احتجاج شاعري صاف.

لقد ابتدأ الشعر في الحجاز من حيث ابتدأنا محافظاً على التقاليد العربية معتزاً بها، ولكنه كما يطالعنا في شعر القرشي - يتحرر بجسارة من التقاليد المتوارثة ويحاول أن يعبرٍ عن ذات الشاعر، ووقعها على مجتمعه ومازال هذان الفرضان يتوزعان الشعراء حتى يتم ذلك التوازن المنشود فيرى الشاعر نفسه في مجتمعه، ويصبح هو قلب هذا المجتمع .. وسنرى في شاعرنا الحجازي هذا الشاعر الجديد ..).

وكان إذا رآني هتف بي ما أخبار العطاء الشعري؟! يا حسن.

مسرحيات صلاح عبدالصبور

كتب صلاح مسرحيات أربعاً، نشرت وجمعت كلها في مجموعته الشعرية الكاملة التي أصدرتها دار العودة ببيرت.

وهذه المسرحيات هي :

الأميرة تنتظر، مأساة الحلاج، مسافر ليل، ليلى والمجنون،

وكلها كتبت بشعر التفعيلة

وهي الطريقة التي كتب بها الشعراء علي أحمد باكثير، ومحمد الفيتوري ، وعبدالرحمن الشرقاوي وغيرهم.

وبالرغم من أن الشعر العمودي هو الأسهل للإلقاء الشعري المسرحي إلا أن هذه المسرحيات نالت حظها الموفور من النجاح والذيوع.

ومن نماذج مسرحية «مسأساة الحلاج» :

«.. سجن مظلم ينفتح بابه ليدخل منه الحلاج يدفعه حارس»

الحارس : أدخل يا أعدى أعداء الله

الجلاج : ليسامحك الله، فقد أعطيت الحلاج المسكين أعلا من قدره،

الحارس : أدخل لا تكثر في القول

ولتجلس بين رفيقيك

«يدخل الحلاج فلا يكاد يبصر شيئاً في الظلمة القاتمة،

الحلاج : يا صاحب هذا البيت

هب ضيفك نوراً، حتى يكشف موضع قدميه
أو كحل بسنا ذاتك عينيه
يا صاحب البيت ..»

ومن نماذج مسرحية «مسافر ليل»

«الراوي
هذا حق
فالعدل بلا مظهر
كالمرأة دون طلاء
كالمسرح - مسرحنا هذا - دون ستائر
ولهذا فالعامل يقفز كي يجلس في أعلا العربة
فوق الرف الشبكي
ويدلي ساقيه
ويؤرجح قدميه على رأس الراكب
لا تندهشوا هذا أيضاً حق
قديما قالوا :
إن القانون فوق ر ؤوس الأفراد
الراكب :
مظلوم والله مظلوم .. مظلوم
لم أقتل أو أسرق
أدركني يا عشري الستره»

وفي مسرحية «ليلى والمجنون» يقول صلاح :

«الأستاذ
والآن دورك يا ليلى
لم نتقن هذا المشهد بعد
ليلى:

أحقاً حبيب القلب أنت بجانبي ... أحلم سرى أم نحن منتبهان؟

أبعد تراب المهد من أرض عامر ... بأرض ثقيف نحن مغتربان؟

الأستاذ:

حسن جداً

في كل امرأة عاشقة بالفطرة

زياد:

وممثلة بالفطرة

ليلى:

خير لك أن تتقن دورك

زياد :

أرجوك

دعني استعرض جرحي لكن لا تستعرض أحقادك

أحببت إيراد هذه اللمحات البسيطة عن مسرحياته الرائعة وإن كان الأمر يقتضيها الدراسة المعمقة لو اتسع المجال.

أما مؤلفات صلاح عبدالصبور الشعرية فهي :

ديوان الناس في بلادي، ديوان أقول لكم، ديوان أحلام الفارس القديم، ديوان تأملات في زمن جريح، مسرحية الأميرة تنتظر، مسرحية مأساة الحلاج، مسرحية مسافر ليل، مسرحية ليلى والمجنون.

وأما مؤلفاته النثرية فهي :

النساء حين يتحطمن، حياتي في الشعر، على مشارف الخمسين، حتى نقهر الموت

محمود محمد شاكر ١ - ٢



الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر أحد أفذاذ العربية وأحد أساطينها والملهمين من شعرائها! وهو من أسرة علم، وفضل وكرم ونبل.

وقد تعرفت عليه في السعودية ثم في مجلة «الرسالة» حيث كان أحد أركانها ثم تشرفت بمزاملته في مجمع اللغة العربية حيث كان فارساً من كبار فرسانه وعلماً شامخاً من أعلامه!

وقد ولد الأستاذ شاكر في الأسكندرية في فبراير ١٩٠٩م ثم انتقل إلى القاهرة التي انتقل إليها والده وكيلاً للجامع الأزهر، وكان تعليمه الأول في مدرسة أم عباس بالقاهرة ثم مدرسة الغربية وفي سنة ١٩٢١م التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية، والتحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة.

وقد نشب خلاف بينه وبين الدكتور طه حسين فترك الجامعة وفي سنة ١٩٢٨ سافر إلى السعودية وأنشأ مدرسة جدة الابتدائية السعودية ورأسها ثم عاد إلى القاهرة.

وقد تتلمذ على الشيخ سيد المرصفي وقرأ عليه الكامل للمبرد وحماسة أبي تمام وجزءاً من الآمالي للقالي واشتغل بالبحث والدرس وتتلمذ على الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي.

وللأستاذ شاكر أسلوب أدبي رائع يضارع أساليب أرقى كُتاب العربية فخامة وشموخاً.

وفي سنة ١٩٨٠م انتخب عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية في دمشق وفي سنة ١٩٨١م حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب ثم في عام ١٩٨٣م انتخب عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية في المكان الذي خلا بوفاة الدكتور أحمد بدوي.

وخلافه مع الدكتور طه حسين كان على أساس اتهامه للدكتور بأنه استفاد من كتابه للمتنبي وأخذ معظم أفكاره منه في كتاب طه عن المتنبي، كما نشبت معركة بينه وبين الدكتور لويس عوض حول أبي العلاء المعري!

وفي مجمع اللغة العربية قال عنه الباحث الكبير الأستاذ عبدالسلام هارون «.. عبقري بارع، قلّ أن يجود الزمان بمثله، أما الصورة الكاملة التي يقدم بها الأستاذ محمود شاكر فإنها تفتقر إلى الكثير من القول ..».

وقد نال جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب.

والأستاذ محمود شاكر كان يتمتع بخلق العالم الفاضل وقد كان بحراً في علوم العربية وفي البحث الدقيق.

كما يعد الأستاذ شاكر من ذروة محققي النصوص وكبرائهم وله في ذلك باع طويل تقصر أمامه آمال النظراء، وطموحات الزملاء!

وحال الحاقه بمجمع اللغة العربية انضم إلى لجان المعجم الكبير واحياء التراث والأصول، والألفاظ والأساليب إلى غير ذلك من نشاطات المجمع ومما قاله عنه زميله الدكتور محمد مهدي علام :

«.. ومن الاعتراف بالفضل لأهله أن أقرر أنني أكتب له مستقياً في كثير ما يعرض لنا في لجان المجمع الكبير، وأنه سريع التلبية بما يساعد كثيراً في حل بعض الطلاسم التي تأتي في كتابة بعض قدامى اللغويين ..».

وقد حصل على امتياز صدور مجلة العصور في سنة ١٩٣٨م وصدر منها عددان ثم توقفت عن الصدور لسوء الحظ.

والأستاذ شاكر متعدد الجوانب الأدبية والفكرية وله قصائد رائعة مثل «يوم تهطل الشجون» و«عقوق» و«اذكري قلبي» و«من تحت الأنقاض» و«الفرس العذراء» وهي من أهم قصائده.

وفي رأيي شخصياً أن الأستاذ شاكر من الشعراء في الذروة ولذلك فإنني سأسرف في إيراد بعض جوانب من شعره فمن قوله «تحت الليل» :

أهيم وقلبي هائم وحشاشتي ... تهيم فهل يبقى الشقي المبعثر؟

وله يهتدي غاوٍ أضاع حياته ... بحيث يضيع الطامح، المتجبر؟

وهل تسكن الدنيا يسكن صرفها ... ويسكن هذا النابض المتفجر؟؟

وهل تطفئ الأيام نيران ظلمها ... وتطفأ نار في دمي تتسعر؟

لئن أبقت الآمال مني لطالما ... تقلبت في آلامها أتضور

تنازعني من كل وجه بساحر ... يمثل لي اقبالها ويصور

ومن قصيدة عنوانها «الربيع» :

أيامه كالغيد نعزها ... ترف الصبا وغضارة الحب

زهر نواعم في نضارتها ... سحر الحياة وفتنة القلب

تمشي بأنفاس معطرة ... يحيي بريا الحب أو تسبي

تنساب في الصبوات عابثة ... عبث الدلال برقة العتب

وتدب في الأرواح نشوتها ... هفافة نفحاتها تصبي

عطر الحبيب على نسائمها ... يذكي غرام الهائم الصب

محمود محمد شاكر ٢ - ٢



وفيما يلي نموذج من نثره الرائع يرثي به صديقه الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي وهو أشبه بالشعر المنثور :

«رحمة الله عليك، رحمة الله عليك!

رحمة الله لقلب حزين، وكبد مصروعة!

لم أفقدك أيها الحبيب ولكني فقدت قلبي

كنت لي أملاً استمسك به كلما تقطعت آمالي في الحياة

كنت راحة قلبي كلما اضطرب القلب في العناء

كنت الينبوع الروي كلما ظمئ القلب وأحرقه الصدى

كنت فجراً ينبلج نوره في قلبي وتتنفس نسماته

فوجدت قلبي، إذ وجدت علاقتي بك

لم أفقدك أيها الحبيب ولكني فقدت قلبي ..

لم تبق لي بعدك أيها الحبيب إلا الشوق إلى لقائك

فقدتك وحدي إذ فقدك الناس جميعا

سما بك فرحك بالله، وقعدت بي أحزاني عليك

لقد وجدت الأنس بجوار ربك فوجدت الوحشة في جوار الناس

لم أفقدك أيها الحبيب ولكني فقدت قلبي

لم تبق لي بعدك إلا الشوق إلى لقائك

رحمة الله عليك، رحمة الله عليك ..»

وللأستاذ محمود شاكر العديد من البحوث والمقالات ثم المؤلفات وأبرز مؤلفاته كتاباه «مع المتنبي - جزءان» و«أباطيل وأسمار».

ومن المؤلفات الهامة التي حققها الأستاذ شاكر :

١ - فضل العطاء على العصر لأبي هلال العسكري ١٩٣٤م.

٢ - امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتابع - للمقريزي ١٩٤٠م.

٣ - المكافأة وحسن العقبى - لأحمد بن يوسف بن الداية الكاتب ١٩٤٠م.

٤ -- تفسير الطبري ١٦ جزءاً من أجزائه من ١٩٥٤ - ١٩٦٩م.

٥ - جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار ١٣٨١هـ

٦ - كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام ١٩٧٠م.

٧ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ١٩٧٤م.

٨ - تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من الأخبار - للطبري ١٩٨٢م.

ولولعي الكبير بشعر هذا العلامة الفهامة الأستاذ محمود شاكر الذي لا أدري إذا كان قد صدر له ديوان من الشعر يضم فرائد شعره البالغ الروعة أم لا فإنني أختتم المقال عنه بنموذج أخير من شعره النضر، وقريضه الفحل :

قال لا فض فوه بعنوان «أذكري قلبي»:

اذكـري قلبي فقد ينضر من ذكـراك عـودي

أنـا غصـن في رياض الـدهـر ظمـآن الصـيد

صـوحتـنـي غـلـة الـوجـد وأجـت في بـرودي

ومـشـت نـارا عـلـى انـوار زهـري وورودي

فـهـي ألـقـاء عـلـى أرضـي آثـار وقـود

فـاذكري قلبي فقد ينضر من ذكـراك عـودي

أنـا غصـن كخيـال السيـف في وهـم الطـريـد

ناحل الشخص، قضيف العود خمصان الغمود

- وكانت وفاة هذا العملاق الأديب ١٩٩٦م.

ولقد كان بيننا مودة متبادلة وكنت ملازماً له ومثاباً على زياراته إلى أن توفاه الله ورحل إلى جواره.

وكنت إذا نشرت ديواناً أو كتاباً وافيته به فيعكف على قراءته ثم يفاجئني وشيكاً بما يدلني على أنه قد سارع بقراءته ثم يبدي لي رأيه فيه.

وهو في ذلك أشبه الناس بصديقنا الفذ المستعرب الكبير البروفيسور الفرنسي «جاك بيرك»!! العضو المراسل لمجمع اللغة العربية.

الفنان عبدالحليم حافظ ١ / ٢



عرفت الفنان الكبير الأستاذ عبدالحليم حافظ - أول ما عرفته - بدار الصديق الوجيه الشيخ كمال أدهم وكان وقتها شاباً مجهولاً نحيلاً ولكنه كان فناناً ذا صوت رائع وإن لم يشتهر بعد .. وكان الشيخ كمال معجباً بصوته وبشخصيته.

وعزمته مرات وكان يحب أن نجلس في المكان الذي أنشئ فيه فيما بعد «فندق شيراتون القاهرة»، وكان يدندن ببعض أغاني عبدالوهاب دائماً وغبت عن القاهرة طويلاً ثم عُدت لها وإذا بالفنان الصغير أصبح معروفاً ومشهوراً وممثلاً عريقاً يتهافت على فنه المنتجون ومحطات التلفزة والاذاعة على أنه منذ حداثته كان شخصاً واثقاً من نفسه شاعراً بأنه سيكون له مستقبل فني ركيز.

وفي إحدى الليالي هاتفني صديق لي من كبار الموظفين المصريين كنت ممن عملت على أن يلتحق بأحدى الوظائف المرموقة في المملكة ولكنه آثر أن يستقيل ليلتحق بوظيفة في الأمم المتحدة ثم استُغني عنه ودعاني إلى العشاء ثم أخبرني أنه دعا أيضاً الأستاذ عبدالحليم حافظ وأن عبدالحليم أخبره أن لي معرفة قديمة سابقة به.

واجتمعنا معاً في بيروت في دار نزار وغنى فيها من بعض أشعار نزار ما سررنا وقد أصبح عبدالحليم علماً خفاقاً في دنيا الفن.

وحين أصبحت جاراً لعبدالحليم حيث سكنت بعمارة ليبون في شارع الجبلاية بالزمالك تبادلنا كثيراً من الزيارات وكان يحب رائحة العود فكنت أسعد أن أهديه بعض هذا الصنف من البخور.

ومن أغاني عبدالحليم الجميلة قصيدة سمراء من شعر الأمير عبدالله الفيصل وكلماتها كالآتي :

سمراء يا حلم الطفولة ... يا منية النفس العليلة
كيف الوصول إلى حماك ... وليس لي في الأمر حيلة
ووسيلتي قلب به ... مثواك إن عزّت وسيلة
فلترحمي خفقانه ... لك واسمعي ترتيله
قلب رعاك وما ارتضى ... في حبه أبداً بديله
أسعدته زمناً ورو ... وصلك الشافي غليله
في ليلة نسج الغرام ... طيوفها بيد نحيله
فلترحمي خفقانه ... لك واسمعي ترتيله
سمراء يا أمل الفؤاد ... وحلمه منذ الطفولة

وغنى لمحمد علي أحمد مقطوعة لا تلمني

كلمات محمد علي أحمد ... تلحين كمال الطويل

ان أتيت الروض يوماً .. لا تلومني
فمن العطر انتشيت
ان جنيت الورد عفوا .. لا تلومني
فعلى الشوك مشيت .. لا لا لا لا .. لا تلومني
ان ملأت الأفق شدوا .. لا تلومني
في فمي لحن الوفاء .. أو عشقت البدر يوما .. لا تلومني
فأنا أهوى الضياء .. لا لا لا لا .. لا تلومني
أننا للأقدار عبد .. لا تلومني
كيف سارت بي حياتي .. جئت من طين ولكن .. لا تلومني
فمن الأضواء ذاتي .. لا لا لا لا .. لا تلومني

الفنان عبدالحليم حافظ ٢ / ٢



ومن أحب الأشخاص إليه الملحن البارع الأستاذ منير مراد وقد حضرت معه بعض إفطارات رمضان في داره بشارع عدلي وقد عرَّفني به وكسبت صداقته أيضاً وكان إنساناً بمعنى الكلمة.

وفي بيروت كنا نجتمع بداري في شارع بِلسّ أمام الجامعة الأمريكية وحينما لم يكن معي كنا نسهر على أغانيه وهو مع الصديق الشاعر الكبير محمد الفيتوري والفنان فاروق البقيلي فلا نملُّ سماعه وعبدالحليم كان هبة الأقدار للفن ولن تجد في أغانيه إلا الرائع المبهج !.

وتلاقينا مرة في مكتب الفنان الخالد «محمد عبدالوهاب» ورأيت كيف كان عبدالوهاب فرحاً بوجود عبدالحليم وقد تبنَّاه ولحن له خير ما يُلحن لمثله ويعتبره عبدالوهاب إبناً له.

وكان عبدالحليم حفياً بأصدقائه وفي مناسبة عرس باذخ في السعودية لبعض أصدقائه حمَّلني شريطاً فيه أغنيه له تحية للصديق وتهنئة له وأملي أن يتلطف أصدقاؤه ممن منحهم تحاياه الفنية باظهار هذه التحايا لتضم إلى تراث هذا الفنان الجهير الذي ينبغي ألا يضيع منه شيء، وتراث الفنان في الشرق ثروة للرواة!.

وعبدالحليم لم يعوض صوته حتى الآن على كثرة ما برز من أصوات!

وكان لنا أيضاً صديق مشترك هو الاداري الكبير والمحاسب القدير الأستاذ

«أحمد أبو العلا» وكنا نسهر في داره كل ليالي الجُمع يؤنسنا فيها عبدالحليم بغنائه العذب، وروحه الشفافة، وحضوره الذي لا يُملّ!.

وتعاظمت شهرة الفنان وتعرف إلى ملوك وأمراء وشيوخ ومنهم جلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب الذي كاد يفقد معه حياته في حادثة الصخيرات المعروفة حيث كان مطلوباً ليغني في عيد ميلاده .

ثم بدأ المرض يلح على عبدالحليم ويتهضمه، ولكن الشهرة العريضة واعجاب الناس به كانا مما يخفف وطأة المرض عليه حيث يستقر ما أوجد له من مكانة وتألق وعجاب بصوته النادر المعجز.

وقد غنى عبدالحليم لايليا أبو ماضي من قصيدة «لست أدري» :

جئت لا أعلم من أين .. ولكني أتيت
ولقد أبصرت للدنيا .. طريق فمشيت
وسأبقى سائراً ان شئت هذا أم أبيت
كيف جئت وكيف .. أبصرت طريقي لست أدري
أين ضحكي وبكائي وأنا طفل صغير
أين جهلي ومزاحي وأنا غض غرير
أين أحلامي وكانت كيفما سرت تسير
كلها ضاعت ولكن كيف ضاعت .. لست أدري
أنا لا أذكر شيئاً من حياتي الماضية
أنا لا أعلم شيئاً عن حياتي الآتية
لي ذات غير أني لست أدري ما هي
فمتى تعرف ذاتي كنها ذاتي .. لست أدري

كما غنى للأمير عبدالله الفيصل قصيدة يا مالكاً قلبي :

يا مالكاً قلبي

شعر الأمير عبدالله الفيصل   تلحين محمد الموجي

يا مالكاً قلبي .. يا آسراً حبي
النهر ظمآن .. لثغرك العذب

مل بي له مل بي .. يا مالكاً قلبي

قولي إلى أين المسير .. في ظلمة الدرب العسير

طالت لياليه بنا .. والعمر لو تدري قصير

يا فاتناً عمري .. هل انتهى أمري

أخاف أن أمشي .. في غربتي وحدي

في ظلمة الأسر .. يا مالكاً قلبي

آه .. آه .. آه .. آه

آه من الأيام آه لم تعط .. من يهوى مناه آه

مالي أحس أنني روح .. غريب في الحياة

يا فاتنا عمري .. هل انتهى أمري

أخاف أن أمشي .. في غربتي وحدي

في ظلمة الأسر .. يا مالكاً قلبي

رحماك من هذا العذاب .. قلبي من الأشواق داب

ليلي ضنى صبحي أسى .. عيشي على الدنيا سراب

يا فاتناً عمري .. هل انتهى أمري

أخاف أن أمشي .. في غربتي وحدي

في ظلمة الأسر .. يا مالكاً قلبي

وعبدالحليم كان طموحاً للغاية ولا حدود لمطامحه وبالرغم من مرضه فقد كان يؤمل أنه سيعيش طويلاً ولكن للأقدار حكمها ولا حيلة فيه.

وفي أواخر أيام حياته كنت أزوره في مستشفاه في لندن وأوصاني وهو على سرير المرض بأن أرجو الشيخ كمال أن يزوره حيث أنه علم أنه موجود بلندن ولكنه لم يره وأخبرت الشيخ كمال فوعد بالزيارة، رغم أنه مشغول، ومع الأسف فإن هذه الزيارة لم تتم - على حرص الشيخ كمال على تحقيقها - بل سبقها إليه الموت ..

وموته بلغنا في السعودية قبل أن يصل إلى مصر وهكذا فإن الأنباء السيئة سريعة الانتشار والوصول وكان ذلك النبأ فاجعاً مؤلماً محبطاً - يرحمه الله -.

على أن عبدالحليم قد خلَّف للفن تراثاً عظيماً سوف يبقى ما بقى للفن ميزان!.

وفي عبدالحليم ينطبق قول الشاعر أبي فراس الحمداني حينما نعى نفسه فقال :

أبنيتي لا تجزعي ... كل الأنام إلى ذهاب
قولي إذا كلمتيني ... فعجزت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فراس ... لم يمتع بالشباب

وهكذا صديقنا عبدالحليم فقد احتضر ولم يمتع بالشباب!.

وكان عبدالحليم، سمحاً كريماً لا يعرف الكبرياء وقليلاً ما كان يظهر على محياه الانزعاج..

وقد ولد عبدالحليم في ٢ يونيو ١٩٢٩م، وتوفي في ٢٣ مارس ١٩٧٧م.

وفي باريس تعرف عبدالحليم بالممثلة العالمية «صوفيا لورين» وعرفت منه مكانته في الشرق.

وكما سبق القول فقد غنى عبدالحليم لكثيرين منهم الأمير عبدالله الفيصل، وكامل الشناوي، وصلاح عبدالصبور، ومأمون الشناوي، وايليا أبو ماضي وغيرهم.

وقد رثيته بقصيدة طويلة منها :

يا أمير الغناء والتطريب ... - بالحزن - لقد فقدت حبيبي
كان شمساً تضيء كان المجلي ... كان أحلى صوتاً من العندليب
أين منه «زرياب» في روعة الف ... ـن إذا ما شدا بكل عجيب؟
عاش قيثارة تهز الغواني ... فإذا الكون مهرجان نسيب
صوته الصوت لا يُبارى وفيه ... نفح وسحر يفوق نفح الطيوب
إيه «عبدالحليم» كم شع فينا ... ألق من حنينك المسكوب
يا أمير الغناء مازلت تشدو ... خالداً رغم أنف عاتي الخطوب!

الشاعر الكبير عبدالمنعم الرفاعي ١ /٤



الشاعر الفحل عبدالمنعم الرفاعي هو أحد أفذاذ الشعر وأعلامه المعاصرين والذين تركوا بصماتهم القوية في دوحة الشعر العالي الرصين وأثروا بها.

وقد تعرفت عليه في بيروت حين كان مدعواً ليمثل بلاده «الأردن» في المهرجان الكبير الذي أقيم في اليونسكو احياء لذكرى «شاعر لبنان» الخالد بشارة الخوري «الأخطل الصغير» وكنت مشتركاً فيه أيضاً ممثلاً لبلدي المملكة العربية السعودية!.

وقد أتحف الجميع بقصيدة خالدة من شعره الرائع في ذكرى الأخطل الصغير كان لها صداها البالغ الجيد في هذا المهرجان الباذخ وقد التقينا مراراً وتزاورنا معاً وكان في شخصيته مثال الشاعر الرائد والإنسان مع خُلق عظيم، وحضور باهر.

والشاعر الرفاعي مولود في مدينة «صور اللبنانية عام ١٩١٧م ،» وقد نشأ في «فلسطين»، أما معيشته فكانت في الأردن حتى تسنم أرقى المناصب وأعلاها مُلحقاً بدءاً بسلك الديبلوماسيين سفيراً في عدة بلدان رئيسية، وكان مندوباً دائماً للأردن في الأمم المتحدة ومثَّل بلاده في الهيئة الدولية عديداً من المرات مشتركاً في الكثير من المؤتمرات، كما شارك في الكثير من المؤتمرات العربية والدولية شرقاً وغرباً وكان أداؤه فيها موضع التقدير، ثم كان وزيراً للخارجية ونائباً لرئيس الوزراء، ثم تولى منصب رئيس الوزراء مرتين، وكان أيضاً مستشاراً سياسياً للملك حسين وممثلاً شخصياً له وصديقاً حميماً لجميع أفراد الأسرة الهاشمية الملكية.

وهو أحد دعاة الوحدة العربية وقد أصيب برصاص الفرنسيين في سوريا عام ١٩٤٥م، ونال العديد من الأوسمة الرفيعة العالية.

وللشاعر الكبير الرفاعي ديوان مطبوع عنوانه «المسافر» ومذكرات مكتوبة.

وللشاعر الرفاعي حديث بارع وله حضور موفور ومشاركة في كل فنٍ بطرف كما أنه خطيب مفوَّه حاضر البديهة.

وله معاناة كبيرة في حياته اجتازها بجميل الصبر والاحتمال.

وقد كتب ملحمة كبيرة تضمنت مراحل حياته، وما قاساه من معاناة فيها تستدعي التاريخ والتسجيل لاسيما الحادثة المُرة الإنسانية الكبيرة التي مرَّ بها، وهي تخلِّي زوجته عنه وتركها معاشرته مخلِّفة له ابنه «عمر»، طفلاً غض العود اضطر أن يكرس له عمره، ويضم جرحه الناغر صابراً جلداً على هذه الكارثة التي لا يستحق معاناتها، وجنوحها إلى التزوج من سواه دون مبالاة بماضيها الحافل معه ودون اكتراث بمواهبه ومنزلته العليا في مجتمعه مما أدى إلى الشماتة به من خصومه وأعدائه، وقد أطلق على هذه الملحمة اسم «المسافر»، فكأنه يشعر أن ما حل به ألبسه لبسة المسافر المغترب الذي يصفه الشاعر الكبير ابراهيم ناجي بقوله :

تيبست كفٌ على أطرافها   برعشة البعد، واحساس المسافر!

ومطلع هذه الملحمة وبدايتها كالآتي :

إيه يا طاوي الرُبى والبيد   هل عراك في الدجى من معيد؟

وكأنه يعارض بها ملحمة الشاعر الكبير عمر أبو ريشة التي مطلعها :

أوقفي الركب يا رمال البيد   إنه تاه في مداك البعيد!

ويقول الأستاذ الكبير عبدالمنعم الرفاعي :

الطريق الطويل هدَّم جنبيك   «م» وعد والهوى، وشدو القصيد
سفر شاسع كأن مداه   رحلة الفكر في الفضاء البعيد
كلما جرت في نواحيه شأواً   كشف الشوق عن خيال جديد!

الشاعر الكبير عبدالمنعم الرفاعي ٢ /٤



.. وملحمة «المسافر» لشاعرنا الكبير واسمها مأخوذ من اسم ديوان للشاعر بهذا المسمى .. صوَّر فيها الشاعر جوانب كثيرة من حياته منذ عهد الشباب. وعهد الشباب هو الذي صوَّره أبو العتاهية من أرجوزة معروفة بقوله :

بالشباب المرح التصابي
روائح الجنة في الشباب!
إن الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أي مفسدة!

ويقول الرفاعي :

في الذرى فوق شاهق من هوانا ... وقفت بين تطمحي وحدودي
تستبيني المنى فألثم فاها ... ثم ارتد رهن زجر شديد!
يا جنون الشباب حسبي جموحاً ... لم يعد في جوانحي من مزيد
لا حفيف الغصون مال مع الريح ... ولا الطير حنَّ للتغريد
وأمحى غير بارق من سناه ... ومن اللهو والهوى، والنشيد
غير رجع لذكريات رفاق ... كشعار تألقت في الغمود
هل يلام الهزار حلّق في الشدو ... على كل ربوة وصعيد؟

أم يلام العبير بحلم في الليل ويسري مع الصباح الجديد؟
أغـــرام ومـــوطــنــي تــنـزى عـن شهيد مضرج وشريد؟
دميت جبهة الأبــاء ومالت خلف أحلامها سرايا الجدود!

ثم يعرض لمأساة الزوجية المتمثلة في تخلي زوجه عن عشها تاركة طيراً أزغب الريش هو ابنهما «عمر» الذي كرّس له حياته المليئة بالمشاغل فيعطينا هذه الصورة المأساوية الرائعة:

أيـن يمّمت والطريق مخوف ولياليك فيه سؤد يسود؟
تسبيك البروق مؤتلقات خلب الوسم كاذبات الوعود
كنت عودتك الحنان قديما ما على القلب لوحنا من جديد
هل تجنيت عليّ غير أني كنت أولى لديك بالتضميد
لِمَ لم تسقني حنانك صرفا وتسدي من عزمي المكدود
فهبيني أفرغت أقداح ذنبي لم أترعت كأسها بالمزيد؟
أيـن يمّمت ما سألت هوانا فهو مازال عند عهد عهيد!
ما سألت السنين مزدهرات بالمصابيح من عُلى وسُعود
ما سألت الوفاء والحب والعطف وطبع الندى، وفيض الجود
لا ولا جؤذراً ترعرع في النعيمي صفي الكرى، حفي العهود
كنت عودته الجناح فألفي سائلاً عن جناحك المفقود
فأدراى شكواه اصطنع اللهو فيرنو بطرفه المعمود
في غير تورق الغصون فأروي عن شبابي، وقصتي لوحيدي
في غد تسمع الملائك همسنا وحيدين والدٍ ووليد

تتدلى النجوم حول ليالينا ... ويشدو الزمان لحن الخلود

وتطلين من كوى نائيات ... تتمنين دونها أن تعودي!

إيه يا ساكن الهواجس والهم ... وحيداً مع الخيال المديد

يمرح الشعر في رحابك والمجد ... ورهج المنى ورهج القصيد

ويمر النسيم حولك خلواً ... من حديث الورى وهمس الحسود

ويغشي الضباب أمسك حتى ... لا ترى غير يومك المنشود

رب حرية يعانقها القيد ... فتحيا على عناق القيود

فسلام عليك وقعك الشجو ... فاصغي اليك سمع الوجود!

الشاعر الكبير عبدالمنعم الرفاعي ٣ /٤



.. وعندما شب ابنه «عُـمَر»، حيَّاه بالقصيدة التالية :

عُـمَـر

الآن أورق غصنك النضر ... فاسمع حديث أبيك يا عمر

الذكريات كتمتها زمناً ... حتى استفاق أريجك العطر

فإذا أبحت فكل غادية ... عن طول ما كتمت تعتذر

مرت ومر خيالها حقبا ... فالعمر كل شغافه ذكر

طلع الحياة على مرابعه ... نداه منهل ومنتثر

قبلاتي اللاتي ذهبن هوى ... كم ضاق عنها الكأس والوتر

وكواعب وسَّدْتُهُن يدي ... فالشمس طوع مناي والقمر

متنقلاً فنناً على فنن ... والحب مختصر ومعتصر

هيمان يرعاني السُّرى فإذا ... ظل الطريق رعاني القدر ..!

أعلِمت لما قرَّبي سفري ... وأوى إلى وكناته الوطر

ولمحت وجهك قبل مشرقه   كالصبح باح بنوره السحر
وتثاقلت ومشت على خفر   ولكل أمر كان منتظر
عشنا معاً والزهر في عبق   أحلامه لو يعقد الثمر
حتى طلعت وكنت لي رمقاً   تحيا الحياة عليه والعمر
الأمنيات عليك أعقدها   والغاليات إليك تدخر
أنا أنت. أخلد فيك، لا زمني   يبقى ولا مجدي والسير
واهاً غداة أفقت تسألني   وأساي مفتر ومستتر
فسكت التمس الرضى خجلاً   عن آثمين ولات مغتفر؟!
أأبوح يا ولدي ومدَّ يدي   أخشى عليك الدمع يبتدر
سكن المبيت سوى مؤرقة   قد شدها لسريرك النظر
إن زل عنك غطاؤك انخلعت   عيني وقمت اليك أبتدر
أحنو عليك وكل جارحة   تحنو معي والسمع والبصر
أصبحت وحدي لا يشاركني   خل وأنت الليل والسمر
طلع الصباح فهذه لُعب   صُفَّت إليك وهذه صور
وأنا وأنت كأنَّ عالمنا   لهوٌ وكل بقائه عِبر
في وحدة الله ثالثها   كتبت وخطَّ سطورها القدر
يا زهرة الأيام زنبقتي   في راحتي اليوم تزدهر
فواحة بيضاء صافية   ريحانة أوراقها خُضر
فدعوت حتى خلت أدعيتي   أصغت لها الآيات والسور
عفواً بُني إذا غويت فكم   يهتز من ألحانه الوتر
في ظلمة حمراء عابثة   غنَّى بها بادٍ ومستتر
كم قبلةٍ طوت المدى وعلى   أندائها كم أورقت ذكر
يحيا الهوى إما لمست جنى   وإذا قطفت يكاد يحتضر
آثامي الكبرى يبددها   أني على نجواك أعتذر

ومشيت وحدي. رب معضلة … أرخى دُجاها المسلك الوعر

غيَّبتها ووددت لو بقيت … فعلى المضارب يقدح الشرر

أنا خِدن آلامي وباعثها … أستاف خمرتها وأعتصر

كالشارب المخمور رنحة … كأس الطلا وجرى به السكر

يبكي ويضحك لست تعرفه … فمزاجه صافٍ ومعتكر

وفي الغزل الشائق يقول الأستاذ الرفاعي وهو فيما يبدو مقلٌ في الغزل إقلال المتنبي الفحل :

إبتسامة

من أين؟ من متفتح الزهر … قطفتها أم من ندى السحر

يفتر مبسمك الذي أُتلقت … أطيافه عن فاتن الصور

فتبسمي إني على شغف … في ظلمتي لمباسمٍ غُرر

أحلامي الكبرى غفت زمناً … واستيقظت في ثغرك العطر

وكأنني وسناك يغمرني … أحيا وأفنى فيك في النظر

ويُحيِّي الشاعر الكبير أحمد رامي في مهرجان له فيقول :

أيُّ سجع من قوافيك الحسان … عرض الفتنية شعراً فسباني

شاعر الدولة في جيد الحمى … من لآليك عقود من بيان

ليس النيل حلاها فالسَّنا … في ضفاف النيل شعر وأغاني

تنسج الأحلام منها شفقاً … هو في أفق المنى ناءٍ وداني

خطرت من تحته الزُهر على … رنة العود وترديد القيان

وتجلى الوحي في الصوت الذي … في جنان الفن غنى للزمان

أيها «الرامي» على سهل الهوى … بنبال الشوق أشتات الأماني

هل تصيدت على صحرائها … كل غيداء من السرب حصان

أم لوى زندك عنها ما لوى   وثنى عزمك منها ما ثناني
وبلوت النأي مثلي والجوى   ضارباً في التيه مطلوق العنان
رُبَّ زهر عطرت أوراقه   راحتي أنكر كفي وبناني
يا خدين الشعر لي منك على   رفرف اللقيا مجال ومغاني
العشيات التي تمضي بنا   ليتها مرت بنا قبل أوان
ليتنا والعمر في رأد الضحى   قد تلاقينا مكاناً لمكان
طائران التقيا في أيكة   تحت أفياءٍ من الشكوى حواني
كلما شجو الحكايات سرى   شرق الزهر بأنداء الحنان
أحسب الهمسة من أسرارنا   لوعت بالأغصن الخضر اللدان
يا أخي ضنَّت صبوحي فاسقني   في غبوقي الخمر من صافي الدنان
من طلى شعرك حياه الندى   ورواه العتق من جزل المعاني
جئتك اليوم جليل المرتقى   دونك السبعون من شرخ الزمان
رفع الالهام منها حقباً   لم تزل رغم المدى في عنفوان
كشهاب النجم يطوي ليله   ثابت الخطوة حي اللمعان
قلّدوك الفضل يا صاحبه   هكذا الدولة .. مبني وباني ..
هكذا النور على أفق العُلى   كوكب يزهى ويزهى منه ثاني
نحن من صلب الحضارات التي   زاغ من خطف سناها النيران
نحن للتاريخ ما مد الصدى   ظله الضافي وردُ الخافقان
أنا إن أنشدت هذا عيدنا   في حمى الشعر ووحي المهرجان
لك مني أمنياتي حُفّلاً   بقطوف من جنى الخير دواني

الشاعر الكبير عبدالمنعم الرفاعي ٤/ ٤



وللشاعر الرفاعي وقد رأس الوزارة الأردنية في حياته مرتين صلات بكبار الزعماء العرب ومن قصيدة يُحيِّي فيها جلالة المغفور له الملك «فيصل بن عبدالعزيز» يقول الرفاعي بعنوان «فتى البيداء» :

طوى الجو محمولاً على جانح النسر ... صريع الهوى يهفو إلى البلد البكر

إلى منزل الوحي الذي شاع ذكره ... وباركه الرحمن بالخير والطهر

إلى النبأ الأعلى يرن بمسمعي ... عن العرب الأحرار بالوطن الحر

وكم شط بي دهري عن الأهل والحمى ... وملت مع الأشواق والحب والشعر

ركبت الفضاء الرحب أبغي على المدى ... لقاء كلمع السيف في حومة النصر

أقبل في مهدِ النبوة تربه ... وانشق من عبق الرسالة والعطر

وأخشع للتنزيل في غمرة التقى ... بوادي السنى بين الأصيلة والفجر

وألقي على وادي العتيق وأهله ... سلاماً كوقع الطل في مبسم الزهر

أأحبس نفسي عن هواها وكم روى ... حديث الهوى شعري وحدث عن أمري

فتى المُلك من عبد العزيز بن فيصل ... سلاماً كوقع الطل في مبسم الزهر

ألست الذي نادى على العُرب فانتشت ... روابي فلسطين الشهيدة في الأسر

أأذكرها. أخشى على الدمع بعدها ... يجف.. فلا أبكي عليها مدى العمر

أأذكرها. كم وقفة في ربوعها ... وقفت وكم نجم رصدت وكم بدر

شربت الهوى فيها حلالاً ولم أزل ... أرى الثغر يستاف الرحيف من الثغر

ألست الذي هزَّ الجهاد فلوحت ... على المسجد الأقصى ملائكة النصر

لنا في روابي القدس أهل وفتية ... يريدون وجه الله من خِلل الكِبر

تراموا على تلك الجبال كأنهم ... مشوا فوق هام المجد بالجحفل المجر

صقور الفلا ثاروا على الظلم وانتضوا ... على الغاشم الجبار قاصمة الظهر

سنحمل في ساح الجهاد جراحنا ... ونسقي ثرى أوطاننا بدمٍ حر

ويقول بعنوان «حيرة» :

بي حيرة الفكر إلى المنتهى ... وشكوة النازح طول الغياب

يحف بي الشوق فأزجي المُنى ... إلى المدى المجهول خلف السراب

أهيم لا أدري الهوى شأوة ... واترع الكأس وأسلو الشراب

كأنني الموج ثنى هوله ... مرتجع الريح ومد العباب

في خاطري مزدحم صاخب ... من الأماني الرقاق العذاب

يلفها الماضي بأكفانه ... وتسكب الأحلام فيها الشباب

وأقبلت والوجد في لحظها ... تسألني عن ذاويات الرغاب

قلت شريد في الهوى دربه ... في المهمه النائي وراء السحاب

تنكب العمر فأيامه ... على شفار الهجر حمر الخضاب

لا تسألي عني فهذا الأسى ... في مبسمي اللاهي طليق الجواب

كم زهرة قد أينعت في يدي ... ثم تلاشت في مهين التراب

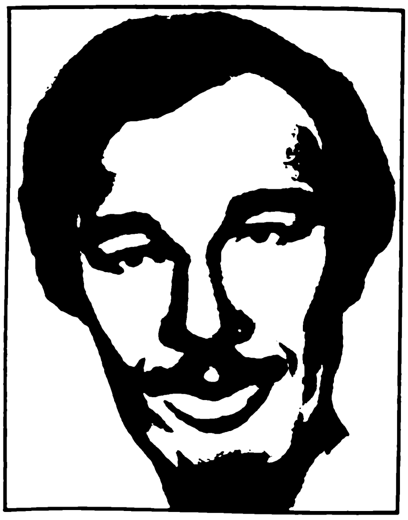
وكم أغانٍ وقعت لحنها ... حمائمي ردد عنها الغراب

أظل أطوي فدفدا، فدفدا ... لا أبلغ المورد والمستجاب

شوق إلى المجهول لا ينتهي ... ألمح منه المبتدا والمآب

واختياراتنا من أشعار صديقنا الرفاعي هي من ديوانه الرائع «المسافر».

الشـاعـر أمـل دنقـل ١ / ٢



أمل دنقل اسم لامع شديد الوهج واللمعان وقد تعرفت بهذا الشاعر الموهوب منذ سطوع عبقريته حيث كنت مرة في مكتب الصديق الشاعر الكبير صلاح عبدالصبور فعرفني به.

قال لي الأستاذ صلاح كنا نقول عن أمل دنقل إنه شاعر واعد .. وها هو ذا قد حقق الوعد وما يزيد. والحقيقة أن أمل يصدق فيه قول الشاعر :

تـألـق كـالـبرقـة الخـاطـفـة   وجـلـجـل كـالـرعـدة القـاصـفـة

وقد حدثني مراراً وبشيء من المرارة عن بعض الناشرين في لبنان وغيره الذين بخسوه حقه ويبخسونه في مكافأة حقوق النشر، ولكن الحاجة تدعوه إلى قبول هذا الركس منهم.

ورغم حياة البؤس المادي التي عاشها أمل فإنه كان أبيّ النفس يأبى أن يتقبل أية مساعدة من أي قريب أو صديق أو تنازل عن كرامته في سبيل تحسين حالته المادية، وتلك طبيعة القدس الشريفة التي تصبر على بؤس الحياة ولأوائها، ولا تقبل أي منة من أحد.

وأمل دنقل هو ثالث ثلاثة نهضوا في مصر بحركة الشعر الحر وهم صلاح

عبدالصبور، وأحمد عبدالمعطي حجازي، وحذقوا مناهجه وأصبح لهم موقف معروف معدود سواء في الشعر العمودي، أو الشعر التفعيلي.

ومواضع تواجد أمل كانت مقهى ريش، أو أتيليه القاهرة، أو دار الأدباء، وأمل معتز بنفسه إلى أقصى الحدود، شاعر بقيمته الأدبية متركزة في شعره.

ومن حُسن حظه أنه صادف في حياته صحفية أديبة مبدعة هي الآنسة «عبلة الرويني»، التي تعمل في جريدة الأخبار، وقد جاءت لتعمل معه حديثاً موسعاً فكان لقاؤها به بداية طيبة لكي تتفق مشاربهما ثم تكون - فيما بعد - شريكة حياته .. ثم بعد مرضه ووفاته مؤرخة فنه حيث ألفت عنه كتاباً قيماً أسمته «الجنوبي»، عرضت فيه لشخصيته المتمردة عرضاً شائقاً بلغ الغاية في الفهم والدقة ومن أراد أن يتفهم شخصية أمل فعليه أن يرجع إلى هذا الكتاب فزوجه هي خير من يعرفه.

وقد ولد أمل دنقل في ١٩٤٠/٦/٢٣م، أما وفاته فكانت بتاريخ ١٩٨٣/٥/٢١م، صريعاً للداء الخبيث «السرطان»، ولذلك فإن «أمل» يُعد واحداً من الشعراء الجيدين المخضرمين فكل ما عاشه هو ثلاثة وأربعون عاماً ليس غير ولذا فهو لم يمتع بالشباب، وحاله تشبه حالة الشعراء الشباب أبي القاسم الشابي، ومحمد عبدالمعطي الهمشري، وفؤاد بلبل، وعبدالباسط الصوفي، والدكتور عزيز فهمي، ويوسف بشير، وغيرهم.

ورغم عمره القصير فقد كان خصب العطاء، وقد ترك لنا سبعة دواوين من الشعر الرائع هي غير منشورة، تقتل القمر، البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، تعليق على ما حدث، العهد الآني، أقوال جيدة عن حرب البسوس، أوراق الفرقة رقم «٨».

ومن شعره بعنوان «استريحي» :

استريحي ليس للدور بقية
انتهت كل فصول المسرحية
فامسحي زيف المساحيق
ولا ترتدي تلك المسوح المريمية
واكشفي البسمة عما تحتها
من حنين وانتهاء وخطية

كنت يوماً فتنة قدستها

كنت يوماً ظمأ القلب وريَّة!

وبدون شك فإن هذا التقريع للصديقة أو الحبيبة هو من أقسى ما يوجه إلى امرأة ويحاول أن يكشف ما تخفيه من زيف وخداع لماذا لأن مسرحية هذا الخداع قد انتهت، والقصة قد وضحت فصولاً؟!

وقد كان أمل معجباً أشد الاعجاب بالشاعر الجهير محمود حسن اسماعيل وقد كتب عنه في ذكراه هذه القصيدة الرائعة .. يقول :

واحد من جنودك يا سيدي

قطعوا يوم مؤتة مني اليدين

فاحتضنت لواءك بالمرفقين

واحتسبت لوجهك مستشهدي

واحد من جنودك - يا أيها الشعر -

هل يصل الصوت؟

«والريح مشدودة بالمسامير»

هل يصل الصوت؟

أم يصل الموت؟

قل لي .. فإني أناديك ..

من زمن الشعراء - الأناشيد -

للشعراء - السجاجيد -

من زمن الشعراء - الصعاليك -

للشعراء - المماليك -

أرسم دائرة بالطباشير

لا أتجاوزها!

كيف لي؟

وأنا أتمزق ما بين رُخَّين

والقدمان معلقتان بفخين!

أعياني الكر والفر

واجتازني الخير والشر

ألف بيت وبيت

واحتوتك الكويت

فعرفت بموتك أين غدي؟

واحد من جنودك - يا أيها الشعر -

كل الأحبة يرتحلون

فترحل شيئاً فشيئاً من العين ألفة هذا الوطن!

وهذه القصيدة تدل على عمق اكبار الشاعر أمل للشاعر محمود حسن اسماعيل واعتزازه به!.

ومن أروع قصائد أمل وأطولها قصيدته «لا تصالح» والتي قالها على لسان فارس نزار كليب لأخيه المهلهل بن ربيعة وهو بدون شك كان يقصد بها الرئيس السادات، ناصحاً برفض الصلح مع اسرائيل .. يقول أمل :

لا تصالح .. ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقأ عينيك ثم أثبت جوهرتين مكانهما .. هل ترى ؟

هي أشياء لا تشترى !

لا تصالح على الدم حتى بدم

لا تصالح ولو قيل رأس برأس

أكل الرؤوس سواء؟

أقلب الغريب .. كقلب أخيك؟

أعيناه عينا أخيك؟

وهل تتساوى يد سيفها كان لك

بيد سيفها أثكلك؟

سيقولون ها نحن أبناء عم

قل لهم إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك؟

لا تصالح ولو حرمتك الرقاد

صرخات الندامة

وتذكر

إذا لان قلبك للنسوة اللابسات السواد ولأطفالهن الذين تخاصمهم الابتسامة

أن بنت أخيك اليمامة

زهرة تتسربل - في سنوات الصبا -

بثياب الحداد

لا تصالح ولو توجوك بتاج الامارة

كيف تخطو على جثة ابن أبيك؟

وكيف تصير المليك؟

على أوجه البهجة المستعارة؟

كيف تنظر في يد من صافحوك

فلا تبصر الدم في كل كف؟

إن سهماً أتاني من الخلف

سوف يجيئك من ألف خلف

فالدم - الآن - صار وساماً وشارة

إن عرشك سيف

وسيفك زيف

إذا لم تزن بذؤابته لحظات الشرف

واستطبت الشرف!

ومع هذا فقد حدث الصلح دون أن تتحقق الأهداف إلا أقلها!

ويقول من قصيدة عنوانها «البطاقة السوداء»:

وهي في رثاء صديقه الناقد العبقري «أنور المعداوي»:

رأيته يخترق المقاعد الملقاة .. والأضواء

ويفتح الصنبور

مشعث الشعر، يفج قلبه بالرعب واللهاث

تساقطت - قبل اغتاله - على الحوض النقي بقعة حمراء

لكنه في كبرياء

رجل في المرآة شعره الغزير

ثم دنا من جمع أصدقائي الصغير

مقلباً عينين ثعلبيتين في الوجوه صامتاً

وفجأة ألقى إلينا ورقة داكنة الحروف

ودون أن يلتفتا

مضى إلى الخارج

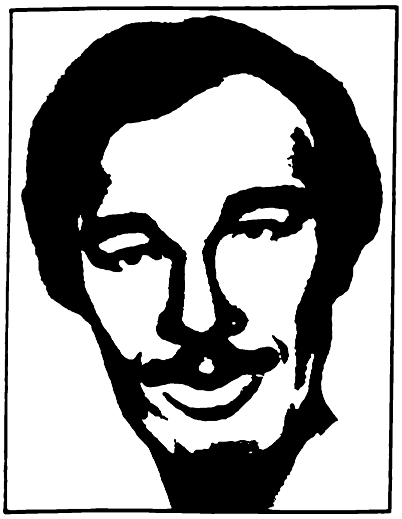
تاركاً على المنضدة الحيرى بطاقته

كانت بطاقة سوداء ..

ومات في المساء!!.

وهكذا يصور الحزن بلطف ووداعة ومن عرف الناقد أنور المعداوي يدرك عمق هذه الهمسة عند وداعه ومدى تصويرها لطبيعة المرثي وإدراكها لمشاعره.

الشـــاعـــر أمـــل دنقـــل ٢ / ٢



وقد كتب زميله الشاعر «حسن طلب» قصيدة في مجلة «الدوحة القطرية» عنوانها «زبرجدة إلى أمل دنقل» يقول :

«قلت : فناشدتك الله ما أعلمتني
فيم أمتزت على أقرانك؟
وبماذا بززت أترابك؟
قال : بحاجة مباحة
وديباجة مبيحة
قلت : فيا واحد الندى
رق لواحد القريحة..»

وقد كان «أمل دنقل» أميراً لدى أصدقائه وأبناء جيله ومن الراهن والسابق يمحضونه خالص ودَّهم ومنهم يحيى الطاهر عبدالله، وصافيناز كاظم، ونجيب سرور، ويوسف ادريس، ود. جابر عصفور، ود. عز الدين اسماعيل، وفاروق شوشة، ويوسف السباعي، وأحمد دحبور، ود. سهيل إدريس، وبدر توفيق، وحسن طلب، وحلمي سالم، وحسن توفيق، ومحمد مستجاب، وصلاح عبدالصبور، وأحمد عبدالمعطي حجازي.

هذا بالرغم من جرأته على تناول أوضاع بعضهم أحياناً بالقارص من القول إذا استدعى الأمر ذلك في رأيه.

وبعنوان «الكعكة الحجرية» قال أمل قطعة من أروع شعره :

«.. أيها الواقفون على حافة المذبحة
أشهروا الأسلحة
سقط الموت، وانفرط القلب كالمسبحة
والدم انساب فوق الوشاح
المنازل أضرحة
والزنازن أضرحة
والمدى أضرحة
فارفعوا الأسلحة
واتبعوني
أنا ندم الغد، والبارحة
رايتي عظمتان وجمجمة
وشعاري الصباح ..»

ويمكن أن نطلق على أمل دنقل «مالك بن الريب» الجديد الذي رثى نفسه وهو يموت. فقد نعى الشاعر نفسه، وصوَّر أوضاع مرضه الجائح في المستشفى الذي قضى فيه أخريات أيامه فقال في قصيدة بعنوان «ضد من؟» مطولة مجزأة:

في غرف العمليات
كان نقاب الأطباء أبيض
تاج الحكيمات أبيض
أردية الراهبات .. الملاءات
لون الأسرة، أربطة الشاش والقطن
قرص المنوِّم، أنبوبة المصل
كوب اللبن
كل هذا يشيع بقلبي الوهن
كل هذا البياض .. يذكرني بالكفن
بين لونين : استقبل الأصدقاء

الذين يرون سريري قبراً
وحياتي دهراً
وأرى العيون العميقة
لون الحقيقة!
وسلال من الورد
ألمحها اغفاءة وافاقة
وعلى كل باقة
اسم حاملها في بطاقة
تتحدث لي الزهرات الجميلة
أن أعينها اتسعت - دهشة -
لحظة القطف
لحظة القطف
لحظة إعدامها في الخميلة!

والمأساة أن أمل لم يمتع بزواجه إلا زمناً يقارب العام الواحد ثم دهمه الداء الوبيل «السرطان» الذي كلفه حياته الغالية فيما بعد.

وأخيراً فقد ولد «أمل دنقل» هذا الشاعر «الفذ الذي لم يمتع بشبابه والذي نخله المرض حتى لم يبق فيه بقية.

ولد في ١٩٤٠/٦/٢٣م، وتوفي بتاريخ ١٩٨٣/٥/٢١م، مأسوفاً على عبقريته مبكياً كل من عرفه.

وفي رثاء أمل قال أحمد عبدالمعطي حجازي وهو الشاعر الكبير الذي كانت له نفس أمل منزلة لا تكاد تضارعها منزلة :

«كان السرطان يأخذ من جسده الناحل فتزداد روحه تألقاً وجبروتاً حتى كان باستطاعة زواره وعائديه أن يروا صراعه مع الموت رأي العين .. صراعاً بين متكافئين الموت والشعر .. وفي اللحظة التي وقع فيها الجسد بكامله بين مخالب الوحش خرج أمل دنقل من الصراع منتصراً لقد أصبح صوتاً محصناً صوتاً عظيماً. سوف يتردد أصفى وأنقى من أي وقت مضى».

كما قال في رثاء أمل صديقه الشاعر الموهوب فاروق شوشة:

«نبتعد فيطوينا دوران اليوم

وننسى حتى يرجعنا التطواف إليك

ونقعي حولك

تتأملنا .. وتصنفنا

تقرأ فينا جيشان الدمع المجنون

تطالع فينا زلزلة السمت المهزوم

تمتد يداك، لتأخذ أنت بأيدينا

وتكفكفنا

نتهرك من عينيك

ولكن صمتك يفضحنا ..»

وجاء في كتاب «عبلة الرويني» «الجنوبي» أن الشاعر بدر توفيق كتب بعد وفاة أمل بأسبوع واحد في احدى الجرائد السعودية :

«.. إن أمل استطاع أن ينصب من نفسه عمدة على القاهرة يعرف كل صغيرة وكبيرة من أصول أهلها زواجهم وطلاقهم ومقاضياتهم وديونهم، ومكاسبهم وحلهم وترحالهم، وضعفهم وقوتهم وأحلامهم واحباطاتهم .. وذلك من خلال بث عيونه، الاستخبارية ليكشف نقاط الضعف في حصون الناس ثم يشن هجومه فتسقط القلاع المنيعة، وواسقط في ذلك حتى أصبح معروفاً بيننا جميعاً بأنه عدواني جارح، سليط اللسان فانفض عنه الأصدقاء الطيبون اشفاقاً على أنفسهم من مغبة صحبته ..».

ولست أدري ما هو الباعث الذي دعى هذا الزميل أن يقول في زميله هذا القول الذي لابد أن باعثه هو أن أمل كان ينكر الفعل القبيح الذي يرتكبه بعض الناس ولا يبالي أن يستنكره علناً وعلى رؤوس الأشهاد؟!

ومما كتب عنه الكاتب الكبير الدكتور يوسف إدريس :

«لن أطلب منكم الوقوف حداداً.

فنحن إذا وقفنا حداداً، سيكون الحداد على عصر طويل قادم، حداداً على العصر الذي سيمضي حتى يثبت فيه رجال لهم شيم الرجال، الذين كان يراهم

أمل دنقل .. وكرم الرجال الذين كان يحلم بهم أمل دنقل، وشرف ونبل وانسانية وشجاعة ورقة الرجال الذين استشهد أمل دنقل وهو يراهم .. هم البشر، ويحلم برؤيتهم ..».

وفيه يتحقق ما كتبه الشاعر الكبير علي محمود طه :

يا روض ناداك الصباح فلم تجب ... البلبل الغريد ويحك ما به؟

أين الأغاريد العذاب يثيرها ... في موكب من كأسه وربابه؟

ما كن غير صدى ربيع واحد ... واحسرتاه على ربيع شبابه!

الأديب الكبير يحيى حقي



«يحيى حقي» أحد عمالقة الأدباء والمفكرين، تابعت قراءته منذ زمن طويل ثم سعدت بمعرفته في نادي الأدباء بالقاهرة وثابرت - فيما بعد - على لقاءاته في بهو سميراميس القديم أكثر ما أمكنه وأمكنني من أمسيات عاطرة شائقة مليئة بروحة العذبة.

وقبل أن أعرفه شخصياً كان كتابه القصصي العتيد «قنديل أم هاشم» ملازما لي دائماً، وقد حفظت غيباً منه فصلاً من أجمل فصوله بعنوان «بيني وبينك» وهو فصل أقرب إلى الشعر منه إلى النثر، وحينما التقينا وسردت عليه هذا الفصل تهلل وجهه فرحاً، وسأورد فيما بعد جانباً منه.

والسمة الغالبة على هذا العملاق هي التواضع الجم على رفعة مكانته وعلو كعبه، وكونه أحد أفذاذ الصف الأول من أدباء العربية الخالدين.

وكان مولد هذا الأديب الكبير في عام ١٩٠٢م، كما كانت وفاته عام ١٩٩٢م، فهو يُعد أحد المعمّرين من رجالات الفكر.

ومن حسن الحظ أن هذا العملاق قد كتب فصلاً بعنوان سيرتي الذاتية في مايو ١٩٧٤م، وهذا الفصل كان مقدمة للطبعة الكاملة من مؤلفاته التي أصدرتها الهيئة العامة للكتاب.

وقد كتب عن يحيى حقي كثيرون ومنهم الكاتب الكبير «سيد قطب» في مجلة «الرسالة للزيات» كتب فصلاً مميزاً، وقد نشره فيما بعد في كتابه النقدي العتيد «كتب وشخصيات» كما ورد في كتاب «دراسات ومقالات في الأدب العربي للدكتور محمد بن ناصر الدخيل ص «٩» اشارة إلى أن «الأستاذ فؤاد دوارة تمكن من أن يخرج ليحيى حقي من بطون الصحف سبعة وعشرين كتاباً تولت الهيئة المصرية العامة للكتاب اخراجها ونشرها، وبذلك تجاوزت كتبه ثلاثين كتاباً».

ومن الفصل أو الأقصوصة التي حفظتها من كتابه «قنديل أم هاشم» أورد ما يلي:

بيني وبينك ..

«كم من مرة قطعت فيه هذا الطريق معك، ذراعك في ذراعي، فما شعرت أطويل طريقنا أم قصير، أفي يومنا المسير أم في غدٍ لم يأت بعد، أم هو في ماض من العمر قد ولى وفات.

كأن الطريق هو الذي يقبل إليّ، يأخذ بيدي، ويريني اتصاله بالأفق، بالسماء، بالأفلاك .. على جانبيه دور هادئة المأوى كصدور الحاضنات، ويمر بنا أناس كل منهم شعاع من نور الله.

أما الآن، بعد اختفائك، فهذا الطريق بعينه أقطعه وحدي فلا ينتهي، المسير سخرة والأفق قيد، والسماء غطاء، والنجوم ترمق الأرض شزراً .. الدور سجون، والناس أطياف ذاهلة لا تدري ما القدر، وإن شكت كفرت.

ما رأيت عاملاً في ترام أو في متجر أو في مقهى إلا سلّم عليك سلام الترحيب والاعزاز، فالحياة المتدفقة من روحك تمسح عن النفوس جميعها صدأ الألم والحزن، وتنفض عن الوجوه رماد البؤس والشقاء.

وأنت، لا تستقر نظرتك على وجه واحد ولا تتريث .. تهبين وما تقدرين أي مال تنثرين. أفأنت عمياء كأمك الغريزة وأبيك الحظ؟

السينما مزدحمة وأنت لا تعبئين بأحد. المشهد مؤثر، والناس يبكون، وأنت ضاحكة :

- أأبكي من خيال؟

يا أختاه! لا بكيت أيضاً، ما عشتِ، من حقيقة .. ومن يدري، لعلك قد انصرفت عني يوم اختفائك عابثة تقولين :

- أأبكي من خيال؟»

ويحيى حقي من الكبار الذين يستحقون نيل جائزة نوبل في الأدب بجدارة.

ومما كتبه يحيى حقي في سيرته الذاتية ما يلي :

«مطلوب مني أن أكتب هنا سيرتي الذاتية، التحدث عن النفس!

ياله من لذة ساحرة، تواضعها زائف

يا له من ملل فظيع، يستحب معه الانتحار.

أغلب أحاديثنا - بعد كلمتين ليس غير - تتحول من الموضوع - أياً كان - إلى الذات، الشكوى أو الافتخار، ولكني أحس أنهما ينبعان من نزعة واحدة متكتمة : استجداء تبرير الوجود.

وأنت معذور حين تقرأ هذه السيرة بعد قليل إذا حكمت - ولا أقول ظننت - أنني لكي أكتبها قد تزينت وجلست أمام مرآة أتغزل، «كم أود أن يكون بين الاختبارات النفسية دراسة مجاوبة الشخص لصورته في المرآة: العجب، عدم التصديق. الافتتان، النفور» - ولكن ثق - وهذا عشمي فيك إن كنت لا تعرفني - أن شيئاً من هذا لم يحدث. أنقذتني حيلة بسيطة، التجأت إلى مقص قطع لي فقرات من أحاديث عديدة ظهرت لي في الصحف والمجلات «يملأون فراغها على قفانا بالمجان!» ولصقت بعضها إلى بعض، مضيفاً هنا، منقحاً هناك..

ومع ذلك فصورتي في هذه المرآة هي جلسة أمام فوتوغرافي محترف، يسلط عليّ أضواء أعشي لها، وأعوج رقبتي لكي تعتدل في نظره، وابتسم بلا سبب، صورتي في الأحاديث مأخوذة خطفاً - أحياناً وأنا في مباذلي، فهي أصدق. وهكذا أبرأت ذمتي منك وزيادة.

ولكن هذه السيرة ستقيس عمري بالسنين والأيام، وما هو بالقليل .. ططا لا قياس عندي لعمري إلا بهذه اللحظات القليلة النادرة التي نبض فيها عرق في روحي مهتزاً بجذل قدسي عند التقائي بالفن، متلقياً ومعبراً. قمة هذا الجذل عند التقائي

بالشعر والموسيقى - على قدم المساواة - ثم النحت، ثم التصوير، ثم العمارة. لست أدري أين أضع بينها لقائي برشاقة الانسان في فن الباليه.

يعلو كل هذا جذل اللقاء بفن أعظم وأجل: فن الطبيعة وجمالها، لو أفضت فيه لاحتجت أن أكتب مجلداً ضخماً .. لحظات قليلة نادرة، ولكني عرفت بفضلها طعم السعادة وحمدت ربي عليها حمداً طويلاً لا ينقطع ..

ولا ولوج إلى ساحة السعادة - في اعتقادي - إلا من أحد أبواب ثلاثة : الايمان والفن والحب، لا شيء يشع بها مثل هذا الخشوع الذي أراه في المعابد. وإذا كان الحب هو أكثرها التصاقاً بالصلصال والحمأ المسنون، وبالزمان والمكان والصدف، فإنه شرط ارتفاع الإنسان عن مرتبة الحيوان، وكان الايمان أكثرها طموحاً لأنه يطلب الله لا الناس، الخلود في الآخرة لا العبور في الدنيا، فسيبقى الفن وسطاً جامعاً للطرفين، يا لها من منزلة!

وقد عرفت مقامي منذ وعيت لهذا العرق الذي ينبض في روحي، لست من الملهمين، ولا لي صاحب في وادي عبقر. الالهام نور ساطع كاشف لجميع آفاق الروح والعالم، يهبط على من يختاره دون سبب ظاهر، فيتلقاه بغير سعي منه إليه. ما أبعد الفرق بين هذا النور وبين أزيز الشرارة الخاطفة التي أحس بها وهي تتقد أحياناً فجأة ثم تنطفئ لتوها. إنها لا تنير لي إلا درباً ضيقاً وسط غابة كثيفة، يؤدي إلى كنز صغير لا يفرح له الأثرياء .. حتم عليَّ أن أشرئب لكي اصطادها «وضعت هذا في قطعة بعنوان «الشاعر بصير» ستجدها في أحد مجلدات هذه الطبعة» - تنطفئ هذه الشرارة وتتركني لكي أشقى غاية الشقاء .. حتى يتفصد العرق من جبيني من أجل أن أصل إلى هذا الكنز الذي رأيته - بل قل حدسته - من بعيد، كأنني أنحت في صخر. وحتم عليّ أن أزيل عن العمل كل آثار العرق، ليظن الناس أنها ولادة سهلة.

انني ممن يدخلون معبد الفن من أشد أبوابه ضيقاً وعسراً، وليست هذه الشرارة بزوارة، لهذا كنت من المقلين، أسمعهم يعيبون هذا عليّ، كأنهم يطلبون مني أن أكون من المدلسين .. يكفيني الصدق.

ومع هذا فإن عمري القصير في الفن - أنه مجموع لحظات خاطفة عابرة - قد

جاوز نصف قرن، وأحمد الله على ذلك، لأن هذا الطول أتاح لي أن أشهد في نفسي تحولاً عجيباً، ولولاه لما شهدته.

كانت الذات تندلق على الموضوع في مطلع هذا العمر. هذا الاندلاق سهل، وله فرحة، واسترضاء للأنانية. وكنت أشعر بشيء من الضيق دون أن أعرف سببه على وجه اليقين .. سببه انني كنت خاضعاً لبداية لابد منها، انها مرحلة ستمر، ولكن متى وكيف .. انها حموة الموسى!».

وبدأ التحول شيئاً فشيئاً حتى تم أواخر عمري، أصبحت الآن أحس إحساس واضحاً قوياً انني لست إلا بوقاً، لا قيمة له في ذاته، ولكن قيمته أن إرادة لا ندري سرها قد اختارته لكي تهمس منه - على تقطع - سليقة اللغة والتراث مختلطة بأشجان الانسان منذ أعز أجدادي - ساكن الكهوف - حتى اليوم أشجان الانسان - أولاً - في علاقة روحه بربه، نسيانه لها - كما قال هو في كتابه - أشد عذاب ت توجه له وتئن بالكون أين وكيف ينسلك في نظامه، يدخل خانته بالقدر: بين الثورة عليه والرضاء به.

ينعكس هذا كله على المجتمع المتقلب ليستطيع أن ينطق بلسان إنسان ويجد من يفهمه، فليس من المفارقات قولي : «إن الفن للفن هو المدخل الوحيد للفن من أجل الحياة».

ورغم أن هذا البوق قد عزلني فقد استطعت أن أعوض لذة البوح بلذة المراقبة، كأنني شاهد واقف على جنب، يطل على شيء عجيب يحدث أمامه، ويحاول فهم سره، ثم لا ينقضي عجبه منه، الفن بهذا المعنى هو النغمة لا الوتر، الزهرة لا البستاني، النشوة لا قينة ألحان.

ولو بقيت وحدي لزهقت روحي، أو جفت وذرتها الرياح لابد للنحلة من خلية .. وجدت الصحبة والراحة والاطمئنان، كما وجدت المدرسة التي استكمل فيها تعليمي حين قدمت ما رضيت عنه من أوراقي إلى ناد عجيب. انه وقف على من لمسهم الفن بعصاه السحرية، أياً كان عصره أو لغته أو دينه أو جنسه أو لونه، والرجال والنساء سواسية هم داخله أحياء، بينهم تواصل الأخوة وتراسل لا ينقطع، فسمح لي أن أنضم إليه عضواً منتسباً.

عرفت أنني - حتى قبل انضمامي اليه - كنت أكتب لهم هم الذين يطلون عليّ من وراء كتفي وأن أكتب، أصبح رضاؤهم هو مطلبي الوحيد لا تخلو ورقة لي من أثر خاف لبصماتهم أو من اشارة مستترة إلى أعمالهم فلغة أهل هذا النادي صريحة وشفرة في آن واحد، ولا تجد حريتها إلا في استعبادهم لها.

وأول مادة في قانون هذا النادي هو توفير الكلمة سواء كانت من حروف أو أنغام أو حجر أو لون.

لا طرد من هذا النادي لجريمة سوى جريمة العبث بكرامة هذه الكلمة فماذا يبقى لهم؟ ليس لهم جزاء سواها».

وهذا جزء يسير من حياة هذا الكاتب الكبير.

الشاعر عزيز أباظة ١ / ٣



الشاعر الكبير عزيز أباظة أحد رموز النهضة الشعرية العربية المصرية وأحد الشعراء الذين يفخر بهم الشعر والذين يعدون من أفذاذ الأعلام.

وهو من مدرسة أمير الشعراء أحمد شوقي وقد تحققت على يديه مدرسة شعرية مسرحية وفاق تعداد مسرحياته سائر شعراء المسرحية الشعرية العربية قاطبة.

وقد ظهر نبوغه الشعري متأخراً فلم يشتهر إلا بعد أن برز ديوانه «أنّات حائرة» فكان له من الصدى ما لفت الأنظار جميعاً إلى هذا الشاعر الجهير .. الذي بهر الحضور بقريضه الفحل.

ثم تلا هذا الديوان دواوينه الأخرى ومسرحياته التي مُثِّلت على أرقى المسارح ونالت الكثير من إعجاب الجماهير وحظيت بالتقدير من أقلام الكتاب والنقاد .. ولاشك أن الشعر المسرحي من أصعب ألوان الكتابة المسرحية.

وشاعرنا مثل عالٍ في النبل والتواضع ودماثة الأخلاق ومحبة الناس.

وقد بدأت معرفتي الشخصية بعزيز أباظة حين جمعتنا الظروف الحسنة في المهرجان الشعري العتيد في إحياء ذكرى الشاعر المحلق «بشارة الخوري» الأخطل الصغير في بيروت سنة ١٩٦٩م، مع جمهرة من شعراء العربية الأفذاذ من سائر الأقطار، وكان هو يمثل مصر وكنت أمثل المملكة العربية السعودية، ومطلع قصيدته :

قف في ربى الخلد واهتف في مقاصره بشاعر ملأ الدنيا .. كشاعره!

وناهيك بمن مثَّل الأقطار العربية الأخرى كعمر أبي ريشة ممثلاً سورية، وكمال ناصر ممثلاً فلسطين، ومحمد الفيتوري ممثلاً السودان، ولميعة عباس عمارة ممثلاً العراق، وسعيد عقل ممثلاً لبنان وأحمد السقاف ممثلاً الكويت.

وقد عقد حفل الشعراء في قاعة اليونسكو الكبرى في «بيروت» وحضره جمهرة كبيرة من شعراء ومثقفي لبنان والبلاد العربية.

وكان أداء جمهرة شعراء المهرجان عظيماً ورائعاً، وقد توافد معجبات يحيون الشعراء وكان هو أكثرهم سروراً بهذه الوفادة.

وقد لازمت شاعرنا عزيز أباظة منذ ذلك الحين والتقينا كثيراً في مصر لاسيما وأن لي صلة صداقة بصهره وابن أخيه الأديب الكبير والقاص الموهوب «ثروت أباظة» وزوجته الفضلى ابنة الشاعر مؤلفة كتاب «أبي عزيز أباظة» «عفاف عزيز أباظة» وكنت جاراً لهم في العمارة التي يسكنونها في الشارع الذي سُمي باسمه «شارع عزيز أباظة». والذي تقع فيه حالياً دار «مجمع اللغة العربية».

وعزيز أباظة أحد أعمدة الشعر العمودي لا يؤثر عليه سواه ولا يخرج عن نطاق مدارسه، أما ملكته المطواعة في الأداء والعطاء الشعري فحدِّث عنها ولا حرج، وقد اختار أن تكون قصيدته في تحية «بشارة الخوري» من بحر البسيط وقافيتها مماثلة لقافية الخوري التي كانت رثاء لأمير الشعراء أحمد شوقي.

وقد ولد الشاعر عزيز أباظة في الربعماية مركز منيا القمح بمحافظة الشرقية سنة ١٨٩٩م، ولتعليمه الجامعي التحق بمدرسة الحقوق، وتخرج منها عام ١٩٢٣م، وأسرته معدودة في ذروة الأسر المصرية العريقة.

وتقلب في عديد من الوظائف المتوسطة، ثم انتقل إلى وظائف كبرى فكان محافظاً وحاكماً عسكرياً لمنطقة القناة سنة ١٩٤١م، ثم مديراً للبحيرة ثم أسيوط وفي سنة ١٩٤٧م، اختير عضواً بمجلس الشيوخ ثم عمل بعد ذلك في الميدان الاقتصادي.

وقد منحته الدولة الجائزة التقديرية سنة ١٩٦٥م، وجاء في تقرير لجنة الجائزة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية :

«الأستاذ عزيز أباظة يمتاز في انتاجه الأدبي بما وفق اليه من الخلق الفني فإلى

جانب ما انتجه من الشعر الغنائي الرفيع، وفي طليعته «أنات حائرة»، الذي يضم نخبة من القصائد الرائعة أوحت بها مناسبة فاجعة وكان لصدوره في نفوس القراء وعند الشعراء والنقاد صدى بعيد فإنه يُعد قمة في فن المسرحية الشعرية التي هي خلق جديد في حياتنا الأدبية».

ومن شعره متغزلاً في قصيدته عنوانها : «من جانب السين» :

يا جارة النيل في عليا زمالكه　　أغفت مملأة بالنوم عيناك
في جانب السين ذو سهد إذا احتدمت　　به الشجون تصلاها وناداك
ناداك أسوان عين الليل ما وقعت　　منه وإن عاودت الأعلى باكي
باك تشرب في منهل أدمعه　　نفس تبك نجواها وتهواك
يا نشوة الروح تسري في شفائفه　　كالبرء يمسح جرح الموجع الشاكي
يا نور عيني، وما عيني بناظرة　　مهما تقلب بين الناس إلاك
هل من سبيل إلى حالٍ أراح به　　حالي الخمائل من أفناء فعناك
نعمت فيه بما في الخلد من متع　　والخلد مجلاه في لألاء مجلاك!

وقد تغنى بشعره مطرب الأجيال الأستاذ محمد عبدالوهاب بقصيدته التي مطلعها :

يا منية النفس ما نفسي بناجية　　وقد عصفت بها نأياً وهجرانا

وأبدع في شدوها أيما إبداع.

وقد تمتع الشاعر بصداقات عليا ومنها صداقته للشاعر الكبير الأمير «عبدالله الفيصل» في السعودية.

والشاعر عزيز أباظة هو أحد من رثوا زوجاتهم بلوعة وتفجع من الشعراء ومنهم في القديم جرير بن عطية الخطفي بأبياته التي مطلعها :

لولا الحياء لها جني استعبار　　ولزرعت قبرك والحبيب يزار

وهي الأبيات التي لم يجدوا خيراً منها في نعي زوجة الفرزدق حينما توفيت ومن هؤلاء الشعراء في الحديث الشاعر الدكتور أحمد زكي أبو شادي، والشاعر عبدالرحمن صدقي، الذي اختص حليلته في رثائها بديوان كامل هو الآخر عنوانه «من وحي المرأة» .. والذي يقول في مطلع احدى قصائده :

كان لي في أخريات العمر بيت فقدمته ... سنوات أربع أم كان ذا حلماً حلمته

ويختمها بقوله :

كلما أذكره أن كان لي بيت عدمته!

وسأؤجل البحث عن هذا الديوان إلى حين الكتابة عن هذا الشاعر الكبير الصديق الذي يعد واحداً من العمالقة الكبار وتبوأ مركز «مدير الأوبرا المصرية» فأيسر بها أيما إيسار ونهضت في عهده خير نهوض.

ومن شعره محيياً «تونس الخضراء» :

كرمت عليك العزة القعساء ... وتأشبت يا تونس الخضراء

ماضيك مؤتلق السنا صفحاته ... غرر وحاضر عهدك العلياء

حتى طوتك حضارة عربية ... مخضلة، وشريعة غراء

وهفا إليك المؤمنون فكان ما ... قد شئت بعد الفتح لا ما شاؤوا

أسلمت راضية فلم يدفعك لا ... إيمان، إكراه ولا إغراء

الشاعر عزيز أباظة ٢ / ٣



وقد كان شاعرنا عزيز عضواً عاملاً بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وعضواً مراسلاً بالمجمع العلمي العراقي واختير عضواً بمجمع اللغة العربية بمصر عام ١٩٥٩م.

وفي حفل استقباله في هذا المجمع قال عنه الأستاذ عباس محمود العقاد :

«إن اللغوي العالم عزيز أباظة لقي الرحب والسعة من مجمع اللغة العربية ورشحته أعماله الفصاح ولم يرشحه له صاحب الأعمال كأنما شاء أن يصدقني اليوم كما صدقني قبل عشرين سنة إذ كنت أقول ما أعيده الآن. إنه اهتم بالقدرة، ولم يهتم بالتقدير، فلم يعرف الراصدون هذا الكوكب إلا وهو في برجه الأسمى قد جاوز جانبي الأفق وأصعد في سمت السماء».

وقد كان حضوره في المجمع مؤثراً وقد أبَّن شعراً من أعضائه كثيرين منهم الأساتذة : أحمد لطفي السيد، عباس محمود العقاد، محمد رضا الشبيبي، محمد علي النجار، علي عبدالرازق، محمد توفيق دياب، مصطفى الشهابي، مصطفى نظيف، أحمد حسن الزيات، محمد مصطفى القللي، عبدالرزاق السنهوري، عبدالسلام عارف، خليل مطران، جمال عبدالناصر، إقبال الفاضل بن عاشور، هدية بركات.

وقد قال عنه الأستاذ الدكتور محمد مهدي علام : «محمد عزيز أباظة مدرسة الشعر العربي الأصيل، حافظ على عمود الشعر ليس بمقالاته ومحاضراته فحسب بل كذلك بأعماله الفنية المتعددة سواء في الشعر الغنائي أو الشعر المسرحي وكانت له دراية واسعة باللغة العربية».

وله كلمات رائعات في استقبال كثير من الأعضاء الذين أُلحقوا بمجمع اللغة العربية.

على أن هذا الشاعر العملاق بالرغم من شهرته العريضة فرض مكانته الشعرية الكبيرة فإنه كان شديد الرغبة لأن تغني له السيدة «أم كلثوم» إحدى قصائده.

وقد حرص على استزارتها في كل المحافظات المصرية التي كان محافظاً بها، وقد حياها بعديد من القصائد ولَمَّح في بعضها أو صرح برغبته هذه الكامنة في نفسه .. وبالغ في التواضع لها أمام رغبته في تحقيق هذا الأمل.

ومما قاله شاعرنا لأم كلثوم ممهداً له بهذه المقدمة في قصيدة عنوانها «كيف أدعوك» :

«اعتدت أن أهدي اليك شيئاً من الشعر وأنا غريب الدار تقولين إنني أفعل ذلك توفيراً للهدية وأقول إنني أفعله توقيراً للمُهدى لها فهل تضعين فيه لحناً لقد خلدت الخالدين فتنزلي إلى المغمورين؟ - عزيز أباظة».

كيف أدعوك لا أقول منى النفس ونعماءها فإنك نفسي؟
وأنا أنت إن روحك في روحي تغني وإن حسك .. حِسي
ما جلونا إلا تساءلت هل همسك هذا القدسي أم هو همسي
لف أعراقنا الهوى وطرانا .. خامناً سعار جنس لجنس
حسبي النظرة الشهية تلقى لمع النور في غياهب يأسي!
أتراءاك بين أجنحة الفجر
إذا رفرفت تزف اللجينا
قبلا من مجاجة النور تنهل
فتشفي جوانحاً قد ظمينا
أنت حسن جم الأفانين ما شعشع
لوناً إلا ليبدع لونا
قلت للفجر حين لفت به الشمس

وشفت أسداله فانطوينا

ايه يا فجر في غلائك البيض

حبيبي فامضي الهوينا الهوينا!

ويقول من قصيدة أخرى عنوانها «عتاب» :

أأضوى ولي من ظلك الكنب الرحب ... وأظمى ولي من ثغرك المنهل العذب

أحبك ألواناً من الحب لم تزل ... تجدد لا يهدي لظاها ولا يخبو

ولي فيك اجهاش الليالي ومدمع ... إذا كف غرب منه أعقبه غرب

وجنة مشتاق إذا شطت النوى ... وأنات محروم إذا جمّع القرب

أبتك تحت الفجر والكون جاهد ... تسابيح نفس ملء أحنائها عتب

إذا كان حب الناس سهدً ولوعة ... وأفئدة تهفو لأفئدة تصبر

فليس الذي ألقاه فيك من الضنى ... ومن حرق ثغري الضلوع هو الحب

قصاراك مني والدنى في مدارها ... تقلب حتى ما يقر لها جنب

لئن لم أكن حباً لنفسك إنني ... لأعتد نعمي العمر انك لي جب!

وقد غنت له «أم كلثوم» القصيدة التي عنوانها «مولد السد العالي» والتي حيًّا بها «السد» والتي يقول فيها :

كان حلماً فخاطراً فاحتمالا ... ثم أضحى حقيقة لا خيالا

عمل من روائع الفن جئنا ... بعلم ولم نجئه ارتجالا

إنه السد فارقبوا مولد السد ... وباهوا بيومه الأجيالا

يفتح الرزق وهو سدٌ فينا ... جنوباً في أرضنا وشمالا

ويشيع الحياة تنبض نبتاً ... يعمر الجدب نوره والرمالا

واذا هبت الشعوب إلى الغايات ... شقت لنيلهن الجبالا!

وبذلك فقد تحققت بغناء «أم كلثوم» العزيزة رغبة ملحة له كان يؤثر - فيما يبدو - أن تكون من شعره العاطفي.

الشاعر عزيز أباظة ٣ / ٣



ولقد نال الشاعر عزيز أباظة من ألوان التكريم ما تنوء به مجلدات ضخام، وتحدث عن شعره شيخ الناشرين أحمد حسن الزيات والكاتب الفحل عباس محمود العقاد وجمهرة كبيرة من الشعراء وأهداه ملك مصر فاروق رتبة الباشوية .

ومما قال فيه العقاد في حفل لتكريمه بحصوله على رتبة «الباشوية» :

نابغ النظم والنظام ود لو جاور التمام
رام في حلبتيهما قصباً كان لا يرام
أيها الأوحد الهمام جئت بالمعجز الجسام
والعظامية التي فيك لم تخل من عصام
ولك الخلق والخلائق في حسنها توأم

ومما قاله فيه أحمد حسن الزيات :

«.. شعر عزيز الذي سمعناه أو قرأناه شعر عالي الطبقة جرى فيه على سنن الفحول من صياغة القريض فنضّد اللفظ وجوّد المعنى وراض القافية وهي صفات لا تكتسب إلا بسعة الاطلاع، وطول المعاناة وقوة الملكة ..».

ومما حياه به الشاعر أحمد عبدالمجيد الغزالي :

طلعت بأفق العبقرية صاعداً ... فأدركت مجديها طريفاً وتالدا
تطوف مشبوب الخواطر هائماً ... تصور أوهام القلوب عقائدا
وتهتف بالنجوى وتهمس بالمنى ... وتستلهم الطيف الحبيب المعاودا
وتسبح في الأفق المنغم شادياً ... على قمة في الأفق عزَّت مقاصدا
ومن حولك الأضواء منهل شاعر ... يوافيك بالألحان نشوى شواردا
فترسم أفراح الحياة بريشة ... كان بها وحياً من الغيب رائدا
يراوحها سارٍ من الشوق عارم ... تحدَّر من قلب يفيض مواردا
تكنفه الكون الكبير فها له ... بقلبك أكوان تروع مشاهدا

وممن كتب عنه عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، والدكتور أحمد زكي، ومحمد شوقي أمين، وأحمد محرم، وخليل شيبوب.

وممن حيَّا ديوانه «أنَّات حائرة» وشكره على اهدائه هؤلاء الأعلام : إسماعيل صدقي، أحمد لطفي السيد، مصطفى عبدالرازق، محمد حسين هيكل، هدى هانم شعراوي، عباس محمود العقاد، أحمد حسن الزيات، عبدالحميد بدوي، منصور فهمي، محمد العشماوي، محمد صلاح الدين، إبراهيم فرج، طه السباعي، ميخائيل نعيمة، محمود تيمور، خليل مردم، علي محمود طه، أمين نخلة، أحمد أمين، مصطفى الشهابي، دسوقي أباظة، وهيب دوس، أمين الخولي، محمد فريد أبوحديد، أحمد شاكر، عبدالرحمن الرافعي، حسن القاياتي، أسماء فهمي، فكري أباظة، بنت الشاطئ، شوقي ضيف، محمد مندور، أحمد الشايب، أحمد فريد رفاعي، زكي عبدالقادر، محمد الأسمر، محمود غنيم، محمد خلف الله، نظلة الحكيم، محمد حسن الزيات، دريني خشبة، محمود عماد، محمد عبدالغني حسن، عبدالعزيز عتيق، إبراهيم عبدالقادر المازني، وداد سكاكيني، إلى عشرات وعشرات غير هؤلاء.

ولولا ضيق المجال لأوردنا نماذج من تحاياهم لشاعرنا الفذ، وكأنه باهدائه كل هؤلاء ديوانه «أنَّات حائرة» يستفتيهم في صدق شاعريته وقد صدقوه القول في أنه شاعر حقيقي مجيد.

وقد توفي هذا الشاعر الكبير «عزيز أباظة» في ١٠ يوليو ١٩٧٣م، مأسوفاً عليه حيث ترك فراغاً في الساحة الشعرية من العسير ملؤه لاسيما في مجال الشعر العربي المسرحي.

ورثاه جمهرة من الشعراء الأعلام منهم صالح جودت، وعبدالمنعم الرفاعي، وسعيد عقل، وعبدالكريم الكرسي، والدكتور محيي الدين صابر، ومحمد التهامي، ومبارك المغربي.

ومما قاله صالح جودت» :

ما عزائي فيك يا خير عزاء ... منذ أن غاب أمير الشعراء
لم تزل تسعى إلى سدته ... بعد أن عزَّ عليها الأولياء
فتسنمت إليها دائباً ... صيب الالهام، موهوب العطاء
وتصوغ المسرحيات التي ... لبس المسرح منها الخيلاء
إنما الشعر المصفى دولة ... لم يزل فيها السراة الكبراء
إنما يمكث في الأرض الذي ... ينفع الناس ولا يبقى الهباء
يا أبي، بل يا أخي بل يا أنا ... أنا من مات فللشعر البقاء!

وللشاعر عزيز أباظة المسرحيات العشر التالية :

«قيس ولبنى، الناصر، غروب الأندلس، أوراق الخريف، قيصر، التباة، شجرة الدر، شهريار، قافلة النور، زهرة».

والحقيقة أن كل مسرحيات عزيز كانت رفيعة المستوى تشف عن دقة وبراعة وعن لغة شعرية رائعة، وقد قدَّم لكل واحدة منها كاتب شهير يتمتع بالنظرة الشمولية والفكر الواعي والنقد المتزن ما عدا واحدة منها هي «شهريار» اختص الشاعر نفسه بتقديمها وقد اعتمد الشاعر على مجموعة من المصادر سواءً باللغة العربية

أو الأجنبية لكن مسرحية العباسة شابها الكثير من الخيال حيث أن مجموعة كبيرة من المؤرخين تشك في صدق حوادثها وتنفي عنها الواقعية.

وله خمسة دواوين هي :

«أنَّات حائرة، من الشرق والغرب، تسابيح قلب، في موكب الحياة، في موكب الخالدين».

وكل هذه الدواوين تحوي روائع الشعر العمودي الذي يخلب بسحر الصياغة، وجمال الأسلوب، وعبقرية الأداء وصفاء الديباجة.

الشيخ محمد متولي الشعراوي ١ - ٣



شرفت بمعرفتي بالداعية الكبير العلامة العملاق الشيخ محمد متولي الشعراوي حينما كان يعطر أجواءنا في بلادنا المقدسة زمناً مباركاً ليس بالقصير.

ثم اجتمعت به كثيراً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وأخذت من مجالسه العليا في حلقاته المشعة بالنور والتي يفيض فيها من تحليل وتفسير الكثير من آي الذكر الحكيم.

ولفضيلة الشيخ في بلادنا العشرات بل المئات من المحبين والمريدين والتلامذة.

ولذلك فقد كانت وفاته كارثة عظمى على عشاق حلمه وفضله ومآثره النادرة.

وقد رثيته متألماً بقصيدة نبعت من القلب سأوردها في نهاية البحث.

وفيما يلي نبذة من تجليات الشيخ وتفسيراته القيّمة.

القرآن الكريم منذ اللحظة التي نزل فيها .. نزل مقروناً بسم الله سبحانه وتعالى - ولذلك حينما نتلوه فإننا نبدأ نفس البداية التي أرادها الله تبارك وتعالى - وهي أن تكون البداية بسم الله. وأول الكلمات التي نطق بها الوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم كانت «اقرأ باسم ربك الذي خلق». وهكذا كانت بداية نزول القرآن الكريم ليمارس مهمته في الكون .. هي بسم الله. ونحن الآن حينما نقرأ نبدأ نفس البداية.

ولقد كان محمد عليه الصلاة والسلام في غار حراء حينما جاءه جبريل وكان أول لقاء بين الملك الذي يحمل الوحي بالقرآن .. وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الحق تبارك وتعالى : «اقرأ».

واقرأ تتطلب أن يكون الانسان .. إما حافظاً لشيء يحفظه، أو أمامه شيء مكتوب ليقرأه .. ولكن رسول الله صلى الله وسلم ما كان حافظاً لشيء يقرؤه .. وما كان أمامه كتاب ليقرأ منه .. وحتى لو كان أمامه كتاب فهو أميّ لا يقرأ ولا يكتب.

وعندما قال جبريل : «اقرأ» .. قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما أنا بقارئ .. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام منطقياً مع قدراته. وتردد القول ثلاث مرات .. جبريل عليه السلام بوحي من الله سبحانه وتعالى يقول للرسول : «اقرأ» ورسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ما أنا بقارئ .. ولقد أخذ خصوم الاسلام هذه النقطة .. وقالوا كيف يقول الله لرسوله اقرأ ويرد الرسول ما أنا بقارئ ..

نقول : إن الله تبارك وتعالى .. كان يتحدث بقدراته التي تقول للشيء كن فيكون، بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحدث ببشريته التي تقول إنه لا يستطيع أن يقرأ كلمة واحدة، ولكن قدرة الله هي التي ستأخذ هذا النبي الذي لا يقرأ ولا يكتب لتجعله مُعلماً. للبشرية كلها إلى يوم القيامة .. لأن كل البشر يُعلِّمهم بشر .. ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم سيُعلِّمه الله سبحانه وتعالى. ليكون مُعلِّماً لأكبر علماء البشر .. يأخذون عنه العلم والمعرفة. لذلك جاء الجواب من الله سبحانه وتعالى : «اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق(٢)» (سورة العلق).

أي أن الله سبحانه وتعالى. الذي خلقك من عدم. سيجعلك تقرأ على الناس ما يعجز علماء الدنيا وحضار ات الدنيا على أن يأتوا بمثله .. وسيكون ما تقرأه وأنت النبي الأمّي إعجازاً .. ليس لهؤلاء الذين سيسمعونه منك فقط لحظة نزوله. ولكن للدنيا كلها وليس في الوقت الذي ينزل فيه فقط، ولكن حتى قيام الساعة، ولذلك قال جل جلاله: «اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤)».

ومـن أقـواله :

موضوع الإنسان مُسيرٌ أم مُخيرٌ، مُجبر أم مختار؟ يثير في الذهن ابتداء سؤالاً هو : كيف تنشأ المشكلة؟ إذا قلت مثلاً أنا و الله لا أستطيع أن أحكم على فلان أهو

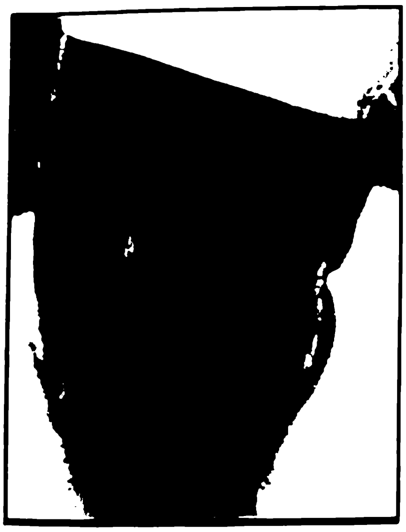
كريم أم بخيل؟ لا تنشأ هذه المشكلة في الحكم إلا إذا رأيت له بعض التصرفات كان فيها كريماً وبعض التصرفات الأخرى كان فيها بخيلاً، فترددت في المسألة، أو كريم أم بخيل؟ لو أن كل التصرفات التي أخذتها عليه كرم، ما نشأ شق السؤال: أم هو بخيل؟ ولو كانت كل التصرفات بخلاً ما نشأ أم هو كريم. على هذا النمط، السؤال .. الإنسان مُسيرٌ أم مُخيرٌ؟، لو كان في ظاهر الحياة .. أن الإنسان يرى نفسه مجبراً في كل أعماله، لما نشأت فكرة : أهو مُخيرٌ، ولو أنه مُخيرٌ في كل أعماله لما نشأت فكرة : أهو مُسيرٌ ؟ إذاً فالإنسان يجد أفعالاً كثيرة تحدث فيه بدون اختيار منه، فيرى أنه ما دام لم يوجد له اختيار فهو مُسيرٌ فيه، وأشياء كثيرة تقع على حسب ما قدر واختار، يريد أن يلبس بدلة لونها كذا، يريد أن يأكل طعاماً شكله كذا، يريد أن يتعلم في مدرسة كذا، يريد أن يعمل كذا، فتقع الأمور كما يقرر أو قريباً مما يقرر، إذاً فهنالك أمور للاختيار دخل فيها، وأمور ليس للاختيار دخل فيها ومن هنا نشأت المشكلة.

ومن تفسيرات فضيلة الشيخ الشعراوي :

فقد رأى عليه الصلاة والسلام رجلاً يسأل الناس الصدقة، هذا الرجل له «حق» في بيت مال المسلمين كان حرياً به أن يأخذه - بل له في الفكر الاسلامي أن يقاتل من أجله وإذا قُتل فهو شهيد - وكان يمكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدق عليه، قد كان أجود الناس، وحتى لو لم يكن مع رسول الله ما يتصدق به - على سبيل الافتراض - فقد كان أيسر اليسر أن يدعو من حوله إلى التصدق على الرجل. ولكن هل هذا يحل المشكلة؟ بديهي أن تُحل، ولكن حل مؤقت «سيجعله دائماً محتاجاً إليك»، كما يقول المثل الصيني المعروف. وإذن فلابد من حل آخر. وهذا الحل الآخر في المثل الصيني، هو أن نُعلِّم الرجل كيف يصطاد السمك : وإذا كان الحل الصيني قد انتهى عند هذا الحد، حد التعليم النظري للصيد فمن الواضح أنه لم يحل المشكلة بالصورة التي تصورها أديبنا الكبير. لأننا لو افترضنا أن الرجل تعلَّم كيفية صيد السمك، فلن يزال في «حاجة إليك» فمن أين له أدوات الصيد؟ ومن أين له المال الذي يشتري به أدوات الصيد وهي هنا أدوات الانتاج؟ وواضح أن الحل الصيني حل لا بأس به من الوجهة النظرية ولكنه يُبقي على المشكة قائمة.

وهنا نعود إلى النبي الأمي عليه الصلاة والسلام ونرى كيف حل مشكلة الرجل، لقد سأله الرسول عليه الصلاة والسلام: هل عندك شيء؟. هل تملك شيئاً؟. إذن هو ينظر إلى المشكلة لا من مظهرها الخارجي المتمثل في التسول والسؤال، وإنما يبحث عن جذورها. فقال الرجل: عندي حلس «أي شيء من أمتعة البيت»، فقال له : أحضرها، فلما أحضرها بين يدي الرسول قال عليه الصلاة والسلام لمن حوله : من يشتري هذا؟ فقال أحدهم : أشتريها بخمس، فقال الرسول : من يزيد؟ فزاد آخر فقال الرسول : من يزيد؟ فزاد آخر فبيعت بخمسة عشر درهماً. وإذا بالرسول يأمره أن يقسمها قسمين، ودعاه أن يشتري بأحدهما طعاماً لأهله، وأن يذهب فيشتري بالقسم الآخر قدوماً، أي فأساً - أي أداة إنتاج - وقال له إذهب واعمل ولا أرينك إلا بعد سبعة «أيام»، ففعل الرجل .. وعرف الطريق إلى الكسب.

الشيخ محمد متولي الشعراوي ٢ - ٣



ومن تفسيرات فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي :

الحق سبحانه وتعالى حينما قال «إنا هديناه السبيل» فسَّر السبيل. «إما شاكراً وإما كفوراً»، والسبيل هو الطريق الذي يسلكه، إما شاكراً لأنعم الله وإما كفوراً بأنعم الله. فهو صالح للعمليتين. وكما يقول : «وهديناه النجدين» أي جعلناه صالحاً لهذه وصالحاً لهذه، فما الذي يرجح؟ فما دام فيه صلاحية لهذه وصلاحية لهذه، ما الذي يرجح منهج الله من إلزام نفسي به؟ لو كنت مخلوقاً لطريق واحد كنت أقول .. لا .. أنا لا أستطيع أن أذهب إلى الطريق الآخر، ولكنه هو مهدى السبيل، والمنتظر أمران، إما أن يكون شاكراً وإما أن يكون كفوراً، إذاً فهو مخلوق صالح لأن يكون شاكراً ومخلوق صالح لأن يكون كفوراً وليس مخلوقاً على حالة تناقض الحالة الثانية .. لا .. على الاثنتين. فما الذي يرجح اختياره بين البديلات؟ لاشك أنه العقل .. إذ أن هذه من مهمته، «وهديناه النجدين»، ثم يقول : «والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها، والسماء وما بناها، والأرض وما طحاها، ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها».. إذاً النفس صالحة لأن تكون فاجرة وصالحة، لأن تكون تقية، هذه مخلوقيتها لله، بعد ذلك «قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها»

.. إذاً فما دام الأمر للاثنتين، وأنت صالح أن تتجه لواحدة منهما، فكونك تميل إلى هذه الجهة أو لا تميل إلى هذه الجهة، فهذا هو محل الحساب ومحل المؤاخذة.

وفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي شاعر مجيد ومن أدلة ذلك ما يلي نورد فيما يلي القصيدة العصماء المحمدية التالية رغم إطالته فيها مع مقدمتها ومناسبتها :

في حفل تخريج دفعة جديدة من طلبة (مدرسة تحضير البعثات) في مكة المكرمة، آخر سنة ١٣٧٥هـ، كان فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي (يرحمه الله) ألقى هذه القصيدة، التي استلهم معانيها من مكان المناسبة، ومن بهجة الموقف، فهؤلاء طلاب يتخرجون مسلحين بالعلم الشرعي والعصري النافع، وسيبتعثون لاستكمال دراساتهم العالية، فيذهبون سفراء صالحين لبلادهم، ويعودون رجالاً يحملون لمجتمعهم مشعل الخير والسعادة.

وكانت (مدرسة تحضير البعثات) في مكة المكرمة - قد تأسست سنة ١٣٥٥هـ بأمر جلالة الملك عبدالعزيز (يرحمه الله) وكان من مهامها : إعداد جيل سعودي جديد قادر على متابعة دراسته العليا في الخارج، في كل التخصصات النظرية والتطبيقية، التي تحتاج إليها البلاد، في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ المملكة، وكان فضيلة الشيخ الشعراوي (يرحمه الله) في تلك الأثناء - منتدباً، من قِبل جامعة الزهر، للتدريس في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في مكة المكرمة، وهو الانتداب الأول له، لأنه انتدب مرة أخرى للتدريس في جامعة الملك عبدالعزيز، في أوائل التسعينات الهجرية.

وقد نُشرت هذه القصيدة بكاملها، بعد إلقاء فضيلته إياها، لما ناله من الاستحسان والاستعادة، في جريدة (المدينة المنورة) على صدر صفحتها الأولى (العدد ٦١٩ الذي صدر في ٨ من جمادي الآخرة من سنة ١٣٧٥هـ):

أحمدي السماح والايثار   لك إرث يا طيبة الأنوار

وجمال الجلال فيك عريق   لا حُرمنا ما فيه من أسرار

تجتلي عندك البصائر معنًى   فوق طوق العيون والأبصار

ومن الحُسن ما يضيق به الحسُّ (م)　　وعن فاقد الهوى متواري

قد حضنت الهدى حنوناً فألقى　　فيكِ إشعاعه عصا التسيار

واحتفا بقعة لجفوة أخرى　　ما تعدُّ الأقدار للأقدار

ليس ينسى الزمان نُصرتك الحق (م)　　بعزم محمديّ النّجار

هتف الحق حين هاجر حزما　　أحن يا ليل في ضميرك ساري

لم يُنهنهه عن رسالته البطش (م)　　فباع الأوطان بالأوطار

وتخطى الرقاب والعين يقظى　　وتحدى ترصُّد الأنظار

حضنت ركبه العناية فانساب　　منيع الجناب كالاعصار

والذي حاطه الإله بعين　　كان في غُنيةٍ عن الأستار

قل لطلابه طلبتم عزيزاً　　يتهادى في قبضة الجبار

مكر الله إذا مكرتم فآبت　　بلظى الخزي ندوة الفُجار

هل رأيتم فتى الفداء «عليّا»　　كيف يحتل قِبلة الأخطار

ويرى الموت قد أطل عليه　　كاشر الناب جائع الأظفار

كيف يلهو عنه ويسخر هُزءاً　　من مشيب قبل اسوداد العِذار

كيف يرتاع والنبوة غَذّته (م)　　حديد المهنَّد البتار

يا وفاء الصدّيق في رحلة الحق (م)　　سلام عليك يا خير جار

كنت درعاً أقامه ومسيرا　　ونصيراً يرجى لدى الاعسار

عَلِمَ الله ما انطويت عليه　　فجزاه إمامة الأبرار

وكفاه على الجزاء دليلاً　　ثاني اثنين إذ هما في الغار

نعم الغارُ: مرحباً بالهدى المحض (م)　　بلحن التكبير والاكبار

مرحباً بالحياة أرسلها الله (م)　　لدنيا تورطت في العثار

مرحباًبالسلاموالأمنوالرحمة (م) والـعـدل والـهـدى والـوفـار

مرحباً بالبشير لو عقل الناس هـداه أغـنـى عـن الإنـذار

مرحباً بالمجير من غضب الله (م) وإن جـاء في إهـاب المجار

كم حسدنا (حراء) حين نرى الرُّوح أمـيـنـاً يـغـذوك بـالأنـوار

(فـحـراء) و(ثـور) صـارا سـواء بـهـمـا شـفـع دولـة الأحـجـار

عـبـدوهـا ونـحـن أعـبـد لله (م) مـن الـقـائـمـين في الأسـحـار

اتـخـذوا صـمـتـنـا عـلـيـنـا دلـيـلاً فـغـدونـا لـهـم وقـود الـنـار

كم تجنَّوا جهلاً كما قد تجنَّوه (م) عـلـى ابـن مـريـم والحـواري

الشيخ محمد متولي الشعراوي ٣ - ٣



وفيما يلي تكملة قصيدة فضيلة الشيخ محمد متولي شعراوي.

وقد حرصت على إيرادها كاملة لأنها نموذج فريد تستحق القراءة والتأمل وفيما لي هذه التكملة التي تدل على ملكة شعرية سخية وعسى أن يقوم أحد الباحثين بتتبع ما نُشر من شعر فضيلة الشيخ وإيراد ما قد يكون مجوداً منه لدى قرابته.

للمغالي جزاءه والمغالي ... فيه تنجيه رحمة الغفار

نعم الغار بالنبي طروباً ... ومن الصخر رقة الأوتار

أنزلا منزلاً كريماً على الله (م) ... منيعاً على أذى الكفار

فعلى مدخل أقيمت خيوط ... تتحدى عزائم الجرار

هي أوهى البيوت لكن سقتها ... عزة الصلب قوة القهار

أنا عين وأنتما النور منها ... وهو فيها كالهدب بالأشفار

لا تراعي «أسماء» هيا إليّا ... وأعيني على سماحة قاري

واخطري كاليقين يهزأ بالشك (م) ... حياء من الدجى في خمار

خاتم الرسل لا أطيق وداعا ... وعن المجتلى بعز اصطباري

أنا آثرتها عليَّ كفاء وجزاء الإيثار بالايثار
أطرق الغار خاشعاً وسُرى الهادي حياة تدب بين القفار
فمشى الخير حيث يمشي وولى كل عدم وطاح كل افتقار
وأتى أم معبدٍ فتسامت وهي من فكرة القرى في دوار
ويحها ويحها، وويح كريم حين تؤذيه صدمة الاعسار
قدَّمت شاتها بضرع بخيل فإذا مسه فكا لمدرار
وإذا الله كان عون نبي فازجر العقل عن حدود اقتدار
أحرقت قلبها المدينة شوقاً عبقرياً لطلعة المختار
أسرعي ناق فوق رحلك نور ترتجيه مواكب الأنصار
رحمة للحبيب يرجو حبيباً فيرى الدهر في أقل انتظار
حشدت حشدها فلما تجلى كبر الحشد من جلال الوقار
مرحباً مرحبا بأكرم داع وعلى الرحب يا جليل المنار
أنت بُشرى عيسى ودعوة إبراهيم جاءت سليلة الأطهار
أنت يا عزة الوجود خيار من خيار مجمع من خيار
قد وهبنا دماءنا فاتقدنا في سبيل الله جذوة نار
جلجل الحق قوة وحجاجاً واضحاً أمره وضوح النهار
قد دهى الشرق ما دهاه وخرَّت جبهة الغي في سحيق القرار
والأُلى ضيق القضاء عليهم هم ضحايا العناد والاصرار
أذكروهم وقد تسلل كل بعدما انفض مجلس السمار
اختلاساً يسعى لحجرة طه لسماع التنزيل في الأسحار
عذرهم حسنهم فلما تراءوا عللوه ببادر الأعذار

غني الـدّيـن عنهـم بـرجـال ... صـادقـي الـعـزم قـوم أحـرار
وكـفـى الـدّيـن عــزة ومـثـالا ... عـمـر الـعـادل الـطـهـور الإزار
دعوة المصطفى تشق عن الدين (م) ... حـجـاب الـكـتـمـان والإضـمـار
مـثـل الـنـصـرة الـسـليـمـة يـأبـى ... وفـقـهـا الـوحـي آمـراً بـالمشار
(وبـلال) و(الله أكـبـر) يـشـدو ... فـيـدوّي في مـسـمـع الأقـطـار
يـا جـمـال الـوفـاء مـن خبّاب ... في جـلال الـفـداء مـن عـمـار
ورعـى الله لابـن عفّان نوريه (م) ... فـكـم كـان أريـحـيّ الـيـسـار
بـاع دنـيـا الحـيـاة أكـرم بيع ... كـان فيه لـلـدّيـن أكـيـس شـاري
ذكّـريـنـا يـا دار هـجـرة طه ... بـالمجـيـد المـسـطـور لـلأخـبـار
واملئي الـنـاس عـزة وطـمـوحـا ... وأريـنـا روائـع الاثـار
إنمـا تـلـك عـبـرة وتـأسـي ... صـيروهـا ضـربـاً مـن الأخـبـار
أيـقظي الشرق من سُبات عميق ... واحـمـلـيـه إلى مـدار الـدار
فـيـه مـن محكم الـكـتـاب مـلاذ ... فاقدحي يا رؤوس فالزند واري
عـلـيـه الجـهـاد حـزمـا وعـزمـا ... لجنى ا لنحل من أذى المشتار
عـلـيـه أن الحـيـاة صـراع ... مـن سها فيه زل في ا لمضمار
عـلـيـه أن الـقـوي ظـلـوم ... كـم يـهـادي كـبـارهـم بـالـصـغـار
فـقـوي عـلـى الـضـلال مقيم ... وقـطـيـع مـن الـضـعـاف يـجـاري
أرجـعـيـه لله يـرجـع إلـيـه ... كـل سـلـطـانـه رفـيـه المـنـار
اطـمـئـنـي يـا دار هـجـرة طه ... مـا وتـوفـى تحـيـة الأشـعـار
فـالـتـحـايـا إلـيـك وثـبـة روح ... تـنـفـخ الـعـزم في حـمـاة الـذمـار
ولـنـا مـن تـراث سـاكـنـهـا الـنـور (م) ... مـعـين ثـرٌ بـغـيـر قـرار

ولنا في خليفة الله في الأرض … (مليك) ضمان كل انتصار
فلقد حكم الكتاب وأحيا … سنة المصطفى بكل الديار
وبهذا ولا سواه يرجى … عود سلطاننا على الكفار
كل دنيا تبنى على غير دين … فبناء على شفير هاري

ولإعزازي واعتزازي بفضيلة هذا الداعية الفذ فقد رثيته بالقصيدة التالية التي نُشرت في جريدة الأهرام :

العملاق الذي رحل

طبت حياً ، وميتاً، يا إمام … وعلى عهدك النضير سلام
يا مناراً من الضياء فريداً … و«ابن عباس» عصرنا المقدام
يا حليف القرآن كم فسرته … رؤية منك ملؤها الالهام
قد جلوت الاعجاز فيه فذقنا … لذة الروح ليس فيها انفصام
أنت سيجته ضياء ونورا … بحديث اشعاعه لا يرام
قد أزلت الشكوم فانبلج الصبح … فما ثم لشكوك مقام
كم سرى منك في المساجد نفح … أين منه الأشذاء والأنسام
إيه واحسرتاه يرتحل الأقوى … ليبقى الضعاف والأقزام
ووفاة الكبار تنتقص الكون … ويشجى بها الكرام الكرام
وإذا أما ذكرت (شعراوي) المجد … توارى المنافقون واللئام
وتراءت معالم العلم منه … وسرى في النفوس طرا وئام
كان عملاق دهره كان قطبا … عبقرياً يسمو به الاسلام
كم أتاح الهدى لضلال قوم … وتوارت بنصحه الآثام
كان إشراقه يطل علينا … حلقات يزينهن الزحام

قد تولى فاليأس يبتدر القلب ... ويغشى ا لنفوس حزن عقام

لتكاد الذرى تخر رماداً ... وتميد الآثار، والأهرام

ويكاد الزلزال يسري رهيباً ... ويذيب الأرواح جمعاً ضرام

هكذا مصرع العظيم أليم ... يستثير الجوي فتحنى الهام

علم الفكر لا يعوض دهراً ... هو من قد شدا به ا لأعلام

كيف وهو البشير في غسق الخطب ... ومن للجراح منه التئام

يعجز الغير أن يطول مراقيه ... وتعيا في ساحة الأفهام

ضجت (الجمعة) الحزينة تشكو ... غيبة لا يعيدها الآلام

غيبة مالها ارتجاع يرجى ... خلفها بعدها جوى وأوام

أين بالله صوته وصداه ... أين ولى رب الحجى الضرغام

الكريم النبيل ذو الموقع الأسمى ... ومن عز في حماه الذمام

يرسل الدر والبلاسم فوه ... فتطيب الجراح والأسقام

فعزاء مدى العروبة طرا ... ودعاء ما هل ثم غمام

ومنى أن تكون يا فارس الحق ... ببشرى قد صاغها العلام

يا أليف الكتاب لا كان يوم ... غالنا في رحيلك الأظلام

عش على المقام في كنف الله ... فآثارك الحسان وسام

سوف تحظى بالخلد ما شاء ربي ... في جوار الاله يشفى السقام

وقد كان ميلاد شيخنا الشعراوي بتاريخ ١٩١١/٤/١٥م ووفاته بتاريخ ١٩٩٨/٦/١٧م رحمه الله وغفر له.

عبـــاس محـــمود العقـــاد



عباس محمود العقاد أحد المُثل العليا من الأدباء وأحد الكبار الذين لا يتكررون ومكتبات القاهرة الكبيرة كانت - هي - مجال تعرفي بهذا العملاق العبقري.

وقد لا أكون بداية متعاطفاً مع العقاد فقد كنت أميل إلى صنوه وزميله الأستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي الذي حبّبته إليّ بعض مؤلفاته الرائعة وتلميذه الكاتب الموهوب الأستاذ محمد سعيد العريان.

وكان هناك مكتبة معروفة هي المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد الواقعة في مدخل شارع محمد علي بالعتبة الخضراء. وكان كثيراً ما يجلس فيها الأستاذ العقاد، وقد مررت مرة بهذه المكتبة مع الأستاذ الكبير الصديق الجليل محمد حسن فقي ولقينا هناك الأستاذ العقاد فبدأت تعارفنا به وقد سر بهذا اللقاء وسررنا به بدورنا كثيراً ورجونا أن يتجدد هذا اللقاء في ظروف ملائمة.

أما اللقاءات التي تكررت لي بالأستاذ الكبير فكانت في معظمها بـ (مكتبة الأنجلو المصرية) التي يتواجد فيها العقاد معظم أيام الأسبوع، وهناك كانت استفادتي من معرفته وتشرفي بتناول الأحاديث معه ومناقشته في بعض ما يعن لي .

وكان يحضر بعض هذه اللقاءات الطبيب الأديب المعروف الدكتور حسني الطاهر

الذي كنت أعتبره سعودياً لمحبته السعودية وقضائه حقبة طويلة من عمره في خدمة هذا البلد الأمين والذي كان محاوراً جيداً للعقاد يلذ له حواره!.

وقد كنت متشبعاً بفكرة أن شاعرية العقاد تميل إلى الجفاف والفكر التربوي مما هو أبعد عن الشعور ولا تتوهج فيها العاطفة، وكثيراً ما أتهمه خصومه بتشبع شعره بـ (النثرية).

ولكنني حينما التقيت واستشففت روحه المليئة بالرقة والعاطفة والعذوبة أدمنت قراءة شعره ورأيت فيه من الصور الشعورية الرائعة ما يملأ القلب والروح باالعجاب وما يعمره الفكر بالتأمل .. تطيرَّت نظرتي إلى شعر هذا الشاعر المجيد!

وهناك باعث آخر لإعجابي المتأخر بشعره هو قراءتي لقصته (سارة) والتي امتلأت تضاعيفها بالروح الغزلية الرفيعة وكان الصديق الأديب الكبير محمد حسين زيدان يقول عن العقاد وتوفيق الحكيم إن أدبهما يشبه (الجنيه الذهب) له إشعاع ورنين وقيمة.

وعلى صداقتي العميقة بتلميذ العقاد الرائد الكبير الأستاذ سيد قطب حيث لم يجر حديث بيننا ذو أثر بيّن عن العقاد ليكون هو حافز تغيير نظرتي لشعر العقاد.

أما عن الشعر الحر فكان رأي العقاد فيه سلبياً تماماً وكان يطلق عليه صفة النثر وقد أحال مرة قصيدة للشاعر الموهوب صلاح عبدالصبور وهو المسؤول عن تقييم الشعر في المجلس الأعلى للفنون والآداب .. أحالها إلى لجنة النثر.

ورغم أن مدرسة الديوان (المدرسة التي أحدثها العقاد والمازني) كانت تنفر مما دعوه شعر المناسبات فإنه بعد حين كان للعقاد رأي مستقل ذلك أن العقاد كان يقول إن الشاعر إذا استشعر الاعجاب بشخصية ما وكانت هذه الشخصية تستحق التقدير والاكبار فإن جنوحه إلى الثناء على هذه الشخصية وإبراز الاعجاب بها يسلكه في رحاب أحد المجددين .. أجل قال العقاد هذا وكتبه في خطراته.

وهذا المثل ينطبق على اعجاب العقاد بشخصية الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود الذي جمعته ظروف اللقاء به حينما كان العقاد ضمن البعثة المصرية التي جاءت لمرافقة واصطحاب جلالته إبان زيارته لمصر مدعواً لهذه الزيارة الملكية من الملك فاروق ملك مصر آنذاك كما التقى العقاد في مناسبتها ببعض كبار أدباء

وشعراء المملكة كالأساتذة محمد حسن عواد، وحسين سرحان، وأحمد عبدالغفور عطار وغيرهم

وفي الطريق البحري من المملكة إلى مصر العزيزة جادت قريحة الشاعر الكبير (العقاد) بقصيدة رائعة في تحية عاهل الجزيرة الملك عبدالعزيز آل سعود أنشدها بين يدي جلالته فطرب لها الملك وجميع من حضر انشادها، وقد شفّت عن روح شاعرة وقّادة وعن إحساس متوهج بمكانة هذا العاهل في نفس الشاعر الصديق والقصيدة هي :

أسد العرين بخوض غيل الماء ... يا بحر راضك قاهر الصحراء
حياه باديها وحاضرها معاً ... فاغنم تحية يومه الوضاء
يوم من البشرى يردد ذكره ... ركب السفين وجيرة البيداء
عش يا طويل العمر عيش معمر ... تحيا به أمم من الأحياء
ما خص طالعك الرياض بيمنه ... بل فاض من عمم على الأرجاء
حق المواطن حين يذكر عهده ... في الحمد والتبريك حق سواء
لا غرو نذكره ونهتف باسمه ... في هذه الآفاق والأجواء
ان الذي غمر المليك بفضله ... ساق البحار إليه في البشراء
لم يقترن بالبحر عيد جلوسه ... إلا لعمر زاخر ورخاء
واذا به عبدالعزيز بطلعة ... كالبدر بين كواكب الأمراء
وأرى السماء تأملت مرآتها ... في الماء فانطبعت على الخضراء
أرض النبوة حين تم فخارها ... خلعت عوارفها على الدأماء!
ملك أناف على عقول بعزمة ... وأتم ذاك بما يراه الرائي
جمع المهابة في العيون وفي النهى ... وسما بمجد أبوة واباء
يرعاه بارئه ويحرس ركبه ... في كل أرض تحت كل سماء
الشرق والاسلام قد سعدا بمن ... يعلو بالهما إلى الجوزاء
في ظل «فاروق» وظل صديقه ... عبدالعزيز يتم كل رجاء

وقد ألّف العقاد فيما بعد كتاباً عن لقائه بالعاهل الكبير أسماه (ذكرياتي مع عاهل الجزيرة العربية) جمع فيه ما كتبه عن هذا العاهل عبر ظروف لقاءه في المملكة وفي رحلته البحرية معه إلي القاهرة في مجلتي الرسالة والمصور وغيرهما وقد نفدت طبعتان من هذا الكتاب الطريف في زمن وجيز.

كتب العقاد في جمهرة الصحف والمجلات السياسية والثقافية وكان بارع التحليل فيما يكتب عميق العبارة باهر الثقافة لا يمكن إلا أن يخرج القارئ بفائدة محسوسة من خلال ما يقرأ للعقاد!.

وقد كان العقاد محباً - أعمق الحب - لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وكتابه الذي عنوانه (الحسين أبو الشهداء) خير دليل على ذلك.

كما كان الأستاذ العقاد خصب العطاء الفكري فقد ألف بوعي وعمق في كل نواحي المعرفة الثقافية وكانت مكتبته العامرة تحفل بالآلاف العديدة من ذخائر الفكر جمعها على مدى عمره المديد.

وكانت للعقاد ندوة أسبوعية مشهورة يحضرها ويحاوره فيها جمهرة من المثقفين والأدباء كباراً وصغاراً ولا يعيا فيها هذا الأديب الموسوعي بالرد على أي سؤال أو يعجز عن الجواب السديد المقنع.

وعلى علو فكر وأسلوب العقاد في الكتابة الأدبية والفكرية فقد احترف الكتابة السياسية فكان قلمه الناري سوط عذاب علي خصوم حزب الوفد السياسيين وكان الزعيم (سعد زغلول) قد أطلق على العقاد (الكاتب الجبار) .

وإذا كان العقاد أحد رموز الكتابة السياسية لصالح حزب الوفد إلا أنه انقلب عليه بحكم الأوضاع السياسية في عهده.

وقد استهدف العقاد للسجن السياسي لقولة قالها في البرلمان: إننا مستعدون لسحق أكبر رأس في البلد يحاول أن يعبث بالدستور .. وقد أدى ذلك إلى دخول هذا العملاق السجن حيث ألف كتابه «بين السدود والقيود» وقضى فيه تسعة شهور ويصدق في سجن العقاد واضرابه قول الجواهري :

والسجن لو علمت من الثاوي به   لتساقطت ببنانه الأحجار!

ومن الكتب الانتقادية له الهامة كتابه الذي عنوانه (هتلر في الميزان) وهذا الكتاب اضطره إلى الذهاب إلي السودان حينما اقترب الخطر الألماني إبان الحرب العالمية الثانية من مصر حيث كان القائد الألماني الشهير (رومل) معسكراً في العلمين ومحتملاً اجتياحه لقوات الحلفاء ودخوله الأراضي المصرية.

وفي المذاهب السياسية كان العقاد يكره الشيوعية وينعي على الشيوعيين مذهبهم وإذا كره إنساناً اتهمه بالشيوعية ووصمه بها كما ألف كتابين في نقد الشيوعية.

ولقد كان العقاد شفاف العاطفة وقد عصفت به كثيراً حيوات الحب التي حييها وعاشها فقد أحب حسناء أرمنية سجل حكايتها في قصته (سارة) وسبق حب هذا العبقري الكبير حبه للشاعرة والأديبة اللبنانية المعروفة (مي زيادة) والتي كان لها صالون أدبي رفيع المستوى كان رواده كبار الأدباء والشعراء وبعض السياسيين المعروفين وكلهم قد أوهم نفسه أنه فارس أحلام صاحبة هذا الصالون العتيد والتي امتازت بذوق عالٍ رهيف، وجمال طاغ باهر، ومع اعجاب العقاد الكبير بمي إلا أنه كان يتهمها بأنها أكثر ميلاً لذوي المال والجاه والنفوذ وان يكن التاريخ الأدبي قد ذكر أن ميلها العاطفي الوحيد كان لشاعر معروف هو (ولي الدين يكن).

ثم كان حبه الأخير لفتاة مصرية باهرة الحسن صغيرة السن كان يطلق عليها (الفاتنة السمراء) وقد فتنت بشخصيته كثيراً مما فُتن هو بها فتنة بالغة وعاش فترة طويلة متمتعاً بما يغدقه عليه جمالها الآسر، وروعتها الطاغية وعاطفتها الفياضة ثم فاجأته يوماً بنبأ قاس عليه هو أنه عُرض عليها أن تعمل بالسينما فنصحها متشدداً بمقاومة هذا الميل وهددها بأنها إذا لم تصغ لرأيه فإنه سيكون في ذلك انفصام العلاقة بينهما انفصاماً أبدياً ورغم حرصها على ارضائه إلا أنها لم تستطع مقاومة إغراء عملها في السينما ولم يستطيع هو بدوره أن يتنازل عن شرط استدامته لهذا الحب فانتهت العلاقة بينهما مخلّفة آلاماً عميقة لقلب هذا العملاق الكبير.

أما السمراء الفاتنة فقد نجحت فيما استمرت بسبيله من العمل السينمائي وأصابت الكثير من الشهرة في هذا المجال وقصته معها معروفة للكثيرين وهذه السيدة مازالت حتى الآن نجمة مشهورة متألقة رغم شيخوختها ورغم عوادي الزمن التي لا تقاوم.

أما النبأ الذي حملته لهذا العملاق وآلمه فينطبق عليه قول الشاعر (حافظ إبراهيم) :

كنت أهوى في زماني غادة   وهب الحسن لها ما وهبا
حملت لي ذات يوم نبأ   لا رعاك الله يا ذلك النبأ

وهو من قصيدة عنوانها (فتاة اليابان) ومطلعها :

لا تلم كفي إذا السيف نبا   صح مني العزم والدهر أبى

ومن الصفات الخلقية للعقاد أنه كان سامق القامة بهي الطلعة أبيض اللون بادي الشموخ في غير كبرياء موطأ الأكتاف لمن يستحق.

وكان يتعالى على ذوي السلطة وقد تواجد في السجن - الذي يحل به - مرة وزير العدل المصري وهو ابن رئيس الوزراء اسماعيل صدقي باشا حيث حيّا الوزير العقاد وحاول جهده أن يتباسط معه فلم يرد العقاد تحيته وأهمل مجاملته .. وقد سر هذا الفعل منه من عرف هذا الموقف المتعالي.

وقد عاش العقاد عيش الكفاف فكل ما كان يأتيه من رزق فإن مصدره كان حصاد قلمه ونتاج كتبه.

وكان مولد العقاد في ٢٨ يونيو ١٨٨٩ كما كانت وفاته في ١٣ مارس ١٩٦٤.

فيما يلي نماذج من شعر العقاد وقد أسرفت في إيراد هذه النماذج رجية المساهمة في إعادة الحق إلى نصابه مما سلبنا من هذا الشاعر من حقه في الاعتراف بشاعريته الخصبة :

عند التشييع

إذا شيعوني حين تقضي منيتي   وقالوا أراح الله اذاك المعذبا
فلا تحملوني صامتين إلى الثرى   فإني أخاف اللحد أن يتهيبا
وغنوا فإن الموت كأس شهية   ومازال يحلو أن يغني ويشربا
ولا تذكروني بالبكاء وإنما   أعيدوا على سمعي القصيد فأطربا

الرجاء

ما للرجاء كأنه نغم ... يدنو فأسمعه فيبتعد

يا ضاحكاً للناس يخدعهم ... هلا وفيت لهم بما تعد

لو نال منك الناس أجمعهم ... فوق المرام لامكن المدد

لكن بخلت فما يزال لهم ... شوق إلى شوق وان جهدوا

إكذبيني

إكذبيني مرة أو فاكذبيني مرتين ... ألف ألف من أعاجيبك في غش ولين

لن تبيد الفارق الخالد يا قرة عيني ... والسموات التي بينك في اللب وبيني

إكذبيني واكذبيني كلما شئت اكذبيني ... ما غناء اللب عندي إن أبى أن تخدعيني

أنا في ثروة وفر منه مهما تسلبيني ... انقصيها أي ضير درهما أو درهمين

غيرة طفلة

ما كان أملح طفلة ... من غير شيء تخجل

ضاحكتها فتمايلت ... وشعورها تتهدل

ورجوت منها قبلة ... فأبت كمن يتدلل

وتعبت وهي تصدني ... حيناً، وحيناً تقبل

فرفعت مرآة لها ... فاطلعت تتأمل

قلت انظري في وجهها ... أفأنت أم هي أجمل

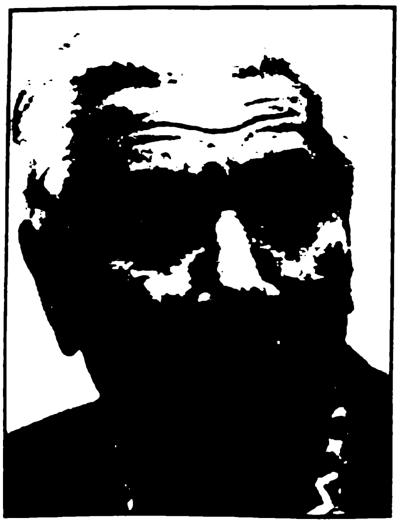
عطفت على وكل ... محبوب يغار فيسهل

جنـون العقـلاء

قـــال لي لمـــا عـــراني فـرحـي   بـجـنـون اكـــذاك الـشـعـراء؟
مــا عـهـدنـاك لمـوجـا نـزقـا   سـرك الـدهـر بـشـيء أم أسـاء
قلت فـانظـر يـا حبيبي لـترى   كـيـف بـالحـب يـجـن الـعـقـلاء
إنمـــا الحـــب شـــراب سـائـغ   يـثـمـل الـــراوون مـنـه والـظـمـاء

جرى تقديم هذا البحث بمناسبة عيد ميلاد العقاد في ٢٨ يونيو ١٨٨٩م.

الشاعر الكبير عبدالوهاب البياتي ١ - ٣



ما كان أصعبه نبأ يفجؤني أن (أبا علي) الصديق عبدالوهاب البياتي قد فارق دنيانا فجأة على غير انتظار وهو الذي ملأها بفكره وفنه، وشغل الناس بحضوره وشعره، ولاشك أنه كان نبأ صاعقاً يستك له المستمع وتخشع له الروح، وتنهمر له الدموع ..

فهذا الشاعر الذي عاش حياته ملء السمع والبصر والذي كُتب عنه وأُلِّف ما لم يُكتب عن سهواه من معاصرينا الأفذاذ جدير بأن تهتز لرحيله القلوب، وتجهش لغيابه الأكباد فالدهر بمثله ضنين، والعوض فيه غير يسير ووفاته نكأت جراحنا على من سبقوه الجواهري، وبلند الحيدري، والسياب، وشفيق الكمالي من شعراء العراق الأماجد.

لقد كان البياتي صناجة العرب وفريد عصره كما كان ألوفاً لرفاقه حفياً بأصدقائه طلق المحيا سخي الكف حريصاً على بذل العون المادي والأدبي لمن يعرف ومن لا يعرف من الناس.

يقول البياتي راثياً ابنه (علي) رثاء يذكرنا برثاء ابن الرومي ابنه الأوسط محمد :

إلى ولدي علي

قمري الحزين

البحر مات وغيبت أمواجه السوداء قلع السندباد
ولم يعد أبناؤه يتصايحون مع النوارس والصدى المبحوح عاد
والأفق كفنه الرماد
فلمن تغني الساحرات؟
والبحر مات
والعشب فوق جبينه يطفو وتطفو دنيوات
كانت لنا فيها، إذا غنى المغني، ذكريات
غرقت جزيرتنا وما عاد الغناء.
إلا بكاء
والقبرات
طارت، فيا قمري الحزين:
الكنز في المجرى دفين
في آخر البستان، تحت شجيرة الليمون، خبأه هناك السندباد
لكنه خاو، وها إن الرماد
والثلج والظلمات والأوراق تطمره وتطمر بالضباب الكائنات
أكذا نموت بهذه الأرض الخراب؟
ويجف قنديل الطفولة في التراب؟
أهكذا شمس النهار؟
تخبو وليس بموقد الفقراء نار؟
مدن بلا فجر تنام
ناديت باسمك في شوارعها، فجاوبني الظلام
وسألت عنك الريح وهي تئن في قلب السكون
ورأيت وجهك في المرايا والعيون
وفي زجاج نوافذ الفجر البعيد
وفي بطاقات البريد
مدن بلا فجر يغطيها الجليد

هجرت «......» عصافير الربيع
فلمن تغني؟ والمقاهي أوصدت أبوابها
ولمن «......» أيها القلب الصديع
والليل مات
والمركبات
عادت بلا خيل يغطيها الصقيع
وسائقوها ميتون
أهكذا تمضي السنون؟
ويمزق القلب العذاب؟
ونحن من منفى إلى منفى ومن باب لباب
نذوي كما تذوي الزنابق في التراب
فقراء، يا قمري، نموت
وقطارنا أبداً يفوت

ويقول بعنوان :

في مقابر الربيع

لا شيء تحت الشمس، حتى السنا ... غرّر - يا بؤس الليالي - بنا
لا شيء حتى ذكريات الصبا ... عاد بها الشوق فماتت هنا
حتى التي كانت إلى قلبها ... تضمنا إن ضاق صدر الدُنى
طار بها الحقد إلى علام ... افاقه أمست قبوراً لنا
يا موت؟ يا صحراء؟ يا صخرة ... في ظلها جفت زهور المنى؟
إن هبط الفجر غداً لن ترى ... إلا قبور الحب في المنحنى
ودوحة سوداء معروقة ... تصيح من أعماقها ليتنا
لم نعرف النور ولم تبترد ... به عصافير الربى قبلنا
فليت هذا الليل لا ينجلي ... حتى نواري في الثرى حبنا

حباً وما أوحش هذا الهوى ... ان جهلت حسناؤه من أنا؟
كديمة مجهولة أمطرت ... في جنة مجهولة موهنا
حتى إذا ما الريح هبت ضحى ... طيرت الأوراق والسوسنا
فعادت (......) مهجورة ... قاحلة إلا بقايا جنى
إلا بقايا حلم كاذب ... غرر - يا بؤس الليالي - بنا

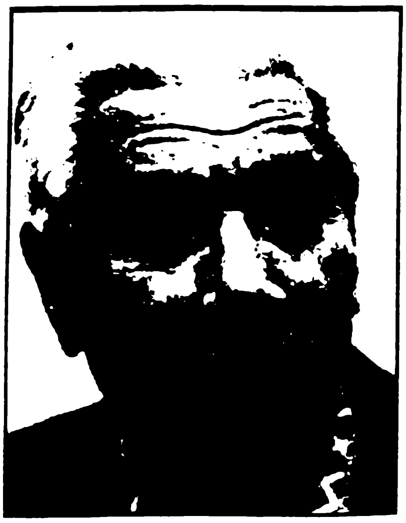
ويصور الأستاذ يوسف القويري ملامح البياتي الشخصية في كتابه (الكلمات التي تقاتل) فيقول:

.. مسحة من الحزن والمرارة علي وجهه وثمة غبار أيضاً لعله من بقايا الارتحال والطواف والمنفى.

وبشرة سمراء محززة عند زاويتي الفم وفوق الصدغين وحول الرقبة ضاربة إلى اللون البني الغامق، وأنف كروي المقدمة وجبهته مزدحمة بالتجاعيد تعطي ايحاء الانشغال الدائم.

أما الرأس فيكسوه شعر رمادي ناعم كثيف اشتعل في الأخير شيباً ..

الشاعر الكبير عبدالوهاب البياتي ٢ - ٣



ولقد سعدت بأن ربطتني به صداقة عميقة أدبية وأسرية .. وهأنذا وأنا أحضر ديوانه بين يدي أقرأ فيه إهداءه السمح :

(إلى أخي الشاعر الكبير الأستاذ حسن عبدالله القرشي مع محبتي وتقديري .. المخلص عبالوهاب البياتي .. بيروت ١٩٧٢/١١/٢٤).

وتتوالى بعد ذلك لقاءاتي به في مصر، وسوريا، والسعودية، ولبنان واسبانيا .. وفي اسبانيا كان حريصاً على تعريفي ببعض أدبائها وفي مقدمتهم صديقه البروفيسور فيدريكو آربي أستاذ الأدب في جامعة مدريد الذي ترجم لي مجموعة كبيرة من أشعاري صدرت في سفر باللغتين الاسبانية والعربية طبع في مدريد ..

لقد كان البياتي ركيزة عربية قومية، وكان علماً شامخاً تفخر به لغة العرب ..

والبياتي هو ثالث ثلاثة إزدهر بهم شعر التفعيلة الحديث هو وبدر شاكر السياب، ونازك الملائكة وأعقبهم كثيرون من أفذاذ شعراء العراق ثم الكثيرون من شعراء العربية في مجموع أقطارها..

وقد كان مولد البياتي في بغداد عام ١٩٢٦ وكان تخرجه في دار المعلمين العالية قسم الأدب العربي عام ١٩٥٠ وقد اشتغل بالتدريس ثم انصرف إلى الصحافة وتنقل بعد ذلك لأسباب سياسية من بلد عربي إلى آخر ثم سافر إلى أوروبا الشرقية

والاتحــاد الســوفـيـاتي وبعـد عـام ١٩٥٨ عـاد إلى العـراق فـعين ملحقـاً ثقـافياً في السفارة العراقية في موسكو، وعمل بعد ذلك مدرساً في معهد الشعوب الآسيوية في موسكو ..

وفي بعض مراحل حياته لجأ إلى القاهرة ردحاً من الزمن ثم عمل في اسبانيا ملحقاً ثقافياً زهاء عشر سنوات عاد بعدها إلى بغداد ولأسباب سياسية اضطر إلى أن يقضي فترة من حياته في عمان ثم انتقل إلى دمشق حيث أدركته المنية بها مـأسـوفـاً على حيـاته الغـالـية وهكذا شاءت الأقدار أن يقضي فترات طويلة متشرداً ومغترباً عن وطنه العراق، ولكنه كان يقابل كل ذلك بصبر وجلد وصمود ليس عليها مزيد ..

ولقد تُرجم شعر البياتي إلى العديد من اللغات الحية كما تمتع البياتي بشعبية كبيرة في شتى البلاد العربية ..

والبياتي يحمل الكثير من الأوسمة كما حصل على جوائز كثيرة أهمها جائزة (العويس) الكبرى التي استحدث بقيمتها جائزة باسمه وقد وزعت هذه الجائزة عـلى ثلاثة مستحقين لها من المثقفين قبل رحيله بزمن قصير وكان سعيداً بذلك كل السعادة.

والبياتي من خير من كتب الشعر العمودي وديوانه الأول (ملائكة وشياطين) يضم شعراً عمودياً رائعاً.

ويقول البياتي عاشق بغداد بعنوان : حسرة في بغـداد :

أبحث عن سحابة
خضراء، عني تمسح الكآبة
تحملني
إلى براري وطني
إلى حقول السوسن
تمنحني
فراشة ونجمة
وقطرة بها أبل ظمئي وكلمة

فماء دجلة الحزين اعتكرا

وما جرى

إلا ليغرق السدود والقرى

فمن ترى ؟

بمائه يغسلني

تحت ظلال نخله يدفنني

ببيت شعر بعد ألف سنة ينشدني

فوطني بعيد

وبيننا هذي الليالي السود

والحبر والأوراق

وحائط الأشواق

معرة النعمان يا حديقة الذهب

الصيف جاء وذهب

وأنت تضحكين

لاهية، بالرمل تلعبين

حط على شرفتك الغراب

وارتحل الأحباب

تفرقوا قبائل

وجفت الخمائل

وهاجرت مع الضحى العنادل

لم يبق إلا الموت في الأطلال والهياكل

لم يبق إلا الشعر في ذاكرة الأحقاب

فآه ثم آه يا صبابتي وحزني

ويقول في قصيدة : بكائية إلى شمس حزيران

طحنتنا في مقاهي الشرق

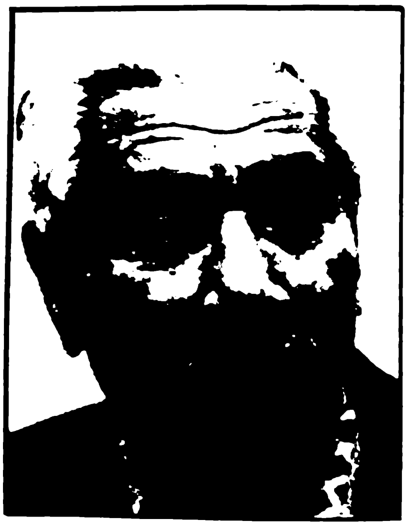
حرب الكلمات

والسيوف الخشبية
والأكاذيب
وفرسان الهواء
نحن لم نقتل بعيراً
أو قطاة
لم نجرب لعبة الموت،
ولم نلعب مع الفرسان
أو نرهن إلى الموت جواد
نحن لم نجعل من الجرح دواة
ومن الحبر دما
فوق حصاة
شغلتنا الترهات
فقتلنا بعضنا بعضا
وها نحن فتات
في مقاهي الشرق
نصطاد الذباب
نرتدي أقنعة الأحياء،
في مزبلة التاريخ،
أشباه رجال
لم نعلق جرساً
في ذيل هر أو حمار
نحن جيل الموت بالمجان،
جيل الصدقات
هزمتنا في مقاهي الشرق
حرب الكلمات
والطواويس التي تختال

في ساحات
موت الكبرياء
ومقالات الذيول الأدعياء
آه لطخ هذه الصفحة،
هذا الخبر الكاذب،
يا سارق قوت الفقراء
بدم الصدق
ومُت مثل فقاعات الهواء
لم نعد نقوى على لعق الأكاذيب
وتحبير الهراء
واجترار الترهات
نحن جيل الموت بالمجان،
جيل الصدقات
لم نمت يوماً
ولم نولد
ولم نعرف عذاب الشهداء
فلماذا تركونا في العراء؟
يا إلهي
للطيور الجارحات،
نرتدي اسمال موتانا،
ونبكي في حياء
آه لم تترك على عورتنا
شمس حزيران رداء
ولماذا تركونا للكلاب؟
جيفاً دون صلاة
حاملين الوطن في كفٍ

وفي الأخرى التراب
آه لا تطرد عن الجرح الذباب
وآلامي انتظار
ودم يطلب ثار
نحن لم نهزم
ولكن الطواويس الكبار
هزموا هم وحدهم،
من قبل أن ينفخ ديار بنار
آه يا قبر حكيم نام بين الفقراء
صامتاً يلبس أكفان الحداد
صامتاً يشعل نار
قم تحدث :
نحن موتى
نحن جيل الموت بالمجان
جيل الصدقات

الشاعر الكبير عبدالوهاب البياتي ٣ - ٣



وقد إرتحل البياتي إلى بلاد عديدة فقد زار النمسا لتمثيل البلاد العربية في مؤتمر الكتاب والفنانين العالمي.

ومثّل العراق في مؤتمر التضامن الآسيوي الافريقي الذي عُقد في القاهرة.

وزار الاتحاد السوفياتي قبيل الثورة العراقية بدعوة من إتحاد الكتاب السوفيات.

كما التقى بالشاعر التركي الكبير ناظم حكمت وانعقدت بينهما صداقة وزار الكويت لتمثيل العراق في مؤتمر الأدباء الذي عُقد هناك.

وأقام في الاتحاد السوفياتي حقبة كبيرة وزار جمهورية أوكرانيا، وجورجيا، وأذربيجان، واوزبكستان، وتاجيكستان ومعظم أقطار أوروبا الشرقية والغربية والدول الاسكندنافية.

ودواوين البياتي هي :

(رسالة إلى ناظم حكمت وقصائد أخرى، أباريق مهشمة، المجد للأطفال والزيتون، أشعار في المنفى، عشرون قصيدة من برلين، كلمات لا تموت، محاكمة في نيسابور (مسرحية) النار والكلمات، قصائد، سفر الفقر والثورة، الذي يأتي والذي لا يأتي، الموت في الحياة، ملائكة وشياطين، عيون الكلاب الميتة، قمر

أخضر «بالروسية»، بستان عائشة، سيرة ذاتية لسارق النار، بكائية إلى شمس حزيران والمرتزقة، كتاب البحر، الكتابة على الطين، قصائد حب على بوابات العالم السبع).

ومن مؤلفاته : (تجربتي الشعرية) .

وله ترجمات شعرية منها لبول أوليارو اراجون.

ومما أُلِّف عنه :

عبدالوهاب البياتي والشعر العراقي للدكتور إحسان عباس (عبدالوهاب البياتي رائد الشعر الحديث) لمجموعة من الأساتذة وكتاب (مأساة الإنسان المعاصر في شعر عبدالوهاب البياتي) لمجموعة من الأكاديميين المشهورين.

وقد أُلِّفت عن شعره مجموعة من الرسائل الجامعية .

ومن شعر البياتي:

رحلة حول الكلمات

ما أوحش الليل إذا ما انطفأ المصباح
وأكلت خبز الجياع الكادحين زمرُ الذئاب
وصائدو الذباب
وخربت حديقة الصباح
السحبُ السوداء والأمطار والرياح
وأوحش الخريف فوق هذه الهضاب
وهو يدب في عروق شجر الزقوم،
في خمائل الضباب
يا مُسكري بحبه
مُحيري في قربه
يا مغلق الأبواب
الفقراء منحوني هذه الأسمال
وهذه الأقوال
فمد لي يديك عبر سنوات الموت والحصار

[redacted]

والصمت والبحث عن الجذور والآبار

ومزق الأسداف

وليقبل السيّاف

فناقتي نحرتها وأكل الأضياف

وارتحلو

وها أنا أقلب الأصداف

لعلها أوراق ورد طيرّتها الريح فوق

ميت، لعلها أطياف

وقد تلطف الأستاذ البياتي فحيّا شعري تحية أخوية يقول منها :

(.. الأستاذ القرشي شاعر الجزيرة العربية مهد العرب، ووطنهم الأول ووطن شعرهم .. استطاع أن يواصل مسيرته الشعرية عبر الزعزع النكباء، وأن يثبت أن ينابيع شمس وطن العرب الأول لاتزال يغتسل فيها الشعراء والجوابون، وأبناء الكلمة الصادقة الأصيلة فتحية له ولشعره ..).

ونختتم هذا الفصل الثالث والأخير بقصيدة شاعرنا الكبير البياتي (رماد في الريح) :

رماد في الريح

عشر ليالٍ وأنا أكابد أهوال

وأعتلي صهوة هذا الألم القتّال

أوصال جسمي قطعوها

أحرقوها

نثروا رمادها في الريح

دفاتري

تناهبوا أوراقها

وأخمدوا أشواقها

ومرّغوا الحروف في الأوحال

دمي بأسمال

[redacted]

أنا هذا بلا أسمال

حرٌ كهذي النار والريح، أنا حرٌ إلى الأبد

يا قطرات مطر الصيف، ويا مدينة ما عاد منها

أبداً أحد

موعدنا الحشر، فلا تداعبي قيثارة الجسد

أوصال جسمي أصبحت سماد

في غابة الرماد

ستكبر الغابة، يا معانقي

وعاشقي

ستكبر الأشجار

سنلتقي بعد غدٍ في هيكل الأنوار

فالزيت في المصباح لن يجف، والموعد لن يفوت

والجرح لن يبرأ، والبذرة لن تموت

وقد كتبت في رثاء الشاعر الكبير عبدالوهاب البياتي :

العَلَم الذي انطوى ..

(إلى روح عبدالوهاب البياتي)

يا صديقي العَلَم

والذي عاش نبعة فنٍ وفكر

وكم قد تألق كالبرق

وأغدق كالغيث

واجتاز دنيا القمِم

سلام عليك من القلب والروح

سلام على الدوحة السامية

سلام على القلعة العالية

سلام على الذِّكر الحلوة الغالية

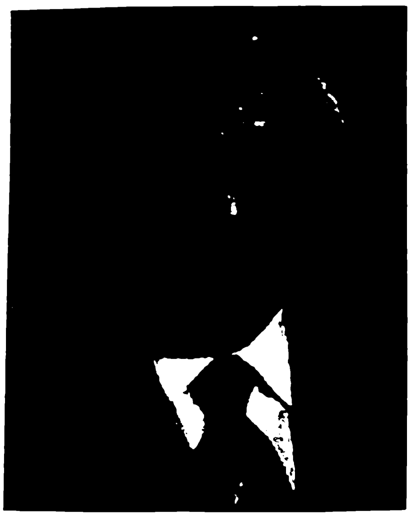
سلام على أسدٍ لا يَهاب

ولا يستذل لأقسى الصعاب
سلام على خالدٍ فنه
رغم نبح الكلاب
ونهش الذئاب
سلام على بطل غادر النوق
تُرغي، وتُزبد، دون انسحاب
وغادر كل النَّعام تُجنى، هاماتها
جزعاً في التراب
وأوطأ رجليه مسرى السحاب!
يا صديقي الذي ما أسفت على ضائعٍ
أو عراك الندم
يا صديقي الذي أثملتك زهور الألم
والذي عاش مغترباً قد نفى نفسه
والذي أدمن ا لاغتراب
والذي مزقته الأعاصير ثقالاً ثقالاً
ومزقها جاهداً ..
والذي عشق الاكتئاب
والذي أنضجته الملمات
حتى تساوى لديه مذاق الحياة
عاش لم يحتفل بالسعادة يوماً
ولم يكتوي بالشفاء
والذي ذاق ثُكلاً مريراً مريراً
يهدُّ الرواسي
وكم قد أحسَّ احتراق الكبد
كم دعوت لك الله
في ما وجد، وفي ما أصبت

وفي ما أفْتُقِدْ
يا صديقي الذي قيل بالأمس عنك
بأنك مُتّ
وأنت الذي لم تمت
وأنى تموت، وأنى يموت الخلود؟
يا صديقي الذي
لم يكن يحذر الموت
حتى، ولو لم يُصِبْ
أي موتْ !
أعرف أنك ترفض هجمته
وقضيت عمرك
لم تخش أي وُثوب له أو صراع
وكم كنت أحسبه منك
- رغم المخاطر - يهرب يهرب
كيف سمحت له بالتسلل
للغرفة النائية؟
وأوغلت في النوم
حتى استطاع على خشية
أن يسل الحياة
ونمت بكرسي انفرادك
في غيبة .. تستطيب الرقاد
ليوم المعاد؟!
يا صديقي .. لم تكد ترتحل
هادىء السِّرب ..
حتى تقاطر سيل السمال، وجمع السخال
يحاول معظمهم أن ينال

من سيِّد ذكره ما يزال
يهزُّ الجبال
تُرى أين كانوا؟ وأين اختفوا؟
ولَم ظهروا الآن والسيف مغمد؟
ولِمَ جاءوا كالخفافيش وانتشروا
وأَصواتهم كنقيق الضفادع
في الليلة الشاتية؟
وروحك لما تزل تغلق الصخرة العاتية
لأنك لما تمت بعد أنَّى تموت؟
وأنَّى يموت الخلود؟!!!

الشاعر الكبير بدوي الجبل ١ - ٢



محمد سليمان الأحمد أحد الخالدين من عمالقة الشعراء المعاصرين الذين أوتوا حظاً كبيراً من الشهرة، والذين حظيت العربية منهم بعباقرة سجلوا أسماءهم في سماوات الفخار والمجد بأحرف من نور، ولا يخلو شعره من نكهة فنية تذكر بشعر الشاعر العربي الأول (أبي الطيب المتنبي).

وسبب تسميته ببدوي الجبل هو أنه رثى (ماك سويني محافظ مدينة كورك) الذي جعل احتجاجه على وجود الانجليز في بلاده صياماً حتى الموت حتيث قضى صائماً وأرسل الشاعر قصيدته إلى جريدة (ألف باء) الدمشقية لصاحبها الأستاذ يوسف العيسى الذي نشرها بتوقيع (بدوي الجبل) مفسراً تصرفه هذا بأن القصيدة رائعة ولكن صاحبها غير مشهور فاختار لها هذا التوقيع المستعار حتى يظن الناس أن كاتبها شاعر مشهور متنكر ومن ثم غلب هذا اللقب على الشاعر محمد سليمان الأحمد، والتصق به التصاقاً أبدياً.

ولقد أحببت هذا الشاعر الفحل وحفظت كثيراً من شعره وتعرفت عليه من زياراته المتكررة للمملكة حيث أصبح من أصدقائها الخلّص وكانت له حظوة لدى جلالة المغفور له الملك الأديب «فيصل بن عبدالعزيز» رحمه الله.

ولبدوي الجبل صداقات عميقة بكبار رجال بلده فقد مدح الكثيرين منهم ورثاهم

أعمق وأحر رثاء؟ وشعره سجل حي لهم ولأمجادهم وهو لم يتعرض لأية شخصية منهم إلا بعد إحساسه بمكانتها، وتقديره لأعمالها الوطنية واستحقاقها لجميل الثناء، وعاطر الذكر ..

وقد تفاعل مع أحداث وطنه العربي تفاعلاً كبيراً أو حاول معالجة أوجاعه، وتصوير مكاسبه معالجة النطاسي الحاذق، ولاقى في سبيل ذلك عنتاً كبيراً.

والبدوي كان متنكراً لعهد الوحدة، منتقداً له، ساخطاً على الأسلوب الذي أديرت به وحينما أصابت الأمة العربية هزيمة حزيران ١٩٦٧ سجل مأساتها بقصيدة بلغت أبياتها مائة وخمسة وستين بيتاً يقول في مطلعها :

رمل سيناء قبرنا المحفور … وعلى الرمل منكر ونكير

كبرياء الصحراء مرّغها الذل … فغاب الضحى وغار الزئير

ومنها :

نحن أسرى ولو شمنا على لقيد … لما نالنا العدو المغير

لاقتحمنا على الغزاة لهيبا … وعبرنا وما استحال العبور

ويطعم أبياته بروح التفاؤل فيقول :

سألوني عن الغزاة فجاوبت … رياح هبت ونحن ثبير

سألوني عن الغزاة فجاوبت … رمال تسفى ونحن الصخور

سألوني عن الغزاة فجاوبت … ليالٍ تمضي ونحن الدهور!

ثم يسجل بكاء الأمة بقوله :

هل درت عدن أن مسجدها الأقصى

مكان من أهله مهجور؟

أين مسرى البراق والقدس والمهد

وبيت مقدس معمور؟

لم يرتل قرآن أحمد فيه

ويزار المبكى ويتلى الزبور

طوي المصحف الكريم وراحت

تتشاكى آياته والسطور

تستبي المدن والقرى هاتفات

أين أين الرشيد والمنصور؟

كل دنيا للمسلمين مناحات

وويل لأهلها وثبور

لبست مكة السواد وأبكت

مشهد المرتضى ودك الطور

هل درى جعفر فرف جناحا

إلى المسجد الحزين، يطير؟

أين آي القرآن تتلى على الجمع

وأين التهليل والتكبير؟

لا تشق الجيوب في محنة القدس

ولكنها تشق الصدور

أنا حزن شخص يروح ويغدو

ومسائي مع الأسى والبكور

وهي فريدة عملاقة خالدة، ولكنها جرت عليه اعتداء ماديا كاد يذهب بنفسه.

ومن شعره في ذكري الزعيم «هنانو» ١٩٤٥ :

وفاؤك لا عسر الحياة ولا اليسر

وهمك لا الداء الملح ولا العمر

إذا المرء لم يملك وثوباً على الأذى

فمن بعض أسماء الردى الحق والصبر

أنزّه آلامي عن الدمع والأسى

فتؤنسها مني الطلاقة والبشر

ومنها :

تلفت لا شملي جميع ولا الهوى

قريب، ولا فرع الصبا عبق نضر

ويا سامر الأحباب مالك موحشا

معاذ الهوى بل أنت يؤنسك الذكر

ومنها في مخاطبة الشهداء:

أحباي لو غير الردى حال بيننا

دنا البر في عيني وانكشف البحر

بأسماعكم وقر وقد جئت شاكيا

وحاشا ففي سمع الردي وحدة الوقر

وأوحشتم الدنيا كأن لم تدس بكم

على الهام في الروع المحجلة الشقر

وحتى كأن الرمل لم يروه دم

كريم المصفى لا أجاج ولا نزر

وهي قصيدة طويلة كانت من القصائد الرفيعة الرائعة التي حفظتها في مطلع شبابي ..

وقد طرق بدوي الجبل كل موضوعات الشعر وأثراها بقوة قريحة، وجهارة أسلوب ولكنه حلّق في الشعر القومي أيما تحليق.

ومن قوله في رثاء الزعيم اللبناني «رياض الصلح» :

لا تسلها فلن تجيب الطلول

المغاوير مثخن أو قتيل

موحشات يطوف في صمتها الدهر

فللدهر وحشة وذهول

غاب عند الثرى أحباء قلبي

فالثرى وحده الحبيب الخليل

هتف الهاتفون أين رياض

فانحنى في الثرى حسام صقيل
إن موت العظيم محنة تاريخ
ودنيا تفنى وكون يزول

الشـاعـر الكـبير بـدوي الجـبل ٢ - ٢



ويقول في عيد الجلاء عن سوريا الغالية :

الزغاريد فقد جُنَّ الاباء

من صفات الله هذي الكبرياء

بأبي العزلاء في غمرتها

آلة الحرب جراح، ودماء

الأديم السمح عطر ورؤى

ربما أغفى عليه الأنبياء

كل حسن بدعة مفردة

ليس بين الحسن والحسن اخاء

أيها الدنيا ارشفي من كأسنا

ان عطر الشام من عطر السماء

آل مروان جلال وندى

وبنو العباس هدى وضياء

ومن فرائد شعر البدوي الرائعة قوله :

تفضي على الذل غفرانا لظالمها

تأنق الذل حتى صار غفرانا!

وقوله :

آمنت بالحقد يذكي من عزائمنا

وأبعد الله اشفاقاً وتحنانا

ويل الشعوب التي لم تسق من دمها

تاراتها الحمر أحقاداً وأضغانا

وقوله :

بورك الهم عبقرياً جوادا

لاكهم أعطى قليلاً وأكدى !

وقوله :

بنور على أم القرى، وبطيب

غسلت فؤادي من أسى ولهيب!

وقوله :

قد تطول الأعمار لا مجد فيها

ويضم الأمجاد يوم قصير

وبدوي الجبل معتز بشعره أعظم الاعزاز حيث يقول :

كل مجد يفنى ويبقى لشعري

شرف باذخ ومجد أثيل!

ويقول :

الخالدان - ولا اعد الشمس -

شعر، والزمان!

ويقول :

إني أكرم شعري في متارفه

كما تكرم عند المؤمن السورا

وقوله :

أنا أبكي لكل قيد فأبكي

لقريضي تقله الأوزان!

وقد حظي ديوان بدوي الجبل الذي نشرته دار العودة ببيروت بمقدمة رائعة بقلم صديقه الكاتب العبقري الأستاذ الكبير أكرم زعيتر استوعبت من صحائفه

ثلاثاً وخمسين صفحة وجاءت كأسماط اللؤلؤ وشفّت عن مدى الصداقة العميقة التي تربط ما بين الرجلين وحفلت بأعمق التحليلات الأدبية التي لمست كل جوانب شاعرية هذا الشاعر الجهبذ.

وعلى علو شعر بدوي الجبل فإن نثره يتساوى علواً مع شعره وممن أبّنهم نثراً : الملك فيصل آل سعود، وهاشم الأتاسي، وجميل مردم بك، والحاج أمين الحسيني، وعادل زعيتر، ومظهر رسلان، وصالح جبر، وصبري العسلي، وسمير الرفاعي، والشاعر بدر الدين الحامد، وعلي رضا النحوي، وحبيب كحالة.

ولـم يكـن البـدوي خطـيباً مثله شاعراً وكما يقول صديقه عادل زعيتر وما حاضر إلا محـاضرة واحـدة وكـانت في الجـامـعة الأمـريكـية ببـيروت و عـنوانها (القـومية العـربية).

وقد أهدى الشاعر الكبير بدوي الجبل ديوانه إلى الملك الشهيد (فيصل بن عبدالعزيز آل سعود) بالكلمة التالي :

«لقد حرمك استشهادك أن تصلي في المسجد الأقصى، ولكن استشهادك سيكتب في لوح القدر أن يصلي المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها في المسجد الأقصى.

وسيكون ذكراك وأحزانك وايمانك النغمة السمحة الساجية عندما يؤذن المؤذن فيه الله أكبر الله أكبر وعندما يتابع المؤذن، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله».

والغالب على شعر البدوي الشعر القومي كما قلنا وقد انغمس في السياسة حتى أذنيه وهي التي - كما سبق الذكر - لم توفره من شرها وأذاها.

والبدوي سليل أسرة كبيرة وكريمة ووالده الشيخ سليمان الأحمد من ذوي العلم والفضل ومكتبته حافلة بالعديد من الأسفار.

وصنو الشاعر بدوي الجبل أخوه الشاعر العبقري الصديق الأستاذ أحمد سليمان الأحمد وهو شاعر لا يقل عن أخيه سمو شاعرية وعلو بيان ولكن هواه لم يكن سوريا بل كان عراقياً.

وقد نشر البدوي شعره في أرقى الصحف والمجلات وأهمها مجلة (الرسالة) لصاحبها (أحمد حسن الزيات) الذي كان يحتفي بشعره أعظم احتفاء ..

والشاعر البدوي هادئ السمت وإذا جالسته لا يمكن أن يخطر ببالك أن هذا الشعر المشتعل المتوهج الثائر نابع من قريحة هذا الرجل الرقيق الهادئ.

وقد ولد بدوي الجبل في سنة ١٩٠٣ في قرية ديفة التابعة لمحافظة اللاذقية وتوفي في ١٨/٨/١٩٨١ في دمشق ونقل منها إلى اللاذقية حيث دفن في قرية السلاطة إلى جوار قبر والده الجليل.

والحديث عن الشاعر (بدوي الجبل) يدعونا إلى ذكر مجموعة ممن أنجبتهم ديار الشام من عمالقة الشعراء قديماً وحديثاً وهم كالآتي :

(أبو تمام، أبو العلاء المعري، سيف الدولة الحمداني، أبو فراس الحمداني، كشاجم، عمر أبو ريشة، نور العطار، أمجد الطرابلسي، نزار قباني، مصطفى طلاس، خليل مردم بك، عدنان مردم بك، عبدالباسط الصوفي، أدونيس، عيسى درويش، أحمد سليمان الأحمد، بدر الدين الحامد، أحمد عبيد ، علي الجندي، نديم محمد».

وفيما يلي بيان ببعض ما أُلِّف عن شاعرنا بدوي الجبل من مؤلفات وهي :

(بدوي الجبل - حياته العاصفة وحبه الذي لا ينتهي «د. عثمان الخطيب»، بدوي الجبل - حياته وشعره «محمد الخطيب»، بدوي الجبل - شاعر الأناشيد والمراثي «ايليا حاوي»، بدوي الجبل - شاعر العربية والعرب «أكرم جميل قنبس»، بدوي الجبل - مختارات «مدحت عكاش»، بدوي الجبل - وإخاء أربعين سنة «أكرم زعيتر»، الصورة الفنية في شعر بدوي الجبل - رسالة ماجستير «د. تيسير جريكوس») .

ونكتفي بما أوردناه عن شاعرنا الكبير رغم أن مجال القول فيه ذو سعة.

توفيق زياد - شاعر المقاومة ٣/١



شاعرنا اللامع الكبير توفيق زياد الذي أثرى الفن بشعره فحينما لمع شعر المقاومة كان شعراؤه الأوائل المعروفة أسماؤهم محمود درويش، وسميح قاسم، وتوفيق زياد فكل واحد منهم كان صنَّاجة شعر عبقري .. وعَلَماً من أعلام القريض.

وكان الزياد شاعراً كلاسيكياً رومانسياً كما كان عربي الالتصاق والاهتمام بمناسبات الثورة، وشخصياتها، وأحداثها.

وللزياد اهتمام اشتراكي واقعي، كما أنه شاعر وصَّاف بارع التوصيف كما أن للزياد مكانته في شعر المقاومة العالمي فقد حفر اسمه حفراً في نطاق هذا الشعر.

وقد صدرت لتوفيق زياد مجموعته الكاملة بعنوان (ديوان توفيق زياد) عن دار العودة في سلسلة شعراء الطليعة مصدّرة بمقدمة رائعة لرصيفه الشاعر الجهير (عز الزين المناصرة) غنية بالتحليل العميق والدراسة المستوعبة الشاملة.

ومن شعر الزياد بعنوان (حكاية تطول) :

أحسّ أنها حكاية تطول

ورحلة على جناح بلبل جميل

ألتقط النجوم ..

أشكُّها قلادة، لِعُنقك الصغير

وفي المساء ..
وحينما تنطفئ السماء ..
وتحضن الوسادة البيضاء رأسك الغرير
تنام في سلام ..
قلادتي .. تنام في سلام
مع اليمام
في صدرك المُفَتَّح الحرير
أحسُّ أنها حكاية تطول
ورحلة على جناح بلبل جميل
لا تسألي عرفت كيف، لا تُعقِّدي الأمور
عيناك تحكيان تُمليان ما أقول

ومن شعره ينعي أحد أبطال المقاومة :

إن كان قصدك أن تسيلي يا عيني الثكلى. فقولي
أم أن دمعك، جف من زمن، على الدرب الطويل
درب، مشى الأحرار فيه، صفوة من كل جيل
كم من شهيد فوقه متمدد، كم من قتيل
لكنه .. درب البطولة، واقتحام المستحيل
النسر! ان النسر مات، فداء مقصده النبيل
ظلت دماءه خسة العبد الأذل من الذليلا
كالشمس عاش، يمد أجنحة الضياء على السهول
لم تحن هامته الأبية، سطوة الشر الوبيل
يا زمرة الطغيان صولي وانشري البلوى وجولي
لم تبق غير دقائق للظلم .. للوبا الدخيل
سنجرّ سكين الخلاص عليك، في عرض وطول
ونجر .. حتى يصدر التاريخ مروي الغليل
يا أيها البطل الذي غالته أيدي المجرمينا

ماذا أقول وقد عقلت بموتك المتلسنينا

الدمع؟؟ لا دمع لديَّ، فقد شرقت به سنينا

والحزن؟؟ صيرتُ المآسي حزننا حقداً دفيناً

بيَّضت وجه الموت، لو يدري الطغاة الوالغونا

عندي .. وماذا عند أبناء الحياة الكادحينا ..!!

لا شيء .. غير حديقة ربيت فيها ياسمينا

بدمي رغيت سياجها ونثرت تربتها عيونا

لقطتها لك في الصباح شككت إكليلاً حزينا

عندي .. وماذا عند أبناء الكفاح الصامدينا ..؟؟

لا شيء .. إلا غنوة أطعمتها القلب الشجينا

وبها تحدّيت العواصف، والزلازل، والجنونا

توفيق زياد - شاعر المقاومة ٢/٣



قلنا إن توفيق زياد كان أقل زملاءه من شعراء المقاومة الفلسطينية حظاً من الشهرة والذيوع والانتشار رغم علو كعبه وسموقه في دولة القريض فلا تكاد ترى له شيئاً في كتب مختارات الشعر المعاصر إلا ما ندر. وذلك إغفال - رغم أنه غير مقصود - إلا أن مؤلفي هذه المختارات مؤاخذون عليه أدبياً وثقافياً فمثل هذا الشاعر جدير بالاهتمام الكبير.

وقد سبق لي القول إن مجموعته الكاملة التي صدرت عن دار العودة قد حظيت بمقدمة جميلة واعية فاحصة بقلم رصيفه شاعر المقاومة الفحل (عز الدين المناصرة) نختار منها ما يلي :

توفيق زياد في خريطة الشعر العربي.

عندما تقرأ شعر توفيق زياد الغاضب تشعر أنك قد قرأت مثل قصائده هذه عند أبو سامي، شوقي بغدادي، كمال عبد الحليم، وصفي قرنفلي ولا تشعر أنك تقرأ شعراً مشابها للوركا ونيرودا، وحكمت، وأراغون وأياوار .. وهنا نرى أن شعر هذه المرحلة لدى توفيق زياد ينتمي إلى المرحلة الأولى من شعر الواقعية في أواخر الأربعينات حيث نجد أن هذا الشعر يريد أن يعلن عن هويته وهذا هو التيار التقليدي في شعر الواقعية. أما التيار الثاني فهو تيار أكثر تقدماً حيث التحم بطينة الواقع ولحمه ودمه لا بهيكله العظمي كالبياتي، وبسيسو، والفيتوري، وسعدي يوسف وهو أكثر

اقترابا من شعر المقاومة العالمي بل هم متأثرون بوضوح بهم .. وهناك تيار ثالث يمزج بين الشكل التقليدي الحديث والرؤية التقدمية يمثله عبدالرحمن الشرقاوي. وقد حاول بعض الشعراء أن يجمعوا بين الاتجاه الاشتراكي والاتجاه القومي مثل أعمال عبدالمعطي حجازي الأخيرة وأعمال صلاح عبدالصبور الأولى أو قل «الناس في بلادي» على وجه الخصوص. بعكس درويش الذي اتجه إلى صور نزار قباني وموسيقى السيَّاب وحرارة البياتي، أما سميح فهو أقرب إلى اتجاه الشرقاوي. أما باقي قصائد توفيق زياد فتنتمي إلى شعر المقاومة العالمي وإذا كنا نقول إن محمود وسميح أقرب إلى الجيل الثاني في حركة الشعر الجديد بل هما ينتميان لها فإن توفيق يسبقهما حيث ينتمي إلى شعراء الجيل الأول من رواد الواقعية الاشتراكية.

توفيق زياد يهتم في قصائده بالمناسبات والشخصيات والأحداث الثورية الكثيرة. ولهذا فهو شاعر حزبي ملتزم بكل معنى الكلمة وقد يقول البعض أإنه لا فائدة من شاعر المناسبات - وأنا منهم - ولكن تبقى حقيقة موضوعية هي أن هذا الشعر يفيدنا تاريخياً بأن قيمته التاريخية هي القيمة الوحيدة فنحن ما زلنا نحفظ شعر المناسبات منذ العصر الجاهلي ومن هنا فتوفيق زياد يوفر لنا الخامة. الثورية الشعرية ولكنه لا يقدم لنا شعراً نقياً في مجموعته الماركسية وربما لأن هذه المجموعة كتبت قصائدها في وقت مبكر (حيث كتبت أغلب هذه القصائد في الحمسينات).

ومن مستويات شعره :

الوصف الخارجي :

إنني أذكر عثمان صديقي
مرة في غرفتي في قلب موسكو التقينا ..
وتحدثنا عن السودان عن مصر ..
وكوبا والجزائر .
وعن السد الذي يروي الصداقة
وعن الصورة والفن ورواد الفضاء ..

الهمس :

أحسُّ أنها حكاية تطول

ورحلة على جناح بلبل جميل
التقط النجوم
أشكلها قلادة لعنقك الصغير
وفي المساء
وحينما تنطفئ السماء
وتحضن الوسادة البيضاء رأسك الغرير
تنام في سلام
مع اليمام
في صدرك المفتح الحرير

ومن شعر توفيق زياد ما يلي :

غفارين
ألف شيطان يغني. في فؤادي .. ويُهني
إنها فرحة عمري .. فرحة أكبر مني ..
من أزاميلي، وأحلامي، وما يصنع فني
إنه مثلك، مثلي .. مثل كل الآخرين
يا رفاقي، أينما شئت .. من الأفق .. سأذهب
أي شمس لن يغطيها جناحي .. أي كوكب؟!
فأنا أقوى من الأرض، من الوحل، وأصعب
يا رفاقي .. أنا لا أعرف ماذا سوف يأتي
أي مجهول ستجلوه
صواريخ الحياة
كيف، تبني أذرع العمال
صرح المعجزات ..
كلّ صبح يُطلع البستان أزهاراً جديدة ..
ويطول العَلَم المخضوب أجراماً بعيدة ..
إنما .. أعرف أن الناس في «أرض العجائب»

أنجبو .. «كولمبس» الجو، وملاح الكواكب

إنه .. زال أمامي كل صعب،

إن .. مصباح علاء الدين .. ما عاد خيال !!...

توفيق زياد - شاعر المقاومة ٣/٣



لقد رأيت أن أُخصص هذه الحلقة لمختارات من شعر الشاعر الكبير توفيق زياد حيث أن هذا الشاعر يستحق إيراد ما أمكن من أشعاره للقراء الذين يطربون للشعر الأصيل لاسيما من الشعراء الأفذاذ .

فمن إبداعاته تحيته لبورسعيد إذ يقول فيها :

ارفع جبينك للعلا وتقحَّم
وازحف بمدفعك المحنَّى بالدم
ازحف به فله بيان ساطع
كالشمس يفحم كل من لم يُفحم
ازحف به، عاشت يمينك واسقهم
كأساً أمرَّ من احتساء العلقم
وامسح جحافلهم، وخلِّ جنودهم
زاداً رخيصاً، للطيور الحوَّم
يا شعب مصر، ومصر خيرٌ كلها
منذ الزمان الغابر، المتصرِّم
عثر الزمان وبُدلت بنعيمها
وهنائها، بؤساً كليلٍ مظلم

وانقض الاستعمار وحشاً ساغباً
في نابه للفتك، شهوة مجرم
سبعون عاماً والكنانة صهوة
لعصابة، من كل علجٍ مُتخم
زرق العيون .. يُصففون شعورهم
بالدمع، بالبترول، عفوك .. بالدم
مِنْ؛ حولهم نفرٌ، على غير الخنا
والذل، طول حياته لم يُفطم
«متأمركون»، «مؤنجلون»، كأنهم
أحجار شطرنج، بكف معلم
الميتون ضمائراً وسرائراً
ثمناً لعيش باذخ متنعم
يا شعب مصر ومصر قبر غزاتها
حُييت من شعبٍ أبيّ مُقدم
حشدوا جحافلهم، وعُدّة حربهم
فصدمت لم تجبن، ولم تتحطم
يا سائل .. «جان - بارت» أين صفيحها
ورجالها؟؟ في أي قعر مظلم؟؟
لكنهم خسئوا .. فأرضك أنبتت
ناراً، وروح أُباتها لم تُهزم
شعب بأيديه يصارع جحفلاً
بمدافع، وبطائرات حوّم
لن تقذف السلاح
لكنها .. تبدل الخنادق!! ..

ومن شعره الرائع قوله :

أم الجدايل

أصبْتني الذكرُ، الأوائل
لِهواك يا أم الجدائل
واشتقت حتى ذاب قلب
لم تُذو به النوازل
تنأى .. وملء فؤادها الغالي
حنين غير زائل
تنأى، وتفرش لي الوعود
فديتها ظبياً مماطل
عندي لها شوق يشب
وعندها شوق مماثل
لكن هبيني مُذنباً
فالصفح يُحمد في الشمائل
أولست مثل بقية العشاق
مجنوناً .. وعاقل ؟؟ ..
إني المُعذَّب في الهوى
أعيته في الوصل الوسائل
وأنا القتيل صبابة
أقصى مناه .. فؤاد قاتل ..
يا غابة من الرجال الشعث والبنادق
يا أفقاً يموج بالنشيد، بالبيارق
تحية السلاح !!
للدم، للتراب، للجراح
للهب الذي أتاك بالسلام
يا خنادق !
اليوم يا جزائر
تنطفئ الحرائق

وتملأ الأفراح بالدموع الأعين الغضاب
الأعين المحمرة التي تسلحت
بألف حربة وألف ناب
سبع سنين
لم تذرفي الدموع يا جزائر
فلم يكن لديك لحظة واحدة
توهب للدموع
تضيع، تنقضي بلا كفاح
بدون أن يلتهب التراب في
ملحمة الصباح
وفرت كل ما لديك من دموع
ليوم تنبت الورود فوق
شفرة السلاح
حق أضاء وجهك الأحمر يا حرية
كلفنا مليون ثائر .. ضحية
فلتوقد الأعراس
في رأسك الأشم يا أوراس
وليمرح الأطفال
في ظلك الوريف يا سواعد الأبطال

ومن إبداعاته أيضاً :

لم ينته الكفاح
يا اخوتي .. لم ينته الكفاح
وغابة الرجال الشعث والبنادق
لن تقذف السلاح
لكنها تبدل الخنادق

الشاعر عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى ٣/١



كانت فلسطين ديار الشعر حقاً ..

كانت إقليماً هو في الذروة جمالاً وخيرات وشعباً مثقفاً هو في طليعة الشعوب حضارة وغنى، وكانت السياحة إليها متعة المتع حتى استفحل فيها أمر اليهود بعدما كانوا الضعاف الأذلاء فامتصوا خيراتها واستحوذوا على أخصب أراضيها واحتلوا أجمل مدنها وفتحت لهم أبواب الهجرة إليها فأذابها وقد أصبحت مغنماً لهم ومراحاً يمرحون فيه ويعيثون في ديار أهلها فساداً وعادوا وهم الأقلية أكثرية كبري وسادة متسلطين على الأموال والأعراض ناهبين أرزاق البشر خانقين كل أغصان الجنى، مورثين أعمق الجراح في القلوب والصدور!.

هؤلاء الواغلون الغرباء لم يسرقوا الدور والقصور والمدن والقرى وحدها بل سرقوا أحلام الناس المستقبلية، سرقوا ذكرياتهم وأخيراً جثموا على القدس جثوم الذئاب والغربان هذا الجثوم المجرم الذي هو أشبه بالزلازل والبراكين والذي حوَّل الحدائق الزاهرة إلى صحاري قاحلة فأصبح الناس ذاهلين سُكارى وما هم بِسُكارى .. أسرى عذاب وهوانٍ واستلاب ..

ومع كل هذا فقد منح الله فلسطين رجالاً أبطالاً صامدين مجاهدين صابرين وكوكبةً من الشعراء ا لأفذاذ الموهوبين قديماً وحديثاً ممن سجلوا نضالها وآسوا

جراحها وناهيك بعبدالكريم الكرمي، وفدوى طوقان، ومحمود درويش، وسميح القاسم، وأحمد دحبور، وإبراهيم طوقان، وكمال ناصر، ويوسف الخطيب، ووليد سيف، ومحمد هاشم رشيد، وعلي هاشم رشيد، وعز الدين المناصرة، وتوفيق الزياد، وسالم جبران، وعبدالرحيم محمود.

وحديثي اليوم عن الشاعر الكبير أبو سلمى عبدالكريم الكرمي وقد تعرفت عليه بدمشق وصحبته ردحاً من الزمن فكان نعم الأخ ونعم الصديق وقد أهداني ديوانه الحافل الذي ضم من الشعر أروعه وأنفسه وبه يستحق أن يكون أحد ألسنة ثورة فلسطين الذابِّين عن حياض الوطن والذين خلفوا في سمع الأيام دوياً لا يهدأ وحفروا أسماءهم حفراً في شجرة نضالها المقدسة . فمن قوله بعنوان (فلسطين) :

فلسطين! يا حلم الثائرين ... فلسطين، يا وطن الخالدين
أطلّي على أفق الأرجوان ... معطرة بشذا الدارعين
وسيري على ربوات الزمان ... مجنحة بجهاد السنين
تنام على راحتيك النجوم ... وفجر الأماني فوق الجبين
وخلفك جلجلة الخافقين ... تهاوت على الظلم والظالمين
وشعبك يزحف فوق اللهيب ... ويقسم باسمك أن لا يدين
ترابك، يا طهر ذاك التراب ... يغني فيحلو الهوى والحنين
بناتك خلف دروب الجمال ... وفوق الجبال دروب البنين
لنا دُول، ليتها لم تكن مطايا ... وأذناب مستعمرين
وجامعة، لم تزل دمية ... يخف إليها الرجيم اللعين
فلسطين، إنا بنينا الحضارة ... فوق العصور كما تذكرين
ونحن الذين أنزلنا الطريق ... وكنا مشاعل حق ودين
تسير على جانبينا الشعوب ... ونحن أمام الصباح المبين
وحرية الفكر نحن الذين ... رفعنا لواها، كما تعلمين

ونحن الذين نثور على الظلم ... والجهل والفقر في كل حين
ونحن الذين حملنا الرسالة ... للأولين وللآخرين
ونحن الذين خلقنا الجهاد ... ونحن الذين حمينا العرين
نطهّر أرضك بالدم حرا ... فكيف نجود ولا تطهرين
ومبدأنا عالم واحد ... وتخليد حرية العالمين

ومن شعره بعنوان (دمشق التي استوطنها) :

حَمَلَتْ «دمشق» رسالة العرب ... أموية الأعطاف والنسب
شاب الزمان على مشارفها ... ودمشق في الريعان لم تشعب
قد جمَّل التاريخ غُرتها ... فسمت على أترابها العُرب
عصبت «أُميَّة» فوق مفرقها ... أبهى من التيجان والقصب
وَحَنَا الصباح على ابتسامتها ... فحلا وشبت لوعة العنب
عطر الخلود على ذوائبها ... طال المدى، يا عطر فانسكب
طابت مع الأيام غوطتها ... لولا الهوى العربي لم تطب
وبدت أمام الدهر شامخة ... وذيول برديها على السحب
أدمشق! .. إنا لاجئون ألا ... يشجيك منظر خدنا الترب
مرت بنا الأعوام مُثقلة ... عبرت تجر دوامي النوب
أوَمَا ترين وراء أدمعنا ... ظل الخيام السود والطنب
لا تنكرينا بعد نكبتنا ... تأبى عليك كرامة الحسب
دَمُنا الذي روى الغِرَاس معاً ... فسلي التراب عن الدم السرب
أعناقنا مالت معاً وهوت ... وترنحت في الساح والرحب
لا تنكري فالأرض واحدة ... وندور نحن وأنت في قطب

سرنا على الدرب الخصيب معاً
أبناء أم حُرة وأب
لحقت بنا وبكم هزيمتنا
والذكريات الحُمْرُ في الهُدُب
في «الرملة» البيضاء منك شدا
و«اللُّدُّ» فيها تالد القُبب
في «الكرمل» المخزون رجع صدى
من «قاسيون» معلل السبب
وعلى ثرى «حطين» عهد هوى
عهد البطولة غير منقضب
فمتي تمد الشام أجنحة
وترفُّ فوق ربوعنا الخضب
هذا الجناح يموج في «حلب»
وجناحها الثاني على «النقب»
ومتى تعيد الشام سيرتها
ومتى تُمزق حالك الحجب
ومتى يطل الفجر مؤتلفاً
وترى بلادي النور عن كثب
هذي «فلسطين» العروبة في
تحريرها حرية العرب

وعشق الشام في نفس أبو سلمي لا يضاهيه عشق إلا عشقه الأبدي لفلسطين الغالية، فقد احتضنته الشام وأوته وكتب أحلى قصائده وأروعها، وصحب فيها كوكبة من أروع أبطال العروبة وأفذاذ أدبائها وشعرائها!.

الشاعر عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى ٢/٣



.. ويُعد أبو سلمى من خبرة من كتبوا الشعر المقاوم، وأبدعوا فيه، وملأوا منه الصفحات الطوال وأفهموا به وجدان الأمة فردَّدته الركبان، وتغنت به القوافل، ودوّت به الأودية والهضاب، ويتسم شعره القومي بالجرأة النادرة فهو لا يجامل في شعره ولا يحابي ولا يبالي أبداً أين وقع حافر فرسه !

ويقول أبو سلمى بعنوان (الدماء تصيح) :

هذي الدماء من وراء الأبد … تصيح يا للعالم المقيد
لا روحه تلهب آفاق الورى … أو نفسه تغفو على المهند
أرض فلسطين استحالت حرماً … مقدساً فقبلوا الترب الندي
ترى الرفاق حوماً فوق اللظى … يحررون أهل كل بلد
من كل قطر عربي عصبة … ثائرة ترعى أصول المحتد
هبَّت على الوادي وأجرت دمها … متحدا، يا للدم المتحد
فيه من الخلود أزكى طيبه … وهو يد الثور بل أسمى يد
يا قائد الثورة سعِّر نارها … وزُج في قاع السعير المعتدي
واطلع على الأيام وانشر وهجاً … فيه سنى الجهاد والتمرد
واخلع على الجبال أبراد العلى … حق لها يوم اللقا أن ترتدي

أخت صلاح الدين عشت حرة   تأبى لك العلياء أن تُهودي
دعي عصابة اللصوص جانباً   واعتمدي على بنيك اعتمدي
خلّي انتداب القوم أو ارشادهم   فالثورة الحمراء خير مرشد
معركة اليرموك هذا نقعها   يروح فوق هامنا ويعتدي
يطل من بين العصور عاطراً   فيه من الماضي عبير السؤدد
كل شعوب الأرض في جهادها   تمشي على آثارنا وتقتدي
أيامنا تطوي عصوراً جمة   النار فيها تنتهي وتبتدي
أم العروبة أضحكي يا أمنا   فكلنا اليوم أبرُّ ولد
يهفو إلى بيض الصفاح باسما   الخودُ قبل الشيخ قبل الأمرد
ننثر ما فوق الثرى قلوبنا   لينبت استقلالنا بعد غد
فيا قلوب الثائرين أنشدي   على المدى ويا سفوح رددي

وأبو سلمى يقدم مجموعته الشعرية بقوله :

«... هذه مجموعتي وتتألف من قسمين حسب الزمن الأول هو الذي قيل عندما كنت في وطني فلسطين أي قبل سنة ١٩٤٨والقسم الثاني هو الذي بعد ذلك التاريخ أي منذ التشرد عن الوطن حتى الآن ..

وقد كنت أحفظ أشعاري المخطوط منها والمطبوع منها في الصحف والمجلات في أدراج مكتبي في عمارة الكرمليت بحيفا حيث كنت أعمل محامياً ..

وبتاريخ ٢٢ نيسان ١٩٤٨ سقطت حيفا في أيدي الاسرائيليين وفي ٢٨ من الشهر ذاته غادرت عكا إلى دمشق ..

وبعد فهذه أشعار قيلت في شتى المراحل منذ عهد الدراسة والصبا إلى أيام الشباب والنضال ..».

وقد ولد عبدالكريم الكرمي سنة ١٩٠٩ في مدينة طولكرم وأبوه العلامة الكبير سعيد الكرمي.

وقد منح جائزة اللوتس للشعر عام ١٩٧٨.

وتوفي في ١٩٨٠/١٠/١٠ في أحد مشافي واشنطن وكان لوفاته صدى أليم في جميع الأوساط الفلسطينية لعلو مكانته وتجرده لنصرة قضية أمته.

ويقول في يوم التقسيم .. (وطني) ..

وطني !.. عش أبا العروبة واسلم … وطني ! .. حُلية الزمان تبسم
قسّموا قلبك الموشّح بالنور … وتأبى العلى له أن يُقسّم
قد نسجنا ثياب عرسك حُمرا … إنها من قلوبنا ومن الدم
ورفعنا الرايات في جبل النار … وسرنا إلى القضاء المحتم
يتهادى التاريخ إثر خُطانا … والمروءات حولنا تترنم
قُم تأمل تَرَ الشعوب يجرّون … قيوداً من الحديد المثلّم
بينهم عصبة الأراقم تسعى … كلما غاب أرقم لاح أرقم
حرّموا الظلم بينهم واستراحوا … ولدينا يحللون المحرم
ثم قالوا : بيع العبيد حرام … إن بيع الأحرار أنكى وأظلم
كل يومين لجنة «فكتاب» … لا نرى فيه غير ظلم منظم
وحقوق الانسان في الغرب تُرعى … ولدينا الانسان في الشرق يُرجم
يهدر العدل حامياً كل أرض … فإذا زار أرضنا صار أبكم
ونرى الحق عندهم أبيض الوجه … فإن كان عندنا فهو أقتم
إن فوق الشفاه جمراً فدعها … اليوم، واسمع قلوبنا تتكلم
قُم وناد الأحرار من كل قطر … وانشر الراية التي أنت تعلم
لا تقولوا الحقوق ما دام حقي … في فلسطين خلف دمعي يجثم
لا تقولوا هذي الشرائع منا … شرعة الغاب منكم اليوم أرحم
قد كفرنا بكم، وبالشعب آمنا … وإنا بكفرنا ليس نأثم
غدُنا عالم الشعوب وإنا … في طريق التحرير جيش عرمرم
نحطم النير أينما كان في الكون … ولن نستريح، ما لم يُحطم

نعمة الله أنت يا وطني الغالي وفي | ظلك المقدس ننعم
أين من زهرك النجوم اللواتي في | سماواتها بزهرك تحلم
وعذاراك، أين منها عذارى الخلد | إن طوفت وطاف المتيم
والصبابات تزحم الركب والأنفاس | تُهدي الهوى لمن يتنسم
أين من جوك المضمخ بالمجد وذكرى | محمدٍ وابن مريم
كل بيت نراه حبة عين | كل عين في أرضنا عين زمزم
ذرَّة من ترابك الطهر خيرٌ | من عروشٍ خلف الحدود وأعظم

وقد طرق أبو سلمى معظم أبواب وموضوعات الشعر العربي بتحليق وسمو وروعة وله إبداعات خالدة في شعر الغزل وأغنيات في منتهى الرقة والعذوبة والشفافية.

الشاعر عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى ٣/٣



.. ونستطرد في إيراد نماذج من شعر أبي سلمى القومي الذي لا تسأمه الأذن ولا يَمَلّه الوجدان، فهو يقول بعنوان .. (جبل النار) .. وجبل النار لقب يطلق على جبل نابلس وهو مكون من سلسلة جبال دارت فيها المعارك بين المجاهدين والقوات البريطانية سنة ١٩٣٦.

جبل النار يا أعز الجبال ... أنت لازلت، معقد الآمال
تُنبت المجد فوق سفحك فينان ... وتسقيه من دم الأبطال
يُفصح الصخر عن شمائل أبنائك ... فوق اللظى وعند النزال
ما ذكرنا حماك إلا انتسبنا ... وانتشت نخوة رؤوس الرجال
أيها الثائرون في جبل النار ... سلاماً يا زينة الأبطال
لكم الله يا حماة فلسطين ... زحمتم مصارع الآجال
تحملون الأرواح فوق أكف ... وتبيعونها ولكن غوالي
ورصاصاتكم تمرُّ على الأيام ... حُمراً مضيئة في الليالي
تصرع الطائرات مثل طيور الجو ... تهوي ما فوق تلك التلال

يسمع الجند في صداها لُغى — الموت فلا يثبتون يوم القتال
أيها الثائرون قولوا، فإن الكون — يُصغي إلى لهيب المقال
والمعوا في غياهب الظلم تجلوها — فإن الجهاد رحب المجال
إنما الحق من بنادقكم يسطع — والعدل من وراء العوالي
انظروا اليوم كيف يلتفت التاريـ — ـخ حتى يرى بريق النصال
جبل النار زأرة تجعل الدهر — يحيي محطم الأغلال
جبل النار لم تخلدك إلا — ثورة في سبيل الاستقلال
جبل النار إقذف النار حتى — تُبصر النور يا أعز الجبال

ومن مؤلفات أبو سلمى :

(ديوان المشرد، أغنيات من بلادي، أغاني الأطفال، من فلسطين ريشتي، أبو سلمى «الأعمال الكاملة») وبعض المؤلفات النثرية الأخرى.

وقد أقيمت له مهرجانات تكريمية في دمشق، وبغداد، وبيروت. وإن كان يستحق من الحفاوة الكثير الذي لم يُتح له رغم مكانته العالية، وتاريخه الأدبي الحافل فهو يُعد أحد جهابذة النهضة الشعرية الفلسطينية وأحد روادها الأعلام وأحد أساتذة شبابها ..

وأبو سلمي يحفظ من الشعر الفلسطيني الكثير ولاسيما شعر صديقه الحميم الشاعر الفحل إبراهيم طوقان.

كما انه يتمتع بحافظة كبرى تعي الكثير من شعر القدامى والمحدثين.

وبطبيعة الحال فإن أبو سلمي يعتبر من كبار مؤرخي الحركة السياسية الفلسطينية وأحد أقطابها الأمجاد.

كما أنه أنيس المحضر، حلو المعشر، وديع النفس، قريب إلى نفس محدثه ومجالسه..

وله بعنوان .. (الشهيد المجهول) ..

الأفق باكٍ أيها المجهول   وعلى جوانبه دم مطلول
حملتك أجنحة الزمان على المدى   ما الخلد إلا حيث أنت نزيل
فاليوم لا حمر الثياب قشيبة   واليوم لا ظل هناك ظليل
وبكتك في السفح الحزين صوارم   وبكتك في الوادي قنا ونصول
وعلى المروج كآبة قدسية   وعلى الروابي عثير وصليل
علم البطولة لو سمعت خفوقه   لعلمت أن فؤاده متبول
نسجته آباد ورفَّت فوقه   حُلل موشَّاة الذُّرى وحجول
إلا التراب تضاحكت ذراته   وشدت ترحب فاللقاء جميل
عبق على الأيام منه مخلد   عبق الشهيد على الشهيد دليل
من أنت؟ صاح التُرُبُ وهو مخضب   فأجابه دمك الزكي يقول :
إني أخٌ للثائرين ووالد   للناشئين وللحياة رسول
أنا في ديار العرب شارة مجدهم   أنا رمز وحدتهم .. أنا المجهول.

ويقول في أربعين رفيق الدرب والعمر الشاعر إبراهيم طوقان .. (يا أخي) ..

كيف أبكي وكيف يبكي قصيدي   ومضى اليوم طارفي وتليدي
أي أخي والحياة بعدك قفر   والفضاء الرحيب دار الحديد
اللظى ملءُ خاطري وفؤادي   وإهابي والعيش غير رغيد
أين تمضي ؟ .. لمن تركت القوافي   والمروءات خافقات البنود
أنت يا واهب القلوب ضياء   كيف تمضي إلى ظلام اللحود
أنت من علَّم الطيور غناء   ما عهدناك صامتاً في الوفود
أين أنشودة ترفُّ على الوادي   فيختال بعد طول الهجود
أيها اللحن سادر في الدياجي   قد بلوتَ النجوم بالتسهيد
أين من يرسل الأغاريد حتى   نجتلي بارق الشعاع الوحيد
ويناجي عرائس الليل حتى   تتثنى مرنَّحات القدود

أين عمر حالي الرؤى وشباب ... كنت وشيته كوشي البرود
فتجلى على البلاد ربيعا ... عاطر الزهر دائم التجديد
لهف قلبي على الليالي النديات ... توارت خلف الليالي السود
يوم كنا ونحن نستبق الأيام ... سعياً إلى اللقا الموعود
فترد الأيام ريّا الحواشي ... وتعيد الشباب عذب الورود
لهف قلبي على الأماني زُهرا ... كيف أودعتها وراء الصعيد
لهف قلبي على ملاعب أُنسٍ ... موحشاتٍ بعد الحبيب الفقيد
أي أبا جعفر! عتبتُ على الأيام ... أودت بالبلبل الغريد
فتعرت تلك الخمائل لا تملك ... ظلاً ولا نضارة عود
كنت تستقبل الصباح بدنيا ... من أماني المتيم المعمود
توقظ الطير في البكور خفافا ... لترى النور في الفضاء البعيد
تحمل القلب مشعل الوحي يهدي ... كل قلب إلى جمال الوجود
تخلع الحب والحياة علي الشعر ... فنحيا في ظله الممدود
ما سعي الشعر في المحافل إلا ... فزت دوماً بتاجه المعقود
أيها الشاعر الذي نضر العمر ... بحلو الغناء والتغريد
أي قلبِ لم يحتفل بأغانيك ... وافقِ لم يحتفل بالنشيد
شعرك العبقري حلم العذارى ... شعرك العبقري نفخ الورود
هتفت باسمك الأزاهر في الروض ... فغارت منها شفاه الغيد
كم تغنت به المروج نشاوى ... وتغنت به رمال البيد
موكب الفجر سار في آخر الليل ... وئيداً وكان غير وئيد
طاف بالنعش حاملاً ذكريات ... داميات المنى طواف الشريد
فتلاقت جراحنا بدموع ... كتلاقي أحلامنا بالعهود
أي أبا جعفر أبا الشعر والعطر ... تنقل على روابي الخلود

قد تحررت من قيود الليالي ... كيف تمضي ولم تحل قيودي

طر كما شئت، في غدٍ نتلاقى ... يُجمع الشمل في غدٍ من جديد

كيف أرثيك يا أخي كيف قل لي ... فالقوافي مروعات الكبود

عجز الشعر أن يقول رثاء ... قم تكلم في يومك المشهود

إن في القلب مأتماً لك طول العمر ... يبقى مسعراً بالوقود

وبعد : فلقد كان شعراء فلسطين فعّالون لا قوّالون والدليل على ذلك ما قاله الشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود صاحب القصيدة المشهورة التي يقول فيها :

سأحمل روحي على راحتي ... وأمضي بها في مهاوي الردى

فإما حياة تسُر الصديق ... وإما ممات يغيظ العدى

وقد حمل روحه فعلاً مع بندقيته وقدَّم هذه الروح قرباناً في ميدان الشرف والجهاد.

الاعلامي الكبير عيسى خليل صباغ ١/٣



شاءت الأقدار أن نفقد في أواخر عامنا الهجري ١٤٢٠ صديقاً فذاً كريماً، وإنساناً كبيراً، وأديباً جهيراً، وإعلامياً نادر المثال، وشخصاً حبيباً لكل من عرفه، هو الأستاذ (عيسى خليل صباغ) الذي جمع من الثقافة خير ما يُجمع منها.

وقد عشقناه في البدء صوتاً رائعاً يتهادى مدوّياً على جناح الأثير من إذاعة لندن العربية وكان يسمى (أمير المايكروفون).

وقرأناه كاتباً مبدعاً وشاعراً موهوباً .. وإن يكن مقلاً في عطائه الشعري وصادقناه أخاً نبيلاً مثابراً على الود.

ثم انتقلت به الظروف إلى أن يكون موظفاً كبيراً ناجحاً ومستشاراً مرموقاً في سفارة الولايات المتحدة الأمريكية بجدة ومرافقاً للرؤساء الأمريكيين في زياراتهم المتعددة في أنحاء البلاد العربية وغيرها.

وقد فازت بلادنا من وجوده بها بأوفر نصيب كما حظي بلقاء المؤسس أسد الجزيرة العربية (الملك عبدالعزيز آل سعود - يرحمه الله) ومخالطة أمراء آل سعود الأفذاذ مخالطة الصديق، كما عاش مكرماً من كبار الأدباء والشعراء ووجهاء البلاد محفوفاً بتقديرهم كما كانت له صداقات بمعظم الزعماء العرب بحكم عمله.

وقد حظيت بصداقته وتعارفنا عائلياً إبان تواجده في بلادنا الذي طال أمده وكان من أخص أصدقائه الشيخ كمال أدهم والأستاذ عبدالمقصود خوجة وسفير ايران الأسبق جعفر رائد.

وقد حيَّيته بالكلمة التالية المتضمنة أيضاً تحية شعرية كان مستحقاً لها، كما تضمنت أبياتاً رقيقة من شعره سأوردها فيما بعد.

ولالتصاق عيسى بالمملكة فإنني أورد ما كتبه بعنوان (رجل المملكة)!

ما أكثر ما كتب المؤرخون (وكدت أقول «المؤرقون») في صفات الملوك وسجاياهم ومزاياهم إلي أخر أنغام «فرقة حسب الله» التي لا هم لها سوى التملق بقصد التملك!

هناك ملك عربي مثالي الخُلق تستبشر حين تراه، لا أظنه بحاجة إلى الطنطنة والتزمير.

كادت غصة الحزن والفجيعة لوفاة الفقيد الملك فيصل تخنقني، ولولا تأسي الرجال المؤمنين بأن لا حول ولا قوة إلا بالله، وصبرهم على الشدائد، لكان لسان حالهم ما قالته الخنساء في أخيها صخر :

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي

في ذلك الظرف العصيب هُرع نلسون روكفلر إلى المملكة العربية السعودية (وكان نائباً للرئيس الأمريكي) لتقديم مشاعر التعزية والتعاطف مع أسرة الفيصل الكبري في ذلك المصاب الموجع.

تقبَّل الملك خالد عبارات التعزية من الولايات المتحدة الأمريكية حكومة وشعباً، ثم نطق بكلمات مازالت تثلج صدري وتملأ قلبي. قال العاهل الجديد للمستر روكفلر : «أنا واخواني وجماعتنا كلهم تلاميذ فيصل، فلقد كان والله مدرسة لنا جميعاً. منه تعلمنا أصول التعامل الدبلوماسي بين الأمم. كنت معه في كثير من أسفاره، إلى أمريكا وغير أمريكا. وبالنسبة إلى هذا الموضوع سنظل إن شاء الله متبعين السياسة التي سار عليها الفيصل تجاهك : صداقة تظل قائمة على أُسس الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة والصراحة في كل ما نعمل ونقول». وبعد إطلاق تنهداتٍ حرى

أضاف الملك اليعربي الهادئ : «والبركة في نائبنا وولي عهدنا الأخ الأمير فهد الذي تخرج هو الآخر في مدرسة فيصل وتخصص بالشؤون المعقدة التي تسمونها عندكم دبلوماسية، وأرجو ألا يكون مفهومها اللف والدوران ومجافاة الصديق، لأننا حنا يا عرب هذي الأمور ما هي بزينة في نظرنا!».

وكان روكفلر يصغي إلى كل كلمة تدخل سمعه ووعيه، وكأني لمحت ارتسام الادراك السليم والاعجاب الصادق على محيّا ذلك الزائر الكبير من بلاد عمّه سام، ولئلا يعود نائب الرئيس الأمريكي إلى بلاده حاملاً نصف أمثولة من الملك الجديد، زاده أبو بندر النصف الباقي وكان في الواقع درساً في الديمقراطية العربية ينساه - لسوء الحظ - كثيرون من البشر في الشرق فضلاً عن الغرب، أو هم يتناسونه، وهو التركيز على ما ينفع الشعب. قال الملك خالد لزائره «نحن آل سعود من الشعب، وخُدّام الشعب، وسنحرص دائماً على توفير المساكن والمدارس والمستشفيات وكل ما يلزم الشعب، فالشعب هو سندنا وخدمته واجبنا، ورضا الله عز وجل هو قاعدة أعمالنا». قلت في نفسي هذه العبارات السلسة سرداً والعميقة مغزى : «والله لو أوتي مرشح للانتخابات في الغرب مثل هذا القول الخالص، وبمثل هذا الصدق الواضح لانتخبه شعبه مرة تلو مرة زعيماً يفاخر به».

والآن إلى مناسبة أخرى كنت شاهداً على فصولها، ولولا ذلك لما صدقت ما كان : هل هي أعجوبة ملكية فريدة؟ أم أنها يد الملك خالد لمست ظرفاً ما فقصدت الإصلاح وكان لها ذلك بفضل الله؟

كنا في طائرة هليكوبتر تابعة للرئيس الأمريكي، في معية جلالة الملك خالد وهو عائد من حفلة غداء في البيت الأبيض أقامها يومئذ الرئيس كارتر تهنئة للملك السعودي على خروجه سالماً معافى من مستشفى كليفلاند. الطائرة فخمة مريحة جداً أرضها مفروشة بسجاد أزرق فاتح «منقوش». وزير الخارجية الأمريكية السيد ساويروس فانس، ذلك الرجل الطيب الخلوق، جالس قبالة الملك خالد يتبادلان عبارات مجاملة عادية، ويشرح الوزير للضيف الكريم معالم ما نراه على الأرض تحتنا من احراج ومياه تحيط بالعاصمة واشنطن وتمتد أميالاً حولها. المسافة قصيرة. الوجهة : مطار أندروس العسكري حيث جثمت الطائرة الملكية السعودية استعداداً لعودة جلالته وصحبه لاستئناف مسيرتهم إلى جزيرة برمودا الناعمة.

الاعلامي الكبير عيسى خليل صباغ ٣/٢



.. وحين حلّ عيسى بديارنا حيّيته بالكلمة التالية :

مع عيسى خليل صباغ

هل وصل إلى سمعك أيها القارئ الكريم صوت ندي قوي رنان متجاوب الأصداء يحمله الأثير من أقاصي الأرض. من ضفاف التايمز آناً، ومن حفافي السين حيناً، ومن سواحل أمريكا طوراً ومن بلاد العروبة تارة، فيملأ روحك نشوة وقلبك جذلاً ونفسك طرباً. صوت سريّ اللمحات سحري المقاطع متألق النبرات مليء العبارات؟ إن يكن قد بلغك ذلك فهو بلا ريب صوت عربي يذيع بأفصح اللغات وأكرمها في أروع بيان وأعذب لسان.

إنه صوت المذيع العربي الأول (عيسى خليل صباغ) والذي يسمونه في أمريكا أمير المايكروفون.

وقد كان حظنا في الأيام القلائل التي مضت أن سعدنا بأويقات قضيناها معه في زيارته الخاطفة كضيف عزيز كريم أن غلها القصر فقد أترعها الحبور.

إن (عيسى) فنان ككل فنان تتجهم مقلتيه لحيائه وانطوائه وربما لاعتزازه وإبائه فإذا أقبل عليك وأقبلت عليه وأخذت من محضره بنصيب، ومن معشره بصلة تكشفت لك منه نفس عذبة ودود، وطبيعة سمحة أصيلة ولسان ذرب مدرب يعرف كيف يسحر ألباب الملايين من مستمعيه المعجبين.

وصوت (عيسى) في الحديث كصوته حين يحتشد للاذاعة ويرسله منطلقاً دفاقاً عبر طريق الأثير يروعك جوهره ويمتعك رنينه.

كرّمته الاذاعة السعودية فحييته في حفلها بالقصيدة التالية :

يا هزاراً شدا به كل سامر	واشرأبت له المنى والخواطر
عبقري الألحان يصدح في (الغرب)	فيسري صداه في الشرق زاهر
في بيان مسلسل عبهري	وحديث عذب الترانيم ساحر
يتهدى الفصحي أرق معانيها	مشيدا بمجدها متفاخر
مرحباً أن أراك في مهدها الأسمى	وأهلا بكابر أي كابر
صوتك الفذ كم أثار حنين	وسرى هادراً يهز المشاعر
يجتبيه (الأثير) هيمان ما شاء	ويهديه كالربيع المباكر
فيه سر الأجيال من أمة العرب	وفيه لمح القرون الزواهر
نغم مترع الصفاء رفيع	تصطفيه خوافق وضمائر
أين منه بلابل الروض تشدو	والقماري صادحات سواحر؟
هو نبع من الخلود سرى	أو تراه في النجر رقة شاعر
ايه (عيسى) حللت ما بين صحب	كلهم معجب بفضلك ذاكر
فتقبل منا التحايا جميعاً	والأناشيد حفلا والبشائر!

ثم عرفت بعد ذلك في (عيسى خليل صباغ) شاعراً رقيق المعاني حيث أنشدني من شعره الأبيات العاطفية الآتية التي قرضها غداة يوم الاحتفال به :

ليس يجدي البكا بدمع المآقي	لا ولو خلت ان تخلف باقي
زفرات ارسلتها ملء جفني	فنابت عن أدمع العشاق
سكر الناس من طلا بكؤوس	مترعات للهم كالترياق
وهجرت المدام لكن قلبي	نهل الحب مذ رآك الساقي
فغدا ينتشي وكنت كريما	لا يبالي ما في غد قد يلاقي

وبعد : فلئن كان (عيسى خليل صباغ) إذاعياً كبيراً ممتازاً فإنه كذلك لأديب معلم، ولئن كرمته الاذاعة فإن سفره المعجل لم يمكن الأدباء من تكريمه. ولو طال مقامه لطال الاحتفاء به وزاد إكرامه.

ويتذكر عيسى جدة في بدايات حضوره إليها منذ خمسين سنة فيقول : هبطت مدينة جدة أول مرة في حياتي عام ١٩٥٢ قادماً من بيروت فالظهران فالرياض. وقيل إنني ضيف على الحكومة. وقد أنزلني المسؤولون عن الضيافة في «فندق بساتين جدة». وكان ذلك الفندق، كما قيل لي، أفخم ما في البلد، فشكرت لممثل الحكومة هذه العناية، واستأذنته في أن أرتاح من عناء السفر، وكان ذلك عند الظهيرة. فانصرف صاحبي، على أن يعود بعد ساعتين لنتناول معاً طعام الغداء. أما أنا فلم يطاوعني النوم رغم شدة الاعياء من السفر بطائرة «داكوتا» صغيرة كنت أظن أن سائقها مولع باستكشاف كل وادٍ في الطريق، من كثرة ما تنقلت أحشاؤنا بين الحلق والمثانة! أقول ما استطعت أن أنام، فحدّثت نفسي بأن أتفقد جنبات هذا «الفندق الفخم»، وفعلا مشيت بضع دقائق فإذا بي أدرك أن كلمة «بساتين» أُطلقت على ذلك المكان بمعناها النسبي، وإذا بالفندق نفسه لم يتم بناؤه، كما أن ما قد أُنجز منه تمرد على الهندسة وعلى الفخامة، فما العمل؟ عدت إلى غرفتي محاولاً دفع أفكار طائشة عصفت برأسي. وتقلبت على السرير من شدة الحر، لا أدري ما إذا كانت «الطقطقات» التي سمعتها، صادرة عن خشب السرير، أم عن ضلوعي النحيلة في ذلك الزمن، أم أنها حوافر خيل في سباق حثيث، أم هو صاحبنا قد عاد فأخذ يقرع باب الغرفة قرعاً ملحاً كي أفيق من «نوم عميق» .. وبعد الاصغاء والاختبار اتضح أن مبعث تلك الأصوات هو خناق بين جنبي والسرير. وكان ان دخل في المعركة عنصر آخر مشاكس، هو الذباب اللعوب الذي يأبى ألا أن يخيّرك بين الاختناق إن أنت سددت على غزواته المنافذ، وبين البقاء حياً مع إبقاء أطرافك في حركات دفاعية مستمرة! وآثرت الحل الأخير طبعاً غير منتبه إلى ضآلة الفرق في النهاية بين الاختناق والغرق .. الغرق في العرق يتصبب من سائر المسام حتى دون الحاجة إلى مساعدة رياضية كالتي فرضها الذباب عليّ .. وسلّيت نفسي بتذكر قاعدة كنا تعلمناها في مادة الطبيعيات وهي أن التبخير يُحدث التبريد، كما هو الحال في أباريق جبال لبنان

.. ولكن حتى هذه القاعدة الطبيعية التي أقرها أقطاب العلم أبت في جدة ذلك الزمان إلا العصيان، ذلكم لأن نسبة الرطوبة في الجو كانت عالية علواً لا يسمح بالتبخر السريع .. وأخيراً فكرت في طلب النجدة من «راعي» الفندق، والتفتُّ حولي في الغرفة فاهتديت إلى زرٍ يضغط عليه فيُسمع جرس. ونهضت خفيفاً كالخارج من بركة وضغطت علي الزر مرة واثنتين وثلاثاً فلم أسمع شيئاً ولم يُهرع لنجدتي أحد .. فماذا أفعل؟ أأصفق؟ ربما لم تكن هذه هي العادة المألوفة عند السعوديين لاستدعاء الخادم! أأصرخ؟ إذن يا لضيعة الصوت الاذاعي يستخدم في مثل هذه الظروف، وقد يسبب اتهام الناس إياي بالجنون! قررت أخيراً ألا أصفق ولا أصرخ بل أن أعالج الموضوع علمياً .. أرهفت السمع وأنا أضغط من جديد على زر الجرس، فتأكدت من أن الجرس إما لا وجود له أو أنه مفصول عمداً لئلا يُزعج الخدم . وعمدت إلى ما تهيأ لي أنه مفتاح إنارة الغرفة، فحركته، كما يقول «شكوكو» «من فوق لتحت، ومن تحت لفوق» فلا لمع مصباح ولا حدث شيء.

ولئلا أطيل عليكم هذا الشرح أفيدكم بأنني سألت المسؤول فيما بعد، عن سر هذا السكون فأجابني بأن «الحرارة» مقطوعة. الحرارة مقطوعة. وفي جدة؟! أدرك الرجل استغرابي فشرح لي أن الحرارة هي الكهرباء في العُرف المحلي، ولكنه أكد لي أنها عائدة إن شاء الله في المساء. قلنا هانت ..

نظرت إلي ساعتي وإذا بموعد صاحبنا من التشريفات قد حان، وفعلاً ما هي إلا بضع دقائق حتى جاء ذلك الشاب وأنا على وشك الانتهاء من توثيق رباط العنق (الكرفتة) التي حكمت ظروف اللياقة عليّ بأن استبقيها حتى في الهجير. ورددت على صاحبي التحية، ثم قال «نعيماً» فرجوت له النعمة من الله، ولكنني إلى تقديري حُسن خُلُقه بدأت أشعر في قرارة نفسي أنه إما يمازحني بأسلوب من يذكرك بمحنة وصغرها في عينك لتخف وطأتها، أو أنه جادٌ في ظنه أنني نمت واسترحت فقال «نعيماً». فهو إذن «غير واقعي» .. ولكن هي السذاجة أو طيب القلب، أو سمِّها ما شئت، جعلتني أستعيد الثقة في سلامة عقل صاحبنا، وأقنعت نفسي بأنه ليس من الغرابة في شيء أن يقول لي «نعيماً» وقد رآني أبتسم وأنا مبلل، وهذا الاقتران بين البلل والابتسام لا يكون مرده في العادة إلى تفجُّر صمامات العرق في الجسم، بل إنما

يكون نتيجة لخروج المرء من الاستحمام المنعش، وهذا لم يكن حالي في الواقع لأن المياه في جدة ذلك الزمان كانت في شحة الزئبق وغلائه.

ومهما يكن من أمر فإنني لم أفاتح ذلك الشاب بأفكاري ولم أطعن في إخلاص تحيته. وتناولنا طعام الغداء وكان لذيذاً لذة غريبة، أدركت فيما بعد أنها كانت نتيجة لما سبق الطعام من جوع وأرق و«رياضة». وسألني المرافق إن كنت قد استرحت فعلاً أم أنني مازلت بحاجة إلى النوم وبخاصة بعد الغداء، وهو وقت القيلولة، وعادة الناس هنا أن تنام إلى العصر؟ رجوته بسرعة ألا يقترح «القيلولة» عليَّ، إلا إذا شاء هو أن ينصرف إلى قيلولته .. أما أنا فبودي أن أركب سيارة أزور بها معالم جدة. رحب بالفكرة وقهر نفسه إذ تطوع باطلاعي على تلك المعالم. والواقع الذي أفشيه الآن لأول مرة هو أنني إنما اقترحت تلك الجولة بالسيارة، لا رغبة مني في إحصاء معالم هذه المدينة بل انتفاعاً بما يحدثه انطلاق السيارة والنوافذ مفتوحة من تبريد مريح للأعصاب. وهذا ما كان، وراح يشرح لي صاحبي كيف أنه لم تمض إلا سنتان أو ثلاث على هدم السور من حول جدة، وأن معظم البناء كان محصواً داخل السور، وأراني مواقع البوابات التي كان الناس ينفذون منها داخلين أو خارجين. ومررنا بفندق «التيسير» فلمحت المئذنة المائلة قبالة الفندق، وتذكرت صور برج بيزا (Piza) ا المائل، في ايطاليا. وموجز القول إن الرجل بشرحه وبراعته في الوصف أنساني ما تبقى من ضيق نفسٍ كانت السيارة بنسيمها قد أتت على الجزء الأعظم منه.

وأرخى الليل أستاره، وعادت الكهرباء إلى فندق بساتين جدة، وكان أن هبَّ نسيم عليل بعيد الغروب محا أو كاد كل مزعجات النهار، وتقهقرت جيوش الذباب لترتاح وتستعيد عنفوانها في اليوم التالي طبعاً، ولكنها اختفت في الليل، وهذا هو المهم في الأمر لمن لا يطلب الكثير ..

وبعد طعام العشاء استأذنت من كنت معهم في أن أعود إلى غرفتي فأنام لأن مواعيد مبكرة في اليوم الثاني كانت في الانتظار. وتهيأت للنوم، وكيف أنام ولم أقرأ بعد ولو بضع صفحات من كتاب (وهذه هي عادتي كل ليلة)؟ كنت أحمل معي كتاباً جديداً عن الحرب العالمية الماضية، أحببت متابعة فصوله، فأخرجته من حقيبتي واستلقيت على السرير وحاولت القراءة. وهنا بدأت المصاعب، فالغرفة فيها مصباح

واحد جُعل في نهاية خيط متدلٍ من السقف. والمصباح (اللمبة) دون غطاء، والنور إذن مسلط على بؤبؤ العين، وكلما حاولت تفادي الوهج، بأن أجعل الكتاب وسيط وئام بين المصباح وعيني، أظلمت صفحات الكتاب، فلا قراءة. قلت إذن أجلس على السرير وأجعل المصباح على زاوية جانبية خلفي، واستويت في جلستي تلك لا أكثر من دقائق معدودات طويت فيها ثلاث صفحات أو نحوها إلى أن بدأت أشعر بألم خفيف في ظهري، وبحرارة في رقبتي وأذني. أما ألم الظهر فسرعان ما أدركت سببه وهو عدم الراحة في الجلسة، أما «الحمّى» التي انتابتني فماذا تكون؟ أهي نسيبة تلك التي قال عنها المتنبي :

وزائرتي كأن بها حياء فليس تزور إلا في الظلام!

الاعلامي الكبير عيسى خليل صباغ ٣/٣



.. وقد أتحفني الصديق عيسى بمؤلَّف أدبي طريف عنوانه (من بين أوراقي) جمع فيه حصيلة من كتاباته خلال خمسين عاماً من الاعلام والدبلوماسية ولعيسى أيضاً مؤلف هام مؤلف من جزئين هو (كما قالت العرب) من أروع ما كتب في بابه.

وفي كتابه (من بين أوراقي) تناول عديداً من الموضوعات القيمة الشائقة ومن عناوينها :

(الرجل الملك، الشرق الأوسط وفرص السلام، كيف يمكننا محاورة الغرب، أول رائد فضاء عربي، عن التعاون الدولي).

وقد قدم هذا الكتاب صديقه الصحفي الكبير ناصر الدين النشاشيبي تقديماً لائقاً بمكانته ولولا خشية الاطالة لأوردت جزءاً من هذا التقديم بقلم ناصر.

وفيما يلي أحد مواضيع كتابه (من بين أوراقي بعنوان : نظرة إلى التاريخ) :

من الناس من يُهيب بالعرب والمسلمين ألا يلتفتوا إلى الوراء، فهذا في رأيهم تقهقر، وألا يحفلوا بالتاريخ فهذا شيء مضى وتجمد!! أنا، ولله الحمد، لست مع هؤلاء إلى الحد الذي يريدون فعندي أن العاقل هو من أجاد الالتفات إلى الوراء لا من أطاله أو جمده، والعاقل هو من درس التاريخ وبعمق، لا على أنه حكايات ودردشات تنفع في ليالي الشتاء، بل على أنه تعاقب منطقي لحوادث وتطورات تبدأ

بأسباب وتنتهي إلى نتائج. وعلى هذا الأساس فقد درجت في السنوات الأخيرة على حث أصدقائي على زيارة ربوع اسبانيا، وبخاصة الأندلس، ولو مرة في العمر : لا لأني أطمع في «نيشان» من سلطات السياحة في اسبانيا، بل لأنني أريد لأصدقائي ما أردت لنفسي، أو قل ما جرى لي فعلاً فأحببته لغيري. ذلكم هو الشعور بالاندهاش لما رأيت، جاراه «الانتفاش» بما سمعت من الدليل حيثما طُفت في الأندلس : بلنسية، غرناطة، قرطبة، اشبيلية، طليطلة وما يربط بين القصبة والأخرى من دساكر «ومستعمرات» عربية إسلامية مازالت عليها مهن تلك الحضارة الخلابة مسح وأسماء. عند مدخل كاتدرائية بلنسية شرح لنا الدليل الاسباني أن القوم هناك يعقدون محكمة قوامها ستة قضاة، تسمى محكمة المياه، أي محكمة البتّ في شؤون المياه وتوزيعها لأغراض الزراعة والري وما قد ينشب عن هذا المرفق من مشاكل أو منازعات. وأكد لنا الدليل حرص الاسبان في العادة على موعدين اثنين : مصارعة الثيران، ومحكمة المياه في بلنسية، وأضاف الدليل، مازجاً الحقيقة بالطرافة، أن موعد مصارعة الثيران (وهي الحدث الشعبي الرياضي - المفضل عندهم) يصير فيه أخذ ورد بمقدار دقائق أو أقسام قليلة من الساعة، أما موعد انعقاد محكمة المياه فتكاد تتكل عليه لتعديل ساعتك إن كنت تتوخى مطلق الدقة الزمنية والمحافظة على المواعيد، ذلك أن المحكمة تنعقد الساعة الثانية عشرة، ظهر كل يوم خميس. ويزيد الدليل أن هذا التقليد الاسباني الباقي إلى يومنا هذا «مأخوذ عما بدأه العرب (Los arabes) في بلنسية منذ مطلع القرن العاشر الميلادي، أي منذ أكثر من ألف سنة! ولعلكم تستغربون أن شبكات الري التي تفتقت عنها عبقرية الهندسة العربية والاسلامية إبان حكمهم بلنسية وملحقاتها، ما زالت صالحة ومستعملة إلى الآن». في هذه اللحظة حدّق أعضاء ذلك الوفد السياحي بعضهم ببعض، ثم قال أحد المتشككين (وفي كل مجموعة من الناس واحد منهم على الأقل) موجهاً كلامه إلى الدليل الاسباني : «أتعني بهذه الفذلكة الدعائية أن العرب كانوا على هذا الحذق الزراعي حتى قبل العصور الوسطى؟» فأجاب الدليل «نعم، هذا بالضبط هو ما أعنيه، فالعرب كانوا أمريكان زمانهم!» ولم أضبط نفسي عن سؤاله «علام بنيت هذا التشبيه؟» قال : «لقد لمع نجم العرب والمسلمين زمناً طويلاً في هذه الديار، حتى

أنك لتجد شبهاً عظيماً بين الطبع العربي والطبع الاسباني، بل بين «سحنة» العربي وسحنة الاسباني، من رجال ونساء، ونحن الاسبان ورثنا، فيما ورثناه، الكثير عن العرب من أمجاد وعبقريات، وحتى لغتنا حافلة بالمفردات والتعابير العربية. أما قولي إن العرب القدامى كانوا أمريكان زمانهم فأقصد به ما قام البرهان عليه من طول باع العرب، في أوج عصرهم الذهبي، في الأبحاث العلمية والطبية والهندسية، فضلاً عن الزراعية والفلسفية، وبالاضافة إلى النواحي التطبيقية من حياتهم في تلك الأيام. وليس من ينكر طول باع الأمريكان هذه الأيام في ما يسمى بالتكنولوجيا العصرية، وهنا وجه الشبه الواضح بين العبقريتين!».

شكرت للسنيور الدليل هذا الفصل التاريخي الممتع، وأسررت إليه أنني من «السنديانة» العربية، وأنني حتى ذلك الصباح كنت كلما نظرت إلى صرح من الصروح التاريخية الجميلة، والآثار التي لو نطقت لحدّثتك بلغة قريش، أحس بغصة وحسرة، لا يكاد عقلي يصدق عيني : هل صحيح أنني أنا الفقير إليه تعالى منحدر من أمة أشاهد الآن بعض أمجادها الراسخات؟ وزدت صديقنا الدليل شكراً على ما شرحه لزملائي السياح من بعض أفضال العرب والمسلمين حملة مشعل الحضارة والعلوم إلى دهاليز أوروبا المعتمة في تلك العصور، فلقد والله شرح بشرحه صدري، وحوّل اندهاشي العياني إلى «انتفاشي» في قفص هذا الصدر.

جميل إذن أن يتذكر المرء ما أنجزه سلفه، ونافع أن يقف الانسان عند آثار تلك المنجزات وقفة تأمل وإكبار يعقبها حماس وعزم على المضي قدماً في سبيل الابداع العلمي والحضاري. وفي هذا الصدد لابد لنا من كلمة حق نقولها وهي إن بعض المؤرخين أو ساردي التاريخ لا يعطون القدر الكافي من الفضل في تحقيق المدنية العربية الاسلامية في غرب أوروبا إلى العرب الأفارقة بل المسلمين الأفارقة، مما يترك مجالاً كبيراً للقول بأن الحضارة الأندلسية هي الولد البكر للمشرق العربي وكأن المغرب العربي لم يحدث على ذلك «الوليد» ويأخذ بيده موصلاً إياه إلى أخصب الأجواء!

من المعروف أن الحضارة الانسانية هي، كالبحيرة الحية، نتاج انصباب روافد عدة فيها. وانك لا تميز في مياه البحيرة أي مصدر معيّن واحد عن سواه، وكذلك

الأمر في الحضارة : تصبح محتوى غنياً واحداً، هو ملك للبشرية، حالما تمتزج في البحيرة مياه الروافد على تباينها الأصلي. وحسبنا هنا أن نستشف ولو بعض معالم الحضارة العلمية والعرفانية التي أسهم بها العرب والمسلمون خدمة للانسانية، معالم نمر بها كل يوم دون أن نتذكر أصلها أو نترحم على المسهمين في تحقيقها :

الهندسة المعمارية :

ومازالت آثار الابداع الاسلامي المنقولة، بادية في المباني العامة والخاصة في شتى أنحاء العالم : من مبنى «تاج محل» الشهير في الهند إلى رواق الجامع الكبير في القيروان، إلى العديد من كاتدرائيات أوروبا من اسبانيا إلى ايطاليا، وفرنسا، وانجلترا.

الزراعة :

من نوافير الماء في حماة بسورية إلى حوض للماء شهير في القيروان يعود إلى القرن التاسع الميلادي، إلى شبكة الري في بلنسية الكبرى باسبانيا. إلى المزرعة التجريبية الحديثة في بنغازي، إلى حقول وبساتين جميلة حول مدينة فينكس بولاية أريزونا الأمريكية. ثم إذا نحن ألقينا نظرة سريعة على ما يقدم للأكل جاهزاً أو كمادة تدخل في الأكلة، شرقاً وغرباً، وجدنا المواد التالية التي تعرف العالم الغربي عليها من طريق العرب في أوروبا أو العائدين إلى أوروبا من الشرق، أو من أفريقيا الاسلامية : السكر، البرتقال، الأرز، السمسم، الكراث، البطيخ، البلح، الليمون، البن، القرنفل، الفلفل، الزنجبيل، المشمش، الخروب الخ (عجيب فعلاً. تُرى ماذا كانوا يأكلون في أوروبا قبل تعرُّفهم إلى «ما لذّ وطاب» من نقل وتطوير بني الأعراب؟».

الطب :

وسّع العرب والمسلمون محتويات الصيدليات القديمة كما كانت عند الاغريق والرومان، وذلك باستعمالهم طبياً الأعشاب والمواد النباتية (كما فعل ابن سينا) ومن هذه المواد النعناع، والزعتر أو الصعتر، والبابونج، والثوم، والصمغ المر، والكافور، والقرنفل ،والجعد وفي القرن التاسع لمع الرازي كأول طبيب مسلم كبير استُعمل كتابه الطبي الشهير «المنصوري» في أوروبا حتى القرن السادس عشر.

وقد رثيت أديبنا عيسى بقصيدة منها :

سلام على روحك الغالية ... على نفسك الحلوة الصافية

أ (عيسى) تركت بنا لوعة ... لفقدك وقادة نامية

فقد كنت شهماً سَرِيَّ النُّهى ... بفكر هو القمة السامية

يُدَوي صدى صوتك المجتبى ... يُعطِّر أجواءنا التالية

وكنت الأديب اللبيب النبيل ... وكنت لنا دوحة عالية

أجل كنت جوهرة المنتدى ... وفي الجمع كالزهرة النادية

تنافح عند يعرب كل حين ... يُشعل آمالنا الباقية!

أ (عيسى) (فلسطيننا) سوف تبقى ... ونسترجع السهل والرابية

سترجع أوطاننا حرة ... وقمتها (قُدسنا) الزاكية!

والحديث عن عيسى صباغ يطيب كثيراً وإنما اختصرته خشية الاطالة والاملال.

نزار قباني



عرفت نزاراً حينما زرته في مكتبه الذي كان في محلة الخندق ببيروت وتعمقت صداقتنا.

والآن فبارتحال هذا الشاعر العملاق الصديق (نزار قباني) نشعر كأن حدثاً ضخماً من أحداث الطبيعة قد مسَّ أرض الشعر الفانية، فأصابها بزلزال شديد الوطأة، كما نحسّ بدهشة كبيرة وحسرة بالغة لفقده .. ونتساءل أحقاً قد حدث هذا الأمر؟ فقد عودنا نزار منذ أكثر من عقدين من الزمن أنه رغم وطأة الداء الجبار، وقسوته عليه أن يكون أكبر منه فطالما شهدناه فوق سرير المرض الجائع الذي يكاد أن يتآكله ثم أذابه بعد حين يطول أو يقصر في صراعه له منتفضاً منه منتصراً عليه سليماً معافى تصدق فيه عبارته (وكأن شيئاً لم يكن)، وإذا بانتاجه الرائع والغزير ملء واجهات المكتبات كتباً يتهافت الكثيرون على اقتنائها وملء الصحافة الأدبية والسياسية مقالات وقصائد يعكف القارئ عليها معجباً تارة، ومغضباً رافضاً تارة أخرى .. فكأنه (طائر الفينيق) الذي ينتفض من أعماق الرماد متمرداً على الموت مستعصياً عليه.

وإنني أحمد الله على أنه لم يفتني السؤال المتتابع عنه ومحادثته ما أمكن من أي بلد أو مكان كنت فيه، وكان يؤلمني في الأخير حينما أحسّ بحشرجة صدره.

لقد كان (نزار) نسيجاً وحده، ولذلك أسباب فما من شاعر سواه كان يجرؤ على

أن يقتحم النسائيات بالاندفاع الذي دأب عليه، وما من شاعر غيره كان يستطيع أن يخالف - ولو في مرات قلائل - بعض قواعد اللغة صرفاً أو نحواً ويجنح إلى ذلك جنوحه كقوله : (مولاي ألف هنا ..) ثم يقبل ذلك منه.

ومما قاله الناقد الكبير الدكتور منير العجلاني في مقدمة ديوانه الأول (قالت لي السمراء).

«.. نــزار

لا أسألك .. لا أسأل الله إلا شيئاً واحداً أن تبقى كما أنت طفلاً يصور، ويغني، ويعشق كأنه ملاك يمشي على الأرض ويعيش في السماء.

لا تطلب الشاعر الخالد فإن الشاعر الخالد الذي يعيش في المجامع العلمية والمكتبات الأثرية يجرّ وراءه في الطريق الصحراء القاحلة ..»

ولقد عاش نزار كما أراد له العجلاني إلى أن حلّت بالعرب نكبة الهزيمة الكبرى فجنح إلى الشعر السياسي واستمر عطاؤه في كلا النوعين وأيسر بهما.

ولقد أصاب من الشهرة العريضة ما تقصر عنه الآمال، وسلك مسار الخالدين!

كما أنه ما من أحد سواه كان يملك تبسيط العبارة الشعرية إلى الحد الذي تروق فيه لسواد الناس ولا يرفضها عِليّتهم، وكان هذا من الأسباب التي رقَّقت أشعاره، وجعلتها سائرة سيرورة كبري لا حدود لها، وراقت لأصحاب الغناء المعاصرين، وأكثر هؤلاء غير عريقين في التضلع من لغة العرب وفهم دقائقها رغم شهرتهم مع التفريق بين دارجها وفصيحها تفريقاً واضحاً.

وكان طبيعياً لشعر (نزار) السهل أن يقبل عليه سواد القراء إقبالاً متزايداً، وأن يروج رواجاً خارقاً وأن يتهافت عليه بالتالي المطربون نساءً ورجالاً.

وكانت بدايات شعره هي التحدّث عن المرأة في سائر أحوالها وكان حفياً بدءاً في أشعاره الأولى بالالتزام بعمود الشعر والتشدد به، وهذا ما رسّخ مكانته في بداياته.

ولقد كان من أسباب تخلّيه عن الوظيفة الدبلوماسية على رفعة مكانتها والجنوح إلى تأسيس دار للنشر خاصة بمنشوراته أنه كان يرى - كما قال لي - أن الناشرين استفادوا مادياً من رواج كتبه الكثير في حين أنه لم يستفد منها إلا القليل، وهي نظرة صائبة وقد فتحت له أبواب الرزق من رواج هذه الكتب، حتى كانت أرباحه المتوافرة

كافية لتغطية وسائل معيشته وضرورات حياته تغطية سخية شاملة ولذلك فقد حمته من غوائل الحاجة ودرّت عليه الكثير.

وان (نزار) ذكياً حينما حرص على أن يخرج كتبه في أحسن رونق وأجمل مظهر بحيث أن كتابه أو ديوانه مهما غلا ثمنهما فإنهما سيجدان القارئ الحفيّ بهما.

على أنه قد يكون (نزار) مبالغاً حينما عمد في آخر عهده على نشر القصيدة الواحدة الطويلة نوعاً في مؤلف مستقل اقتناصاً للرافد المادي، ولا يعيبه ذلك.

ولقد أسبغت عليه الشهرة العريضة والمستفيضة التي حصل عليها مكانة كبرى بحيث تراكمت عليه الأوسمة والجوائز القيمة وأصبح جوهرة في كل محفل يحلّ به وفي كل أمسية يحييها فكان حضوره كاسحاً ومدوياً .

لقد كانت تربطني بنزار روابط صداقة ومحبة ولديّ جميع مؤلفاته مطرزة باهداءاته، وكنت حريصاً حينما أكون ببيروت التي كان يسكنها على تبادل الزيارات معه سواءً في المكتب أو في الدار، وكان ينصحني بترك العمل الرسمي والتفرغ لحياة الفكر والشعر والنسج على منواله ما أمكن ذلك.

وكان (نزار) شخصية إجتماعية مرموقة، كما كان كريماً سخي اليد بشوساً، حفياً بأصدقائه، حريصاً على إدخال السرور عليهم.

ومن طرائف ما رواه لي أن إحدى الكاتبات اللواتي يحترفن نقد الشعر رغبت في لقاء معه، وحينما تم ذلك بادرته مفاجئة بقولها : (لقد نضبت يا سيد نزار. وأصبحت تكرر ذاتك تكراراً غير مستساغ، ومفروض فيك أن تتوقف فلقد انتهيت تماماً ومنذ حين ليس بالقليل).

وذكر لي أنه تألم منها لهذا القول الجريء، ولم يجد بُداً من أن يقول لها : إن خصوبتي الفكرية لن تنحسر وإنه لن ينهيني إلا إعراض مائتي مليون عربي مازالوا معجبين بكل ما أقول).

ولقد صدق (نزار) فإنه قد احتفظ بروعة فنه حتى النفس الأخير.

ولقد أوتي (نزار) بلاغة القول وروعته بحيث تساوى نثره مع شعره، وفي رأيي مثلاً أن مقدمته الرائعة لديوان (طفولة نهد) من أروع ما كتبه النقاد تقديماً للشعر.

أما مقارنات (نزار) بغيره من عمالقة الشعر ورواده سواء أكانوا قدامى أو

محدثين فإنها غير واردة وأنا آمل أن يتجاوزها المحدّثون عن شعره فنزار ظاهرة متفردة لها خصائصها التي لا تقارن بغيرها، كما أنه لا يستحسن على الاطلاق أن يغمط سواه حقه وأن يجاريه على مكانات غيره سواءً في الماضي أو الحاضر مما هو ليس محتاجاً إليه، والشعر باق لا يموت بموت شاعر مهما كان رفيع القدر، فقد مات آلاف الشعراء قديماً ومات في الحديث شعراء عمالقة كبار كأحمد شوقي، وعمر أبي ريشة، ومحمد مهدي الجواهري وظل الشعر على حالته ووهجه، فالعربية ولود لا تعقم.

وختاماً فإنني لحزين أشد الحزن لرحيل الشاعر الصديق الموهوب (نزار) الذي هزّني الألم والحزن لفقده كما هزّ جموعاً كثيرة من أبناء العربية.

ولا أعتقد أنني مهما طال الزمن سوف أتعزى عن ذهابه بقول الشاعر الخالد :

ستألف فِقدان الذي قد فَقَدته ... كإلفك وجدان الذي أنت واجد

إلى روح الغائب الحاضر الصديق نزار قباني

رحلة ربان !!

عَشِقَ البحر فلم يدركه أين ... كم مضى يضرب بين الضفتين
كم هفا مخترقاً أمواجه ... لا يبالي الحتف أيان وأين
غاية البحّار يعلو أبداً ... أتراه يتقاضى البحر دين؟
ساخراً من سطوة مهما دنا ... عزمه قد كان بحراً مرتين
طالما خلناه قد أضحى لِقى ... في فم الدأماء مكفوف اليدين
صارع الأمواج فاستخذت له ... فتبدّى يتحدّى لجتين
وتسامى صاعداً مقتدراً ... في حبور باسطاً للراحتين
آيتاهُ الفكر والروح معاً ... قد تجلى قارئاً للآيتين
كما تمادى راغباً في منية ... أن يريه الدهر احدى الحسنيين!
رحل الربان يوماً أغبرا ... في خضم ماله من شاطئين
في صباح غائم في زورق ... لعبة اليم خفيض الجانبين

فإذا الأمواج تستهدفه   يمنة يسرى .. صعوداً .. بين بين

قد أمدتها رياح عاصف   فتعالت واستوت كالجبلين!

كشّر البحر له عن نابه   فتجلى أسداً ذا لبدتين

وإذا الزورق أضحى حطبا   كغزال بين فكي أرقطين

وإذا الربان في غمرته   موقن، مستوثق أن حان حين

لم يكن ثمة ما ينقذه   فهوى للقاع في غمضة عين!

أتراه حسد أودى به   فلكم يحسد وهج الناظرين

يا (نزار) كم تصبيت المنى   بحديث من نضار ولجين

كنت نجماً مفرداً في فنه   حاملاً أزهاره ملء اليدين

كانت الفرحة تستأسرنا   إذ نرى فيك حنو الوالدين

قد جمعت المجد شعاع السنا   فسرى فنك عبر الخافقين

كنت من أن هل في محفلنا   طلعة شفافة كالنيرين

وقواماً ينحني الرمح له   وحديثاً مشتهى في الشفتين

ولساناً يتمنى دائماً   لبني يعرب عدل العمرين

فإذا ما غبت فالشعر لنا   صورة منك تهز الأصغرين

يستبينا منه لحن مشرق   ومعان كضياء الفرقدين!

أيها الربان إذ غادرتنا   لم نكن نحسب في الأيام بين

شعرك الرفاف كم أشجى الدنا   عبقرياً، واستفز المشرقين

من نعزي فيك؟ من؟ أنفسنا   فهي قد ذابت شجوناً دون ومين

يا حليف الحب يا من عاش في   وله بالعشق في (نجوى) و(زين)

من يناجي الشمس في رأد الضحى؟   من يسلي بالشعور العاشقين؟

من يرينا حسن (ليلى) والرؤى   مشرعات للهوى غمازتين

من يهز القوم في غفلتهم   ناصراً لله أولى القبلتين

يزرع الشوك ليصلوه أسى   ذاكراً للمجد (بدراً) و(حنين)

بحماس - رائع - منفرد ... ويرى الجبن ضلالات وشين
جرأة قد لا ترى محمودة ... كم زوى مستنكروها الحاجبين
يرموا بالنقد ذرعا فشكوا ... قسوة الناقد جهم النظرتين
أيها الربان من هاجرنا ... ساطع الغرة، عالي المنكبين
من غدى بين الورى اسطورة ... لا تثنى مثل ضوء القمرين
نم رضي النفس موفور الجنى ... أنت يا من عشت مليء المقلتين

في ذكرى أربعينه

(.. إضمامة ورد .. لنزار قباني ..)

(نزار) يا سحبات الرصد ناغمة ... ويا هزاراً تغنّى شعره الأبد
(نزار) يا شعلة للشعر صاعدة ... ملاكها الفن، والاعجاز، والرغد
حرية الشعر جنت إذا ألمَّ أذى ... بفارس الحب أنت المفرد الغرد
رحلت فجراً، وللبلوى مواجعها ... وصوت (صهيون) يعلو والمنى بَدد
من ذا يهز ضمير العرب، غافية ... أصداؤه، فيثور الحقد، والحرد؟
ومن يناديه صبح مشرق ألق ... إن لم يجبه لسان من، متقد؟
عد يا (نزار) فخيل العرب رابضة ... تهفو لقائد فكر ليس يرتعد
وربَّ قول يثير الشعب مرتقباً ... فيشعل النار يستخذي لها العَدَد
قم يا (نزار) فساح الشعر جازعة ... والشمس بعد غياب الليل تحتشد!



نبذة عن : حياة وأعمال

حسن عبدالله القرشي

الأدبية والثقافية

الاسم كاملاً : حسن عبدالله القرشي

اسم الشهرة : القرشي

مكان الميلاد : مكة المكرمة

تاريخ الميلاد : ١٩٣٤م.

أ - الدراسة :

درس بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة المرحلتين الابتدائية والثانوية، كما حصل على شهادة المعهد العلمي السعودي بمكة، ثم حصل على ليسانس آداب - قسم التاريخ - مع مرتبة الشرف من جامعة الرياض.

ب - الحياة العملية :

عمل بوظائف عديدة بوزارة المالية بالمملكة العربية السعودية ، كما عمل رئيساً للمذيعين وانتدب بالقاهرة في الاذاعة المصرية لمدة عام.

كما عمل بعدها مديراً للمكتب الخاص لوزارة المالية والاقتصاد الوطني، ثم انتقل إلى وزارة الخارجية وزيراً مفوضاً، ورئيساً لادارة الصحافة والعلاقات العامة، ثم سفيراً بالديوان، ثم سفيراً فوق العادة، ومفوضاً لبلاده في السودان، ثم في الجمهورية الإسلامية الموريتانية، ثم عاد إلى ديوان وزارة الخارجية سفيراً فيه.

ج - المشاركة الثقافية :

له انتاج نثري وشعري وقد نشر في الصحف والمجلات المحلية وكبريات المجلات العربية الأدبية الشهيرة مثيلات : الرسالة، الثقافة، المجلة الهلال، المقتطف، الحديث، الأديب، الآداب، الفكر الجديد، العربي، العالم العربي، الصباح، الأسبوع العربي، الحوادث، المستقبل، مجلة مجمع اللغة الغربية وغيرها .. كما نشر أدبه في صحف معروفة كالآهرام، والأخبار، والجمهورية، والمصري، والوفد .. مع مجموعة صحف المملكة العربية السعودية ومجلاتها.

وقد ترجم جانب كبير من شعره إلى اللغات الفرنسية، والانجليزية، والأسبانية، والصينية، والايرانية، والايطالية، واليونانية، وأذيع بعض من أشعاره المترجمة للفرنسية من تليفزيون أوروبا الوسطى بفرنسا.

كما مثَّل المملكة العربية السعودية في عديد من المهرجانات الأدبية والشعرية كمهرجان الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي الذي أقيم في تونس عام ١٩٦٥م، وفي مؤتمر الأدباء السابع، ومهرجان الشعر التاسع في بغداد عام ١٩٦٩م، وفي مهرجان الأدباء في طرابلس ليبيا، وفي مهرجان ذكرى الأخطل الصغير بلبنان، وفي الأسبوع الثقافي السعودي بلبنان عام ١٩٧٤م، وفي مهرجان ابن زيدون في المغرب العربي عام ١٩٧٥م، ومؤتمر رجال القلم في الصين الوطنية بتايبيه عام ١٩٧٦م، وفي مجموعة مهرجانات ومرابد العراق ببغداد والبصرة، وكذلك حضر مؤتمر المستشرقين الايطاليين الذي أقيم بمدينتي روما وباليرمو، وحضر مؤتمر الشعر الآسيوي ببنجلادش عام ١٩٨٩م، ومؤتمر الشعر العالمي الرابع بكوالا لامبور «ماليزيا» بتاريخ ١٩٩٢م.

كما حضر ندوات الهيئة العامة للكتاب والعيد المئوي لدار الهلال بالقاهرة عام ١٩٩٢م.

د - مؤلفاته :

«البسمات الملونة الطبعة الأولى سنة ١٩٤٩م، والثانية ١٩٧٢م، «مواكب الذكريات» الطبعة الأولى سنة ١٩٥١م، والثانية ١٩٧٢م، «الأمس الضائع» الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧م، والثانية ١٩٦٨م، «سوزان» الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣م، والثانية ١٩٧٢م، «ألحان منتحرة» الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م، «نداء الدماء» الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م، «النغم الأزرق» الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م، والثانية سنة ١٩٧٢م، «بحيرة العطش» الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧م، «لن يضيع الغد» الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م، «فلسطين وكبرياء الجرح» الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠م، «زحام الأشواق» الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢م، والثانية ١٩٧٩م، «عندما تحترق القناديل» الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣م، والثانية ١٩٧٩م، «زخارف فوق أطلال عصر المجون» الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩م، «رحيل القوافل الضالة» الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م، «أطياف من رماد الغربة» الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م، «عندما يترجل الفرسان» الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م، «ديوان حسن عبدالله القرشي» ثلاثة مجلدات طبع ثلاث طبعات

آخرها عام ١٩٨٣م. وديوانان «المشي على سطح الماء»، و«ستائر المطر»، وديوان تحت الطبع «صراخ في مدن النحاس» إلى غير ذلك من الرباعيات والخماسيات التي ستُجمع وتُنشر بإذن الله.

٢ - الآثار النثرية :

«شوك وورد» - مباحث - الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩م، «أنّات الساقية» - أقاصيص - الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦م، والثانية ١٩٨٣م، «فارس بني عبس» - دراسة - الطبعة الأولى ١٩٥٧م، والثانية ١٩٦٩م، والثالثة ١٩٩٢م، «أنا والناس» - مقالات - الطبعة الأولى ١٩٧٢م، «تجربتي الشعرية» - ترجمة حياة - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م، والثانية ١٩٨٢م، والثالثة ١٩٨٣م، والرابعة سنة ١٩٩٣م، «أصداء من الماضي» - أقاصيص - الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

ز - أبحاث ومحاضرات :

قدم بعض المحاضرات في جامعات المملكة العربية السعودية وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الذي هو عضو فيه - ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

اللغة العربية ووسائل الاعلام، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، نظرات في تاريخ شبه الجزيرة العربية.

كما رأس الأسبوع الثقافي للمملكة العربية السعودية في مجموع دول الخليج العربي والعراق.

ح - أصداء أدبه في المحيط الخارجي :

تحدث عن أدبه، ونقده، وقرّظه - عدا جمهرة الأدباء السعوديين - كثيرون من مشاهير أدباء العالم العربي أمثال : طه حسين، أحمد حسن الزيات، عبدالوهاب البياتي، عبدالوهاب عزام، محمد علي الحوماني، محمود تيمور، شفيق الكمالي، بلند الحيدري، عبدالقادر القط، محمد رشدي حسن، غادة السمان، محمد الفيتوري، عيسى الناعوري، أحمد رامي، حسن كامل الصيرفي، مصطفى عبداللطيف السحرتي، صلاح عبدالصبور، عباس حسان خضر، صالح جودت، جورج صيدح، أحمد كمال زكي، محمد فهمي، أدونيس، محيي الدين فارس، أحمد عباس صالح،

المستشرق الأسباني فيدريكو آربوس، سميح القاسم، سليمان العيسى، فدوى طوقان، فاروق شوشة، رجاء النقاش، عبدالله عبدالجبار وغيرهم.

ط - مشاركة أكاديمية :

وهو عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومجمع اللغة العربية بعمان، ومجمع اللغة العربية بدمشق، ومرشح عضواً بمجمع اللغة العربية ببغداد، كما أنه أمين عام سوق عكاظ بالمملكة العربية السعودية، وكان رئيساً للنادي الأدبي بجدة قبل انتقال عمله آنفاً إلى السودان.

ي - دراسات عن أدبه وشعره :

صدرت عنه دراسة بعنوان «القرشي شاعر الوجدان» للدكتور عبدالعزيز الدسوقي، ودراسة بعنوان «حسن عبدالله القرشي - شاعر من الحجاز» للأستاذ أحمد الجدع، ودراسة للدكتور محمد رشدي حسن، ودراسة للأستاذ شكيب الأموي، ودراسة للدكتور عبدالعزيز الدسوقي بعنوان «القرشي شاعر الوجدان» ودراسة للدكتور عبدالعزيز شرف بعنوان «الرؤيا الابداعية في شعر حسن عبدالله القرشي» ودراسة بعنوان «حسن عبدالله القرشي - حياته وأدبه» للدكتور صلاح عدس، وكتاب «رجال من مكة» للدكتور زهير محمد جميل كتبي، ودراسة بعنوان «الاتجاه الوجداني في شعر حسن القرشي» نال بها الماجستير يحيى أحمد الزهراني، ودراسة بقلم الدكتور حسن فتح الباب بعنوان «حسن عبدالله القرشي - شاعر الجزيرة العربية» ودراسات للدكتور عبدالعزيز شرف بعنوان «فن المقالة في أدب القرشي» و«الفن القصصي في أدب القرشي» و«دراسة وقصائد للقرشي» و«الوساطة بين حسن عبدالله القرشي ونقاده» ودراسة دكتوراه للدكتور حصل بها على الدرجة الدكتور ياسين الايربي عنوانها «حسن عبدالله القرشي في مسار الشعر الحديث»، بحث ماجستير للأستاذة منيرة عبدالله السوداني بجامعة الملك سعود بالقصيم

ك - رحلاته :

رحل إلى جميع البلاد العربية وإلى جمهوريتي تركيا، وايران والبلاد الافريقية، وأمريكا، وجميع البلاد الأوروبية، وجميع بلدان الشرق الأقصى.

ل - أوسمته :

يحمل مجموعة من الأوسمة الرفيعة منها : «وسام الجمهورية» و«الوسام الثقافي» من الجمهورية التونسية، و«وسام النيلين» من جمهورية السودان، ووسام «الكوماندر» من الجمهورية الاسلامية الموريتانية.

م - دور النشر التي نشرت كتبه ودواوينه :

نشرت كتبه ودواوينه في كبريات دور النشر المعروفة كدار المعارف بمصر، ودار الآداب، ودار العلم للملايين، ودار العودة ببيروت، والدار التونسية للنشر بتونس، ودار الشروق بالقاهرة، كما نشرت له مختارت من شعره إلى اللغة الانجليزية وإلى الايرانية عن دار الساقي في لندن وإلى اللغة الفرنسية والاسبانية واليونانية عن دور نشر كبرى.

بعض ما قيل عن شعر حسن عبدالله القرشي :

.. ولقد سمعت بين من سمعت من الشعراء شعر الأستاذ الصديق حسن عبدالله القرشي، ولم أكد أسمعه حتى كُلفت به .. وتمنيت أن أراه منشوراً يقرؤه الناس .. في الحجاز وفي غير الحجاز من أقطار الأرض ..

وفي لغة شاعرنا جدة ويسر يدنيانه إلى الفهم، ويؤذنانك بأنه منك وبأنك منه .. واقرأ شعر الشاعر ينبئك في وضوح وجلاء بصدق ما أقول ..

ولو لم يكن لهذا الشعر إلا أنه يبشر البيئات العربية الأدبية بأن مهد الشعر قد استأنف مشاركته في إغناء النفوس .. وإمتاع العقول لكان هذا كثيراً، فكيف وفيه فوق هذا كله ما يشوق، ويروق، ويرضي طلاب الرصانة وعشاق الجمال ..

طـــه حسين

.. الأستاذ القرشي شاعر الجزيرة العربية، مهد العرب، ووطنهم الأول، ووطن شعرهم، استطاع أن يواصل مسيرته الشعرية عبر الزعزع النكباء .. وأن يثبت أن ينابيع شمس وطن العرب الأول لاتزال يغتسل فيها الشعراء والجوّابون وأبناء الكلمة الصادقة الأصيلة .. فتحية له، ولشعره ..

عبدالوهاب البياتي

.. والقصيدة عند الصديق الشاعر حسن عبدالله القرشي تنبض بحساسية على جانب كبير من الغنى، ولصوره الشعرية وهجها الذي يجاور بين رؤى متعددة الأبعاد فهي سهلة المنال حتى لتكاد تلمسها لمساً، وهي في الآن ذاته مرمى في رمز ذهني وعبرهما نما وكبر شاعراً متميزاً بخصوصيته ..

بلند الحيدري

.. آت من الصحراء .. حاملاً إلينا البحر .. لا السراب .. آت من مسقط رؤوس أجدادنا، ومسقط قلوبنا في الجزيرة العربية .. القرشي ابن مكة المكرمة يتابع حمل المشعل العربي القديم المضيء .. في كلمته ضراوة الدورة الدموية لحضارة الأجداد، وطراوتها .. إستطاع أن يصالح الفراهيدي مع دفء القلب، ونبض الحديث .. شاعر رائع، نحبه ..

غادة السمان

.. عن حسن عبدالله القرشي لن أتحدث فإنه رفيق رحلتي، وسأكون كالذي يتحدث عن نفسه ..

إن واجب إنصافه مسؤولية تقع على عاتق غيري، وغيري هم الآخرون أليسوا هم الذين صاغوا فكره، وفجّروا ينبوع وجدانه، وتشكيلات صوره وموسيقاه وهم أيضاً الذين طوّفوا بعينيه البريئتين داخل أبهاء عالمهم السارتري، حتى اكتستا بالصوفية والذهول ..

عالم سارتر هو الناس والجحيم ..
وعالم القرشي هو الجمال، والشعر ..

محمد الفيتوري

.. في شعر حسن عبدالله القرشي .. نفحات من الحجاز، ولمحات من قريش، ونغمات من ابن أبي ربيعة ..

وان في أولئك كله الدليل على أن مشارق النور لا تزال تُهدي ومنازل الوحي لا تزال تُلهم ..

أحمد حسن الزيات

.. طوفت كثيراً بفضاءات قصائدك الموحية، وأنعشني ما بعثته في نفسي من أصداء مشحونة بصدق الاحساس، وروعة الشعر الحي الصادق ..

وإذا كان الشعر هو صانع وجدان الأمة، فبمثل شعرك ذي الروح العربية الخالصة ترتفع الكبرياء، وتعلو الهمم، ويشمخ البناء النفسي في بناء الأمة ..

فدوى طوقان

.. إن أصبحت الأرض غابة، وأمسى الحاضر غائباً كما يقول حسن عبدالله القرشي فإلى أين يمشي الشاعر؟ وكيف يكتب؟ في اعتقادي أن الشاعر لا يمكن سوى أن يواصل طريقه، وأن يظل يكتب .. وإني لأعجب من دأب القرشي وهو يواصل طريقه منذ عقود، مؤمناً الشعر سيرة وسيرورة ..

سعدي يوسف

.. حسن عبدالله القرشي .. نفحة من عرار نجد . ورملة عطشى من صحرائنا العربية .. تحولت إلى كلمة شاعرة تغني الحب والمروءة، وبقايا صهيل جيادنا التي تحاول كل قوى الغزو والدمار اخمادها، ولكنها لا تستسلم، ولا تنسى جذورها في أعماق هذه الأرض ..

منذ زمن بعيد .. كنا نتلاقى على خريطة هذا الوطن المتعب الكبير .. تحملنا قصيدة على جناحيها إلى الحلم العربي، وكان صديقي الشاعر القرشي يُصِرُّ .. أغنية بعد أغنية وديواناً بعد ديوان .. على أن الحلم العربي هو أجمل ما في حياتنا، وأنه جدير بأن نهبه حبنا وأشعارنا..

تحية للشاعر الصديق وبعرار نجد ملهمنا الأول، ولرمالنا العطشى التي ماتزال تغني، وتمتع، وتضيء ..

سليمان العيسى

.. حين أقرأ حسن عبدالله القرشي أقرأ الحجاز وابن أبي ربيعة ولا أعرف لماذا؟ ألأنني أحب عمرا والحجاز؟ أم لأنني أحب قرشية هذا الشاعر؟

في كل حال ينقلني شعر حسن القرشي إلى مواطن تختبئ في الذاكرة هي بين أجمل المواطن التي أعرفها.

أحييك يا صديقي الشاعر حسن .. أنت يا من توقظ الحاضر والمستقبل فيما توقظ الذاكرة ..

أدونيس

.. هذا القادم من أرض البراءات، والينابيع الأولى من شباب مكة المضيئة بعبير النبوة .. يقرب الشقة دائماً بينك وبين عالمه الداخلي المسكون بايقاعات الحياة الحارة، وهنا نجد السلوك الشعري العفوي في تناول مفردات الحياة يحمل من وجوده الداخلي وجوداً لا يتناقض مع العالم الخارجي ..

هذا القادم هو الشاعر الملهم حسن عبدالله القرشي، المملوء بكنوز المحبة، والمعنى دائماً بالحياة، والحب، والخير، والجمال..

محيي الدين فارس

.. ينتمي الشاعر حسن عبدالله القرشي إلى مدرسة أبولو .. ففيه تلك الرقة العاطفية وذلك الولع بالطبيعة والحب، ولن يجد عنده القارئ عبارة غريبة أو خشنة من تلك العبارات القاموسية التي لا تألفها الحياة الواقعية وتزخر بها بعض أشعار الشعراء والمفكرين ..

وللقرشي مثل سابقيه من أبناء هذه المدرسة اهتمامات أخرى قد تكون سياسية أو اجتماعية، ولكنه يبقى دائماً ذلك الشاعر الذي يدور اهتمامه الرئيسي حول الحياة، حيث تكون الحواس دائماً منتبهة للألوان، وللحديث والزهور، وكل الروائح العطرة، والايقاعات الجميلة ..

أما نسيجه الشعري فمن نسيج هذه المدرسة إذ تصفو اللغة .. وترقُّ حتى تكاد تشف عن المعاني .. وتبدو الصور وكأن لا حجاب هناك ..

شعر القرشي يبين هذه الخصائص جميعاً وينقلنا إلى هذه المررحلة الجميلة التي تتحول فيها اللغة إلى أنغام رائعة حافلة بالصور الزاهية المتألقة ..

أحمد عباس صالح

.. كان لابد أن يكون لهذا الجيل من أهل الحجاز شاعره، وكان هذا الشاعر هو حسن عبدالله القرشي .. فهو قلق النفس، متطلع إلى آفاق جديدة ربما كانت أبعد مدى من الصحراء التي يعيش فيها..

الشاعر حسن عبدالله القرشي لا يرضى بمجتمعه الذي يعيش فيه فهو ينتقده ويدينه في كلمات احتجاج، ولكنهما على أي حال احتجاج شاعريّ صاف ..

لقد ابتدأ الشعر في الحجاز من حيث ابتدأنا محافظاً على التقاليد العربية معتزاً بها ولكنه - كما يطلعنا في شعر القرشي - يتحرر بجسارة من التقاليد المتوارثة ويحاول أن يعبر عن ذات الشاعر، ووقعها على مجتمعه ومازال هذان الفرضان يتوزعان الشعراء حتى يتم ذلك التوازن المنشود فيرى الشاعر نفسه في مجتمعه، ويصبح هو قلب هذا المجتمع .. وسنرى في شاعرنا الحجازي هذا الشاعر الجديد ..

صلاح عبدالصبور

.. من عبق الصحراء الحار، يأخذ أخي وصديقي، صنَّاجة شبه جزيرة العرب، الزستاذ الشاعر حسن عبدالله القرشي، أفقاً لمفرداته الفريدات، ومدى لوجدانه العربي الأصيل، ويذهب في واحات الضاد، مفعماً بوهج الشعر، باحثاً عن واحات الروح، وها هو ذا يعبر أفق أجدادنا الأوائل بجناحين من صدق الشعور ومصداقية الفن الشعري الرصين ليحيينا بمطالعه المشرقة ولنرد التحية بما أوتينا من قلوب : هلا بك ..

سميح القاسم

.. لقد أمعنت النظر في أدب وشعر الأستاذ الكبير حسن عبدالله القرشي فتكشَّف لي كل أولئك عن عبقرية ناضجة .. لقد طرق الأستاذ القرشي كل أبواب وفنون الأدب العربي بفكر سليم، ومنهج قويم وحلَّق في ذلك وأبدع ومؤلفاته ودواوينه خير دليل على ذلك ..

وهذا ما أتاح له الشهرة العريضة بين أبناء وطنه وبين كبار الأدباء والشعراء العرب .. وقد احتفى الكثيرون منهم بأدبه وقرَّظوه، ونقدوه ..

ولقد ترجم شعره إلى لغات حية عديدة كالفرنسية، والانجليزية والاسبانية والصينية والايرانية واليونانية وبذلك فقد أصبح القرشي - بالاضافة إلى شهرته في العالم العربي - عروفاً على المستويين الشرقي، والغربي الأمر الذي لم يتح إلا للقليل جداً من الأدباء ..

ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن القرشي واحد من الذين يستحقون أن يفخر بهم الفكر الخلاَّق في عالمنا، وأنه أيضاً بثقافته الممتازة جدير بكل ذلك .. ولمكانته الرفيعة فقد أُختير عضواً بمجامع اللغة العربية في سوريا ومصر والأردن ..

فيدريكو أربوس

أستاذ الأدب الحديث بجامعة مدريد - أسبانيا

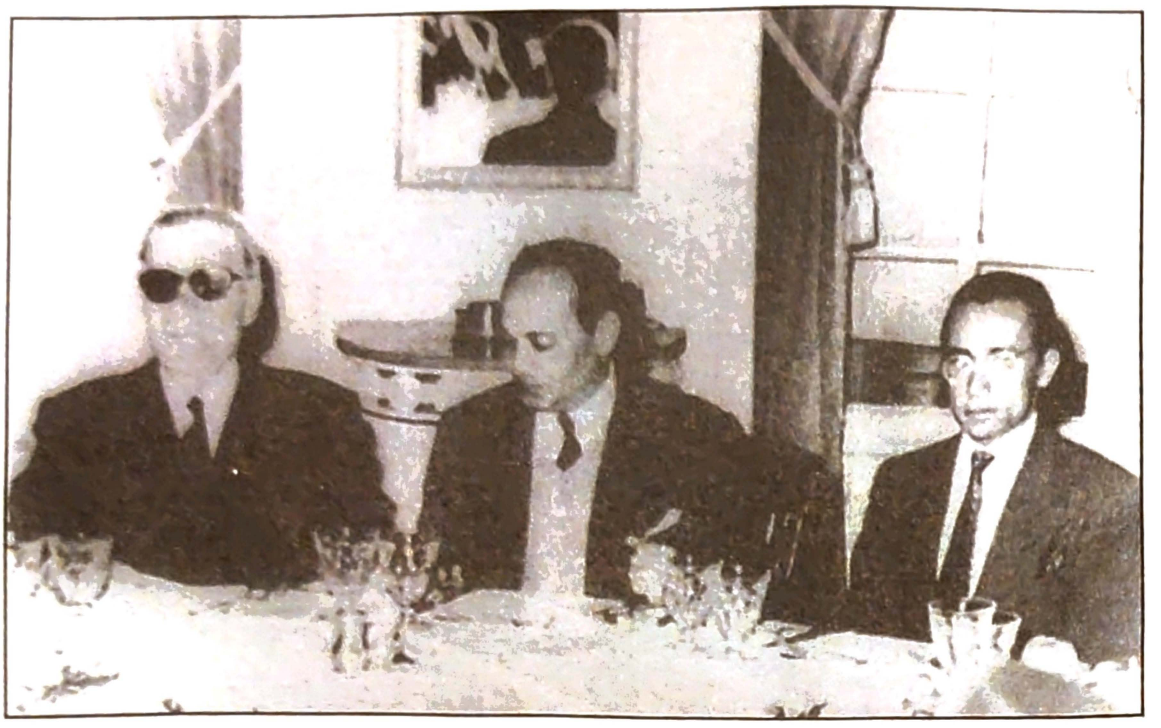
ن - دكتوراه فخرية :

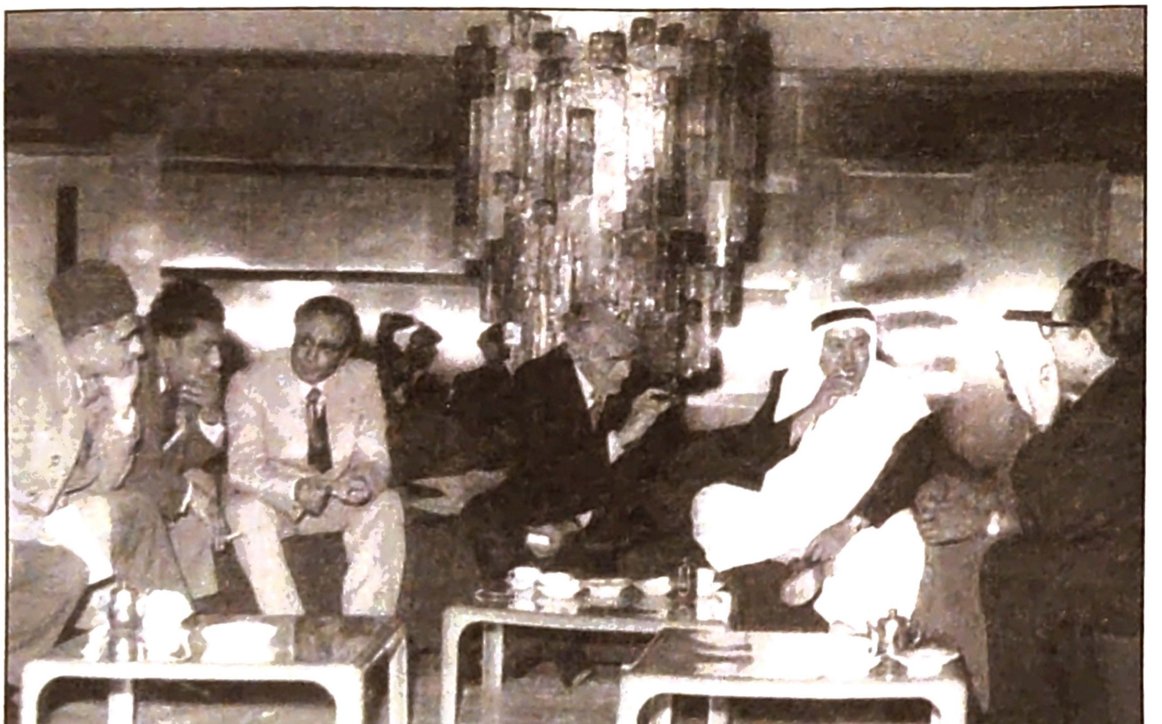
مُنح شهادة الدكتوراه الفخرية بتوصية من مجموعة أمناء الجامعة العالمية في أريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية في الآداب تقديراً لجهوده الثقافية والأدبية.





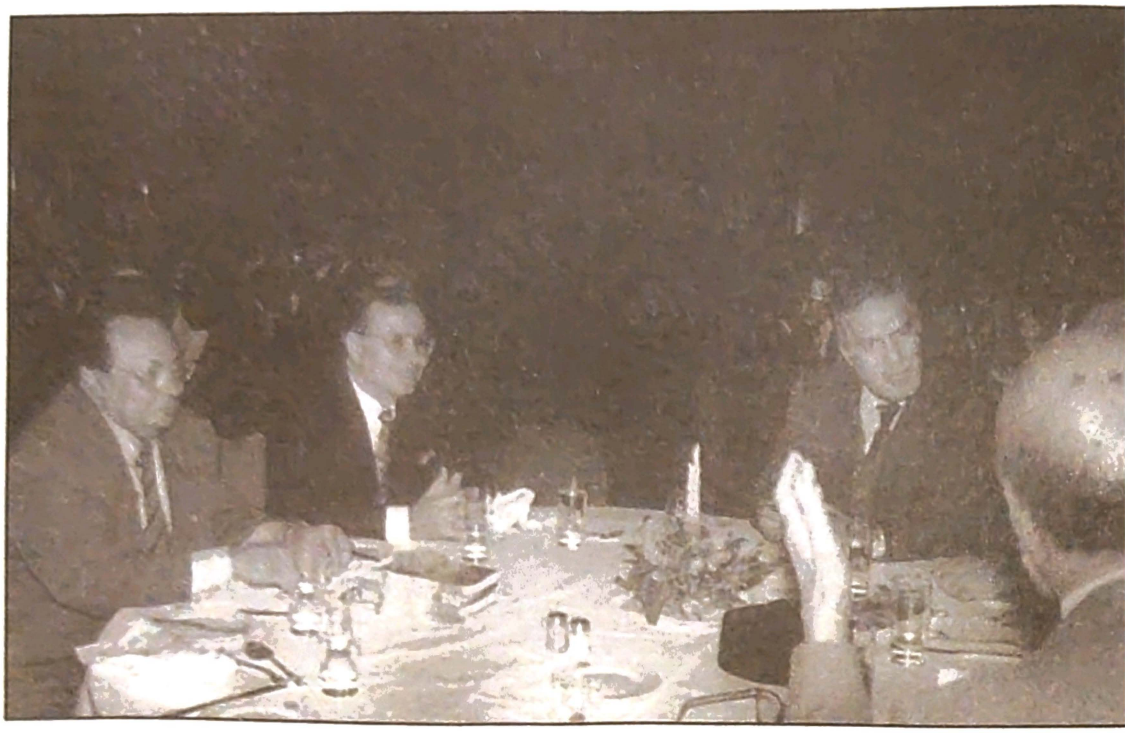









والمناظر العلمية والأمسيات الشعرية





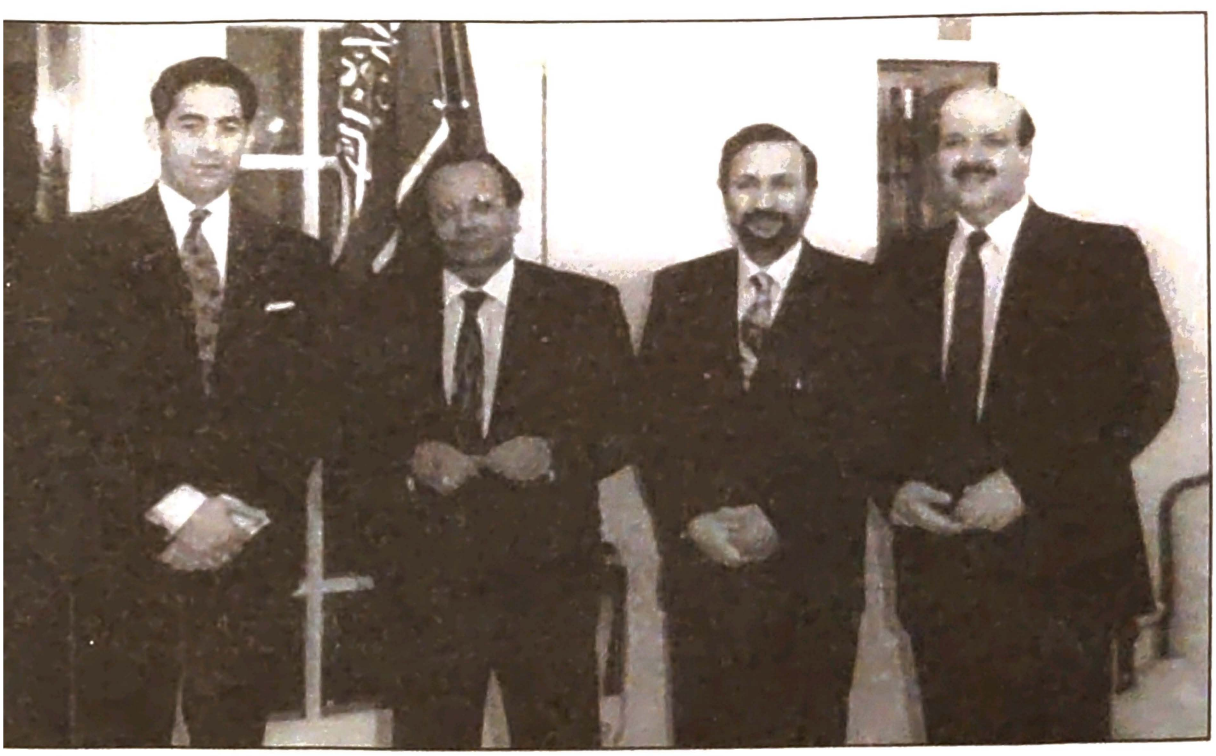

طه حسين
وتأصيل الثقافة العربية الحديثة
مكتبة القاهرة الكبرى
وتأصيل الثقافة العر
٢٥ - ٢٧ أكتوبر


تكريم فقيد الرياضة العربية
الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله















الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهـــرس

المؤلف في سطور ..

ولد عام ١٩٣٤م، بمكة المكرمة، ودرس بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة المرحلتين الابتدائية والثانوية، كما حصل على شهادة المعهد العلمي السعودي بمكة، ثم حصل على ليسانس آداب - قسم التاريخ - مع مرتبة الشرف من جامعة الرياض.

عمل بوظائف عديدة بوزارة المالية بالمملكة العربية السعودية كما عمل رئيساً للمذيعين وانتدب بالقاهرة في الاذاعة المصرية لمدة عام.

كما عمل بعدها مديراً للمكتب الخاص لوزارة المالية والاقتصاد الوطني، ثم انتقل إلى وزارة الخارجية وزيراً مفوضاً، ورئيساً لادارة الصحافة والعلاقات العامة، ثم سفيراً بالديوان، ثم سفيراً فوق العادة، ومفوضاً لبلاده في السودان، ثم في الجمهورية الإسلامية الموريتانية، ثم عاد إلى ديوان وزارة الخارجية سفيراً فيه.

مؤلفاته :

«البسمات الملونة الطبعة الأولى سنة ١٩٤٩م، والثانية ١٩٧٢م، «مواكب الذكريات» الطبعة الأولى سنة ١٩٥١م، والثانية ١٩٧٢م، «الأمس الضائع» الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧م، والثانية ١٩٦٨م، «سوزان» الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣م، والثانية ١٩٧٢م، «ألحان منتحرة» الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م، «نداء الدماء» الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م، «النغم الأزرق» الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م، والثانية سنة ١٩٧٢م، «بحيرة العطش» الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧م، «لن يضيع الغد» الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م، «فلسطين وكبرياء الجرح» الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠م، «زحام الأشواق» الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢م، والثانية ١٩٧٩م، «عندما تحترق القناديل» الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣م، والثانية ١٩٧٩م، «زخارف فوق أطلال عصر المجون» الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩م، «رحيل القوافل الضالة» الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م، «أطياف من رماد الغربة» الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م، «عندما يترجل الفرسان» الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م، «ديوان حسن عبد الله القرشي» ثلاثة مجلدات طبع ثلاث طبعات آخرها عام ١٩٨٣م. «ديوان ستائر المطر»، «ديوان المشي على سطح الماء».